رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إبدال الحروف
في اللهجات العربية

تأليف الدكتور
سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي
عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

هذا الكتاب رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠٧ هـ

مكتبة الغرباء الأثرية

إبدال الحروف

في اللهجات العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

إبدال الحروف
في اللهجات العربية

تأليف الدكتور
سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي
عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

هذا الكتاب رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠٧هـ

مكتبة الغرباء الأثرية
المدينة النبوية - ت : ٨٢٤٣٠٤٤

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

هاتف: ٨٢٤٣٠٤٤ - فاكس: ٨٢٦٤١٠٦

ص.ب: ١٤٤٩ - المدينة النبوية

المملكة العربية السعودية

ترخيص: ٤٥٨٠/ك

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن اللغات الإنسانية ترجع إلى أصل واحد كما أن الناس يرجعون إلى أب واحد هو آدم عليه السلام، ولكن بمرور الزمن تشعبت اللغة الإنسانية إلى لغات وقد تفرعت بدورها إلى لهجات كما انقسم البشر إلى طوائف وجماعات.

وهذا الاختلاف بين الناس واللغات آية من آيات الله تدعو إلى التدبر قال الله تعالى: ﴿ **ومن آياته خَلقُ السموات والأرضِ واختلافُ ألسنتِكم وألوانِكم إنّ في ذلكَ لآياَت للعالمين**﴾[(١)].

واللغات في تطورها وتغيرها تسير في طرق منتظمة تحكمها قوانين ثابتة وما على الباحث إلا أن يكتشف هذه القوانين التي تحكم تغير اللغات والتي يتبين من خلالها كيفيةُ تغير اللغة وتفسير هذا التغير.

ومن أهم التغييرات التي طرأت على اللغة التغيير في حروفها

(١) الروم (٢٢).

«أصواتها» إذ إن التغيير يؤدي إلى انقسام اللغة إلى لهجات ثم تتطور هذه اللهجات حتى تصبح لغات، وأهم تغيير يحصل لحروف اللغة هو «الإبدال» إذ إنني رأيت أن معظم اللهجات والتغييرات التي تصيب اللغة ترجع إلى الإبدال الحاصل في حروفها(أصواتها).

إذ إن ما يصيب الحروف من تغيير في صفاتها أو مخارجها يؤدي إلى الاختلاف بين الناطقين بها ثم يتطور هذا الاختلاف مع مرور الزمن حتى تتشعب اللغة الواحدة إلى لهجات.

ثم إنني بعد التأمل الطويل وجدت أن معظم اللهجات العربية ـ بل أكبر تغيير حصل للغة العربية في تاريخها الطويل ـ يرجع إلى الإبدال الذى حصل لحروفها«أصواتها»ووجدت أن الباحثين في الإبدال واللهجات قد انقسموا قسمين منهم من بحث في الإبدال على حدة ومنهم من بحث في اللهجات على حدة وكأن اللهجة والإبدال لايرتبط أحدهما بالآخر فأردت أن أربط بين الإبدال واللهجات التي تمثل مراحل تغيُّر الحروف (الأصوات) في اللغة العربية ولكى أصل إلى قانون لمعرفة الإبدال أو التغير الذى حصل للغة العربية من خلال لهجاتها، إذ إن هذه اللهجات تمثل صورا مختلفة لتغير الحروف وهذه الصور بعضها أقدم من بعض وبعضها متفرع عن بعض أي إن اللغةالعربية بلهجاتها تشتمل على ما يشير إلي تغيرها في أثناء رحلتها التاريخية الطويلة ويستطيع الباحث أن يرى ذلك من خلال اللهجات التي كانت نتيجة للتبادل بين الحروف (الأصوات).

فقد نجد للظاهرة الواحدة صورتين أو ثلاثا أو أكثر وبعد التأمل نجد أن هذه الصور بعضها أقدم من بعض وكل منها يمثل مرحلة واحدة من

مراحل الظاهرة اللغوية.

ثم إنني لم أر كتابا وضع قانونا للإبدال بين الحروف(الأصوات) العربية فأردت أن أبحث عن قانون لتطورات الحروف في اللغة العربية وذلك بغية الوصول للأمور التالية:

١ـ تفسير التغيرات التي حصلت للغة العربية.

٢ ـ حل بعض المشكلات النحوية.

٣ ـ معرفة تكون بعض الأبنية العربية.

٤ ـ تفسير بعض الأحاديث النبوية الشريفة.

٥ ـ تبيين بعض القراءات القرآنية.

****

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة وبابين وخاتمة.

١ ـ المقدمة: وتشمل على سبب اختيار الموضوع وأهداف البحث والخطة التي يتكون منها هذا البحث والمنهج الذى سرت عليه في إعداد هذه الرسالة.

٢ـ الباب الأول: أصل اللغة العربية وحروفها ويتكون من ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: السامية والحامية.

الفصل الثاني: اللغة واللهجة والإبدال.

الفصل الثالث: جهاز النطق والحروف العربية.

٣ ـ الباب الثاني: إبدال الحروف(الأصوات) ويضم أربعة فصول هي:

الفصل الأول: الحروف الحلقية

الفصل الثاني: الحروف الطبقية والغارية.

الفصل الثالث: الحروف اللثوية والأسنانية والشفوية.

الفصل الرابع: حروف العلة والإبدال من أحد المتضاعفين.

٤ ـ الخاتمة: وتشتمل على أهم ماتوصل إليه البحث من نتائج.

وقد نهجت في هذا البحث المنهج التالي:

١ ـ الاستقراء وذلك بأن أجمع عددا من المواد والنصوص التي تبين الأصل من الفرع أو ترجحه.

٢ ـ المقارنة بين الكلمات التي وقع فيها الإبدال وذلك بالاستعانة بأخوات العربية فمثلا ظاهرة إبدال الهمزة هاء توجد في اللغة العربية في الشعر والنثر وفي لهجتي طيء وأهل الحجاز وفي لغة اليمن القديمة وفي اللغتين الكنعانية والعبرية، والمقارنة بين هذه اللهجات واللغات تبين الأصل من الفرع.

٣ ـ الاستعانة ببعض القوانين الصوتية كالمخالفة والمماثلة وقانون السهولة واليسر.

٤ ـ النظر إلى الحرفين(الصوتين) اللذين وقع بينهما التبادل مثل أن أنظر إلى حرفي اللام والنون أيهما يكون الأصل وأيهما يكون الفرع وألا أكتفي بالنظر إلى بعض المواد التي تحتوي على هذين الحرفين والحكم على كل مادتين بحكم خاص بل أحكم على اللام أو النون بأصالة أحدهما وفرعية الآخر في التبادل في اللغة العربية.

٥ ـ الاسشهاد بالقراءات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر والنثر.

٦ ـ أن أنسب اللهجة إلى أصحابها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

٧ ـ بيان استعمال اللهجة قديما وحديثا.

٨ ـ بيان أثر اللهجة في بنية العربية.

٩ ـ عرفت معظم الأعلام الموجودين في هذه الرسالة.

١٠ـ إذا ذكرت اسم المادة والمعجم الذى يحتوي عليها في صلب الرسالة لا أشير إلى رقم الصفحة في الهامش، بل أكتفي بذكر المادة والمعجم

١١ ـ ختمت رسالتي هذه بجدولة الفهارس على النحو التالي:

أ ـ فهرس الآيات القرآنية.

ب ـ فهرس الأحاديث والآثار.

جـ ـ فهرس الشعر.

د ـ فهرس المراجع والمصادر .

هـ ـ فهرس الموضوعات.

❊❊❊❊

الباب الأول

أصل اللغة العربية
وحروفها(أصواتها)

وفيه فصول:

الفصل الأول: السامية والحامية.

الفصل الثاني: اللغة واللهجة والإبدال.

الفصل الثالث: جهاز النطق والحروف(الأصوات) العربية.

* * * *

الفصل الأول

السامية والحامية

قسم العلماء اللغات الإنسانية إلى فصائل بحيث تتألف كل فصيلة من عدة لغات ترجع جميعها إلى أصل واحد وقد احتفظ كل منها بصفات يسهل على الباحث اللغوي أن يرجعها إلى ذلك الأصل، والعناصر التي تحتفظ بها اللغات ولا يصيبها التغيير إلا قليلا هي:

١ ـ الضمائر.

٢ ـ الأعداد.

٣ ـ أسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

٤ ـ الاشتراك في معاني نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدلالة القديمة كالأرض والسماء، وألقاب الأسرة كالأب والأم والأخ والابن، أو الاشتراك في أصول الكلمات[١].

٥ ـ أدوات الربط بين أجزاء الجملة.

٦ ـ الاشتراك العام في تركيب الجمل[٢].

٧ ـ قواعد البنية[٣].

(١) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(١٩٦).

(٢) في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس(١٨).

(٣) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(١٩٦).

وأشهرنظرية قسمت اللغات على هذه الأسس هي نظرية مكس مولر(Max Müler)[1] التي ترجع جميع اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل هي:

الفصيلة الهندية ـ الأوروبية، والفصيلة السامية ـ الحامية، والفصيلة الطورانية، والذى يعنينا من هذه الفصائل هو الفصيلة الثانية وهي: السامية ـ الحامية لأن اللغة العربية تنتسب إلى أحد شقيها أو قسميها وهو اللغات السامية.

اللغات السامية:

ويطلق اسم اللغات السامية على: اللغة الأكادية(البابلية والآشورية)، والكنعانية(الأجريبتية[2] والفينيقية والعبرية)، والآرامية، والعربية، واليمنية القديمة والحبشية[3].

وأول من استخدم هذا الوصف على إطلاقه على هذه اللغات العالمان الألمانيان شلوتزر(Schlozer) وإيكهورن(Eichhorn) في أواخر القرن الثامن عشر[4].

وقد أخذ هذا الوصف من جدول تقسيم الشعوب الموجود في التوراة ذلك الجدول الذى يرجع كل الشعوب التي عمرت الأرض بعد طوفان نوح عليه السلام إلى أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث، غير أنه يلاحظ على جدول تقسيم الشعوب في التوراة أنه قد بنى على اعتبارات سياسية وحدود جغرافية، فقد عد العيلاميين واللوديين من أبناء سام لأنهما كانا

---

(١)علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(١٩٦).
(٢) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي(١٥٧).
(٣) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(٧) .
(٤) المرجع السابق(٧).

من رعايا الدولة الآشورية على الرغم من أنه لا توجد بين هذين الشعبين قرابة لغوية من جهة كما أنه ليس بينهما وبين الآشوريين قرابة لغوية من جهة أخرى كما جعل الفينيقيين من أبناء حام بسبب صلاتهم السياسية بالمصريين على الرغم من أنهم أقرب الشعوب إلى العبريين[١].

ويرى بعض الباحثين أن التسمية المناسبة لهذه اللغات هي: «أقوام الجزيرة» أو «الأقوام العربية القديمة»[٢].

الموطن الأول للساميين:

لما عرف العلماء أن اللغات السامية متفرعة عن لغة واحدة وأن شعوبها كانت شعبا واحدا انتشر سكانه في جميع البلاد التي تنتشر فيها هذه اللغة أخذوا يبحثون عن الموطن الأصلي لهذه الشعوب فجاءت آراؤهم مختلفة اختلافا كبيرا على النحو التالي:

مذهب يقول: إن الساميين قد نشأوا ببلاد الحبشة ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب ومن هذا القسم انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

المذهب الثاني يقول أصحابه: إن الموطن الأول للساميين كان شمال أفريقية ومنه نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس.

المذهب الثالث يقول: إن المهد الأول للساميين كان بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان، وفريق من أصحاب هذا المذهب يرى أن هذا الموطن كان المهد الأول للشعبين السامي والآري معا.

المذهب الرابع يرى أصحابه: أن المهد الأول للساميين هو جنوب

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب(٢٥).

(٢) من تراثنا اللغوي القديم لطه باقر(١٧).

العراق ويذهب إلى هذا من المستشرقين «جويدى وفريتس هومل» ويستدل أصحاب هذا المذهب ببعض كلمات مشتركة في جميع اللغات السامية تتعلق بالعمران والحيوان والنبات.

المذهب الخامس ذهب أصحابه إلى أن الموطن الأصلي للساميين كان بلاد كنعان ويستدلون على ذلك بأن الساميين كانوا منتشرين في البلاد السورية القديمة في أزمنة سحيقة في القدم وأن مدنيتهم في هذه البلاد لا تعرف نشأتها ولا تعرف قبلها مدنية أخرى[١].

المذهب السادس والأخير يرجح أصحابه: أن المهد الأول للساميين هو جزيرة العرب(نجد والحجاز واليمن) وقد مال إلى هذا المذهب عدد كبير من المستشرقين مثل رينان الفرنسي وبروكلمان الألماني مستدلين بالأدلة التالية:

١ ـ إن الهجرة في هذه البلاد كانت تخرج دائما في العصور السابقة للتاريخ والعصور التاريخية منْ جزيرة العرب متجهة إلى الشمال والشرق(سوريا والعراق) فقد نزح الأكاديون من الجزيرة العربية إلى العراق والكنعانيون إلى الشام[٢].

٢ ـ دلت الحوادث التاريخية السياسية ولاتزال على أن سكان الصحاري والجبال المجدبة يطمحون دائما إلى التحضر وسكنى المدن والإقامة بالبلاد الخصبة المجاورة للأنهار حيث يقيمون ويتخذون الزراعة مهنة لهم.

---

(١)انظر فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(١١)، والأمم السامية لحامد عبدالقادر(٥٣).

(٢) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(١٢).

٣ ـ جميع سكان بلاد العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس البشرية لهم مميزات الجنس السامي الخلقية والخلقية ولغتهم على ما يرى المحققون من علماء الساميات، من أمثال بروكلمان ورايت ونولدكه أقرب اللغات السامية إلى الأم[١].

أقدم لغة سامية

لقد اختلف العلماء في أقدم لغة سامية، فكان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن العبرية هي أقدم لغة إنسانية وانتشر هذا الرأي عند كثير من الباحثين، حتى أن بعض العرب أنفسهم قد ذهب إليه.

وذهب بعضهم إلى أن الآشورية البابلية هي أقدم اللغات السامية، وذهبت طائفة من المحدثين وعلى رأسهم العلامة أولسهوزن(**olshausen**) في «مقدمة كتابه عن العربية» إلى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية الأولى[٢]، ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «وجميع هذه الآراء قائمة على أساس فاسد، وذلك أن جميع اللغات السامية قد اجتازت مراحل كثيرة في التطور قبل أن تصل إلى الحالة التي أتيح للعلماء معرفتها، فبعدت بذلك كل لغة منها عن النقطة الأولى التي ابتدأ منها تطورها، فمن الخطأ إذن النظر إلى واحدة منها على أنها أول لغة تكلم بها الشعب السامي».[٣]

ومن المسلم به الآن لدى معظم المحدثين من علماء الاستشراق أن اللغة العربية قد احتفظت بكثير من الأصول القديمة في مفرداتها وقواعدها

---

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب(٤٢).

(٢) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (١٥).

(٣) المرجع السابق (١٥).

وأنه لاتكاد تعدلها في ذلك أي لغة سامية أخرى.

ويرجع السبب في هذا إلى نشأتها في أقدم موطن للساميين وبقائها في منطقة مستقلة منعزلة فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى[1].

والأمر الذى لامناص منه هو أن كل واحدة من اللغات السامية قد احتفظت ببعض العناصر القديمة في اللغة السامية الأولى وتختلف هذه العناصر التي احتفظت بها اللغات السامية من لغة إلى أخرى فكل منها قد احتفظ بقدر معين وقد تتفق هذه اللغات في الاحتفاظ ببعض العناصر من السامية الأولى وسوف يتضح ذلك في أثناء التبادل بين الأصوات.

****

(١) فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى (١٦).

اللغة الأكادية

(البابلية الآشورية)

هي لغة الأقوام الساميين الذين خرجوا من الجزيرة العربية ـ على أرجح الآراء ـ إلى العراق في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد.

والأكادية نسبة إلى مدينة أكاد التي بناها سرجون في الجزء الشمالى من أرض بابل حوالي سنة ٢٣٥٠ قبل الميلاد، ولكن يفضل كثير من العلماء تسميتها بالبابلية الآشورية نسبة إلى منطقتي بابل وآشور لتشمل جميع اللهجات السامية في أرض العراق.

وعندما دخل هؤلاء الساميون أرض العراق التقوا بشعب متحضر قديم، يطلق عليه اسم الشعب السومري، وهو شعب مجهول الأصل وقد كان لهذا الشعب بهذه البلاد حضارة زاهرة ولغة راقية ذات أدب وأسلوب خاص في الرسم.

ولغة هذا الشعب مجهولة الأصل لايمكن إرجاعها إلى إحدى العائلات اللغوية العالمية المعروفة فهي ليست من عائلة «اللغات السامية» ولا من عائلة «اللغات الهندية الأوروبية» ولا من العائلة المعروفة باسم « الأورال ـ الطاي».

واللغة السومرية لغة معروفة في العصر الحديث بعد حل رموز الخط المسماري الذي دونت به، فالسومرية من أقدم اللغات التي دونت وربما تكون أقدم لغة دونت في العالم هذا وقد تعددت آراء العلماء في موطن

السومريين الأصلي فذهب فريق إلى أنهم مهاجرون من منطقة تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان جاءوا عن طريق الخليج العربي وجزيرة البحرين بعد أن استقروا في إيران فترة من الزمن، وهناك رأي آخر يقول : إنهم جاءوا من آسيا الصغرى، وثالث يذهب إلى أنهم جاءوا من السند، ورابع يقول: إنهم من الأقوام الذين استوطنوا العراق في عصور ما قبل التاريخ.

وذهب بعض الباحثين إلى أنهم كانوا بدوا من وراء بحر قزوين كما ذهب فريق إلى أنهم جاءوا العراق من البحرين في حوالى ٣١٠٠ قبل الميلاد وقد عرفت البحرين باسم دلمون في النصوص المسمارية.(١)

وقد دلت التنقيبات على أن الساميين كانوا يتدفقون إلى العراق منذ عصور ما قبل التاريخ فقد تبين من التنقيبات الحديثة التي أجريت في سوريا أن أقدم مستوطن على ضفة الفرات الغربية شرق حلب في الموقع المسمى المريبط يرجع إلى بداية الألف التاسعة قبل الميلاد والتنقيبات التي أجريت في العراق دلت على أن أقدم استيطان في السهل الرسوبى من جنوب العراق يرجع إلى الألف الخامسة قبل الميلاد في الموقع المعروف بالعبيد وأريدو قرب بابل وهو يمثل بداية التاريخ في وادي الرافدين وقد دلت التنقيبات أن حضارة العبيد وجدت آثارها في كل أنحاء العراق شماله ووسطه وجنوبه كما وجدت آثار العبيد في المدنية السومرية والسامية.

---

(١) انظر: مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي(٨٧)، وفصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب(٢٦)، وفقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(٢٥)، وعلم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي(١٥٢)، وتاريخ حضارة وادى الرافدين للمهندس الدكتور أحمد سوسه(١/ ٣٦٧)، ومن تراثنا اللغوي القديم لطه باقر(١٦).

ودراسة الهياكل العظمية لأصحاب حضارة العبيد الذين عاشوا في العراق قبل ستة آلاف سنة قد دلت على أنهم من الأقوام الذين يطلق عليهم جنس البحر الأبيض المتوسط وهم لايختلفون عن سكان العراق الحديث بشيء وعليه يكون هؤلاء أول قوم نزحوا من جزيرة العرب واستوطنوا وادي الرافدين.

وقد وجدت آثار حضارة العبيد في الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية مما يدل على صلة شرق الجزيرة بجنوب العراق وصلة حضارة العبيد السامية.

كما وجد كثير من آثار حضارة العبيد في سوريا مما يدل على صلة سوريا السامية بجنوب العراق وصلة حضارة العبيد العراقية السامية.(١)

وخلاصة القول أن حضارة العبيد تمثل حضارة شرق جزيرة العرب والعراق وسوريا وأن هياكل وعظام هؤلاء القوم تحمل ملامح العرب.

هذا بالإضافة إلى أسماء عدد من مدن العراق القديم وبعض الحكام الذين يحملون أسماء سامية.

يقول الأستاذ طه باقر بهذا الصدد: «إن الأدلة الآثارية والإشارات اللغوية الواردة في النصوص المدونة في حضارة وادي الرافدين تشير بوضوح إلى أن الأقوام العربية القديمة نزحت من الجزيرة وأطرافها إلى وادي الرافدين منذ أبعد عصور التاريخ وأواخر عصور ما قبل التاريخ ولايستبعد أنهم سبقوا السومريين وغيرهم من الأقوام الأخرى في تاريخ الاستيطان، ولكن السومريين هم الذين برزوا في مسرح الأحداث سياسيا وثقافيا ولغويا ولاسيما في العهد الذى عرف في تاريخ العراق باسم عصر السلالات أو عصر المدن وليس أدل على هذه الحقائق الجديدة من أن

---

(١) انظر تاريخ حضارة وادي الرافدين للمهندس الدكتور أحمد سوسه(١/ ٥٤٥).

أسماء غير قليلة من أسماء حكام تلك الدويلات كانت أسماء عربية قديمة(سامية) وأشهر مثال على ذلك أن ما لا يقل عن نصف أسماء ملوك سلالة«كيش» الأولى البالغ عددهم ٢٤ ملكا كانت أسماء سامية وكانت سلالة كيش هذه أول سلالة حكمت في العراق بعد الطوفان بحسب ماجاء في أثبات الملوك السومرية». [١]

والرسم السومري يعرف عند العرب باسم الخط المسماري وعند الفرنجة باسم الخط ذى الزوايا وعند العبريين بأسم رسم الأوتاد. [٢]

وقد دون البابليون الآشوريون لغتهم بالخط السومرى الذى يقوم على أساس صوتي فالكلمة تقسم إلى مقاطع ولكل مقطع رمز يكتب به، يضاف إلى هذا أن الخط المسماري الذي دونت به اللغة البابلية الآشورية يوضح جوانب كثيرة من طبيعة اللغة« البابلية الآشورية» حيث يدون الحركات وتظهر فيه النهايات الإعرابية فالاسم البابلي الآشوري يظهر في النقوش المختلفة على ثلاثة أشكال تحدد بوظيفة الاسم في الجملة ويطابق أحد هذه الأشكال حالة الرفع في العربية،ويطابق الشكل الثاني حالة النصب في العربية، والشكل الثالث حالة الجر. [٣]

واللغة البابلية الآشورية من أهم اللغات السامية لغويا وحضاريا فهي أقدم لغة سامية دونت، ولذا يعد وجود أي ظاهرة لغوية في البابلية الآشورية والعربية دليلا على كون هذه الظاهرة موروثة عن اللغة السامية الأولى، وبذلك نستطيع التأريخ لأقدم الظواهر في العربية عن طريق المقارنة بالبابلية الآشورية[٤]

---

(١) من تراثنا اللغوي القديم لطه باقر(٢٢).

(٢) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(٢٥).

(٣) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي(١٥٥).

(٤) المرجع السابق(١٥٦).

وقد استمرت اللغة البابلية الآشورية حتى سقوط الإمبراطورية البابلية في قبضة الفرس سنة٥٣٩ قبل الميلاد فضعف سلطانها من جهة وتوالت عليها هجمات القبائل الآرامية من جهة أخرى فأخذت اللغة الآرامية تنتشر بين سكان العراق فلم ينتصف القرن الرابع حتى طغت اللغة الآرامية على جميع ألسنة الناس في المناطق التي كانت تتكلم اللغة البابلية الآشورية وأصبحت اللغة البابلية الآشورية في عداد اللغات الميتة في المحادثة، ولكن الآثار تدل على أنها بقيت بعد ذلك عدة قرون مستعملة في بعض الأوساط لغة كتابة وأدب ودين وأنها بقيت على هذا الشأن حتى قبيل الميلاد(١).

وقد خلفت اللغة البابلية الآشورية تراثا أدبيا مثل ملحمة جلجامش وتراثا قانونيا مثل شريعة حمورابى وعدداً كبيراً من النقوش ذات المضمون السياسي والاجتماعي(٢).

❊❊❊❊

(١) انظر فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(٣٣).

(٢) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي(١٥٧).

اللغة الكنعانية

تشمل اللغة الكنعانية عددا من اللهجات هي: الأجريتية، والفينيقية والمؤابية، والعبرية، ويطيب لي في هذا المقام أن أقدم بإيجاز لكل منها بما يجلي حقيقتها.

١ ـ الأجريتية:

هي أقدم لهجات اللغة الكنعانية، وهي نسبة إلى مدينة أجريت، وهي مدينة قديمة تقع على بعد ١٢ كيلو مترا في شمال اللاذقية على الساحل السورى.[١]

وتعد الأجريتية اللغة السامية الثانية من حيث تدوين أقدم النقوش فقد دونت نقوشها حوالى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد[٢].

والأجريتية مكتوبة بخط مسمارى فهي من هذه الناحية تشبه اللغة البابلية الأشورية في الخط ولكن عدد الرموز في اللغة الأجريتية أقل من عدد الرموز في الخط المسمارى البابلي الآشورى وذلك أن البابلين الأشوريين قد كتبوا برموز مسمارية يدل كل منها بصفة عامة على مقطع، ولذا كانت الكتابة المسمارية البابلية الآشورية تستعمل مئات الرموز، ولكن الأجريتيين كتبوا لغتهم برموز قليلة لا يتجاوز عددها الثلاثين .

لقد عبر الأجريتيون عن كل صوت من أصوات اللغة بحرف واحد ولذا كانت الحروف بعدد الوحدات الصوتية الموجودة في لغتهم غير أنهم

---

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب(٢٧).

(٢) مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي(٨٧).

جعلوا للهمزة المفتوحة ثم للهمزة المضمومة ثم للهمزة المكسورة رموزا مختلفة وهذا القصور في تدوين الهمزة أصبح ميراثا تناقلته كل الكتابات السامية الأبجدية بعد ذلك [١] .

ويعد الأجريتيون أول من دون أول لغة تدوينا صوتيا يقوم على أساس استعمال الحرف الواحد ـ دائما ـ للوحدة الصوتية وكانت الكتابة قبلهم إما صورية مثل الكتابة الهيروغليفية أو مقطعية مثل الكتابة السومرية والبابلية الأشورية وابتكار الأجريتيين للأبجدية مكن من المضي في طريق التقدم والحضارة وأصبحت المعرفة متاحة لعدد كبير من البشر بعد أن كانت في الحضارات التي سبقت الأجريتية وقفا على نخبة من كبار رجال الدولة [٢] .

ولكن الكتابة الأجريتية متخلفة عن الكتابة البابلية الأشورية من ناحية تدوين الحركات وذلك أن البابليين الآشوريين كانوا يدونون الحركات، فالرمز المقطعي كان يدل على الصامت مع الحركة وبذلك اختلف الرمز الخاص بالباء المفتوحة عن الرمز الخاص بالباء المكسورة عن الرمز الخاص بالباء المضمومة ولذا يمكن التعرف على البنية الصوتية للحركات البابلية الآشورية على نحو أفضل من معرفتنا بالحركات الأجريتية، لقد كان الأجريتيون لا يدونون الحركات وتقوم كتابتهم على تدوين الصوامت فقط وقد ظلت الكتابات السامية تدون الصوامت فقط .

وقد اتبع الأجريتيون لأول مرة في التاريخ النظام الأبجدي في تدوين اللغة وترجع كلمة «الأبجدية» إلى ترتيبهم للحروف التي كتبوا بها لغتهم فالحروف عندهم مرتبة على هذا النحو : أ ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل

---

(١) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٥٩) .
(٢) المرجع السابق (١٥٩) .

م ن س ع ف ص ق ر ش ت، وهذا الترتيب هو الأبجدية لأنه يبدأ بالألف، والباء، والجيم، والدال، وقد ظل هذا الترتيب الأبجدي سائدا عند كل الشعوب التي تعلمت الخط من الأجريتيين بصورة مباشرة أو غير مباشرة وأكثر النظم المعروفة في ترتيب الحروف ترجع بشكل مباشر إلى الترتيب الأبجدي الأجريتي (١).

وتحتفظ اللهجة الأجريتية بسمات قديمة قد فقدت من اللهجات الكنعانية الأخرى كالعبرية والفينيقية، وباحتفاظها بهذه السمات أصبحت أقرب إلى العربية من هذه الناحية ، فقد فرقت الأجريتية بين صوتي الحاء والخاء كما فرقت العربية ، بينما كل حاء أو خاء لهما رمز واحد هو الحاء في العبرية والفينيقية ، وفرقت الأجريتية بين العين والغين بينما كل عين أو غين تكون عينا في العبرية والفينيقية لذلك تعد أقرب إلى اللغة السامية الأولى من العبرية والفينيقية (٢).

٢ ـ الفينيقية :

هي إحدى لهجات اللغة الكنعانية، والفينيقية إسم أطلقه اليونان على كنعاني السواحل السورية واللبنانية والفلسطينية أي الساحل الشامي وتعني كلمة(**phoenix**) اليونانية أهل السواحل(٣)، والفينيقية هي لهجة النقوش التي وصلت إلينا من ساحل الشام وجنوب أوربا وشمال أفريقيا وجزر البحر الأبيض المتوسط، وأقدم ماوصل إلينا من اللهجة الفينيقية بضع جمل وجدت في مجموعة رسائل تل العمارنة بصعيد مصر، وتمثل هذه العبارات الموجزة لهجة منطقة جبيل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد

---

(١) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٦٠) .

(٢) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٦١) .

(٣) تاريخ اللغات السامية أ. ولفنسون (٥٦) .

ولكن أكثر النقوش الفينيقية ترجع إلى الفترة بين سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد وسنة ١٠٠م[١].

ومن أهم النقوش الفينيقية نقوش ملوك جبيل مثل نقش شافط بعل من القرن الثالث عشر قبل الميلاد وأخيرام حوالي ١١٠٠ قبل الميلاد وأخيميلك حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد، وأهم نقش دون بالفينيقية هو نقش الملك«كلمو» حوالى ٩٠٠ قبل الميلاد أحد أمرأء«سمأل» وقد اكتشف في«تل زنجيرلى» بسوريا [٢].

٣ ـ البونية:

هي امتداد للهجة الفينيقية في المغرب وذلك أن الآثار الكنعانية كانت منتشرة على جميع سواحل البحر المتوسط وفي جزره فقد كشفت كتابات كنعانية في قبرص مكتوبة على الفخار وعثر على نقوش في مصر وصقلية وبلاد اليونان ومالطا وسردينيا وجنوب فرنسا وجنوب أسبانيا ولكن أهم منطقة لغوية على هذه السواحل هي لهجة الساحل التونسي وأهم مدينة أسسها الفينيقيون هي مدينة « قريت حدشت » أي القرية الحديثة وتعني المدينة الحديثة ولتمييزها عن الفينيقية في الشام أطلق عليها العلماء اسم البونية وقد وصلت إلينا اللهجة البونية عن طريق نقوش عثر عليها في منطقة قرطاجنة يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الرابع قبل الميلاد .

وقد عرفت هذه اللهجة من مسرحية شعرية فكاهية للشاعر الروماني بلوت (**plautus**) حوالي عشرين بيتا في الفصل الخامس باللهجة البونية مع ترجمة باللاتينية في بعض الأحيان [٣].

---

(١) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٦١) .

(٢) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٣١) .

(٣) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٣١)، وعلم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (٦٢)،وفقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٤٢) .

وقد بقيت اللهجة البونية حية حتى بعد سقوط قرطاجنة تحت يدى الرومان سنة ١٤٦ قبل الميلاد وقد بقيت حتى القرن الخامس الميلادي بل ربما بقيت حتى الفتح العربي الإسلامي [١].

أما اللغة الفينيقية فقد قضت عليها اللغة الآرامية في أوائل القرن الأول قبل الميلاد [٢].

٤ ـ اللهجة المؤابية :

اللهجة المؤابية هي إحدى اللهجات الكنعانية وهي تنسب إلى نقش الملك ميشع ملك مؤاب، وهي تختلف في بعض الخصائص عن الفينيقية كما تختلف عن العبرية في خصائص أخرى وهذا النقش يقع في ٢٤ سطرا ويؤرخ بمنتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد [٣].

٥ ـ اللغة العبرية:

يبدأ تاريخ اللغة العبرية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد عندما دخلت قبيلة إسرائيل أرض كنعان ثم أخذت اللغة الكنعانية تطغي على لغة الإسرائيليين حتى قضت عليها فهذه اللغة التي تسمى العبرية ليست لغة الإسرائيليين وإنما هي لهجة كنعانية فقد دل الاستقراء العلمي على أن اللغة العبرية قد نشأت في أرض كنعان حتى قبل نزوح الإسرائيليين إليها وهذه اللغة هي التي ورد ذكرها في سفر أشعيا تحت اسم «لغة كنعان».

فإنه لما هاجر العبرانيون إلى أرض كنعان حوالي القرن الثالث عشر

---

(١) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٤٤).

(٢) المرجع السابق (٤٣) . . .

(٣) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٣١)، وعلم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (٦٥).

قبل الميلاد كانوا يتكلمون آنئذ لهجة تقرب من إحدى لهجات اللغة الآرامية القديمة ومن ثم راحوا يستعملون لغة البلاد التي هاجروا إليها وأخذوا ينسون تدريجيا لغتهم الأصلية ولم يأت القرن الحادي عشر حتى أصبحت اللغة الكنعانية هي اللغة المستعملة [١].

أما نسبة اللغة العبرية بدلا من الكنعانية فلم تأت إلا بعد السبى البابلي في كتاب حكم ابن سيرا وفي مصنفات المؤرخ اليهودي يوصف وفي المشنا والتلمود ولا يوجد في صحف العهد القديم مايدل على أنهم كانوا يسمون لغة بني إسرائيل باللغة العبرية بل كانت تارة تعرف باسم اللغة اليهودية وطورا باسم لغة كنعان [٢].

وقد وصلت إلينا العبرية عن طريق ثلاثة مراجع :

١ ـ الكتب التي دونت بها وهي أسفار العهد القديم والمشنا وعدد كبير من المؤلفات القانونية والفلسفية والعلمية والأدبية التي دونها بهذه اللغه علماء اليهود في مختلف العصور .

٢ ـ بعض النقوش الأثرية على لوحات من الصخر والمعدن .

٣ ـ استخدام اليهود لها في تلاوة بعض الأوراد الدينية [٣].

وأقدم المصادر العبرية قصيدة دبورة التي ترجع إلى الألف الثاني قبل الميلاد ومن النقوش نقش « قنال » السلوان بالقرب من بيت المقدس وهو عبارة عن ستة أسطر تتحدث عن انتهاء حفر « القنال » ويرجع تاريخ هذا

---

(١) دروس في اللغة العبرية للدكتور ربحي كمال (٣٤)، وعلم اللغه العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (٦٥) .

(٢) تاريخ اللغات السامية أ . ولفنسون (٧٨) .

(٣) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٤٨) .

النقش إلى القرن السابع قبل الميلاد[١].

وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد قضت اللغة الآرامية على اللغة العبرية وحلت محلها فانقرضت اللغة العبرية من التخاطب[٢]، وقد ظلت العبرية بعد ذلك لغة الدين والمدرسة .

وكتب بها الكثير من النصوص حتى بعد موتها على ألسنة الناس بزمن طويل[٣].

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر قوي اتجاه اليهود في مختلف أنحاء العالم إلى إحياء اللغة العبرية فأخذوا يستعملونها في الشئون الدينية والأدبية وفي ميادين الترجمة والتأليف وحرص اليهود المهاجرون إلى «إسرائيل»على إحياء قوميتهم ولغتهم فبعثت العبرية من جديد واستعملت في ميادين الكتابة والأدب والصحافة واستخدمت في التخاطب وفي الإذاعة[٤].

****

---

(١) فصول في فقة العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٢٨) .

(٢) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٤٣) .

(٣) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٢٩).

(٤) فقه اللغه للدكتور علي عبد الواحد وافي (٥٣) .

اللغة الآرامية

ورد أول ذكر للآراميين في التاريخ في النقوش البابلية الأشورية في الألف الثالث قبل الميلاد، واللغة الآرامية تطلق على مجموعة من اللهجات المختلفة في منطقة الشام والعراق وتجاوزتها في بعض مراحلها التاريخية عندما أصبحت لغة دولية .

وقبل أن ندخل في بيان هذه اللهجات يجب علينا أن نفرق بين المصطلحات التالية :

١ ـ الآرامية القديمة . ٢ ـ آرامية الدولة .

٣ ـ الآرامية الشرقية والآرامية الغربية.

٤ ـ السريانية الشرقية والسريانية الغربية .

١ ـ الآرامية القديمة : تطلق على مجموعة من النقوش المدونة بالآرامية وترجع هذه النقوش إلى الفترة بين القرن العاشر قبل الميلاد والقرن الثامن قبل الميلاد وقد وجدت هذه النقوش في مناطق مختلفة من الشام والعراق. وأهم مايميز الآرامية القديمة عن اللهجات الأخرى أنها تستخدم القاف في كلمة «أرقا» ومعناها «الأرض» بينما تأتي هذه الكلمة في اللهجات الآرامية الأخرى «أرعا» .

ومعنى هذا أن الضاد العربية وهي الامتداد المباشر للضاد في اللغة السامية الأولي قد تحولت في الآرامية القديمة إلى قاف وفي اللهجات الآرامية الأخرى إلى عين [١].

(١) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي(٧٣) .

٢ ـ **آرامية الدولة** : يقصد بها الآرامية التي استخدمت في النقوش الكثيرة التي دونت في القرون من السابع إلى الخامس قبل الميلاد وقد سميت آرامية هذه النقوش بآرامية الدولة نسبة إلى دولة الفرس الأخمينيين حيث جعلت الآرامية لغة رسمية في الإمبراطورية الفارسية وأصبحت بذلك لغة دولية [١].

٣ ـ **الآرامية الشرقية والآرامية الغربية :**

الآرامية الشرقية هي لهجة بلاد العراق شماله وجنوبه .

والآرامية الغربية هي لهجة سوريا وفلسطين وشبه جزيرة سيناء، والفرق بين اللهجتين الآرامية الشرقية والآرامية الغربية هو أن الغربية تستخدم الياء في أول المضارع علامة على إسناده للمفرد الغائب كما هو الشأن في معظم اللغات السامية على حين أن اللهجات الشرقية تستبدل النون بهذه الياء . ومن ذلك أيضا علامة التعريف في الآرامية الملحقة بآخر الاسم (**آ**) قد فقدت في اللهجة الشرقية وظيفتها وأصبحت جزءا من الكلمة لا تدل على التعريف [٢].

٤ ـ **السريانية** : هي إحدى اللهجات الآرامية الشرقية وقد انقسمت قسمين في القرن الخامس الميلادي هما السريانية الشرقية والسريانية الغربية وذلك أنه حدثت خلافات عقيدية في إطار المسيحية السريانية أدت إلى انشطارها فرقتين: النساطرة، واليعاقبة، والنساطرة هم السريان الشرقيون الخاضعون آنذاك للدولة الفارسية، وأما اليعاقبة فهم السريان الغربيون

---

(١) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (٧٤) .

(٢) فصول في فقه اللغه للدكتور علي عبد الواحد وافي (٥٩) .

الخاضعون آنذاك لحكم الرومان وقد أدى انقسام الكنيسة إلى انقسام السريانية إلى لهجتيها الشرقية والغربية، وأدي هذا الانقسام بدوره إلى تطور الخط السرياني وهو أبجدي في اتجاهين وهما النسطوري واليعقوبي (١).

آثار اللغة الآرامية :

لقد خلفت اللغة الآرامية آثارا كثيرة منها : نقش «تل حلف» على نهر الخابور (حوالي ٩٠٠ ـ ٨٥٠قبل الميلاد)، ونقش الملك «بنمو» الأول(حوالي ٨٠٠ ـ ٧٥٠ قبل الميلاد)،ونقش الملك «بنمو الثاني» و«ابنه» «برركب» (٢).

كما استخدمت الآرامية في كتابة الدواوين في دولة الفرس الإخمينيين، ظهر ذلك من نقش « بيهستون » الذي اكتشف في إيران في النصف الأول من القرن التاسع عشر كما كتب بها كذلك أوراق «البردي» التي عثر عليها في « جزيرة الفيلة » بأسوان (حوالي مائة بردية ترجع إلى سنة ٤٩٥ ـ ٤٠٠قبل الميلاد)(٣).

ودون بهذه اللغة مايسمى بالترجوم وهو عبارة عن ترجمة العهد القديم من العبرية إلى الآرامية (٤).

وكتب بالآرامية أيضا : النقوش النبطية والتدمرية ونقوش صحراء سيناء التي ترجع إلى الفترة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع

---

(١) فصول في فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٦٢) .

(٢) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٣١) .

(٣) المرجع السابق (٣٢) .

(٤) المرجع السابق (٣٢) .

الميلادي [1].

ولا تزال اللغة الآرامية لغة حديث في ثلاث قرى بالقرب من دمشق منها قرية مسيحية تسمى معلولة على بعد خمسة وثلاثين كيلو مترا تقريبا شمال دمشق وقريتان إسلاميتان [2].

ومن اللهجات الآرامية ما يسمى باللغة المندعية وهي لهجة آرامية شرقية، ارتبطت بجماعة عرفت باسم الصابئة، وللمندعيين كتاب مقدس يطلقون عليه اسم « جنزا » أي الكنز ولا يزال المندعيون يتعاملون داخليا بلهجتهم الآرامية إلى اليوم وهم يعيشون في عدة قرى في جنوب العراق[3].

وفي شمال العراق لا تزال بعض المناطق الجبلية تحتفظ بلهجاتها الآرامية كما هو في قرى طور عابدين، وفي بعض البلاد شرق الموصل وشماله وجبال الكرد والشاطئ الغربي لبحيرة أورميا [4].

****

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٣٣).

(٢) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٧٠).

(٣) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٨٣).

(٤) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٧٠).

اللغة العربية الجنوبية

(اللغة اليمنية القديمة)

تعد بلاد اليمن من أقدم مواطن الساميين وقد أنشأوا فيها حضارة راقية من أرقي الحضارات القديمة وممالك قوية لها شأن في التاريخ وقد وصلت إلينا اللغات القديمة لهذه الشعوب التي سكنت اليمن عن طريق نقوش كثيرة مدونة على الصخور والأعمدة والقبور والتماثيل والنقود وجدران الهياكل، ويطلق العلماء على هذه اللغات اسم «اليمنية القديمة» أو «العربية الجنوبية القديمة» أو «القحطانية»، وأحيانا يسمونها باسم لهجاتها الشهيرة فيطلقون عليها اسم «السبئية» ولا نعلم على وجه اليقين متى نشأت اللغة اليمنية القديمة، ولكن يؤخذ من نقوشها أنها نشأت في عصور سحيقة قبل الميلاد .

والنقوش التي اكتشفها العلماء المدونة بها هذه اللغة اليمنية يتراوح تاريخها من القرن الثاني عشر قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي [١].

وأهم لهجات اللغة اليمنية القديمة هي :

١ ـ **اللهجة المعينية**: قد وجدت نقوشها في منطقة معين قرناو وبراقش في اليمن وفي منطقة العلا شمال غرب الجزيرة العربية وهي تنسب إلى المعينيين الذي أنشأوا بجنوب اليمن أقدم مملكة في بلاد العرب[٢].

٢ ـ اللهجة السبئية : وهي تنسب إلى السبئيين الذين قضوا على

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٣٥) .

(٢) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي(١٨٥)، وفقه اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي (٧٥) .

مملكة المعينيين وهي أكثر اللهجات اليمانية نقوشا، ونقوشها منتشرة في جميع أنحاء اليمن وخاصة في منطقة مأرب وعاصمتهم مدينة مأرب [١].

٣ ـ **اللهجة القتبانية**: وتنسب إلى قبائل قتبان التي أنشأت مملكة كبيرة في المناطق الساحلية الواقعة شمال عدن، وقد وصلت إلينا اللهجة القتبانية عن طريق نقوش عثر عليها في بلاد اليمن وقد قضت عليها الدولة السبئية في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد [٢].

٤ ـ **اللهجة الحضرمية**: تنسب إلى قبائل حضرموت وقد وجدت أكثر نقوشها في منطقة شبوة ووادي حضرموت وساحل حضرموت[٣] وقد قضت عليها سبأ .

٥ ـ **اللهجة الهرمية**: المنسوبة إلى منطقة هرم في غرب معين قرناو [٤].

مميزات اللهجات اليمنية :

السمة المميزة للهجة السبئية هي استخدام الهاء في تكوين عدد من الصيغ الصرفية، فوزن التعدية في العربية الشمالية « أفعل » يقابله في السبئية « هفعل » .

أما اللهجات المعينية والحضرمية والقبانية فإنها تستخدم السين بدل من الهمزة فوزن أفعل في العربية الشمالية يكون في هذه اللهجات على وزن « سفعل » [٥].

وأما اللهجة الهرمية فإن ميزتها استخدام حرف الجر « من » على نحو

---

(١) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٧٦) .

(٢) فقه اللغه للدكتور علي عبد الواحد وافي (٧٧) .

(٣) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٨٦) .

(٤) المرجع السابق (١٨٦) .   (٥) المرجع السابق (١٨٦) .

ما تستخدمه العربية الشمالية وبهذا خالفت اللهجات الجنوبية اليمنية الأخرى التى كانت تستخدم حرف الجر «بن» [١].

وتمتاز اللغة اليمنية والحبشية السامية والعربية الشمالية بأنها تستخدم الجمع السالم وجموع التكسير، أما اللغات السامية الأخرى فيمكن وصف جموعها بالجمع السالم[٢].

ويعرف الخط اليمني باسم الخط المسند عند العرب وعدد حروفه تسعة وعشرون حرفا ترمز إلى تسعة وعشرين صوتا صامتا وهو لا يرمز إلى أصوات المد واللين[٣].

واللغتان اليمنية والعربية تحتويان على جميع حروف الحلق والإطباق وجميع الحروف الأسنانية بينما بقية اللغات السامية لا تحتوي على جميعها وهي تتفاوت في عدد الحروف.

وقد انقرضت اللغة اليمنية من الاستخدام في أوائل العصر الجاهلي للأسباب التالية:

١ - أن اللغة العربية كانت تشمل معظم أجزاء الجزيرة العربية بينما نجد اليمنية تنحصر في الجنوب الغربي [٤].

٢ - وجود الأسواق التي كانت منتشرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية وجميع ما يلقي فيها باللغة[٥] العربية وخاصة أن بعض هذه

---

(١) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٨٦).
(٢) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٨٣).
(٣) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٧٩).
(٤) انظر المرجع السابق (٨٤). (٥) انظر المرجع السابق (٨١).

الأسواق في اليمن مثل سوق الشحر وسوق صنعاء .

٣ ـ أن سيادة اليمن قد زالت منذ أواخر القرن الرابع الميلادي فكثرت فيها الفتن [١] ،والحروب الأهلية فتمزقت وحدتها واحتلها الأحباش تارة والفرس تارة أخرى .

٤ ـ هجرة بعض القبائل اليمنية بعد انهيار سد مأرب إلى الشمال ودخولهم في اللغة العربية [٢].

٥ ـ ولما جاء الإسلام دخلت بلاد اليمن تحت لوائه فازداد رسوخ العربية [٣].

غير أنه بقي إلى الآن بعض المناطق النائية المنعزلة التي لازالت تتكلم باللغة اليمنية القديمة وهذه اللهجات هي :

١ ـ اللهجة المهرية التي يتكلم بها الآن في منطقة مهرة الواقعة شرق حضرموت .

٢ ـ لهجة الشحر وهي منتشرة في منطقة جبلية واقعة في الشرق من منطقة اللهجة المهرية .

٣ ـ اللهجة السقطرية وهي لهجة جزيرة سقطرة والجزر المجاورة لها[٤].

---

(١)فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(٨٣) .

(٢) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٨٦) .

(٣) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٨٤) .

(٤) المرجع السابق (٨٥) .

وهذا ينطبق تماما مع ما قاله أبو عمرو بن العلاء [1] :«ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»[2].

(١) اختلفت المصادر في اسمه على أحد وعشرين قولا وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلالته لا يسأله عنه وقيل أن اسمه هو كنيته ، ولكن السيوطي في تعريفه للنحاة ذكر أنه « أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازني »، وهو أحد القراء السبعة وكان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة وكان أعلم الناس بأيام العرب والشعر ، ويعد من أشراف العرب ووجهائها » ولد بمكة وتوفي بالكوفة سنة ١٥٤ . انظر بغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٢٣١)، وتاريخ العلماء النحويين لابن مسعر التنوخي(١٤٠)، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي (٤٦) وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١/ ٢٣٨) .

(٢) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (٨) .

اللغات السامية في الحبشة

تضم الحبشة لغات سامية ولغات غير سامية فاللغات غير السامية مثل لغة ساهو ولغة الجالا، والمقصود باللغات السامية في الحبشة هي اللغات التى نشأت عن العربية الجنوبية القديمة، لقد دخلت اللغة اليمنية القديمة الحبشة عن طريق هجرة بعض القبائل من جنوب الجزيرة العربية وكانت هجرة اليمنيين إلى الحبشة قد تمت حوالي القرن السابع قبل الميلاد فقد عثر على نقش عربي جنوبي من هذا التاريخ وجد في منطقة أريتريا عرف منه الباحثون أسماء القبائل التي هاجرت عبر باب المندب إلى أفريقيا ونقلت إليها لغتها وأهم هذه القبائل قبيلة حبشت وقبيلة الأجعازي فاسم الحبشة نسبة إلى القبيلة الأولي واسم اللغة الجعزية نسبه إلى الثانية (١).

١ ـ ولغة الجعز أقدم لغة سامية في الحبشة والنقوش الجعزية ترجع إلى الفترة بين القرن الرابع حتى القرن السابع بعد الميلاد ولما حل القرن الثاني عشر دبت الفتن في الشعب الجعزي وتفرقت لغته إلى لهجات أو لغات .

٢ ـ اللغة الأمهرية هي أكثر اللغات السامية انتشارا في الحبشة، وقد دونت في القرن الرابع عشر، وهي اللغة الرسمية في الحبشة وقد دخلتها تغييرات جعلتها تختلف عن لغة الجعز وعن باقي اللغات السامية فلا يوجد في الأمهرية من أصوات الحلق إلا الهاء والهمزة (٢).

---

(١) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٨٨) .

(٢) انظر المرجع السابق (١٩٠) .

٣ ـ اللغة التيجرينية التي تعد أقرب اللغات السامية في الحبشة من لغة الجعز القديمة وهي لغة أريتريا الرسمية [١].

٤ ـ اللغة التيجرية وهي قوية الشبه بالجعزية والمتكلمون بها ينتشرون في المناطق الساحلية من مصوع إلى سواكن في السودان [٢].

٥ ـ ومن اللغات السامية ذات الانتشار المحدود في الحبشة لغة جوارج ولغة جفت ولغة ارجبا [٣].

(١) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٨٨).

(٢) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٩٥).

(٣) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٩٢).

اللغة العربية الشمالية

هي لغة معظم الجزيرة العربية ماعدا الأجزاء الجنوبية الغربية التى كانت تتكلم بالعربية اليمنية وهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها وعلى الرغم من أن اللغة العربية قد نشأت في أقدم مواطن الساميين فإن ما وصل إلينا من آثارها يعد أحدث الآثار السامية [1].

النقوش العربية القديمة :

لقد أثبت المنقبون عن الآثار وجود نقوش كثيرة تجلت فيها مميزات اللغة العربية الشمالية وقد قسموها إلى عدة أقسام لكل قسم مميزات خاصة وهي :

١ ـ النقوش الثمودية : تنسب المنقوش الثمودية إلى قبيلة ثمود التي ورد اسمها في هذه النقوش كما ورد اسمها في آيات كثيرة من القرآن الكريم ووجدت هذه النقوش في منطقة مدائن صالح في شمال غرب الجزيرة العربية وفي مدينة العلا، كما وجدت في حائل وتبوك وتيماء ، وفي شبه جزيزة سيناء وأكثر النقوش الثمودية تتناول أشياء شخصية لا ترتبط بقرائن تاريخية أو أحداث هامة تمكن من تاريخ هذه النقوش ، ولذا فليس من الممكن تحديد زمن تدوين أكثر هذه النقوش ويميل كثير من الباحثين في بيان تاريخ النقوش الثمودية بالاعتماد على أشكال الحروف فالحروف المتشابهة تكون في فترة زمنية واحدة وكلما تباينت أشكال

---

(١) فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي (١٠٧) .

الحروف كانت في فترات زمنية متباعدة ووفق هذا المعيار يؤرخ أقدم هذه النقوش بالقرن الخامس قبل الميلاد وأحدثها بالقرن الرابع الميلادي [١].

٢ ـ النقوش الصفوية : تنسب إلى المكان الذي وجدت فيه ، فبالقرب من منطقة جبل الصفا الواقع جنوب شرق دمشق وجدت مجموعات كبيرة من هذه النقوش فسميت باسم « النقوش الصفوية » وقد وجدت بعد ذلك نقوش كثيرة في مناطق مجاورة لهذه المنطقة ولكنها تتفق معها في الخط والخصائص اللغوية، ولذا عدت أيضا من النقوش الصفوية، وأكثر النقوش الصفوية يخلو من أية إشارة تاريخية ، وبعضها يذكر أحداثا كثيرة من القرن الثاني الميلادي ، وبعضها يذكر أسماء بعض الشخصيات المعروفة في تاريخ المنطقة مثل الملك أذينه الذي يحكم تدمر فى منتصف القرن الثالث الميلادي، ولكن بداية كتابة النقوش الصفوية لازال غامضا [٢].

٣ ـ النقوش اللحيانية : تنسب إلى دولة لحيان التي تذكرها النقوش وكانت تحكم شمال غرب الجزيرة العربية وقد وجدت نقوشها في منطقة العلا ويبدأ تاريخ هذه النقوش من القرن الثاني قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثالث الميلادي [٣].

وقد كتبت النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية بخط أبجدى يقوم على أساس الخط العربي الجنوبي القديم ورغم الاختلاف الكبير في أشكال الحروف في كل مجموعة من مجموعات النقوش الكثيرة إلا أن

(١) انظر علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (٢١٨) .

(٢) انظر المرجع السابق (٢١٩) .

(٣) انظر علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (٢٢٠) .

هذه الأشكال تعد امتداد مباشرا لأشكال الحروف في الخط العربي الجنوبي القديم [1].

واللغة التي دونت بها هذه النصوص تتفق مع عربيتنا في خصائص تمتاز بها عربيتنا وهي اشتمالها على أصوات الذال والثاء والغين المعجمة وتشتمل على أهم خاصية من خواص اللغة العربية وهي خاصية الإعراب بالحركات وتسير على الطريقة العربية في صوغ أفعل التفضيل وحذف علامة الإعراب أو شيء منها في حالة إضافة الاسم إلى ما عداه وتتفق في أصول المفردات وأسماء الأعلام [2].

(١)انظر علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي(٢٢١) .
(٢) انظر فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٩٩) .

كيف وصلت إلينا اللغة العربية

لقد تبين مما سبق أن اللغة العربية الجنوبية (اليمنية) تختلف عن العربية الشمالية بعض الاختلاف وقد ظهر ذلك في النقوش اليمنية وفي بعض اللهجات التي تعتبر امتداداً للغة اليمنية القديمة كلهجات المهرة والشحر وسقطرة وهذا ينطبق مع قول أبي عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولاعربيتهم بعربيتنا» [(١)].

واختلاف النقوش اليمنية أقل من اختلاف اللهجات الحديثة التي تعتبر امتداداً لليمنية القديمة ولكننا لا نعرف حال العربية الشمالية في الفترة التي كتبت فيها تلك النقوش حتى نعرف مقدار الاختلاف ، فربما كان الاختلاف يسيراً ثم تطور مع مرور الزمن حتى أصبح على ما هو عليه الآن .

وإذا نظرنا في كتب التاريخ فإننا نجد أن العربية قد نسبت إلى آدم عليه السلام فقد قيل إن آدم أول من تكلم بالعربية [(٢)].

ونسبت إلى نوح وابنه سام فقد روى كعب الأحبار أن « أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابنه سام » [(٣)].

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١١٣ .

(٣) القصد والأمم ١٩ .

ونسبت إلى جرهم وهو الأكبر من ولد سام فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان مع نوح عليه السلام ثمانون إنسانا منهم جرهم »[١].

قال ابن عبد البر :«يعنى جرهم الأكبر من ولد سام» [٢].

ونسبت إلى طسم وعمليق وأميم أولاد لاوذ بن سام إذ قالت عنهم كتب التاريخ « فكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم عرباً لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي » [٣].

وكانت طسم تسكن باليمامة[٤]، وعمليق كان منزله الحرم[٥]وأكناف مكة وهو أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد وكان أهل الشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة الذين يقال لهم الكنعانيون، ومنهم كانت الفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين وأهل عمان منهم أمة يسمون جاسم وكان ساكني المدينة منهم بنو هف وُسعد بن هزان وبنو مطر ، وبنو الأزرق، وأهل نجد منهم بديل وراحل وغفار وأهل تيماء منهم، وكان ملك الحجاز منهم بتيماء الأرقم وكانوا ساكني نجد مع ذلك [٦].

وكانت بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل وهي بين اليمامة

---

(١)القصد ١٩ .

(٢) المرجع السابق ١٩ .

(٣) تاريخ الطبري ١/ ٢٠٤ ،والكامل لابن الأثير ١/ ٤٥ .

(٤) انظر الكامل ١/ ٤٥،والقصد والأمم ٢٢ .

(٥) تاريخ الطبري ١/٢٠٦ .

(٦) تاريخ الطبري ١/٢٠٣، والكامل لابن الأثير ١/ ٤٤ ـ ٤٥ ، والقصد والأمم ٢٩ .

والشحر [1]، ونسبت إلى سلالة إرم بن سام بن نوح فقيل عن عاد وعبيل وعابر وثمود وجديس « كانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري» [2].

وكانت عاد بهذا الرمل إلى حضرموت وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين واسم اليمامة إذ ذاك جو [3].

ونزلت عبيل بيثرب [4].

ونسبت إلى قحطان وقنطور بن عابر بن شالح فقد جاء في قصة تبلبل الألسنة أن «الناس كانوا بعد الطوفان مجتمعين في مكان واحد بأرض بابل ولغتهم السريانية ... فاجتمع رأيهم على أن يبنوا صرحا أساسه في الأرض وأعلاه في السماء يمتنعون به من كل طوفان وبلاء، فبنوه بالحجارة والرصاص واللبن والشمع والكلس وكانوا حينئذ اثنين وسبعين بيتاً فلما فرغوا منه أرسل الله عليهم في جوف الليل صيحة هدمت ذلك الصرح وسلط عليهم ريحاً وظلمة فكان بعضهم لا يبصر بعضا فأقاموا بذلك أيامًا ثم أنارت لهم اثنان وسبعون طريقا فأصبح أهل كل بيت يسلكون طريقاً من تلك الطرق والريح تدفعهم فسلك قحطان وعاد وثمود وعملاق وطسم وجديس طريقاً من تلك الطرق وألهمهم الله تعالى هذا اللسان العربي » [5].

---

(١) الكامل ١/ ٤٥ .

(٢) الكامل ١/ ٤٥ ،وتاريخ الطبري ١/ ٢٠٤ .

(٣) الكامل لابن الأثير ١/ ٤٥ .

(٤) انظر القصد والأمم ٢٢ .

(٥) القصد والأمم ٢٠ .

وفي رواية « فلما كفروا بلبل الله ألسنتهم فتفرقوا على اثنين وسبعين لسانا وفَهّم الله العربية عمليق وأميم وطسماً بني لاوذ بن سام وعاداً وعبيل ابني عوض بن إرم بن سام وثمود وجديس ابني جاثر بن إرم ابن سام وقنطور بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام »[1].

وإذا نظرنا في نسب العرب القحطانين والعدنانيين فإنا نجدهم ينتسبون إلى هود عليه السلام فقد رُوي عن ابن منبه أنه قال « وولد لهود أربعة بنين وهم العرب كلهم بأسرهم قحطان بن هود ومقحاط بن هود و فالغ ابن هود وهو أبو مضر وربيعة وقحطان أبو اليمن والباقون ليس لهم نسل »[2].

وذكر نسب هود فقال: «هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح »[3].

كما أن كتب التاريخ ذكرت أن هوداً هو عابر حيث قالت: « هو هودُ وهو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح »[4].

كما نجد أن إبراهيم عليه السلام ينتسب إلى عابر إذ جاء في نسبه عليه السلام « وولد لأرفخشذ بن سام ابنه قينان وولد لقينان شالخ وولد لشالخ عابر وولد لعابر فالغ وقحطان فولد لقحطان يعرب وولد لفالغ ابن عابر أرغو وولد لأرغو ساروغ وولد لساروغ ناخور وولد لناخور تارخ

---

(١) القصد والأمم ٢١ .

(٢) المرجع السابق ٢٤ .

(٤) الكامل لابن الأثير ١/٤٨ .

واسمه بالعربية آزر وولد لآزر إبراهيم عليه السلام »[١].

فالقحطانيون والعدنانيون ينتسبون إلى هود عليه السلام وهذا يعني أن العربية بقيت في سلالة فالغ حتى وصلت إلى إبراهيم عليه السلام ومنه إلى إسماعيل عليه السلام .

ونسبت العربية إلى شعيب ومدين قال ابن عبد البر: «لاخلاف علمته أن لسان عاد وثمود وشعيب ومدين عربي كله وما أرسل منهم من أرسل إلا بلسان قومه » [٢].

وإذا نظرنا في نسب شعيب عليه السلام نجده من سلالة نابت ابن مدين بن إبراهيم عليه السلام، وقيل إن شعيبا من ولد بعض من آمن مع إبراهيم عليه السلام [٣].

وقول المؤرخين بأن العرب ينقسمون إلى قسمين عرب بائدة قد درست آثارهم وعرب باقية [٤]، ويريدون بهم القحطانيين والعدنانين فيه نظر وذلك أن مايسمى بالعرب البائدة يمكن أن نقسمهم قسمين : ـ

قسم وردت النصوص بهلاكه مثل عاد وثمود وأهل مدين وأصحاب الأيكة وعبيل التي أخرجتها العماليق من المدينة إلى الجحفة حيث أهلكها السيل وقد أنجى الله الأنبياء الذين أرسلوا إلى هولاء الأقوام من العذاب ومعهم المؤمنون بهم وهؤلاء الأنبياء هم هود وصالح وشعيب بل إن بعض الروايات تشير إلى أن ثقيفا من سلالة ثمود فقد جاء في هلاك ثمود « وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم إلا رجلا كان في

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١/ ٤٥ .
(٢) القصد والأمم ٢٥ .
(٣) الكامل لابن الأثير ١/ ٨٨ .
(٤) نهاية الأرب للقلقشندي ١٢ .

الحرم فمنعه الحرم قيل ومن هو ؟ قيل : هو أبو رغال وهو أبو ثقيف في قول»[1].

وقسم لم ترد نصوص بهلاكهم أو سكتت عنهم المصادر كلقمان ابن عاد أو ذكرت لهم بقية مثل أميم والعماليق .

فقد قيل عن أميم: « وكان بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل بين اليمانة والشحر وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس »[2].

وقيل إن جذيمة الأبرش من العادية الأولى من بنى دمار بن أميم ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام » [3].

وأما العماليق فقد أرسل الله إليهم إسماعيل عليه السلام فقد جاء في كتب الأخبار « وأما إسماعيل فقطن الحرم وأرسله الله إلى العماليق وجرهم وقبائل اليمن » [4] ومن بقايا العماليق عمرو بن الضرب بن حسان العمليقي ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارق الشام [5].

وكانت جنود الزباء من بقايا العماليق وغيرهم » [6].

ومن هذا يتبين أن العرب ليسوا مقصورين على سلالة قحطان وعدنان

---

(١) الكامل لابن الأثير ١/ ٥٢ .

(٢) الكامل لابن الأثير ١/ ٤٥، وتاريخ الطبري ١/ ٢٠٤ .

(٣) الكامل ١/ ١٩٦ .

(٤) القصد والأمم ٣١ .

(٥) الكامل ١/ ١٩٨ .

(٦) المرجع السابق ١/ ١٩٨ .

وعدنان الذين هم من سلالة عابر بل امتزج منهم من بقي من العرب الآخرين كالعمالقة وأميم وطسم وجديس وقنطور وجرهم حيث امتزجت هذه القبائل بعضها مع بعض وإنما غلب على أهل الشمال اسم المعدية وعلى أهل الجنوب اسم القحطانية وبعض هذه القبائل قد هاجر إلى الشام والعراق ومصر .

ويبدو أن اللغات السامية في عصر إبراهيم عليه السلام كانت عبارة عن لهجات للغة واحدة ولم تكن قد تفرقت إلى لغات .

يقول العقاد بهذا الصدد « ربما كان من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم أن إبراهيم عليه السلام كان عربيا وأنه كان يتكلم اللغة العربية ولكنها الحقيقة التاريخية التي لا تحتاج إلى فرض غريب . . . وإنما الفرض الغريب أن يحيد المؤرخ عن هذه الحقيقة لينسب إبراهيم إلى قوم غير قومه الذين هو منهم في الصميم . . . وليس معنى هذا بالبداهة أنه كان يتكلم العربية التي نكتبها اليوم أو تقرأ في كلام الشعراء الجاهليين ومن عاصرهم من العرب الأقدمين فلم يكن في العالم أحد يتكلم هذه اللغة في عصر إبراهيم ولا في العصور اللاحقة به إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، وإنما اللغة العربية المقصودة هي لغة الأقوام التى كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية وتهاجر منها وإليها في تلك الحقبة وقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء »(١) .

وإذا انظرنا في معنى كلمة « عرب » فإننا نجد للعلماء فيها عدة تفسيرات منها :

---

(١) إبراهيم أبو الأنبياء ٢٠٣ .

١ ـ أن العرب سميت بهذا الاسم اشتقاقاً من الإبانة والإفصاح يقال أعرب الرجل عن نفسه إذا بين وأوضح لأن لسانها أعرب الألسنة وبيانها أجود البيان (١).

٢ ـ أن لفظ العرب أخذ من « يعرب بن قحطان » (٢).

٣ ـ أن لفظ العرب مأخوذ من عربة وهي مكة ، فالعرب نسبة إلى عربة (٣).

٤ ـ في اللغات الساميه لفظ « عرب » يرادف لفظ « البدو » أو البادية أي بمعنى لفظ الأعراب في اللغة العربية (٤).

وأقول لعل كلمة عرب أخذت من « عريب » وهو الاسم الذي كان يطلق على جدهم عمليق.

---

(١) المقاييس لابن فارس ٤/٣٠١، ونهاية الأدب ١١ .

(٢) لسان العرب مادة « عرب » ١/ ٥٨٧ .

(٣) المرجع السابق مادة « عرب » ١/ ٥٨٧ .

(٤) العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان ٤٢، وتاريخ اللغات السامية أ / ولفنسون ١٦٤ .

خصائص اللغات السامية المشتركة

١ ـ اهتمامها بالحروف أكثر من اهتمامها بالحركات .

٢ـ إن أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقه إلى أصل ذي ثلاثة أحرف.

٣ـ تشابه اللغات السامية في كثير من المفردات وخاصة الداله على أعضاء الجسم والضمائر، وصلة القرابة، والعدد وبعض الأفعال ومرافق الحياه الشائعة في الأمم السامية .

٤ ـ التشابه في تكوين الاسم (من حيث عدده ونوعه) وفي تكوين الفعل (من حيث زمنه وتجرده وزيادته وصحته وعلته) .

٥ ـ التشابه في الضمائر وفي طريقة اتصالها بالأسماء والأفعال والحروف.

٦ ـ التشابه في المشتقات : كاسمي الفاعل والمفعول ، واسمى الزمان والمكان واسم الآلة .

٧ ـ تغير معنى الكلمة بتغير حركاتها .

٨ ـ التشابه في صوغ الجمل وتركيبها .

٩ ـ اشتمالها على حروف الحلق والإطباق .

١٠ ـ إن لمعظم الكلمات في هذه اللغات مظهرا فعليا [١].

معرفة اللغويين العرب باللغات السامية

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٤٥)، فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (١٩) دروس في اللغة العربية للدكتور ربحي كمال (٢٠) .

لقد كان اللغويون العرب على علم باللغات السامية كالحميرية والسريانية والعبرانية والكنعانية فقد ذكر الخليل [١] بن أحمد اللغة الكنعانية وأنها تشابه اللغة العربية، حيث قال في مادة كنع: « وكنعان بن سام بن نوح ، ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون لغة تضارع العربية» [٢].

كما أدرك اللغويون الفرق الكبير بين اللغة العربية واللغة اليمنية إذ جاء في مادة « حمر » من لسان العرب « وحمّر الرجل : تكلم بكلام حمير، ولهم ألفاظ ولغات تخالف لغات سائر العرب، ومنه قول الملك الحميري ملك ظفار، وقد دخل عليه رجل من العرب فقال له الملك: ثب وثب بالحميرية : اجلس ، فوثب الرجل فاندقت رجلاه فضحك الملك وقال: ليست عندنا عربيت، من دخل ظفار حمّر أي تعلم الحميرية » .

وقد عرف ابن حزم [٣] أن العربية والعبرانية والسريانية يرجعن إلى أصل واحد إذ قال: « إلا أن الذى وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريافية

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري كان غاية في الذكاء وكان الناس يقولون : لم يكن في العرب بعد الصحابة أذكى منه ، كان يحج سنة ويغزو سنة، أول مخترع علم العروض وحصن به أشعار الغربية وكان شاعرا مقلا، توفي بالبصرة سنة ١٧٠ وقيل ١٧٥ ، وله من المصنفات: العين ، والنقم، والجمل، والعروض، والإيقاع .

انظر بغية الوعاة(١/ ٥٥٧)، تاريخ العلماء النحويين (١٢٣) .الفهرست لابن النديم (٦٣) .

(٢) العين (١/ ١٣٢) .

(٣) هو أبو محمد بن حزم العلامة علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم الفارسي الأصل،اشتهر بالذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر ، ومن مصنفاته: المحلي، وجمهرة الأنساب، طوق الحمامة. توفي سنة ٤٥٦ هـ . انظر: العبر للذهبي (٢/ ٣٠٦)،وشذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٢٩٩) والأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤) .

والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها »[1].

وقد لاحظ أبو عبيد[2] القاسم بن سلام أن اللغة الآرامية لا تدخلها أداة التعريف « أل » وأن الاسم دائما ينتهي بألف مد عندما قال: «للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه ، منها : إدخال الألف واللام في أول الاسم وإلزماهم إياه في كل وجه في الرفع والنصب والخفض كما أدخلوا في « الطور » وحذفوا الألف التي في الآخر فألزموه الإعراب في كل وجه ، وهو بالسريانية : (طورا) على حال واحدة في الرفع والنصب والخفض وكذلك : (اليم) هو بالسريانية (يما) فأدخلت العرب فيه الألف واللام وصرفته في جميع الإعراب على ما وصفت »[3].

وكان أبو حيان[4] على علم بلغة أهل الحبش فرأى علاقتها باللغة العربية إذ يقول:« فأما قولهم هندي وهندكي في معنى واحد وهو المنسوب إلى الهند . . . . . فخرجه أصحابنا على أن الكاف ليست زائدة

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/ ٣٦) .

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي كان إماما في القراءات واللغة له من التصانيف الغريب المصنف ، وكتاب القراءات ، ومعاني القرآن ، وغريب الحديث مات بمكة سنة ٢٢٤ من الهجرة .

انظر : شذرات الذهب (٢/ ٥٤) ،وبغية الوعاة (٢/ ٢٥٣)، والفهرست لابن النديم (١٠٦) .

(٣) الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (١/ ٧٨) .

(٤) هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي له من المصنفات منطق الخرس في لسان الفرس ، والإدراك للسان الأتراك، وزهو الملك في نحو الترك، ومطول الارتشاف ومختصره ، توفي سنة ٧٤٥ .

انظر شذرات الذهب (٦/ ١٤٥) ،وبغية الوعاة (١/ ٢٨٠) .

لأنه لم تثبت زيادتها في موضع من المواضع فيحمل هذا عليه وإنما هو من باب سبط وسبطر ، والذي أخرجه عليه أن من تكلم بهذا من العرب إن كان تكلم به فإنما سرى إليه من لغة الحبش لقرب العرب من الحبش ودخول كثير من لغة بعضهم في لغة بعض، والحبشة إذا نسبت ألحقت آخر ما تنسب إليه كافا مكسورة مشوبة بعدها ياء ، يقولون في النسب إلى قند قندكي وإلى شواء شوكي وإلى الفرس الفرسكي ، وربما أبدلت تاء مكسورة قالوا في النسب جبر جبرتي ، وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش ، في كتابنا المترجم عن هذه اللغة المسمى بجلاء الغبش عن لسان الحبش ، وكثيرا ما تتوافق اللغتان لغة العرب ولغة الحبش في ألفاظ وقواعد من التراكيب، نحوية كحروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية » [١].

---

(١) البحر المحيط (٤/ ١٦٢ ـ ١٦٣) .

اللغات الحامية

سبق أن عرفنا أن مصطلح اللغات السامية ـ الحامية ، يضم قسمين: **الأول** منهما: اللغات السامية، **والثاني**: اللغات الحامية، واللغات الحامية تضم : اللغة المصرية القديمة ، والليبية أو البربرية ، واللغات الكوشية ، واللغات التشادية .

وقد لاحظ العلماء أن هذه الأقسام الأربعة للغات الحامية ليس بينها من وجوه الشبه أكثر مما بين كل واحدة منها وبين اللغات السامية (١) .

فرجحوا أن كل واحد منهن فرع عن لغة أكبر وأن السامية إحدى هذه الفروع فاختاروا أن تكون اللغات السامية، والحامية مقسمة إلى خمسة أقسام هي:

١ ـ السامية .   ٢ ـ المصرية .

٣ ـ الليبية .   ٤ ـ الكوشية .

٥ ـ التشادية .

١ ـ اللغة المصرية :

اللغة المصرية القديمة من أقدم اللغات الحضارية في العالم، يرجع أقدم نقوشها إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد، وهي بهذا موازية من ناحية الزمن للغتين السومرية، والبابلية الأشورية، واللغة المصرية قد مرت بمراحل طويله هي: المصرية القديمة، والمتوسطة، والقبطية، وقد توصل العلماء

(١) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٢٢) .

أخيرا إلى أن أوجه الشبه بين المصرية والسامية أصبح أكثر من ذي قبل وتشبه اللغة المصرية اللغات الساميّة في الضمائر ، التاء للمخاطب المفرد والنون لجماعة المتكلمين وفي أسماء العدد وكثير من أسماء الذوات وخاصة الأسماء المؤلفة من صوتين ، نحو « يم » ، «فم »،« ماء » وفي كثير من قواعد التنظيم الصرفي، ومن ذلك تأنيث الاسم والصفة بالتاء وتكوين المضارع بوضع الضمير في أول الفعل ، وتشترك معها في اهتمامها بالأصوات أكثر من اهتمامها بالحركات .

بل عد بعض علماء الآثار اللغة المصرية لغة سامية مثل العلامة أرمان الذي فسر أوجه الشبه بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة بأن هذه اللغة قد انفصلت في وقت مبكر عن الأسرة السامية وشقت طريقها وحدها عدة آلاف من السنين [1] .

٢ ـ اللغة الليبية البربرية :

هي لغة شمال أفريقيا القديمة وتشمل القبيلية والشاوية في الجزائر والتماشكية لغة الطوارق القبائل الرحالة بصحراء المغرب ، واللغات الشلحية أو لغات الشلحا أو أهل الشلوح في المغرب ولغات زناجة ، واللغة الجونشية في جزر كناري [2] .

وقد وجدت نقوش هذه اللغات متفرقة في شمال أفريقيا فقد عثر على نقوش يزيد عددها عن ألف نقش في مناطق مختلفة من شمال أفريقيا،وتعرف عند الباحثين باسم النقوش الليبية أو النوميدية وبعض هذه

(١) فقه اللغة للدكتورعلي عبد الواحد وافي (٢٣) ، علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٣٥) .

(٢) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي (٢٠٢) .

النقوش مكتوب بلغتين: إحداهما الليبية، والأخرى اللاتينية مما سهل حل هذه النقوش ولم يستطع العلماء معرفة التاريخ الدقيق لمعظم هذه النقوش ولكن منها ما يرجع إلى سنة ١٣٩ قبل الميلاد [١].

وقد تبين من خصائص لغة هذه النقوش قرابتها من اللغات السامية فعد بعض الباحثين اللغة الليبية لغة سامية انفصلت عن الساميات في وقت مبكر إذ أثبت اللغوي الألماني روسلر من خلال دراسته للنقوش الليبية أن هذه اللغة لغة سامية انفصلت عن اللغات السامية في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم واستطاع أن يفسر كثيرا من الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية في اللغة الليبية القديمة [٢].

٣ ـ اللغات الكوشية :

تضم عشرات اللغات تبدأ من جنوب مصر وتمتد على الساحل الشرقي لأفريقيا ما عدا مناطق اللغات السامية وأهم هذه اللغات : الصومالية، ولغات الجالا، والبدجا، ودنقلة، والأجاو، والأفار والسيداما [٣].

٤ ـ اللغات التشادية :

تضم اللغات التشادية حوالي ثمانين لغة أكثرها أهمية وانتشارا لغة الهوسا ويتعامل بها ما يربو على خمسة عشر مليونا وهي اللغة السائدة في نيجيريا الشمالية والدول الأفريقية التي تقع جنوب الصحراء [٤].

---

(١) مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي (٩٥) .

(٢) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٣٦) .

(٣) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٢٠٢)، مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي (٩٦) .

(٤) مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي (٩٦) .

ويفضل كثير من الباحثين أن تكون اللغات السامية الحامية مقسمة إلى خمسة فروع هي :

السامية - البربرية - المصرية - الكوشية - التشادية [١] .

وأهم السمات التي تربط بين هذه اللغات هي :

١ - التمييز بين المذكر والمؤنث بالتاء .

٢ - استعمال النون للربط بين وحدتين صرفيتين مثل نون الوقاية في العربية .

٣ - استعمال الواو كصوت علة يسقط كثيرا .

٤ - تكوين عدد من المشتقات بأبنية تبدأ بالميم مثل اسم المكان واسم المفعول في العربية [٢] .

(١) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (٢٠٤)، علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (١٣٨) .

(٢) علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي(١٣٧)، مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي (٩٧) .

الفصل الثاني اللغة واللهجة والإبدال

تعريف اللغة واللهجة: عرف ابن جني[1] اللغة بقوله: «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» ثم تعرض لاشتقاق كلمة اللغة وتصريفها بقوله: «وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من لغوت، أي تكلمت وأصلها لغوة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلة، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب، وقالوا فيها لغات ولغون ككرات وكرون وقيل منها لغى يلغي إذا هذى ومصدره اللغا»[2].

وفي مادة «لغا» من اللسان « واللغة من الأسماء الناقصة وأصلها لُغْوَة من لغا إذا تكلم»، و«اللغا الصوت مثل الوغى» و«لغا في القول يَلْغي وبعضهم يقول يَلْغو ولَغِيَ يَلْغي لُغَةً، ولغا يلغوا لغوا تكلم»، «اللَّغْوُ النطق يقال: هذه لغتهم التي يَلْغون بها أي ينطقون، ولَغْوى الطير أصواتها. والطير تَلْغي بأصواتها أي تَنْغَم» و« يقال سمعت لغو الطائر ولحنه» و« اللغة اللسن» و « لَغِيَ بالشيء يَلْغي لَغاً: لهِج» فمعاني اللغة تدور حول الكلام والنطق والصوت، واللسان واللهجة.

وجاءت معاني اللهجة على النحو التالي: لهِج بالشيء إذا أغرى به

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني معرب كني، كان أبو مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن أحمد الموصلي، وأبو جني من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، من مؤلفاته: الخصائص، سر صناعة الإعراب المحتسب، شرح تصريف المازني، محاسن العربية. مات سنة ٣٩٢هـ. انظر شذرات الذهب(٣/ ١٤٠)، والعبر(٢/ ١٨٢)، وبغية الوعاة(٢/ ١٣٢).

(٢) الخصائص (١/ ٣٣).

وثابر عليه وأولع به واعتاده، واللَّهْجة واللَّهَجة طرف اللسان، واللَّهْجة واللَّهَجة جَرْس الكلام واللَّهْجة واللَّهَجة اللسان ويقال فلان فصيح اللَّهْجة واللَّهَجة وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها ولَهِج الفصيل بأمه إذا اعتاد رضاعها»[١].

ونلاحظ أن معاني اللهجة تدور حول جرس الكلام واللغة واللسان. بل إن كلا من اللهجة واللغة يطلق عليه اسم اللسان إذ جاء في المعاجم«اللسان اللغة، يقال فلان يتكلم بلسان قومه، واللِّسْن اللغة يقال لكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها، واللسْن الكلام واللغة واللسان، واللسان الكلام واللغة ولسان القوم المتكلم عنهم»[٢].

وجاء ذكر اللسان في اللغات السامية دالا على هذه العضو الذي هو من أعضاء النطق ودالا على ما يعرف باسم اللغة.[٣]

وقد ورد ذكر اللسان في القرآن خمسا وعشرين مرة دالا على هذا المعنى وهو اللغة أو العضو منها.

قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾.[٤]

وقوله تعالى: ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**﴾.[٥]

وقوله: ﴿ **بلسان عربي مبين**﴾.[٦]

(١) جمهرة اللغة لابن دريد مادة(جله)، وانظر مادة« لهج» في القاموس المحيط، واللسان ومقاييس اللغة.

(٢) انظر مادة« لسن» في اللسان ،ومقاييس اللغة.

(٣) في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس(١٧).

(٤) إبراهيم (٤).

(٥) النحل (١٠٣).

(٦) الشعراء (١٩٥).

وقوله: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدقني إنى أخاف أن يكذبون﴾[1] ،وقوله: ﴿ وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا﴾ .[2]

وقوله: ﴿ومن آياته خَلْق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ .[3]

فما يعرف اليوم باللغة كان يعرف عند العرب القدماء عندما نزل القرآن باللسان فيقال مثلا اللسان العربي واللسان الأعجمي.

ولكن يبدو أن اللغة كانت معروفة لديهم بمعناها اليوم ولكنها أقل من اللسان فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: « **لم يبعث الله نبيا إلا بلغة قومه**»[4] .

والعلاقة بين اللسان واللغة واللهجة هي أن اللسان قد يطلق على اللغة واللهجة، واللهجة قد تطلق على اللسان واللغة، واللغة قد تطلق على اللسان واللهجة.

وأنسب المعاني لما يراد باللهجة هي: اللغة التي جبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها لأنها هي التي يعرف بها بين أبناء لغته.

وعرف المحدثون اللهجة بأنها: « مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة».

وعرفوا اللغة بأنها: مجموعة من اللهجات لكل منها خصائصها

---

(١) القصص(٣٤).

(٢) الأحقاف(٢).

(٣) الروم(٢٢).

(٤) مسند الإمام أحمد(٥/ ١٥٨).

ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات»[١].

والعلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة الخاص بالعام فاللغة تشتمل على عدة لهجات، ويطلق علماء العربية القدامى اسم اللغة على اللهجة فيقولون: لغة بني سعد[٢]، ولغة أهل الحجاز[٣]، ولغة هذيل[٤]، ولغة طيء[٥].

نشأة اللهجات

يتغير الكلام بمرور الزمان ويكون هذا التغيير في حروف الكلمة (أصواتها) أو في معناها أي دلالتها، فالتغير من ناحيتين، من الناحية الصوتية ومن الناحية الدلالية.

والتغيير الذي يطرأ على حروف الكلمة(أصواتها) يكون بإبدال بعض حروفها أو بحذفه وأهم العوامل التي تؤدي إلى التغيير الصوتي هي:

١ ـ الأخطاء السمعية وهي إما أن تكون ناتجة من ضعف في السمع أو اختلال في أجهزته وإما أن تكون نتيجة لقصور الأطفال في محاكاة لغة آبائهم.

٢ ـ موقع الصوت في الكلمة مثل تعرض الهمزة للسقوط أو حذف بعض الحروف.

(١) في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس(١٦).
(٢) الفائق للزمخشري(٣/ ٤٤٢).
(٣) الإبدال لابن السكيت(١٣٨).
(٤) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (٥٠٨).
(٥) شرح المفصل لابن يعيش(١٠/ ٤٢).

٣ ـ التناوب بين الأصوات وحلول بعضها محل بعض كالإبدال والقلب[١].

٤ ـ تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض كالمخالفة والمماثلة أو الإدغام وفكه هذا هو التغيير الصوتي.

أما التغيير الدلالي فيمثله كثرة استخدام الكبار في جيل ما لبعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق التوسع أو المجاز لدوافع اجتماعية خاصة فتنتقل هذه المفردات إلى الجيل اللاحق بمعانيها المجازية وحدها.[٢]

ويأخذ التغيير طريقة واحدة حتى يطرأ عليه عاملان هما:

١ ـ الانعزال بين بيئات الشعب الواحد وذلك بأن يفصل بين بيئات اللغة الواحدة فواصل مثل الجبال والأنهار والبحار أو الصحارى فإن هذه الفواصل تجعل تغيير الكلام يأخذ طرقا مختلفة وكل طريقة تصبح مع مرور الزمن لهجة لها ما يميزها وذلك بأن يتفاوت التغيير الذي يحصل للكلمات سواء من الناحية الدلالية أو الصوتية فمثلا نجد الإبدال يكثر عند مجموعة والحذف عند مجموعة أخرى والإدغام عند ثالثة، ومحاكاة الأطفال لآبائهم تختلف حسب الفواصل فقد تعني مجموعة بتلقين أطفالها اللغة السليمة بينما قد لاتستطيع مجموعة أخرى معالجة الأخطاء السمعية لدى الأطفال أو تكون مشغولة عن تلقين أبنائها اللغة السليمة ومع مرور الزمن تزيد هذه الفوارق حتى تتحول اللغة إلى عدة لهجات، وكذلك استعمال الكلمات لغير ما وضعت له يختلف من بيئة إلى بيئة

(١) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(٢٨٩).

(٢) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(٢٥٠).

فقد تلجأ بيئة لأسباب ما إلى استخدام الكلمات لغير ما وضعت له بينما تكون البيئة الأخرى مستعملة هذه الكلمات فى معانيها الأصلية فلو لم يكن انفصال لأصبح الجميع يسيرون فى طريق واحد وإن تغيرت الأصوات والدلالة.

٢ ـ الصراع اللغوي نتيجة لغزو أو هجرات: وذلك بأن يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلم أهلها لغة أخرى فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة، أو أن يهاجر شعب إلى أرض معمورة دون غزو منظم وإنما يكون طلبا للعيش فيغلب هذا الشعب المهاجر أصحاب الأرض المعمورة وتصبح لغته غالبة ولكن بعد أن يحدث فيها تغيير نتيجة لاحتكاكها مع لغة الشعب صاحب الأرض المعمورة مثل هجرة البابليين إلى أرض السومريين[١].

وهذان السببان الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، والصراع اللغوي يرجع إليهما نشوء اللهجات في جميع لغات البشر.

---

(١) انظر في لهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس(٢٥).

الإبدال

الإبدال لغة: هو مصدر أبدل والبدل في اللغة العوض[(١)] والخلف يقال: بدْل الشيء وبَدَله وبديله الخَلَف منه والجمع أبدال. وأبدل الشيء من الشيء وبدَّله اتخذه منه بدلا واستبدال الشيء بغيره وتبدله به إذا أخذه مكانه، وأبدلت الشيء إذا جئت له ببدل وبادله مبادلة وبدالاً أعطاه مثل ما أخذ منه، وبدّله تبديلا حرفه وتبدل تغير، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله والأصل في الإبدال جعل شيء مكان آخر[(٢)] وقال ابن سيده[(٣)]: حد البدل وضع شيء مكان غيره.[(٤)]

الإبدال في الاصطلاح:

إقامة حرف مقام حرف آخر[(٥)]، قال ابن فارس[(٦)]: «ومن سنن العرب: إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، يقولون: مدحه ومدهه وفرس رِفلّ ورِفنّ، وهو كثير مشهور، قد ألف فيه العلماء»[(٧)].

ولابد من التفريق بين بعض المصطلحات التي كثيرا ما تستخدم بمعنى

(١) مادة(عوض) مقاييس اللغة لابن فارس، ولسان العرب لابن منظور.

(٢) مادة (بدل)، اللسان ـ جمهرة اللغة ـ القاموس المحيط.

(٣)هو أبو الحسن علي بن أحمد بن سيده اللغوي النحوي الأندلسي الضرير كان حافظا لم يكن في زمانه أعلم منه للنحو و اللغة والأشعار وأيام العرب، من مؤلفاته المحكم في اللغة، والمخصص. توفي سنة٤٥٨هـ. انظر شذرات الذهب(٣/ ٣٠٥)، بغية الوعاة، (٢/ ١٤٣) العبر(٢/ ٣٠٨).

(٤) المخصص(١٣/ ٢٦٧).

(٥) شرح المفصل لابن يعيش(١٠/ ٧)، شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي(٣/ ١٩٧).

(٦)هو أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي القزويني كان نحويا على طريقة الكوفيين من أئمة اللغة والأدب، من مصنفاته مقاييس اللغة، المجمل الصحابي جامع التأويل في تفسير القرآن. انظر العبر(٢/ ١٨٦)، بغية الوعاة(١/ ٣٥٢)، الأعلام(١/ ١٩٣).

(٧) الصحابي (٣٣٣).

الإبدال تجوزا مع أن لها ما يميزها وهذه المصطلحات هي:

العوض أو التعويض ـ القلب ـ الإبدال اللغوي والصرفي.

الفرق بين البدل والعوض:

لقد فرق العلماء بين البدل والعوض فقد عقد ابن جني بابا في التفريق بين البدل والعوض حيث قال: « باب في فرقٍ بين البدل والعوض: جماع ما في هذا أن البدل أشبه بالمبدَل منه من العوض بالمعوض منه، وإنما يقع البدل في موضع المبدل منه، والعوض لا يلزم فيه ذلك. ألا تراك تقول في الألف من قام: إنها بدل من الواو والتي هي عين الفعل، ولا تقول فيها: إنها عوض منها، وكذلك يقال في واو جُوَن وياء مِيَرٍ: إنها بدل للتخفيف من همزة جؤن ومِئَر، ولا تقول: إنها عوض منها. وكذلك تقول في لام غاز وداع: إنها بدل من الواو، ولا تقول: إنها عوض منها. وتقول في العوض: إن التاء في عدة وزنة عوض من فاء الفعل، ولا تقول إنها بدل منها، فإن قلت ذلك فما أقله وهو تَجَوّز في العبارة. وتقول في ميم« اللهم»: إنها عوض من (ياء) في أوله ولا تقول: بدل. وتقول في تاء زنادقة: إنها عوض من ياء زناديق، ولا تقول بدل. . . . فالبدل أعم تصرفا من العوض. فكل عوض بدل، وليس كل بدل عوضا»[1].

والأغلب في العوض أن لا يكون في محل المعوض منه لذلك عد العلماء هذا هو الفارق بينه وبين البدل قال ابن يعيش[2]: « وربما فرقوا

(١) الخصائص لابن جني (١/ ٢٦٥).

(٢) هو موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش بن محمد الأسدي النحوي الحلبي كان من كبار أئمة العربية ماهرا في النحو والتصريف من مؤلفاته شرح المفصل، وشرح تصريف ابن جني. مات بحلب سنة٦٤٣ .

انظر بغية الوعاة(٢/ ٣٥١) ،شذرات الذهب(٥/ ٢٢٨)، الأعلام (٨/ ٢٠٦).

بين البدل والعوض فقالوا البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض ولذلك يقع موقعه نحو تاء تخمة وتكأة وهاء هرقت فهذا ونحوه يقال له بدل ولا يقال له عوض لأن العوض أن تقيم حرفا مقام حرف في غير موضعه نحو تاء عدة وزنة وهمزة ابن واسم ولايقال في ذلك بدل إلا تجوزا مع قلته.[1]

وقال المرادي[2]: « والفرق بينهما أن البدل لايكون إلا في موضع المبدل منه كهاء هرقت، ونحوه والعوض يكون في غير موضع المعوض منه كتاء عدة وهمزة ابن وياء سفيرج ولا يقال في هذا بدل إلا تجوزا مع قلته» .[3]

ومن الفوارق بين البدل والعوض ما ذكره العلماء حين قالوا: العوض مخالف للبدل فبدل الشيء يكون في موضعه والعوض يكون في غير موضع المعوض عنه[4]، وقالوا إن العوض لايحل محل المعوض منه والبدل إنما يكون محل المبدل منه[5].

فالفرق بين الإبدال والعوض: أن البدل يتقيد بمكان المبدل منه والعوض لايتقيد بمكان المعوض منه، ويلاحظ أن هناك علاقة صوتية بين البدل والمبدل منه أما العوض فلا تربطه علاقة صوتية بالمعوض منه.

---

(١) شرح المفصل(١٠/٧).

(٢) هو بدر الدين الحسن قاسم بن عبد الله المرادي المعروف بابن أم قاسم وهي جدته أم أبيه من،مؤلفاته: إعراب القرآن، وتفسير القرآن، وشرح ألفية ابن مالك، والجني الداني في حروف المعاني. مات سنة٧٤٩. ينظر شذرات الذهب(٦/ ١٦٠) بغية الوعاة(١/ ٥١٧)، الأعلام (٢/ ٢١١).

(٣) توضيح المقاصد(٦/ ٣).

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي(١/ ١٢٠).

(٥) المرجع السابق(١/ ٩٠).

القلب:

جعل حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير[1] أو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض[2]، قال ابن فارس: « ومن سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة فأما في الكلمة فقولهم: « جذب وجبذ» و « بكل ولبك» وهو كثير وقد صنفه علماء اللغة»[3].

وقد ذكر السيوطي[4] أمثلة كثيرة لهذا القلب منها« جبذ وجذب، وما أطيبه، وما أيطبه، وربض ورضب، واضمحل وامضحل، وسحاب مكفهر ومكرهف، وطامس وطاسم[5]، وشرخ الشباب وشخره: أوله، وحَرَّ حَمْت ومحت: وهو الشديد، ودقم فاه بالحجر ودمقه: إذا ضربه ورجل خُنافِر وفُناخِر: عظيم الأنف ودَحْمَلْت الشيء ودَمْحلته: إذا دحرجته، وطُرْموح وطُرْحوم: طويل، دُحْموق ودُحْقوم: العظيم الخَلْق، ولَفَت الرجل وجهه عن القوم وفَتَله إذا صرفه عنهم[6].

ويطلق على هذا القلب اسم القلب اللغوي[7].

كما أنه يطلق عليه القلب المكاني[8]تمييزا له عن القلب لدى الصرفيين

---

(١) همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع للسيوطي(٢/ ٢٢٤).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب(١/ ٢١).

(٣) الصحابي(٣٢٩).

(٤) هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضري السيوطي من مصنفاته الإتقان في علوم القرآن، والاقتراح في أصول النحو، شرح شواهد المغني. توفي سنة ٩١١هـ، ينظر شذرات الذهب(٨/ ٥١)، الأعلام(٣/ ٣٠٠)، نشأة النحو للطنطاوي(٢٩١).

(٥) المزهر للسيوطي(١/ ٤٧٦).

(٦) المزهر للسيوطي(١/ ٤٧٧ـ٤٧٨ـ٤٧٩).

(٧) المرجع السابق(١/ ٤٧٦ـ٤٨١).

(٨) المحيط لمحمد الأنطاكي(١/ ١٤٧).

والذي سيأتي تفصيل له عند ذكر الفرق بينه وبين الإبدال اللغوي.

هذا وقد أوردت القلب هنا لكي أميز بين القلب عند اللغويين أو عند بعض النحويين وبين القلب عند الصرفيين الذين يريدون به التبادل بين حروف العلة.

القلب عند الصرفيين:

يطلق القلب عند الصرفيين على التبادل بين حروف العلة والهمزة.

قال ابن يعيش: «والبدل على ضربين بدل هو إقامة حرف مقام حرف غيره نحو تاء تخمة وتكأة وبدل وهو قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره على معنى إحالته إليه وهذا إنما يكون في حروف العلة التي هي الواو والياء والألف وفي الهمزة أيضا لمقاربتها إياها وكثرة تغيرها وذلك نحو قام أصله قَوَم فالألف واو في الأصل وموسر أصله الياء وراس وآدم أصل الألف الهمزة وإنما لينت نبرتها فاستحالت ألفا فكل قلب بدل وليس كل بدل قلبا»[١].

وقال الإستراباذي[٢]: «ولفظ القلب مختص في اصطلاحهم بإبدال حروف العلة والهمزة بعضها مكان بعض، والمشهور في غير الأربعة لفظ الإبدال، وكذا يستعمل في الهمزة أيضا»[٣].

والقلب من أكثر المصطلحات التي استعملت مرادفة للإبدال.

وممن استعمل لفظ القلب كثيرا بمعنى الإبدال ابن جني إذ يقول حول

(١) شرح المفصل لابن يعيش(١٠/٧).

(٢) هو محمد بن الحسن الإستراباذي من مصنفاته شرح كافية ابن الحاجب و شافيته، توفي سنة٦٨٦أو سنة٦٨٨، ينظر بغية الوعاة(٥٦٧/١)، شذرات الذهب(٥/ ٣٩٤). ونشأة النحو (٢٤٤)، الأعلام(٦/ ٨٦).

(٣) شرح شافية ابن الحاجب(٣/ ٦٧)، توضيح المقاصد والمسالك للمرادي(٦/ ٣).

الرد على من قال إن حَثْحثُوا أصلها حَثَّثو وأن الحاء الثانية بدل من الثاء الوسطى: «سألت أبا علي عن فساده فقال العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها.»[(١)] ،وقال: «فإن فاء افتعل إذا كانت زاياً قلبت التاء دالا» [(٢)]،وقال: « وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم في بعض اللغات»[(٣)]،وقال: «واعلم أن الثاء إذا وقعت فاء في افتعل وما تصرف منها قلبت تاء»[(٤)]،وقال: «وكلب تقلب السين مع القاف خاصة زايا»[(٥)]،وقوله: « فإن تاء افتعل إذا كانت فاؤه ضادا أو طاء أو ظاء يقلب طاء البتة لابد من ذلك»[(٦)].

الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي:

الإبدال هو جعل حرف بدل حرف آخر من الكلمة وفي موضعه منها لعلاقة صوتية بين الحرفين.

وقد قسمة العلماء قسمين هما : الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي فالإبدال الصرفي هو الإبدال اللازم الضروري القياسي المطرد وحروفه ثمانية هي: الطاء والواو والياء والتاء والدال والألف والهمزة والميم.

قال ابن مالك[(٧)]: والضروري في التصريف هجاء« طويت دائما»[(٨)]

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ١٩٧).
(٢) المرجع السابق(١/ ٢٠٠).
(٣) المرجع السابق(١/ ٢٠١).
(٤) المرجع السابق(١/ ١٨٩).
(٥) المرجع السابق(١/ ٢٠٨).
(٦) المرجع السابق(١/ ٢٢٣).
(٧) هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني النحوي اللغوي الشافعي، كان إماما في القراءات وكان ينظم الشعر وكان من أئمة النحاة وكان في النحو والتصريف بحرا لايجارى، من مصنفاته: كتاب تسهيل الفوائد، وكتاب الكافية الشافية، وكتاب الخلاصة. توفي في دمشق سنة٦٧٢هـ، ينظر شذرات الذهب(٥/ ٣٣٩)، وبغية الوعاة (١/ ١٣٠)، العبر(٣/ ٣٢٦).
(٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك(٣٠٠).

وأحيانا تعد تسعة حروف قال ابن مالك: أحرف الإبدال هدأت موطيا فزاد الهاء[1].

قال المرادي: وإنما اقتصر على هذه التسعة لأنها التي لا يستغنى عن ذكرها في التصريف[2].

ويطلق على الإبدال التصريفي اسم الإبدال الشائع قال السيوطي الإبدال قسمان شائع وغيره . . .

والشائع الضروري في التصريف أحرفه ثمانية يجمعها قولك« طويت دائما»[3].

وفي الإبدال الصرفي لايستخدم الكلمة المبدل منها وإنما تستخدم الكلمة المبدلة ولو استخدمت الكلمة المبدل منها لكان ذلك خطأ أي لايستخدم الأصل إنما الفرع قال المرادي:«وإنما ينبغي أن يعد في الإبدال التصريفي في ما لو لم يبدل أوقع في الخطأ أو مخالفة الأكثر كقولك في مال مول والموقع في مخالفة الأكثر كقولك في سقاءة سقاية»[4]، وقد عدّه بعض الصرفيين حروف الإبدال أحد عشر حرفا وجمعها في هجاء« أجِدْ طويت منها»، وعدها بعضهم اثني عشر حرفا وجمعها في هجاء« طال يومُ أنجدتَه»، وبعضهم جعلها ثلاثة عشر حرفا وجمعها في« استنجده يومَ طال»، ومنهم من جعلها أربعة عشر حرفا وجمعها في« أَنْصتَ يوم زَلّ طاهٍ جَدُّ». [5]

---

(١) توضيح المقاصد والمسالك(٦/ ٥).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٦).

(٣) همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع للسيوطي(٢/ ٢١٩).

(٤) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي(٦/ ٦).

(٥) المرجع السابق (٦/ ٥).

وكل ما زاد عن الثمانية المجموعة في هجاء« طويت دائما » فإنما هو من الإبدال اللغوي، ولكن الذين أوردوا أكثر من ثمانية حروف قد خلطوا بين الإبدال الصرفي الضروري والإبدال اللغوي غير الضروري.

أما الإبدال اللغوي فهو غير ضروري ويقع في جميع حروف الهجاء ويطلق عليه اسم الإبدال غير الشائع أي غير الضروري، قال السيوطي: «الإبدال قسمان شائع وغيره فغير الشائع وقع في كل حرف إلا الألف وألّف فيه أئمة اللغة كتبا منهم يعقوب بن السكيت وأبو الطيب عبدالواحد ابن علي اللغوي وفي كتابي المزهر نوع منه حافل»[1].

ولكن الإبدال اللغوي يقع في كل حرف حتى الألف وسيتضح ذلك عند التبادل بين الحروف وفي الإبدال اللغوي تستعمل الكلمتان اللتان وقع فيهما الإبدال أي الكلمة المبدلة والمبدل منها أي يستخدم الأصل والفرع بخلاف الإبدال التصريفي فيقال: هتل وهتن، وتهتال وتهتان ولا يقال قام وقَومَ بل يقال قام فقط.

فالإبدال التصريفي لايستخدم إلا المبدل أي الفرع ولا يستخدم الأصل.

شروط صحة الإبدال:

لم يكتف بعض العلماء بأن تكون الكلمتان اللتان وقع فيهما الإبدال تعبران عن معنى واحد ولاتختلفان إلا في حرف من حروفهما بل أضاف شروطا أخرى لصحة الإبدال هي:

١ ـ التقارب الصوتي:

اشترط بعض العلماء أن يكون الصوتان اللذان وقع بينهما الإبدال

---

(١) همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي(٢/ ٢١٩).

متجانسين أو متقاربين بحيث يكون بينهما من قرب المخارج واتحاد الصفات ما يسوغ أن يحل أحدهما محل الآخر، وأشهر من تمسك بالتقارب الصوتي أبو الفتح عثمان بن جني حيث قال حول إبدال الحاء من كلمة حثثوا « وسألت أبا علي عن فساده فقال: العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهاء والهمزة والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه، فأما الحاء فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب أحدهما إلى أختها»[1].

وقال أيضا: « فأما قولهم نضنض لسانه ونصنصه إذا حركه فأصلان وليست الصاد أخت الضاد فتبدل منها» [2].

وكان ابن سيده ممن يشترط هذا الشرط، قال في المخصص: «أما ما كان جاريا على مقياس الإبدال التي أبنت فهو الذي يسمى بدلا وذلك كإبدال العين من الهمزة والهمزة من العين، والهاء من الحاء والحاء من الهاء، والقاف من الكاف والكاف من القاف، والفاء من الثاء والثاء من الفاء، والباء من الميم والميم من الباء، فأما ما لم يتقارب مخرجاه البتة فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق»[3].

وقد تابع المحدثون القدماء في هذا الشرط قال الدكتور إبراهيم أنيس: «يشترط أن نلحظ العلاقة بين الحرفين المبدل والمبدل منه»[4].

---

(١) سرصناعة الإعراب(١/ ١٩٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٢١).

(٣) المخصص لابن سيدة (١٣/ ٢٧٤).

(٤) من أسرار اللغة(٧٥)

وقال: « ومعظم الكلمات التي رواها ابن السكيت في كتابه من هذا الذي نلحظ فيه الصلة الوثيقة بين الحرف الأصلي والحرف الجديد في الكلمة التي أصابها هذا التطور الصوتي. فما يسمى بالإبدال بين الهاء والهمزة أو الفاء والثاء أو اللام والراء أو الدال والذال، إلى آخر ما في كتاب ابن السكيت كل هذا مما يمكن تفسيره لوضوح الصلة الصوتية بين كل حرفين. أما الذي يصعب تفسيره فيما رواه ابن السكيت فهو حين يحدثنا عن الإبدال بين الحاء والجيم أو اللام والدال، أو الطاء والجيم أو الفاء والكاف، أو الفاء والقاف، ويجدر بنا في مثل هذه الأحوال أن لا نربط بين الصورتين بل نعد كل منهما صورة أصلية مستقلة تمام الاستقلال عن الصورة الأخرى»[1].

وقال الدكتور أحمد علم الدين الجندي حول«زحلوفة وزحلوقة»: «إننالايمكن أن نقول بالإبدال إلا إذا كانت هناك علاقة مخرجية ووصفية بين البدل والمبدل منه وفي هذا المثال لا توجد علاقة البتة بين القاف والفاء»[2].

٢ ـ عدم تساوي اللفظين في التصرف:

يرى بعض العلماء أن اللفظين اللذين وقع فيهما التبادل إذا تساويا في التصريف فكل واحد منهما أصل قائم برأسه قال ابن جني في « باب الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه»: «فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصلين(كل واحد منهما قائم برأسه) لم يسغ العدول عن الحكم بذلك فإن دلّ دالّ أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عُمِل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة»[3].

---

(١)من أسرار اللغة(٧٥).

(٢) اللهجات العربية في التراث(٢/ ٤٧٢).

(٣) الخصائص (٢/ ٨٢).

وقال: « ومن ذلك قولهم هتلت السماء وهتنت: هما أصلان ألا تراهما متساويين في التصرف، يقولون هَتَنت السماء تَهْتِن تَهْتانا وهَتَلت تَهْتِل تهتالا وهي سحائب هُتَّن وهُتَّل»[1].

ثم أورد بعد ذلك شاهدين على هاتين المادتين وقال حول قولهم: «خَمصَ الجرح يَخْمُص خُموصا وحَمَص يحمُص حُموصا - إذا ذهب ورمه. فلا يكون الحاء فيه بدلاً من الخاء، ولا الخاء بدلا من الحاء ألا ترى أن كل واحد من المثالين يتصرف في الكلام تصرف صاحبه فليست لأحدهما مزية من التصرف والعموم في الاستعمال يكون بها أصلا ليست لصاحبه»[2].

وقال: « فأما قولهم امرأة جِربّانة وجلبّانة إذا كانت صخابة، فليس أحد الحرفين فيه بدلا من صاحبه... ويدل على أن«جلبانة»و «جريانه» أصلان غير مبدل أحدهما من الآخر وجودك لكل واحد منهما أصلا متصرفا واشتقاقا صحيحا»[3].

ولكنني ألاحظ أن تساوي اللفظين في التصريف ليس دليلا على أنهما أصلان بل لابد في كل بدل من أصل وفرع سواء عرف هذا الأصل أم لم يعرف بل قد يكون الفرع أكثر تصرفا من الأصل مثل مادة هراق وأراق فإن الفرع وهو هراق أكثر تصرفا من أراق ويدل على أنها أكثر استعمالاً ما في المعاجم والشعر والأحاديث النبوية وغيرها مماوردت فيه مادة هراق وسوف يتضح ذلك عندما نتناول حروف الحلق وما وقع فيها من إبدال.

(١) الخصائص (٢/ ٨٢).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ١٩٩).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٠٥).

معرفة البدل والمبدل منه(الفرع والأصل):

لقد بذل العلماء جهدا كبيرا محاولين معرفة البدل من المبدل منه فوضعوا عدة قواعد يرجعون إليها لمعرفة الأصل من الفرع في الكلمتين اللتين وقع التبادل بينهما وتتلخص هذه القواعد فيما يلي:

١ـ التصرف وذلك عن طريق الرجوع إلى بعض المشتقات والتصاريف فيحكم عى أحد اللفظين بأنه الأصل وعلى الآخر بأنه الفرع. فالأقل تصرفا هو الفرع(البدل) والأكثر تصرف هو الأصل(المبدل منه).

قال ابن جني: « ومن ذلك قولهم: باهلة بن أَعْصُر ويَعْصُر فالياء في (يعصر) بدل من الهمزة في (أعصر) يشهد بذلك ماورد في الخبر من أنه إنما سُمي بذلك لقوله:

أبنيّ إنّ أباكَ غيّر لونَه   كرّ الليالي واختلافُ الأعصر

يريد جمع عصر وهذا واضح»[١].

وقوله: «وقال الأصمعي: يقال جُعْشوش وجُعْسوس، وكل ذلك إلى قمأة وقلّة وصِغر، ويقال: هم جعاسيس الناس، ولا يقال بالشين في هذا، فضيق الشين مع سعة السين يؤذن بأن الشين من السين نعم والاشتقاق يعضد كون السين ـ غير معجمة ـ هي الأصل وكأنه اشتق من الجَعْس صفة على (فُعْلول)»[٢].

وقال وأما قولهم في الدرع: نَثْرة ونَثْلة فينبغي أن تكون الراء بدلا من اللام، لقولهم، نَثَل عليه دِرْعَه، ولم يقولوا نَثَرها فاللام أعم تصرفا فهي

---

(١) الخصائص(٢/ ٨٦).

(٢)الخصائص(٢/ ٨٦ ـ ٨٧).

الأصل»[1].

وقال حول كلمتي جدف وجدث(وكذلك قولهم جَدَث وجَدَف والوجه أن تكون الفاء بدلا من الثاء، لأنهم قد أجمعوا في الجمع على أجداث ولم يقولوا أجداف»[2].

وقد رجح ابن عصفور[3]أن الميم بدل من الباء في قولهم: « بنات بخر»و « بنات مخر» وهن سحائب يأتين قُبُلَ الصيف قال: « وإنما جُعلت الباء الأصل، لأن« البخر» مشتق من البخار، لأن السحاب إنما ينشأ عن بخار البحر»[4].

وقال حول« رأيته من كثب» و« من كثم»: «وأبدلت أي الميم من الباء لقولهم: قد أكثب، هذا الأمر أي قرب ولم يقولوا « أكثم» فدل ذلك على أن الباء هي الأصل»[5].

وقال المرادي: «يعرف الإبدال بالرجوع في بعض التصاريف إلى المبدل منه»[6].

٢ ـ كثرة الاستعمال فاللفظ الذي يكثر استعماله هو الأصل والذي يقل استعماله هو الفرع.

(١) سر صناعة الإعراب(١/ ٢٠٦).

(٢) المرجع السابق(١/ ٢٥٠).

(٣) هو ابن الحسن علي بن مؤمن بن محمد النحوي الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس من كتبه المعرب: المعرب الممتع في التصريف، مات بتونس سنة ٦٦٩.

ينظر بغية الوعاة(٢/ ٢١٠)، العبر(٣/ ٣٢٠)، والأعلام(٥/ ٢٧).

(٤) الممتع في التصريف(١/ ٣٩٣).

(٥) المرجع السابق(١/ ٣٩٣).

(٦) توضيح المقاصد(٦/ ٦).

قال ابن جني: « فأما قولهم: ما قام زيد بل عمرو، وبَنْ عمرو فالنون بدل من اللام، ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل. هذا هو الظاهر من أمره.

ولست مع هذا أدفع أن يكون(بن) لغة قائمة برأسها وكذلك قولهم رجل(خامِل) و(خامِن) النون فيه بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تَصَرَّف، وذلك قولهم: خَمَلَ يَخْمُل خُمولا وكذلك قولهم: قام زيد فُمَّ عمرو، الفاء بدل من الثاء في ثم ألا ترى أنه أكثر استعمالا»[1].

وقال المرادي: «أفلط» أي أفلت فإن طاءه بدل من التاء لأن التاء أغلب فيه في الاستعمال[2].

وقال ابن عصفور: « وأما النون فأبدلت من اللام في « لعل» فقالوا «لعن» وإنما جُعِل الأصل لعلّ لأنه أكثر استعمالا»[3].

٣ ـ كون وزن أحد اللفظين الذين وقع فيهما الإبدال غير معروف فى العربية، قال المرادي: « وبلزوم بناء مجهول نحو« هراق » يحكم بأن أصله أراق لأنه لو لم يكن كذلك لوجب أن يكون وزنه هفعل وهو بناء مجهول»[4].

موقف المحدثين في معرفة البدل من المبدل منه.

يشابه موقف المحدثين العلماء القدامى في معرفة البدل من المبدل منه

---

(١) الخصائص (٢/ ٨٤).

(٢) توضيح المقاصد(٦/ ٦).

(٣) الممتع(١/ ٣٩٥).

(٤) توضيح المقاصد(٦/ ٨).

إذ يقول الدكتور إبراهيم أنيس: « وورود النص القديم مشتملا على الصورة الشائعة يؤكد لنا الأصالة بين النطقين أما حين نفتقد النص فالأصالة عن طريق الشيوع مرجحة رجحانا كبيرا»[١].

وقال: «أما حين يرد كل من النطقين في نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح في الغالب أصالته»[٢].

فهو تكرير لأراء العلماء السابقين.

(١) من أسرار اللغة(٧٨).

(٢) المرجع السابق (٧٩).

الإبدال واللهجة

إن العلاقة بين الإبدال واللهجة علاقة وثيقة إذ إن تفرع اللغات إلى لهجات إنما يكون بتغيير في حروفها(أصواتها) وذلك أن التغيير الذي يصيب الكلمة إنما يكون بإبدال بعض حروفها أو حذفها وهذان العاملان الإبدال والحذف تنشأ عنهما اللهجات، ثم إني رأيت الباحثين في الإبدال واللهجات قد انقسموا قسمين منهم من بحث في الإبدال وحده ومنهم من بحث في اللهجات وحدها، ولكن الحقيقة هي أن معظم اللهجات كانت نتيجة لإبدال بعض حروف الكلمة وسوف أعرض آراء العلماء في العلاقة بين الإبدال واللهجة ثم أردفه بما آراه صوابا.

وآراء العلماء في علاقة الإبدال باللهجة يمكن حصرها في ثلاثة آراء هي:

١ ـ الرأي الأول القائل بأن الإبدال لهجة مثل قولهم: « والكلوة لغة في الكلية لأهل اليمن»[١]، وقولهم: «حوث لغة في حيث إما لغة طيء وإما لغة تميم»[٢]، ومثل «أفلطني لغة تميم في أفلتني»[٣]، ومثل قولهم في «حتى». . وإبدال حائها عينا لغة هذلية[٤] بالإضافة إلى ذلك أيضا تعد اللهجات المنسوبة مثل الكشكشة والكسكسة والوتم وغيرها من إبدال الحروف.

---

(١) لسان العرب مادة(كلا).

(٢) لسان العرب مادة(حوث).

(٣) المزهر للسيوطي(١/ ٢٢٤).

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني(٥٠٨).

٢ ـ الرأي الثاني: يرى أن اللفظين اللذين وقع بينهما التبادل ليس أحدهما أصلا للآخر ولا فرعا عنه بل كل منها لغة قائمة بنفسها وإن كان معناهما واحدا ويريدون باللغة(اللهجة) أصل الوضع فهم يرون أن الكلمتين اللتين وقع بينهما الإبدال وإن دل معناهما على شيء واحد إلا أن أصل وضعهما ليس واحدا ويرون أن اللهجات ليس بعضها متفرعا عن بعض بل من أصل وضعها مختلفة ومن أمثلة ذلك قول ابن جني: «وأما قولهم جَذَوْت وجثوت إذا قمت على أطراف أصابعك . . . فليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه، بل هما لغتان وكذلك قولهم أيضا: قرأ فما تلعثم وما تلعذم»[1].

وقول ابن السيد البطليوسي[2]: «ليس الألف في الأَرَقان ونحوه مبدلة من الياء ولكنهما لغتان»[3].

ومن هؤلاء أبو الطيب[4] اللغوي حيث يقول: «ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لايختلفا إلا في حرف واحد».

وقال أيضا: «والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا

(١) سر صناعة الإعراب(١/ ٢٠٣).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ولد سنة٤٤٤ ببطليوس بالأندلس كان من علماء اللغة والأدب ،ومن مصنفاته: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، والمثلث في اللغة،والمسائل المنثورة في النحو،ومات ببلنسية سنة٥٢١هـ،ينظر بغية الوعاة(٢/ ٥٥)، الأعلام للزكلي(٤/ ١٢٣)، شذرات الذهب(٤/ ٦٤).

(٣) المزهر للسيوطي(١/ ٤٧٤).

(٤) عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي الحلبي أحد العلماء المبرزين المتفننين بعلمي اللغة العربية، ومن مؤلفاته: لطيف الاتباع،الإبدال، الأضداد في كلام العرب، المثنى في اللغة. ينظر معجم المؤلفين(٦/ ٢١٠)، بغية الوعاة(٢/ ١٢٠)، الأعلام(٤/ ١٧٦).

مهموزة وطورا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى. وكذلك إبدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة عينا كقولهم في نحو أن عن لا تشترك العرب في شيء من ذلك وإنما يقول هذا قوم وذاك آخرون[١].

٣ ـ الرأي الثالث المتردد بين القول باللغة(اللهجة) والقول بالإبدال ويمثل هؤلاء قول ابن جني حول « صلهب» من قول طفيل الغنوي:

تُنيف إذا أقْوَرّت من القَوْد وأنطَوتْ

بهادٍ رفيعٍ يقهر الخيلَ صَلهَبِ

حيث قال: « فيجوز أن تكون الصاد فيه لغة ويجوز أن تكون بدلا من سين سلهب لأنه أكثر تصرفا من صلهب»[٢].

وبعد هذا العرض لآراء العلماء القدامى فإنني أرى أن كل إبدال لهجة لأن أول ما يطرأ على اللغة من تغيير يحدث أولا في حروفها(أصواتها) فإذا تغيرت الأصوات تكونت معظم اللهجات. فمعظم اللهجات كانت نتيجة لحدوث التغيير في الحروف(الأصوات) وأهم الصفات التي تميز اللهجات تكاد تنحصر في تغيير الحروف(الأصوات) يقول الدكتور إبراهيم أنيس مبينا ذلك: « أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان. فيُروى لنا مثلا أن قبيلة تميم كانوا يقولون في« فُزْتُ» « فُزْد» كما كانوا ينطقون بالهمزة عينا»[٣].

(١) المزهر للسيوطي(١/ ٤٦١).

(٢) سر صناعة الإعراب(١/ ٢١٨).

(٣) في اللهجات العربية (١٧).

والمميزات الصوتية التي تميز اللهجات بعضها عن بعض أهمها ما يأتي:

١ ـ اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية.

٢ ـ اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.

٣ ـ اختلاف في مقاييس بعض أصوات اللين.

٤ ـ اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض[١].

وألاحظ أن هذه المميزات هي نتيجة التبادل بين الحروف (الأصوات) وسوف أسلك في هذا البحث مسلكا يتلخص في عدة أشياء هي: إن كل إبدال لهجة ولابد في كل إبدال من أصل وفرع وإلا ماعُدَّ إبدالا ولابد في كل إبدال من وجود علاقة صوتية تربط بين البدل والمبدل منه(الأصل والفرع) ولمعرفة الأصل والفرع فإنني سوف أسير على النحو التالي:

١ ـ الاستقراء وذلك بأن أجمع عددا من المواد والنصوص التي تبين الأصل من الفرع أو ترجحه.

٢ ـ المقارنة بين الكلمات التي وقع فيها الإبدال وذلك بالاستعانة بأخوات العربية فمثلا ظاهرة إبدال الهمزة هاء توجد في اللغة العربية في الشعر والنثر وتوجد في لهجة طيء وفي لغة اليمن القديمة وفي اللغة الكنعانية والمقارنة بين هذه اللغات تبين لنا أصالة المادة وفرعيتها.

٣ ـ الاستعانة ببعض القوانين الصوتية كالمخالفة والمماثلة وقانون السهولة واليسر.

---

(١) في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس(١٩)، علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي(٢٨٩).

٤ ـ النظر إلى الحرفين(الصوتين) اللذين وقع بينهما التبادل مثل أن أنظر إلى حرفي اللام والنون أيهما يكون الأصل وأيهما يكون الفرع ولا أكتفي بالنظر إلى بعض المواد التي تحتوي على هذين الحرفين ثم أحكم على كل مادتين بحكم خاص بل أحكم على النون أو اللام بأصالة أحدهما وفرعية الآخر في التبادل في العربية لذلك فإن ابن جني لما كان ينظر إلى المواد التي وقع فيها الإبدال ولا ينظر إلى الحرفين اللذين وقع فيهما الإبدال فقد حكم بأصالة بل وفرعية بن، في قولهم ما قام زيد بل عمرو و بن عمروحكم بأصالة خامل وفرعية خامن في قولهم:

رجل خامل وخامن[1] فجعل اللام أصلا والنون فرعا ولما وصل إلى هتن وهتل من قولهم: « هتنت السماء وهتلت» [2] حكم بأنهما أصلان بناء على تساويهما في التصرف، ولو كان ينظر إلى اللام أو النون لاستطاع أن يتبين الأصل من الفرع في هاتين المادتين، ولو كانت هاتان المادتان أصلين لما عدتا من الإبدال ولكن واحدة منهما أصل والأخرى فرع.

وأما المحدثون فقد حكموا بأن التهتان هي الأصل لكثرة شواهدها والتهتال هي الفرع كما فعل الدكتور إبراهيم أنيس.[3]

وأما أنا فسوف أحكم بأصالة اللام في ذلك كله فالكلمات(بل، بن ـ خامل، خامن ـ التهتال، التهتان) اللام فيها أصل والنون فرع وسوف يتبين ذلك عندما أتناول التبادل بين اللام والنون.

لعلي بذلك أن أصل إلى قانون للإبدال في اللغة العربية وبيان كيفية تفرع لهجاتها ومعرفة القديم من الحديث منها، وربما تعدى هذا القانون اللغة العربية إلى غيرها من اللغات الأخرى.

---

(١) الخصائص(٢/ ٨٤).

(٢) المرجع السابق(٢/ ٨٢).

(٣) من أسرار اللغة (٧٩).

الفصل الثالث

جهاز النطق وحروف العربية(مخارجها وصفاتها)

جهاز النطق عند الإنسان:

بعد أن بينت آراء العلماء في الإبدال وعلاقته باللهجة فإني أريد أن أبين أعضاء جهاز النطق عند الإنسان؛ لكي نعرف كيف تحدث الحروف (الأصوات).

يتكون جهازالنطق عند الإنسان من مجموعة من الأعضاء التي تشترك في عملية إحداث الأصوات اللغوية، وهذه الأعضاء هي:

١ ـ **الرئتان**: الرئة جسم مطاط قابل للتمدد والانكماش لكنه لايستطيع الحركة بذاته لذلك فإن الذي يدفعه للتمدد والانكماش هو الحجاب الحاجز من جهة والقفص الصدري من جهة أخرى، والرئتان هما اللتان تمدان الجهاز النطقي بالهواء اللازم لإحداث الصوت(١).

٢ ـ **القصبة الهوائية**: وهي قناة غضروفية تصل ما بين الرئتين والحنجرة وتنقسم من أسفلها إلى فرعين رئيسيين هما الشعبتان اللتان تدخلان إلى الرئتين(٢).

٣ ـ **الحنجرة**: وهي حجيرة غضروفية متسعة نوعا ما، تقع في أعلى القصبة الهوائية وتتكون من ثلاثة غضاريف الأول أو العلوي منها ناقص الاستدارة من الخلف وعريض بارز من الأمام ويعرف الجزء البارز منه

---

(١) دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر(٨٠)، المحيط لمحمد الأنطاكي(١/ ١٢).

(٢) المحيط لمحمد الأنطاكي(١/ ١٢)، دراسة الصوت اللغوي للدكتور/ أحمد مختار عمر(٨٠).

بالبروز الحنجري أو (تفاحة آدم) أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني[1].

٤ ـ **الوتران الصوتيان**: هما رباطان مرنان يشبهان الشفتين يمتدان أفقيا من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند البروز الذي يسمى بتفاحة آدم[2].

٥ ـ **المزمار**: هوالفراغ الذي بين الوترين الصوتيين، وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات ويترتب على هذا الاختلاف نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية فتختلف تبعا لذلك درجة الصوت[3].

٦ ـ **لسان المزمار**: وهو زائدة لحمية فوق المزمار وتسمى غطاء المزمار ووظيفتها الأصلية أن تكون صماما يحمي طريق التنفس في أثناء عملية البلع[4].

٧ ـ **الحلق**: وهو الجزء الذي بين الحنجرة والفم وهو مخرج لبعض الأصوات اللغوية كالعين والهاء والحاء ويستغل كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة [5].

٨ ـ **اللسان**: وهو أهم عضو في عملية النطق؛لأنه يحتوي على عدد كثير من العضلات التي تمكنه من التحرك والامتداد والانكماش والتلوي إلى أعلى أو إلى خلف وهذه السهولة والمرونة في الحركات مكنت

(١) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(١٧) ،المحيط لمحمد الأنطاكي(١/ ١٢).
(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(١٧).
(٣) المرجع السابق(١٧).
(٤) المحيط لمحمد الأنطاكي(١/ ١٢)،الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(١٧).
(٥) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(١٨).

اللسان من الاتصال بأية نقطة من الفم فنتج عن تحركاته المختلفة عدد كبير من الإمكانات الصوتية في الجهاز النطقي وقد قسمه علماء الأصوات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: منها أول اللسان بما في ذلك طرفه، **والثاني**: وسطه، **والثالث** أقصاه[1].

٩ ـ الحنك الأعلى: ويسمى بسقف الفم أيضا، وهو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة من الفم ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى تتكون مخارج كثير من الأصوات وينقسم سقف الفم إلى أربعة أقسام:

الأول : اللثة أو أصول الأسنان العليا.

الثانـي: هو الغار، وهو الجزء الصلب من سقف الفم وهو محدب ومحزز.

الثالث: هو الطبق، وهو الجزء الرخو من سقف الفم وهو متحرك.

الرابع: اللهاة، وهي الزائدة اللحيمة المتدلية التي ينتهي بها الجزء الخلفي الرخو من الحنك الأعلى[2].

١٠ ـ الأسنان: من أعضاء النطق الثابتة في الجهاز النطقي ولاسيما العليا منها ولايستعمل فى النطق إلا بمساعدة أحد الأعضاء المتحركة كاللسان والشفة السفلى[3].

---

(١) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(١٨)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب(٢٦).

(٢) المحيط لمحمد الأنطاكي(١/ ١٢)، دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر(٨٥) والمدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان(٢٦).

(٣) المدخل إلى علم اللغة وناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب (٢٥).

١١ ـ **الفراغ الأنفي**: وهو العضو الذي يندفع خلاله النفس مع بعض الأصوات كالميم والنون ويستغل كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النطق[1].

١٢ ـ **الشفتان**: هما عضلتان مرنتان ينتهي بهما الفم وللشفتين وظيفة ملحوظة مع بعض الأصوات فهما تنفرجان مع بعض الأصوات كما في نطق الفتح أو تستديران كما في نطق الضم أو تنطبقان كما في نطق الباء والميم[2].

(١) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(١٨).

(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان (٢٥)، الأصوات اللغوية(١٨)، المحيط لمحمد الأنطاكي(١/ ١٣).

كيف يحدث الصوت الإنساني

ينشأ الصوت الإنساني من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة؛ لأن فيها الوترين الصوتيين فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن.

فالهواء الخارج من الرئتين إما أن يصادف في مجراه سدا تاما عند أي نقطة في الجهاز النطقي ما بين الحنجرة والشفتين مثل الباء وإما أن يصادف فيه تضييقا مثل السين وإما أن يخرج الهواء سلسا من غير أن يجد في مجراه عائقا كما في حروف المد؛ أي أن الكلام يحدث عادة عند عملية الزفير وذلك بأن تعترض الأعضاء الصوتية ممر الهواء[1].

مجرى الصوت: هو طريقه من الرئتين حتى يندفع خارج الفم أو الأنف[2].

مخرج الصوت: هو نقطة معينة في المجرى وعندها يتكون الصوت وعندها يحصل للمجرى انسداد أو تضيق أو اتساع حسب طبيعة الصوت وصفته[3].

---

(١) الأصوات اللغوية(٨)، المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان(٢٨)، مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١١٢)، في الأصوات اللغوية للدكتور غالب فاضل المطلبي(٢٤).

(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(٢٦).

(٣) المحيط لمحمد الأنطاكي(١/١٨) ومناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١١٠)، ومدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي(٤٣)، والأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(٢٦).

الحرف والصوت:

يفرق المحدثون من علماء اللغات بين الحرف والصوت فالحرف عندهم هو الرمز أو المكتوب بينما الصوت يعني عندهم المنطوق[١].

صفات الحروف (الأصوات):

١ ـ الجهر والهمس:

عرف المحدثون الحرف(الصوت) المجهور بقولهم: « الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان وعرفوا المهموس بقولهم: «هو الصوت الذى لايهتز معه الوتـران الصوتيان»[٢].

وليس معنى عدم اهتزاز الوترين الصوتيين أنه ليس للنفس مع الصوت المهموس ذبذبات وإلا لم تدركه الأُذن وإنما المراد بهمس الصوت هو صمت الوترين الصوتيين رغم أن الهواء في أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السمع فيدركها المرء[٣].

وقد وضع الباحثون المحدثون عدة تجارب وضحوا من خلالها التعرف على الصوت المجهور وهي:

١ ـ حين نضع الأصبع فوق تفاحة آدم ثم ننطق بصوت من الأصوات وحده مستقلا عن غيره من الأصوات، ولا يأتي هذا إلا بأن نشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمي السكون مثل(بْ)

---

(١)دراسات في علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر(٧٦ـ٧٧)،واللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان(٥٧)،ومناهج البحث في اللغة(١٥٤)،والأصوات اللغوية(١١).

(٢)الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(٢٠)،مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١١٢).

(٣) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(٢١).

ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات؛ لأن الصوت حينئذ لايتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة. فإذا نطقنا بالصوت وحده وكان من المجهورات نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعورا لايحتمل الشك.

٢ ـ وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا ثم ننطق بنفس الصوت وهو وحده مستقلا عن غيره نحس برنة الصوت في رءوسنا.

٣ ـ والتجربة الثالثة هي أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختيار فيحس برنين الصوت، وذلك الرنين هو صدى ذبذبة الوترين الصوتيين[١].

المجهور والمهموس عند العلماء العرب القدامى:

عرف سيبويه[٢] المجهور بقوله: « فالمجهورة حرف أُشبع الاعتمادُ في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»، ثم قال، « فهذه حال المجهورة في الحلق والفم إلا أن الميم والنون قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما.

---

(١) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(٢٠).

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه ويكنى أبا بشر مولى لبني الحارث بن كعب إمام البصريين، ولد بقرية البيضاء من قرى شيراز بفارس، كان كثير المجالسة للخليل وكان الخليل يقول له إذا أقبل: مرحبا بزائر لايمل، عمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد، وكان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: ركبت البحر وكان المازني يقول من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي، وسيبويه بالفارسية معناه رائحة التفاح، وقيل هو اسم فارسي فالسي ثلاثون وبويه رائحة كأنه في المعنى ثلاثون رائحة، توفي رحمه الله بشيراز سنة ١٨٠ هـ، ينظر الفهرست لابن النديم(٧٦)، أخبار النحويين البصريين(٦٣)، تاريخ العلماء النحويين(٩٠).

وعرف المهموس بقوله: « وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه، فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها، وإن شئت أخفيت»[1].

وقد تبع سيبويه في هذا التعريف جميع من جاء بعده من نحويين وقراء وصار تعريفه هذا مكررا بنصه في جميع الكتب التي تعرضت للجهر والهمس.

ونظرة سيبويه إلى المجهور والمهموس يبدو أنها لم تقم على اهتزاز الوترين الصوتيين أو عدم اهتزازهما؛ لأن هذين لم يعرفا إلا بعد تشريح أعضاء النطق وإنما نظرته إلى المجهور والمهموس تقوم على أساس إشباع الاعتماد وإضعافه وموضع الحرف فإذا عرفت هذه المصطلحات ظهر تعريفه جليا.

ونبدأ بالموضع: موضع الحرف ومخرجه عند سيبويه يعنيان شيئا واحدا فإذا أفرد المخرج فإنما يريد به الموضع وإذا أفرد الموضع فإنما يريد به المخرج ويدل على ذلك قوله: « هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه»، ثم قال عند ذكره لهذا الحرف: « فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها« الدال»[2]، فذكر الموضع وذكر المخرج بمعنى واحد، بل إن سيبويه يريد بالموضع المكان الذي يضيق عنده المجرى أو يتسع فعلى هذا قد يكون للحرف موضعان وقد ذكر ذلك عندما تحدث عن حروف الإطباق حيث قال: «وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك في

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٤).

(٢) الكتاب(٤/ ٤٧٧).

مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف»، ثم قال: «فهذه الأربعة لها موضوعان من اللسان، وقد بُيّن ذلك بحصر الصوت»[١].

فهو يريد بالموضعين الأول ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبق فعندئذ يضيق المجرى؛ أي ما بين مؤخرة اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى، والموضع الثاني هو مضيق المجرى عند نقطة تكون هذه الحروف، وبهذا يظهر أن الموضع عند سيبويه هو النقطة التي يضيق عندها المجرى سواء كانت مخرجا للحرف أم لا لكن في الغالب أن النقطة التي يضيق عندها المجرى هي مخرج الحرف.

بل قد فسر بعض العلماء الموضع بالمخرج قال ابن يعش: «والجهر إشباع الاعتماد في مخرج الحرف»[٢].

وقال ابن الطحان[٣]: «والهمس ضعف الاعتماد في المخرج»[٤].

الإشباع: والإضعاف بالمقابلة بين هذين الاصطلاحين يظهر أن الإشباع هو القوة، والإضعاف كما هو واضح من لفظة الضعف.

بل قد صرح ابن الطحان بأن الإشباع هو القوة إذ قال: « والجهر قوة الاعتماد»، وقال: « والهمس ضعف الاعتماد في المخرج»[٥].

---

(١) المرجع السابق(٤/ ٤٣٦).　　　(٢)شرح المفصل لابن يعيش(١٠/ ١٢٨).

(٣) هو عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة أبو الأصبغ السماتي الإشبيلي المقري المعروف بابن الطحان برع في القراءات، ومن مؤلفاته: نظم الأداء في الوقف والابتداء، ومقدمة في أصول القراءات. وتذكر المصادر أنه توفي بعد ٥٦٠هـ. ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي (٢/ ٥٤٨)، والأعلام (٤/ ٢٢).

(٤) مخارج الحروف وصفاتها لابن الطحان(٩٣).

(٥)مخارج الحروف وصفاتها (٩٣).

الاعتماد: هو ضغط الهواء الآتي من الرئتين على مخرج الحرف (الصوت) أو ضغط الهواء الآتي من الرئتين على العضويـن المكونين للصوت عند نقطة تقاربها أو تلاقيهما، وقد أشار سيبويه إلى ذلك عندما جعل الحروف المجهورة حروفا مشربة؛ ويعني بها التي يخرج صوتها من الصدر أي التي يشتد عليها الضغط الآتي من الرئتين حيث قال: « واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضُغِطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسانَ عن موضعه وهي حروف القلقلة وستُبَيَّن أيضا في الإدغام إن شاء الله، وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء، والدليل على ذلك أنك تقول الحِذْقْ فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت لشدة ضغط الحرف وبعض العَرب أشد صوتا كأنهم الذين يرومون الحركة.

ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحوُ النفخة ولم تضغط ضغط الأولى وهي: الزاى والظاء والذال والضاد؛ لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذا فَتُسمع نحوُ النفخة وبعض العرب أشد صوتا وهم كأنهم الذين يرومون الحركة، والضاد تَجِد المنفذَ من بين الأضراس، وستبينُ هذه الحروف أيضا في باب الإدغام إن شاء الله. وذلك قولك هذا نَشُزْ، وهذا خَفُضْ وأمّا الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخٍ لأنهن يخرجن مع التنفس لاصوت الصدر وإنما تَنْسلّ معه، وبعض العرب أشد نفخا كأنهم الذين يرومون الحركة فلابد من النفخ لأن النفس تسمعه كالنفخ.

ومنها حروف مشربة لاتسمع معها في الوقف شيئا مما ذكرنا لأنها لم تضغط ضغط القاف ولاتجد منفذا كما وجد في الحروف الأربعة، وذلك اللام والنون لأنهما ارتفعتا عن الثنايا فلم تجدا منفذا، وكذلك الميم لأنك تضم شفتيك ولا تجافيهما كما جافيت لسانك في الأربعة حيث وجدن

المنفذ، وكذلك العين والغين والهمزة، لأنك لو أردت النفخ من مواضعها لم يكن كما لا يكون من مواضع اللام والميم وماذكرت لك من نحوهما. ولو وضعت لسانك في مواضع الأربعة لاستطعت النفخ فكان آخرُ الصوت حين يفتر نفخا والراء نحو الضاد»[1].

وفي هذا النص قد قسم سيبويه الحروف قسمين المجهورة وسماها المشربة والمهموسة وسماها غير المشربة؛ ويعني بالمشربة التي يخرج صوتها من الصدر وإذا علمنا أن جميع الحروف تخرج أصواتها من الرئتين فماذا يريد بهذا التقسيم؟ يريد بهذا التقسيم أن ضغط الهواء الآتي من الرئتين في أثناء النطق بالحرف (الصوت) المهموس يكون ضعيفا أو سهلا مثل التنفس فلا يحتاج إلى بذل الجهد أما مع الحروف(الأصوات) المجهورة فيحتاج الهواء إلى اندفاع أشد مما كان مع المهموس ولذلك عبر بصوت الصدر وسماها المشربة، فيكون الحجاب الحاجز هو الذى ضغط على الرئتين حين النطق بالحرف المجهور أكثر مما كان يضغط مع المهموس، وقد يفهم من قول سيبويه: « المشربة» مِلاحظته لاهتزازات الوترين الصوتيين.

ونأخذ من نص سيبويه هذا أن الاعتماد هو الضغط على مخرج الصوت أو ضغط الهواء الآتي من الرئتين على نقطة التقاء العضوين المكونين للصوت أو تقاربهما فإذا كان قويا فالصوت مجهور وإذا كان ضعيفا فالصوت مهموس.

فالمجهور حرف(صوت) قُوِيّ ضغط الهواء الآتي من الرئتين على نقطة تلاقي أو تقارب العضوين المكونين له.

والمهموس حرف (صوت) خُفِّف ضغط الهواء الآتي من الرئتين على نقطة تلاقي أو تقارب العضوين المكونين له.

(١) الكتاب (٤/ ١٧٤ـ١٧٥).

فالاعتماد هو الضغط على العضوين المكونين للصوت لذلك قال سيبويه في الميم والنون: « إلا أن الميم والنون قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة، أي يضغط على العضوين المكونين لهما، لأن الأعضاء المكونة لهذين الحرفين تكون في الفم والأنف.

وقد عد سيبويه الحروف(الأصوات) المجهورة في اللغة العربية تسعة عشر حرفا إذ قال: « فأما المجهورة فالهمزة والألف، والعين والغين، والقاف والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، الدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو، فذلك تسعة عشر حرفا[1].

وعد الحروف(والأصوات) المهموسة عشرة حيث قال: «وأما المهموسة فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، و الشين، والسين، والتاء والصاد، الثاء، والفاء، فذلك عشرة أحرف»[2].

وقد جمع علماء العربية الحروف(الأصوات) المجهورة والمهموسة فى عبارات ليسهل حفظها وتذكرها من هذه العبارات جمعهم للمجهورة في قولهم: « ظِلُّ قَوٍّ رَبَضٍ إذ جُنْدٌ غزا مُطيع»[3] ، وجمعهم للمهموسة فى قولهم: «ستشحثك خَصَفَهْ»[4] أو « سكت فحثه شخص»[5].

٢ ـ التحكم في مجرى الصوت:

للهواء الصاعد من الرئتين في أثناء نطق الأصوات عدة حالات قد حصرها المحدثون من علماء الأصوات في ست نقاط هي :

---

(١) الكتاب(٤/ ٤٣٤).

(٢) الكتاب (٤/ ٤٣٤).

(٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضي(٣/ ٢٥٩).

(٤) سر صناعة الإعراب(١/ ٦٩)، والممتع في التصريف(٢/ ٦٧١).

(٥) النشر في القراءات لابن الجزري (١/ ٢٠٢).

١ ـ قفل تام للمجرى ثم فتح وينتج عن هذا ما يسمى بالأصوات الانفجارية أو اللحظية أو الوقفية وذلك بأن يتصل العضوان المكونان للصوت لسد المجرى ثم ينحبس الهواءخلف نقطة تلاقيهما ثم انفصال العضوين فجأة وتسريح الهواء مثل الباء والتاء، والدال والطاء[١].

٢ ـ تضييق المجرى وذلك باقتراب العضوين المكونين للصوت حتى يحتك بهما الهواء وتسمى الأصوات التي تنتج عن طريق هذا التضييق بالأصوات الاحتكاكية مثل السين، والفاء، والثاء، والحاء، والخاء[٢].

٣ ـ قفل المجرى ثم تضييقه وذلك بأن يلتقي العضوان المكونان للصوت التقاءً محكماً حتى ينحبس خلفهما الهواء ثم ينفصلان انفصالا بطيئا ويسمى الصوت الذي ينتج عن هذه الطريقة بالصوت المركب أو نصف وقفي أو بالصوت المزجي أو الصوت المزدوج مثل صوت الجيم فى العربية الفصحى و(ch) في الانجليزية و(تس) في الألمانية[٣].

٤ ـ قفل جزئي: وهو قفل جزئي للمجري في منطقة يصحبه فتح جزئي في منطقة أخرى ويشمل ذلك:

أ ـ الأصوات الجانبية مثل اللام.

ب ـ الأصوات الأنفية[٤].

---

(١) دراسة الصوت اللغوى للدكتور أحمد مختار عمر(٩٧)، مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١١٢).

(٢) دراسة الصوت اللغوى للدكتور أحمد عمر مختار(٩٨)، مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسين(١١٣).

(٣) دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر(٩٩)، المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب(٣٥)، مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١١٣).

(٤) دراسة الصوت اللغوي(١٠٠).

٥ ـ قفل متكرر مثل صوت الراء ويسمى الصوت حينئذ مكررا[١].

٦ ـ الفتح أي فتح المجرى وذلك بفتح أعضاء النطق المكونة للصوت وينتج هذا الفتح أصواتا لايسمع معها ضجيج أو احتكاك وعن طريق هذا الفتح تنتج أصوات العلة[٢].

وهذا التقسيم بالنسبة للتحكم في مجرى الهواء يكاد يكون مثل تقسيم سيبويه للحروف(الأصوات) العربية فقد قسمها عدة أقسام هي:

١ ـ الحروف الشديدة قال سيبويه: « ومن الحروف(الشديد) وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة والقاف، والكاف، والجيم، والطاء والتاء، والدال، والباء وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك»[٣].

٢ ـ الرخوة قال ـ أي سيبويه ـ :«ومنها(الرخوة) وهي: الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي،والسين والظاء، والثاء والذال والفاء، وذلك إذا قلت الطسّ وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت»[٤].

٣ ـ ما ينطبق عليه قفل المجرى الجزئي وهو حرف اللام،وحرفا النون والميم،قال سيبويه: ومنها«المنحرف»وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت،ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام،وإن شئت مددت فيها الصوت، وليس

(١)دراسة الصوت اللغوي(١٠١).

(٢) المرجع السابق(١٠٢).

(٣) الكتاب لسيبويه(٤/ ٤٣٤).

(٤) المرجع السابق(٤/ ٤٣٥).

كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لايتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مُستدقّ اللسان فويق ذلك»[1].

وقال في النون والميم: ومنها« حرف شديد» يجري معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم»[2].

٤ ـ ما ينطبق عليه القفل المكرر للمجرى هو حرف الراء قال سيبويه: «ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء» .

٥ ـ ما ينطبق عليه اصطلاح فتح المجرى بل إن سيبويه قد صرح بذلك وهي حروف العلة الثلاثة الواو والياء والألف حيث سماها بالحروف المتسعة المخرج حيث قال: « ومنها اللينة» وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك وأي والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت ومنها (الهاوي) وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشدًّ من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف.

وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف، ثم الياء، ثم الواو[3].

(١) الكتاب لسيبويه(٤/ ٤٣٥).

(٢) الرجع السابق(٤/ ٤٣٥).

(٣) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٣٦).

غير أنني ألاحظ أن سيبويه لم يذكر حالة قفل المجرى ثم تضييقه وهي التي تنتج الأصوات المزجية أو المركبة وهذا هو السبب في اختلاف اللغويين العرب في الأصوات العربية التي تنتج عن طريق قفل المجرى ثم تضييقه مثل الكاف في الكشكشة والكسكسة والجيم في بعض حالاتها.

وهكذا تكون الأصوات العربية عند سيبويه والمحدثين:

١ ـ الشديد: الانفجاري أو الوقفي أو اللحظي.

٢ ـ الرخو : الاحتكاكي.

٣ ـ المنحرفة: الجانبية.

٤ ـ الأنفية: الأنفية.

٥ ـ المكرر: التكرارية.

٦ ـ المتسعة: المتسعة وهي حروف العلة.

كما أن الناظر والمتأمل في كتاب سيبويه يمكنه أن يقسم الأصوات عند سيبويه إلى:

١ ـ الأصوات الشديدة = الانفجارية.

٢ ـ الأصوات الرخوة = الاحتكاكية.

٣ ـ الأصوات المتوسطة = السائلة أو المائعة كما يسميها علماء الغرب[١].

٤ ـ الأصوات اللينة وهي الألف والواو والياء.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب(٣٦).

وما يلاحظ في تقسيم سيبويه أنه لم يذكر الأصوات المزدوجة، أو المزجية، أو المركبة.

والفرق بين الشديد والمجهور عند سيبويه بناء على أن الاعتماد هو ضغط الهواء الآتي من الرئتين هو : أن الصوت الشديد يكون الضغط فيه بين العضوين المكونين للصوت كل منها يضغط على الآخر حتى يحكما قفل المجرى، أما المجهور فالضغط آت من الرئتين على نقطة التقاء أو تقارب العضوين المكونين للصوت.

فالضغط في المجهور بين الهواء والعضوين المكونين للصوت أو بين الهواء والمخرج بينما الضغط في الشديد يكون بين العضوين المكونين للصوت نفسيهما لكي يقفلا مجرى الهواء الآتي من الرئتين.

وقد عد سيبويه العين من الأصوات المتوسطة حيث قال: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء»[١].

لكن المحدثين من علماء الأصوات يعدون صوت العين صوتا رخوا (احتكاكيا) وذلك أنه قد اتضح بصورة الأشعة أن في نطق العين تضييقا كبيرا للحلق حيث إن جذر اللسان يقترب من الجدار الخلفي للحلق بصورة تسمح بمرورالهواء مع حدوث احتكاك»[٢].

وهناك تقسيم آخر حسب التحكم في مجرى الصوت وهو كما ذكر ابن جني حيث جعل الحروف العربية ثلاثة أقسام: شديد ورخو وما بينهما قال: « وللحروف انقسام آخر إلى الشدة والرخاوة وما بينهما،

---

(١) الكتاب لسيبويه(٤/ ٤٣٥).

(٢) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(ص١٣٠)، ودارسة الصوت اللغوي للدكتور مختار عمر(ص٢٧٢).

فالشديدة ثمانية أحرف وهي: الهمزة، والقاف والكاف والجيم، والطاء والدال، والتاء، والباء ويجمعها في اللفظ: « أجدت طَبَقك» و«أجدكَ طَبَقت».

والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضا وهي: الألف، والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو ويجمعها في اللفظ« لم يروِ عَنّا» وإن شئت قلت« لم يروِّعْنا» وإن شئت قلت: « لم يَرْعونا» وما سوى هذه الحروف والتي قبلها، هي الرخوة[1].

ويظهر من تقسيم ابن جني أنه جعل الأصوات العربية ثلاثة أقسام هي الشديدة والمتوسطة والرخوة لكن تقسيم سيبويه يمتاز عن هذا بالدقة والتجارب الحديثة تؤيد ما ذهب إليه سيبويه؛ لأن الصوت الشديد يشترط فيه ثلاثة شروط هي التقاء العضوين المكونين للصوت التقاءً محكما ثم انحباس الهواء وراء نقطة تلاقيهما ثم انفصالهما انفصالا مفاجئا وهذا ينطبق مع ما ذكره ابن جني بالنسبة للحروف الشديدة لكن الذي لايمكن عده من الحروف المتوسطة أو التي بين الشديدة والرخوة هو حروف العلة الثلاثة الألف والواو والياء؛ لأن مجرى الهواء مع هذه متسع جدا لأيجد عائقا يعوقه والمجرى مع هذه الحروف أوسع منه مع الحروف الرخوة فكيف تعد من المتوسطة التي بين الشديدة والرخوة.

ويبدو أن تقسيم ابن جني قد أخذ به الذين أتوا من بعده [2].

---

(١) سر صناعة الإعراب(١/ ٧٠).

(٢)شرح المفصل لابن يعيش(١٠/ ١٢٩)،الممتع في التصريف لابن عصفور (٢/ ٦٧٢-٦٧٣)، شرح شافية ابن الحاجب للرضي(٣/ ٢٦٠)، النشر في القراءات العشر لابن الجزري(١/ ٢٠٢).

٣ ـ الإطباق والانفتاح:

الإطباق هو ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق بحيث لايتصل به على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق وهذا المخرج هو طرف اللسان[١].

قال سيبويه: « ومنها المطبقة والمنفتحة فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لاتطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلي الحنك الأعلى، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف . . . . فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان وقد بُيِّن ذلك بحصر الصوت»[٢].

والمنفتحة هي التي ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النطق بها[٣].

٤ ـ الاستعلاء والانخفاض (الاستفال):

الاستعلاء هو أن يتصعد اللسان إلى الحنك الأعلى انطبق اللسان أم لم ينطبق والأصوات المستعلية هي حروف الإطباق الأربعة والخاء والغين والقاف فالمطبقة والمستعلية كلها يرتفع معها اللسان لكن الخاء والغين والقاف يكون الاستعلاء أقل بحيث يرتفع اللسان ولكن لاينطبق عليه الحنك الأعلى أما المطبقة فهي يرتفع معها اللسان حتى ينطبق عليها الحنك الأعلى ولكن ليس إلى درجة أن يلمس الطبق اللين، والمنخفضة هي التي

---

(١) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(ص١١٥).

(٢) الكتاب لسيبويه(٤/ ٤٣٦).

(٣) شرح الرضي لشافية ابن الحاجب(٣/ ٢٦٢).

ينخفض معها اللسان ولا يرتفع وهي كل ماعدا المستعلية[1].

٥ ـ الصحاح والعلل:

تقسم الأصوات على أساس النطق قسمين هما:

١ ـ العلل أو الصوائت أو الحركات.

٢ ـ الصحاح أو الصوامت.

وأساس التقسيم هو أن الهواء في أثناء مروره مع العلل أو الحركات لايجد في طريقه حوائل أو تضييقا أو حبسا فالصفة التي تجمع بين حروف (أصوات) العلة هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من عوائق أو حوائل أو موانع، وأصوات العلة بطبيعتها مصوتة أو رنانة أكثر من الصوامت.

أما الحروف (الأصوات) الصوامت أو الصحاح فإن الهواء في أثناء مروره فيها يتعرض للحبس والإعاقة والتضييق والاحتكاك والاعتراض[2].

قال ابن جني: « وللحروف قسمة أخرى إلى الصحة والاعتلال فجميع الحروف صحيح إلا الألف، والياء، والواو، اللواتي هن حروف المد والاستطالة»[3].

٦ ـ الذلاقة والإصمات:

وللعلماء العرب القدامى قسمة أخرى للحروف(الأصوات) العربية

(١) المرجع السابق(٣/ ٢٦٢)، الممتع في التصريف لابن عصفور(٢/ ٦٧٥)، النشر في القراءات العشر لابن الجزري(١/ ٢٠٢).

(٢) علم اللغة العام الأصوات للدكتور كمال محمد بشر(٧٣)، الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(٢٦)، دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر(١١٣).
المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب(٤٢).

(٣) سر صناعة الإعراب(١/ ٧١).

حيث جعلوها قسمين هما حروف الذلاقة وهي ر ل ن، ف ب م، وحروف الإصمات وهي بقية الحروف. قال ابن جني: « ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: اللام، والراء، والنون، والفاء والباء والميم؛ لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه ومنها الحروف المصمتة وهي باقي الحروف»[1].

وسوف نشرح كل قسم عند التعرض لحروفه فيما بعد.

٧ ـ القلقة:

القلقة: هي تحريك اللسان واضطرابه عند النطق بالحرف الساكن حتى يسمع نبرة«وهي حركة قصيرة جدا تشبه الكسرة» وحروف القلقلة هي: القاف والطاء والجيم والدال والباء ويجمعها لفظ(قطب جد) وذلك مثل الحق ـ اذهب، واخلط، واخرج، مددنا[2].

(١)سر صناعة الإعراب(١/ ٧٤).

(٢) سر صناعة الإعراب(١/ ٧٣)، النشر في القراءات العشر(١/ ٢٠٣)، التمهيد لابن الجزري(٩١) ،الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس (١٥٧).

الباب الثاني

إبدال الحروف (الأصوات)

وفيه فصول:

الفصل الأول: الحروف الحلقية.

الفصل الثاني: الحروف الطبقية والغارية.

الفصل الثالث: الحروف اللثوية والأسنانية والشفوية.

الفصل الرابع: حروف العلة والإبدال من أحد المتضاعفين.

الباب الثاني

إبدال الحروف (الأصوات)

الفصل الأول

الحروف(الأصوات) الحلقية:

الهمزة والهاء:

الهمزة والهاء حرفان(صوتان) حلقيان مخرجهما من أقصى الحلق قال سيبويه عندما كان يتحدث عن مخارج الحروف (الأصوات) العربية: «فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء»[(١)] .

فالهمزة حرف (صوت) شديد (انفجاري) مجهور منفتح يتم النطق به عندما تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما لايسمح بمرور الهواء إلى الحلق ثم تنفرج فتحة المزمار فيسمع صوت شديد (انفجاري) وهناك خلاف بين القدامى والمحدثين حول جهر الهمزة وهمسها فقد عد القدماء هذا الحرف مجهورا، أما المحدثون فمنهم من عده مهموسا؛ لأن الوترين الصوتيين لايهتزان في أثناء النطق به بل إن الوترين الصوتيين هما اللذان ينطبقان لإخراج صوت الهمزة.

ومنهم من يجعله صوتا ليس بالمهموس ولا بالمجهور[(٢)] .

وسبب خلافهم هو أن الوترين الصوتيين اللذين بنوا عليهما نظرية

---

(١) الكتاب(٤/ ٤٣٣).

(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان(٥٦).

الجهر والهمس ينطبقان عند النطق بالهمزة فهما في هذه الحالة، لايهتزان ولا يصمتان.

لكن إذا أخذنا نظرية سيبويه في الجهر والهمس وهي كما فسرناها أن يضغط الهواء الآتي من الرئتين على التقاء العضوين المكونين للصوت ضغطا قويا لأصبحت الهمزة مجهورة وهذا ما نرجحه.

أما الهاء فإنه حرف (صوت) رخو (احتكاكي) مهموس منفتح يتم النطق به بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الوترين الصوتيين[١] مع تضييق للمجرى في أثناء مرور الهواء في الحلق[٢].

ويطلق المحدثون من علماء الأصوات على صوتي الهمزة والهاء اسم الأصوات الحنجرية.

هذا وكل الدلائل تشير إلى أن الهمزة تتحول إلى الهاء وقد نسب إبدال الهمزة هاء إلى اليمن وطيء وأهل الحجاز وقد وقع أيضا في اللغتين العبرية والكنعانية وفي السبئية وهأنذا مورد أمثلة تؤيد ما أشرت إليه:

١ ـ **الضمير**: جاء في لسان العرب« ومن العرب من يقول هنا وهنت بمعنى أنا وأنت يقلبون الهمزة هاء وينشدون بيت الأعشى:

ياليت شعري هل أعودن ناشئا   مثلي زمين هنا ببرقة أنقدا[٣]

وللعرب في ضمير النصب إياك لهجتان هما إياك بكسر الهمزة وأيّاك

(١) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان(٥٩).

(٢) دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر(٢٧٢).

(٣) لسان العرب(١٥/ ٤٨٥).

بفتحها وقد جاء إبدالهما هاء في الشعر مثل قول طفيل الغنوي:

فهِيّاك والأمرَ الذي إن تَوَسَّعت   مواردُه ضاقت عليك مصادرُه[1]

وقول الشاعر:

ياخـــالِ هَلاّ قلت إذْ أعطيتني   هِيّاك هِيّـاك وحَـــنْواء العُنُق[2]

ومن شواهد إبدال الهمزة المفتوحة من إياك هاء قول الشاعر:

هَيّـاك أن تُمْنى بشـعشـعانِ   خَـبِّ الفؤاد مائِـلِ الـيدانِ[3]

وقد أورد أبو حيان في تفسير سورة الفاتحة عدة لهجات في «إياك» من قوله تعالى: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾[4] ،منها« إياك وأياك» وإبدال همزتيهما هاء[5].

٢ ـ اسم الإشارة:

للعرب في اسم الإشارة المجموع لهجتان هما لهجة المد أولاء، وتنسب إلى أهل الحجاز ولهجة القصر أولى وتنسب إلى بني تميم[6].

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرضي(٣/ ٢٢٣)،والممتع في التصريف لابن عصفور (١/ ٣٩٧)،تفسير غريب القرآن لابن قتيبة(١٢).

(٢)الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري(١/ ٢١٥)، لسان العرب مادة(حنو) ليس في كلام العرب لابن خالويه(٣٦٧).

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني(٢/ ٥٥٢).

(٤) الفاتحة(٤).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان(١/ ٢٣).

(٦)شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك(١/ ١٣٣)،أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام(٢٥).

وقد جاء إبدال الهمزة الأولى منهما هاء فقيل هُلاء أي أولاء وهولا أي أولى[١].

ويقال هؤلاء فعلوا وهاهلاء فعلوا[٢].

٣ ـ الاستفهام:

تبدل همزة الاستفهام في لهجة طيء هاء فيقولون: هزيد فعل ذلك؟ يريدون أزيد فعل ذلك؟[٣]

ونسب الخليل بن أحمد هذا الإبدال إلى لهجة أهل الحجاز فقال:

يقول أهل الحجاز «ها» بدل من ألف الاستفهام تقول ها إنك زيد؟ معناه أإنك زيد؟ أو يقصر هانك زيد؟[٤].

وجاء إبدال همزة الاستفهام هاء في الشعر أيضا قال جميل[٥]:

وأتى صواحبها فقلن: هذا الذي منح المودة غيرنا وجفانا؟[٦]

أي أذا الذي.

وإبدال الهمزة هاء من الاستفهام قد وقع في اللغة العبرية أيضا يقول الدكتور رمضان عبدالتواب: ولم يقتصر الأمر في قلب الطائيين الهمزة هاء

---

(١) شرح كافية ابن الحاجب للرضي(٢/ ٣١)، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي (١/ ٧٥).

(٢) ليس في كلام العرب لابن خالويه(٣٦٧).

(٣) اللسان(١٥/ ٤٨٣).

(٤) العين(٤/ ١٠٣).

(٥) اللسان(١٥/ ٤٥٠)، ليس في كلام العرب لابن خالويه(٣٦٦).

(٦) سر صناعة الإعراب(٢/ ٥٥٤)، شرح المفصل لابن يعيش(١٠/ ٤٢)، الممتع لابن عصفور (١/ ٤٠٠)، شرح الشافية(٣/ ٢٢٤).

على(إن)الشرطية وحدها بل حكى ذلك عنهم في همزة الاستفهام يقولون:

«هزيد فعل ذلك؟ يريدون: أزيد فعل ذلك» ومثل هذا حادث فى اللغة العبرية كذلك»[١].

٤ ـ النداء:

من أحرف النداء أيا وهيا وهما أختان للمنادى البعيد.

وقد اختلف العلماء فيهما فقال أكثرهم هما أصلان وليس أحدهما بدلا من الآخر[٢].

ويرى ابن[٣] السكيت أن الأصل في هيا أيا والهاء بدل من الهمزة على حد قولهم في إياك هياك[٤].

وممن رأى رأي ابن السكيت ابن هشام[٥] قال في« أيا» وقد تبدل همزتها هاء[٦] مستدلا بقول الشاعر الراعي النميري[٧]:

فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة(٢٣٢).

(٢) شرح المفصل لابن يعيش(٨/ ١١٨).

(٣) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن والشعر واللغة، لقى فصحاء الإعراب وأخذ عنهم، من مؤلفاته: إصلاح المنطق، كتاب القلب والإبدال، كتاب الأجناس، كتاب معاني الشعر، والنوادر، سرقات الشعراء، توفي سنة ٢٤٤هـ، ينظر بغية الوعاة (٢/ ٣٤٩)، الفهرست(١٠٨)، شذرات الذهب (٢/ ١٠٦).

(٤) شرح المفصل لابن يعيش(٨/ ١١٨).

(٥) هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى الحنبلي النحوي، من مؤلفاته: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، مات سنة٧٦١هـ.

ينظر بغية الوعاة(٢/ ٦٨)، شذرات الذهب(٦/ ١٩٢)، الأعلام(٤/ ١٤٧).

(٦) مغني اللبيب(٢٩).

(٧) شعر الراعي النميري(٢٦٨).

ومما استدل به ابن السكيت قول الشاعر:

فانصرفت وهي حصان مُغْضَبه

ورفعت بصوتها هيا أبه[1]

كل فتاة بأبيها معجبه

قال ابن السكيت: يريد أيا أبه.

وقال ابن جني مؤيداً لرأي ابن السكيت: وهذا أشبه من الأول ـ أي هيا ـ لأن «أيا» في النداء أكثر من «هيا»[2].

وقال مثل قول ابن جني ابن يعيش حيث قال حول «هيا» في نفس البيت: «ولايبعد ما قاله ـ أي ابن السكيت ـ لأن أيا أكثر استعمالا من هيا»[3].

ويبدو أن كتب الإبدال أو العلماء الذين كتبوا في إبدال الحروف قد حذوا حذوا ابن جني فيما بعد حيث يرى الباحث أنهم يرددون نظريته وهي القول بأن الأكثر استعمالا هو الأصل، فقد رأينا ما قاله ابن جني وتبعه ابن يعيش ثم ابن عصفور[4] وهو أن الأصل في أيا وهيا هو «أيا» وكان البادىء بهذا القول أي أن الأصل هو أيا هو ابن السكيت في كتابه الإبدال ولكن الذي أخذ يعلل سبب الإبدال أو الأصل هو ابن جني.

٥ ـ إنّ:

حرف توكيد ونصب[5] وقد وردت همزتها مبدلة هاء في الشعرالعربي

(١) الإبدال لابن السكيت(٨٨). (٢) سر صناعة الإعراب(٢/ ٥٥٤).

(٣) شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ١١٩).

(٤) الممتع في التصريف لابن عصفور(١/ ٣٩٨).

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي(٣٧٩).

بكثرة قال ابن جني: وقالوا لهنك قائم والأصل لأنك فأبدلوا الهاء من همزة «إن»[١]، قال الشاعر وهو غلام من بني كلاب وقيل فتى من بني نمير[٢]:

ألا ياسنا برق على قُلَل الحمى لَهِنّك من برق عليّ كريمُ

وقال المرار الفقعسي:

وأما لهنك من تذكر أهلها لعلى شفا يأس وإن ولم تيأس[٣]

يريد أما لأنك.

وقول الشاعر عروة الرحال:

ثمانين حولا لاأرى منك راحة لهنك في الدنيا الباقية العمر[٤]

وقال الشاعر:

لهنك من عبسية لوسيمة على هنوات كاذب من يقولها[٥]

٦ ـ إن الشرطية:

تبدل همزة إن الشرطية هاء في لهجة طيء فقد ورد عنهم أنهم يقولون: « هِنْ فَعَل فَعَلْت»و« هِنْ فَعَلْتَ فَعَلْتُ» يريدون إن [٦].

---

(١) سر صناعة الإعراب(٢/ ٥٥٢).
(٢) مجالس ثعلب(٩٣)، الأمالي لابي علي القالي(١/ ٢٢٥).
(٣) النوادر لأبي زيد(١٠٢).
(٤) الأمالي لأبي علي (٢/ ٣٨)، الخصائص لابن جني(١/ ٣١٥).
(٥) معاني القرآن للفراء(١/ ٤٦٦).
(٦) سر صناعة الإعراب لابن جني(٢/ ٥٥٢)، شرح المفصل لابن يعيش(٤٣/ ١٠)، شرح شافية ابن الحاجب(٣/ ٢٢٣)، الممتع في التصريف لابن عصفور(١/ ٣٩٧).

وبالنظر في اللغات السامية فإننا نجد أنها قد حصل فيها مثل هذا الإبدال حيث أبدلت همزة«إن» هاء في اللغة الآرامية، يقول المستشرق الألماني براجشتراسر حول كلام الزمخشري عن الإبدال في كتابه المفصل:

« وفي إبدال الحروف ذكر كثيرا مما هو إبدال للحروف في الحقيقة، غير أن بعضه ليس بعام في العربية، بل هو خاص بلهجة من لهجاتها نحو: «هن» بدل «إن» عند طيء، وهي تشبه **hen** الآرامية التي معناها عين معنى: «إن» العربية»[1].

وكذلك أبدلت همزتها هاء في اللغة العبرية يقول الدكتور رمضان عبد التواب: « فقد حكى ابن جني عن قطرب أن طيئا تقول: هن فعلت فعلت يريدون: إن فيبدلون» وهذا يذكرنا بما حدث في اللغة العبرية، إذ قلبت فيها همزة «إن» الشرطية هاء كذلك فيقال فيها(הֵ֫ן) (هني)=«إن»[2].

٧ ـ إي:

حرف بمعنى «نعم» يكون لتصديق خبر أو إعلام مستخبر أو وعد طالب لكنها مختصة بالقسم[3]، وقد جاء عن العرب إبدال همزتها هاء. جاء في اللسان« إي بمعنى نعم وتوصل باليمين فيقال إي والله وتبدل منها هاء فيقال هي[4] أي من الهمزة.

---

(١) التطور النحوي للغة العربية ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ص(٥٠).
(٢) بحوث ومقالات في اللغة ص(٢٣٢).
(٣) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (٢٥٢).
(٤) مادة «أيا» (١٤/ ٦١).

٨ ـ هيهات:

اسم فعل ماض بمعنى بعد[١]، وللعرب فيها لهجات عديدة منها هيهات وأيهات.

وشاهد لهجة الهاء قول الشاعر الأحوص:

تذكر أياما مضين من الصبا وهيهات هيهاتا إليك رجوعها[٢]

ودليل لهجة الهمزة قول جرير:

فأيهات أيهات العقيق ومن به وأيهات وصل بالعقيق نواصله[٣]

والعلماء العرب يذهبون إلى أن الأصل هو: هيهات قال الزمخشري[٤]:

«وقد تبدل هاؤها همزة»[٥] أي هيهات، وقال ابن يعيش: «ومن العرب من يبدل هاءه همزة فيقول أيهات»[٦].

لكن الأدلة كلها تؤيد أن الهمزة هي التي تتحول إلى هاء؛ لأن العرب تنفر منها فتلجأ إلى استبدالها وسوف أذكر ذلك عند الحكم على الهمزة والهاء بعد استقصاء الأدلة الشاهدة على إبدال الهمزة هاء.

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش(٤/ ٦٥).

(٢) المذكر والمؤنث لابن الأنباري(٦٧٣).

(٣)ديوان جرير(٣٨٥)، معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٣٥).

(٤) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري الخوارزمي المعتزلي اللغوي النحوي، من مصنفاته: الكشاف في التفسير، الفائق في غريب الحديث، المفصل في النحو، مات سنة٥٣٨هـ.

ينظر بغية الوعاة(٢/ ٢٧٩)، شذرات الذهب(٤/ ١١٨)، الأعلام(٧/ ١٧٨).

(٥) شرح المفصل(٤/ ٦٧).

(٦) المرجع السابق(٤/ ٦٧).

٩ ـ أما:

حرف تنبيه[١] مثل: أما والله لقد كان كذا وكذا، وأما أنك خارج، وقد ورد عن العرب إبدال همزتها هاء، قال أبو حيان: «الهاء أبدلت من همزة إياك . . . وعند طيء من همزة أما وإن»[٢].

١٠ ـ وزن «أفعل»:

إذا كان الفعل على وزن «أفعل» فإن الهمزة من أفعل تحذف في أمثلة مضارعه وفاعله ومفعوله، قال ابن مالك:

وحذف همز أفعل استمر فى   مضارع وبنيتي متصف[٣].

يعني بنيتي متصف اسم فاعله ومفعوله.

فيقال: أكرم، ونكرم، وتكرم، ويكرم، ومكرِم، ومكرَم والأصل هو: أأكرم، ونؤكرم، وتؤكرم، ويؤكرِم، ومؤكرِم، مؤكرم.

وقد علل النحويين سبب حذف همزة أفعل بأن الأصل فيه هو أن أفعل إذا أسندت إلى همزة المتكلم اجتمع همزتان نحو أُأَكرم، فكره العرب اجتماع الهمزتين فحذفت همزة أفعل ثم حملت بقية حروف المضارعة عليها طردا للباب على وتيرة واحدة.

قال المبرد[٤]: «وأمّا أَفعَلت فنحو أكرم يكرم وأحسن يحسن وكان

(١) شرح المفصل لابن يعيش(٨/ ١١٣).

(٢) المبدع الملخص من الممتع لأبي حيان(٥٢).

(٣) شرح الأشموني(٤/ ٣٤٣).

(٤) هو أبو العباس المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري إمام العربية في زمانه كان فصيحا بليغا مفوها ثقة إخباريا علامة، من مصنفاته: إعراب القرآن، الاشتقاق، العروض، الكامل، المقتضب، مات سنة٢٨٥هـ. ينظر بغية الوعاة(١/ ٦٩)، شذرات الذهب(٢/ ١٩٠)، الأعلام(٧/ ١٤٤).

الأصل يُؤَكرِم ويُؤَحسِن حتى يكون على مثال يدحرج؛ لأنّ همزة أكرم مزيدة بحذاء دال: دحرج وحق المضارع أن ينتظم ما في الماضي من الحروف ولكن حذفت هذه الهمزة؛ لأنها زائدة وتلحقها الهمزة التي يعني بها المتكلم نفسه فتجتمع همزتان فكرهوا ذلك فحذفوها إذ كانت زائدة وصارت حروف المضارعة تابعة للهمزة التي يعني بها المتكلم نفسه كما حذفوا الواو التي في يَعِد لوقوعها بين ياء وكسرة وصارت حروف المضارعة تابعة للياء[1].

إذن سبب حذف همزة أفعل هو: اجتماع همزتين همزة أفعل وهمزة المتكلم، والسبب الثاني هو أن همزة أفعل زائدة ثم حملت بقية حروف المضارعة على الهمزة.

وما ورد على الأصل مثل يؤكرم فقد حمل على الشذوذ أو على الضرورة الشعرية قال سيبويه: « وقد جاء في الشعر حيث اضطُرَّ الشاعر قال الراجز وهو خِطام المُجاشِعي:

وصاليات ككما يؤثفين[2]

وإنما هي من أثفيت، وقالت ليلى الأخيَلِيّة:

كراتُ غلامٍ من كساء مُؤَرنبِ [3]

ومؤرنب متخذ من جلود الأرانب.

وقال المبرد: فإن اضطر شاعر فقال يؤكرم ويؤحسن جاز ذلك[4] ثم

---

(١) المقتضب(٢/ ٩٧).

(٢) الكتاب (٤/ ٢٧٩).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٢٨٠).

(٤) المقتضب(٢/ ٩٧).

أورد البيتين السابقين.

وأورد قول الشاعر:

فإنه أهل لأن يُؤكرما[1].

لكن السبب في حذف همزة أفعل إذا دخلت عليها حروف المضارعة ليس صعوبة اجتماع همزة أفعل وهمزة المتكلم وحمل بقية حروف المضارعة عليها بل الصعوبة هي في نطق الهمزة ذاتها وإن لم تدخل عليها حروف المضارعة فقد أبدلها بعض العرب هاء كما في هراق أي أراق.

قال سيبويه: «وأما الهاء فتكون بدلاً... وقد أبدلت من الهمزة في هرقت وهَمَرْت وهَرَحْت الفرس، تريد أرحت»[2].

ولأن الهمزة تعد من أشق الأصوات نطقا وتحتاج إلى جهد عضلي قال ابن يعيش: «اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة[3].

لذلك فإن وزن أفعل المبدوء بهمزة قد سلكت العرب فيه مسالك هي:

١ ـ الحذف وهو اللغة العامة للعرب.

٢ ـ إبدال الهمزة من أفعل هاء ثم إدخال حروف المضارعة عليها.

---

(١) المقتضب (٢/٩٨).

(٢) الكتاب (٤/٢٣٨).

(٣) شرح المفصل (٩/١٠٧).

٣ ـ إبدال همزة أفعل هاء وإسقاط هذه الهاء عند إدخال حروف المضارعة عليها.

وهذا تفصيلها:

الأصل في «أفعل» أن يكون مضارعها«يؤفعل» وقد مرت بعدة مراحل هي:

١ ـ إبدال الهمزة هاء وليس حذفها فيكون مضارعها على وزن يُهَفعل واسم الفاعل مُهَفعِل واسم المفعول مهفعَل وأمثلة ذلك هي:

جاء في القاموس المحيط «هراق الماء يهريقه بفتح الهاء هراقه بالكسر وأصله أراقه يريقه إراقة وأصل أراق أريق وأصل يريق يريق وأصل يريق يؤريق وقالوا أهريقه ولم يقولوا أأريقه لاستثقال الهمزتين وزنة يهريق بفتح الهاء يهفعل ومهراق بالتحريك مهفعل»[1].

ومما جاء فى مادة «روق» من اللسان« وأراق الماء يريقه وهراقه يهريقه بدل وأراق الرجل ماء ظهره وهراقه على البدل ورجل مريق وماءمراق ورجل مهريق وماء مهراق على هرقت والإراقة ماء الرجل والهراقة على البدل».

وهذه الظاهرة منتشرة في الشعر العربي وخاصة الجاهلي منه مثل قول النابغة الذبياني:

فلا لَعمرُ الذي مَسّحْت كعبتَه   وما هُريقَ على الأنصابِ من جسدِ[2]

(١) القاموس المحيط مادة (هرق).

(٢) اللسان مادة «هرق »، ديوان النابغة(٣٥).

وقول أوس بن حجر:

نُبِّئْتُ أَنّ دماً حراماً نِلْتُه ... فَهُرِيقَ في ثوبٍ عليكَ[1] مُحَبَّرِ

وقول الخنساء:

هَريقي من دموعكِ أَوْ أَفيقي ... وصبراً إِنْ أَطَقْتِ ولن تُطيقي[2]

وقول امرئ القيس:

وإن شفائي عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معـول[3]

وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة بهذه اللهجة وهذا دليل على أن النبي ﷺ وصحبه الكرام كانوا يتكلمون بهذه اللهجة وأنها تمثل طورا من أطوار العربية.

من هذه الأحاديث قوله ﷺ عندما بال الأعرابي في المسجد «**دعوه وهريقوا على بوله سَجْلا من ماء**»[4].

وقوله ﷺ عندما اشتد وجعه: «**هريقوا على من سبع قرب لم تخلل أو كيتهن لعلي أعهد إلى الناس**»[5].

وما صح عنه ﷺ أنه قال لما رأى الصحابة رضوان الله عليهم يوقدون النار على الحمر الأنسية في غزوة خيبر: «**هريقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله أو نهريقها ونغسلها قال أو ذاك**»[6].

---

(١) اللسان مادة« هرق»، ديوان أوس بن حجر(٤٧).

(٢) ديوان الخنساء(١٠٣).

(٣) شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي(٢٨).

(٤) صحيح البخاري(١/ ٥٢).

(٥) المرجع السابق (١/ ٤٩).

(٦) المرجع السابق (٣/ ٤٩).

ونسب الهمداني[1] هذه اللهجة أي إبدال همزة أفعل هاء وإدخال حروف المضارعة عليها إلى حمير فقال: « وأما يُهَنعم فإنه ينعم إلا أنهم يفخمون بالهاء ويبالغون فيما ظهر من الأشياء واستعظم فيقولون يهنعم ويهنفق المال ويهوثر البنا ويهصدق العدو الحملة وكذلك تقول العرب»[2].

ثم أورد بيت امرئ القيس وإن شفائي....

ولعل وصفه لهم بأنهم يفخمون بالهاء يدل على أنه لم يعرف سر هذه الهاء وأنها بدل من همزة أفعل وأن هؤلاء القوم أقرب إلى الأصل وهو يؤفعل من أولئك الذين يحذفون الهمزة فيكون على وزن يفعل وهم عامة العرب.

وإبدال الهمزة هاء ليس مقصورا على الفعل في لغة حمير بل وجد حتى في الأسماء فقد أورد الهمداني أمثلة تدل على وجود هذا الإبدال فقال عندما كان يتحدث عن شخص اسمه هامن: «ومعنى هامن آمن إلا أن حمير قد تبدل الهاء مكان الهمزة وقد يفعل ذاك العرب، قال ذو الرمة:

غشية فر الحارثون فأمنوا وغودر منهم ملتقى الجيد هوبر[3]

يريد أوبر الحارثي.

وقال في تفسير كلمة« هشوع» اسم شخص: والأصل أشوع إلا أن

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني، كان عالما بالشعر واللغة والغريب والأيام والأنساب والسير، شاعرا مكثرا، من مؤلفاته: صفة جزيرة العرب، الحيوان، القوس، الإكليل، مات سنة ٣٤٤هـ، ينظر الأعلام(١٧٩)، بغية الوعاة(١/ ٤٩٨).

(٢) الإكليل(٢/ ٨٢).

(٣) الإكليل للهمداني (٢/ ١٤٤).

حمير تبدل الهاء من الهمزة»[١].

وقال حول كلمة «هعّان» اسم شخص: تعاقبت الهمزة والهاء في هذا الاسم فيقال هَعّان وأعّان»[٢].

٢ ـ إبدال همزة أفعل «هاء» وحذف هذه الهاء عند دخول حروف المضارعة عليها.

وإذا نظرنا إلى تاريخ الهمزة في «أفعل» فإننا نجدها مبدلة هاء في اللغتين العبرية والسبئية حيث إن وزن أَفْعل فيهما هو «هَفْعل» وفي العربية والحبشية والآرامية هو «أفعل»[٣].

وهذا يدل على أن اللغات التي ورد فيها أفعل قد تمسكت بالأصل وأما التي ورد فيها «هفعل» فقد حصل فيها تطور حيث أبدلت الهمزة هاء.

غير أن مسلك اللغات في هذا التطور قد أخذ طرقا مختلفة.

فاللغات التي ورد فيها وزن «أفعل» قد سلكت طريقا واحدا وهو حذف الهمزة من أفعل إذا دخلت عليها حروف المضارعة مثل« أُكرم» أصلها.. «أُأَكرم» فتحذف همزة أفعل وهذا ما سلكته العربية ماعدا ما ورد في بعض الشواهد نحو« فإنه أهل لأن يؤكرما».

فهذا وأمثاله يدل على الأصل وعلى أقدم صورة لهذا الوزن مما بيّن

---

(١) الإكليل للهمداني (٢/ ٢٤).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٣١١).

(٣) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٢٣٣ـ٢٣٤)، علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (٢٠٩).

أن بعض الظواهر التي تعد شاذة في اللغة العربية هي في الحقيقة ظواهر قديمة دالة على احتفاظها بالأصل.

واللغات التي ورد فيها وزن« هفعل» قد سلكت مسلكين هما:

المسلك الأول: وقد سلكته العبرية وهو إسقاط الهاء من وزن(هفعل) إذا دخلت عليه حروف المضارعة مثل«yakṭil يقتل» لأن أصلهاyhaktil كما قيل فى« يكرم» وأصلها« يؤكرم»(١).

والمسلك الثاني: وقد سلكته السبئية وهو إدخال حروف المضارعة على وزن« هفْعل» دون حذف أو تغيير لهاء« هفعل»مثل أكرم يقال فيها هكرم، وفي مضارعها يُهكرم وفي اسم الفاعل مُهكِرم واسم المفعول مُهكرمَ وقد شاركتها في هذا بعض لهجات اللغة العربية كما تقدم في«هراق» ونحوه ووردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة، كما سبق، وكذلك ما أورده الهمداني حول لغة حمير.

وقد دلت نقوش اللغة السبئية على هذا، مما يميز اللغة السبئية عن غيرها من لغات الجزيرة العربية أو من اللغات السامية هو استعمال الهاء بدلا من الهمزة في كثير من الصيغ.

فقد جاء في«النقوش»هقني هعن هوفي «أي أقني وأعان وأوفي»(٢).

ومثل «هوعد هرضى هطع أي أوعد وأرضى وأطاع(٣) هذا في الفعل الماضي وحاء الفعل المضارع يُهفعِل مثل يهنعم»(٤).

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور: رمضان عبد التواب(٢٣٤).

(٢) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام أحمد حسين شرف الدين (٣٤).

(٣) المرجع السابق(٩٤).

(٤) المرجع السابق (٩٦).

وجاء اسم المفعول في النقوش مهفعل مثل: مُهَنكَر أي منكر[1].

ومما ورد على هذه اللغة ما جاء في الممتع لابن عصفور عندما تحدث عن الهاء حيث قال: وأبدلت أيضا من الهمزة في«أثرت التراب»و«أرحت الماشية»و «أرقت الماء» وأردت الشيء وفيما تصرف منها، فقالوا: «هثرت» و «هرحت»و «هرقت»و «هردت»و « أهثير» و« أهريح»و «أهريق» و«أهريد» و «مهثير»و«مهريح» و«مهريق»و «مهريد»[2].

وكل هذه الأمثلة جاءت بصيغة الماضي والمضارع على اللغتين العربية والسبئية فيقال في أمثال ذلك إن العربية أخذت هذا عن السبئية أو أن بعض لهجات العربية قد أصابها ما أصاب السبئية عندما تطورت عن السامية الأولى وبقيت معظم صيغ العربية محتفظة بالأصل وكلا الأمرين محتمل وإن كنت أميل إلى القول بأن ما ورد في العربية مماثلا للسبئية هو تطور حصل في العربية كما حصل للسبئية عندما أخذت تبتعد عن اللغة السامية الأم.

وقد ورد في لسان العرب نسبة هذه اللهجة إلى أهل اليمن جاء في مادة«ريق»راق الماء يريق ريقا انصب،حكاه الكسائي وأراق هو إراقة وهراقة على البدل عن اللحياني، وقال هي: لغة يمانية ثم فشت في مصر والمستقبل أهريق والمصدر الإراقة والهراقة وقال مرة أريقت عينه وهريقت».

١١ ـ الأفعال الثلاثية:

إن المتتبع للمعاجم العربية يجد أفعالا ثلاثية مبدوءة بالهمزة والهاء

(١)اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام أحمد حسين شرف الدين: (٩٧).

(٢) الممتع في التصريف لابن عصفور(١/ ٣٩٩).

وبمعنى واحد مما يجعل الباحث يحكم على أن بعضها أصل لبعض وبعضها فرع عن بعض من ذلك ما ورد في مادة «ألب» و«هلب» من اللسان ريح ألوب بادرة تسفي التراب، وألبت السماء تألب وهي ألوب: دام مطرها، والهلابة الريح الباردة مع قطر، والهلاب ريح باردة مع مطر، وهلبتهم السماء تهلبهم هلبا بلتهم.

وفي مادة« أبش من اللسان: الأبش الجمع، وقد أبشه وأبش لأهله يأبش أبشا: كسب، ورجل أباش متكسب، ويقال تأبش القوم وتهبشوا إذا تجيشوا وتجمعوا.

وفى«هبش» منه: الهَبْش الجمع والكسب يقال: يهْبِش لعياله ويُهَبّش هبشا ويتهبش وهو هباش، ورجل هباش متكسب، وهبش الشيء يهبشه هبشا جمعه وتأبش القوم وتهبشوا إذا تجيشوا وتجمعوا.

وفي مادة(ب ص ل) من الجمهرة ويقال بلأص في وزن بلعص إذا سعى من فزع وفي باب الباء والصاد في الرباعي الصحيح وبلأص الرجل وبلهص إذا عدا من فزع.

وفي مادة «أ ش» من الصحاح: الأشاش مثل الهشاش، وهو النشاط والارتياح وفي « هش» منه: والهشاشة والارتياح والخفة للمعروف.

وفي « أ ض» من مقاييس اللغة: والأض أيضا الكسر يقال أضه مثل هضه سواء.

١٢ ـ إبدال الأسماء:

وإبدال الهمزة هاء ليس مقصورا على الأفعال ومشتقاتها بل موجود في الأسماء أيضا وهأنذا مورد جملة من الأسماء التي وقع فيها إبدال

الهمزة هاء.

من ذلك ما جاء في مادة (هسد) من اللسان «ويقال للأسد هسد وينشد»:

فلا تعيا معاوي عن جوابي ودع عنك التعزز للهساد

وفي «هبر» منه« والهوبر والأوبر الكثير الوبر من الإبل وغيرها».

وجاء في الإبدال لابن السكيت: يقال للصبا هير وهَيْر وإير وأَيْر[1].

ويقال للرجل الحسن القامة إنه لمُتَمئِل ومُتْمَهِلّ[2].

وفي مادة« أجر» من اللسان: ويقال لأم إسماعيل هاجر وآجر عليهما السلام.

وبعد هذا العرض حول ما قيل في إبدال الهمزة هاء فإنني أرى أن كل كلمتين متفقتين في عدد الحروف وترتيبها بحيث لايختلفان إلا في حرف واحد منها بأن يكون في إحداهما هاء وفي الأخرى همزة أن الأصلية منهما ما احتوت على الهمزة وأن الفرعية ما احتوت على الهاء وذلك لما يلي:

١ ـ إن جميع النصوص التي نصت على الإبدال بين الهمزة والهاء ترجح أن الهمزة هي الأصل.

٢ ـ كثرة النصوص الدالة على إبدال الهمزة هاء.

٣ـ إن إبدال الهمزة هاء قد وقع في أخوات العربية كالعبرية والسبئية.

---

(١) الإبدال لابن السكيت(٨٨).

(٢) المرجع السابق(٨٩).

٤ ـ الهمزة صوت حنجري مجهور شديد يحتاج إلى جهد عضلي في أثناء النطق به والهاء صوت حنجري مهموس رخو لايحتاج في أثناء نطقه إلى الجهد العضلي الذي يبذل عند النطق بالهمزة لذلك فإن العرب تحول الهمزة إلى هاء لأنهم يستخفون الهاء ويستثقلون الهمزة.

جاء في كتاب العين «ويقال الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق فإذا رُفِّه عن الهمز صار نفسا تحول إلى مخرج الهاء ولذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة»[١]، وقال: «والهاء حرف هش لين قد يجيء خلفاً من الألف التي تبنى للقطع»[٢].

٥ ـ الهاء من مخرج الهمزة لذلك فهي تتحول إلى أقرب الحروف إليها مخرجا، ومعنى هذا: التحول من الجهر إلى الهمس على رأي القدماء ومن الشدة إلى الرخاوة وهذا ما يعنيه المحدثون بنظرية السهولة واليسر وهو أن تميل اللغة في تطورها نحو السهولة واليسر فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة وتستبدل بها أصواتا أخرى لاتتطلب مجهودا عضليا كبيرا.

وممن نادى بهذه النظرية العالم «هويتني» **whiteney** الذي يرى أن كل ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق[٣].

ومثل هذه النظرية قد قال بها العرب وإن لم يبينوها كما ذهب إليها

---

(١) العين للخليل بن أحمد(٣/ ٣٤٩).

(٢) المرجع السابق(٤/ ١٠٢).

(٣)انظر التطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص(٤٧)، وانظر الأصوات اللغويةللدكتور إبراهيم أنيس(٢٣٤).

الغربيون من ذلك ما ذكره ابن يعيش حول الهمزة كما تقدم في ص(١٢٦).

٦ - إنني أنظر إلى الحرفين اللذين وقع فيهما الإبدال وهما الهمزة والهاء ولا أكتفي بذكر بعض المواد التي وقع فيها الإبدال بل الحكم يكون على الهمزة أو على الهاء وقد ذكرت ذلك في الكلام عن آراء العلماء في الإبدال وبالنظر إلى هذين الحرفين من هذا الوجه فقد تبين أن الهمزة هي التي تتحول إلى هاء وذلك أن العرب قد سلكت عدة مسالك للتخلص من الهمزة يمكن أن أحصرها في هذه النقاط:

(١) حذف الهمزة مثل همزة أفعل وذلك يشترك فيه اللغة العربية وبعض أخواتها مثل الآرامية والحبشية.

(٢) استبدال الهمزة هاء مثل ما فعله الكنعانيون والسبئيون وبعض القبائل العربية مثل طيء وبعض الحجازيين.

(٣) إبدالها عينا كما سيأتي عندما نتحدث عن التبادل بين الهمزة والعين وهذا يفعله التميميون وبعض القبائل العربية الأخرى.

(٤) تخفيف الهمزة وهذا يكون عند عامة أهل الحجاز، قال الفراء[1] حول قوله تعالى: ﴿ **تأكل منسأته**﴾[2] «همزها عاصم والأعمش..... ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن ولعلهم أرادوا لغة قريش فإنهم

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء وسمي بهذا الاسم لأنه كان يفري الكلام أعلم الكوفيين بالنحو، من مؤلفاته: كتاب اللغات، كتاب النوادر، كتاب الحدود في العربية، مات سنة٢٠٧هـ بطريق مكة.
ينظر الفهرست(٩٨)، تاريخ العلماء النحويين(١٨٧)، بغية الوعاة (٢/ ٣٣٣).

(٢) سورة سبأ(١٤).

يتركون الهمز[1].

ومثل ذلك ماجاء في مادة نبر من اللسان« والنبر همز الحرف ولم تكن قريش تهمز في كلامها، ولما حج المهديُّ قَدّم الكسائي[2] يصلي بالمدينة فهمز فأنكر أهلُ المدينة عليه وقالوا: تَنْبِر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن».

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٥٦).

(٢) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان وسمي الكسائي بهذا الاسم لأنه كان يحضر مجلس معاذ الهرا والناس عليهم الحلل وعليه كساء ورداء وقيل لأنه أحرم في كساء، إمام الكوفيين في النحو واللغة وأحد القراء السبعة من مصنفاته معاني القرآن، مختصر النحو، كتاب النوادر الكبير والأصغر والأوسط، توفي بالري سنة١٩٧هـ.
ينظر: تاريخ العلماء النحويين(١٩٠)،بغية الوعاة(٢/ ١٦٣)، الفهرست(٩٨).

أثر إبدال الهمزة هاء في بنية العربية

إن كثيرًا من الأفعال والأسماء المبدوءة بهاء ويعدها العلماء من الرباعية هي في الحقيقة ثلاثية مزيدة بهمزة ولكن هذه الهمزة قد أبدلت هاء فظن العلماء أن هذه الهاء من أصل بناء الكلمة فعدوها رباعية.

وسأبين آراء العلماء في مازاد على الثلاثي ثم أورده أمثلة تدل على ما ذهبت إليه.

آراء العلماء في الرباعي والخماسي:

للعلماء في الرباعي والخماسي مذاهب هي:

١ ـ مذهب يقول إن الرباعي والخماسي صنفان غير الثلاثي وينسب لسيبويه وجمهور النحاة.

٢ ـ المذهب الثاني يقول: إن الرباعي والخماسي أصلهما الثلاثي وينسب للفراء والكسائي، واختلف الكسائي والفراء في الحرف الزائد في الرباعي فقال الكسائي هو الحرف الذي قبل آخره، وقال الفراء هو الحرف الأخير، أما الخماسي فالزائد فيه الحرفان الأخيران.

قال رضي الدين الإستراباذي: «أقول اعلم أن مذهب سيبويه وجمهور النحاة أن الرباعي والخماسي صنفان غير الثلاثي»، وقال الفراء والكسائي: بل أصلهما الثلاثي.

قال الفراء: الزائد في الرباعي حرفه الأخير وفي الخماسي الحرفان الأخيران»، وقال الكسائي: «الزائد في الرباعى الحرف الذي قبل آخره»[1].

(١) شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الإستراباذي (١/ ٤٧)، وشرح المفصل لابن يعيش (٦/ ١٤٣).

وقد نسب الأنباري[1] المذهب القائل بزيادة الرباعي والخماسي إلى الكوفيين قال في كتابه الإنصاف في المسألة الرابعة عشرة بعد المائة تحت عنوان: « هل في كل رباعي وخماسي من الأسماء زيادة؟ ذهب الكوفيون إلى أن كل اسم زادت حروفه على ثلاثة أحرف ففيه زيادة فإن كان على أربعة أحرف نحو جعفر ففيه زيادة حرف واحد واختلفوا فذهب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي إلى أن الزائد فيما كان على أربعة أحرف الحرف الذي قبل آخره، وذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء إلى أن الزائد فيما كان على أربعة أحرف هو الحرف الأخير وإن كان خمسة أحرف ـ نحو« سفرجل» ففيه زيادة حرفين وذهب البصريون إلى أن بنات الأربعة والخمسة ضربان غير بنات الثلاثة وأنهما من نحو جعفر وسفرجل لا زائد فيهما البتة»[2].

ولكن الكوفيين القائلين بالزيادة في الرباعي والخماسي لم يبينوا سبب حدوث هذه الزيادة وإنما اكتفوا بالقول بها.

٣ ـ مذهب ابن فارس: لابن فارس مذهب فيما زاد على ثلاثة أحرف حيث جعله ثلاثة أنواع هي:

أ ـ المنحوت من كلمتين قال في« باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء: اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في

(١) هو: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري النحوي كان إماما ثقة صدوقا فقيها ممن يشار إليه في النحو، من مصنفاته: ميزان العربية، حلية العربية، الزهرة في اللغة، البلغة في أساليب اللغة، المقبوض في العروض، شرح الموجز في القوافي، اللمعة في صناعة الشعر. مات سنة ٥٧٧هـ. ينظر بغية الوعاة(٢/ ٨٦)، الأعلام (٣/ ٣٢٧)، شذرات الذهب (٤/ ٢٥٨).

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري(٢/ ٧٩٣).

القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منها جميعا بحظ، والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل إذا قال حي على ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم عبشمي وقوله:
وتضحك مني شيخه عبشمية[1].

ب ـ ما كان أصله من الثلاثي ثم زيد فيه حرف لمعنى المبالغة ويكون هذا الحرف في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها قال في باب الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف وأولها باء: «باب من الرباعي آخر، ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه ولكنهم يزيدون فيه حرفا لمعنى يريدونه من مبالغة كما يفعلون ذلك في رزقم وخبلن لكن هذه الزيادة تقع أولا وغير أول»[2].

وقال عندما ذكر الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف وأولها حاء:

ومنه الحلقوم، وليس ذلك منحوتا ولكنه مما زيدت فيه الميم، والأصل الحلق. . . . . والحَلْقمة قطع الحلقوم»[3].

ومثل للزيادة في أول الكلمة بقوله: « ومن ذلك (البحظلة) قالوا: إن يقفز الرجل قفزان اليربوع فالباء زائدة، قال الخليل: الحاظل الذي يمشي في شقة يقال مر بنا يحظل ظالعا»[4].

ومثل للزيادة وسط الكلمة بقوله: «ومن ذلك (البِرْشاع) الذي لا فؤاد

(١) مقاييس اللغة(١/ ٣٢٨).

(٢) المرجع السابق(١/ ٣٣٢).

(٣) المرجع السابق(٢/ ١٤٢).

(٤) المرجع السابق(١/ ٣٣٢).

له فالراء زائدة وإنما هو من الباء والشين والعين»[1].

ومثل للزيادة في آخر الكلمة بقوله: «ومما فيه حرف زائدة (البَرْزَخ) الحائل بين الشيئين كأن بينهما براَزاً أي متسعا من الأرض ثم صار كل حائل برزخا فالخاء زائدة»[2].

جـ - الذي وضع وضعا قال ابن فارس في باب الكلمات الزائدة على ثلاثة وأولها الباء: «الباب الثالث من الرباعي الذي وضع وضعا» وذكر أمثلة على ذلك منها: البهصلة: المرأة القصيرة، وحمار بُهْصُل قصير، والبُخْنقُ: البرقع القصير وقال الفراء البخنق خرقة تلبسها المرأة تقي بها الخمارَ الدهنَ»[3].

وقد ذكر الأنواع الثلاثة مجتمعة عندما تحدث عن الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف مبدوءة بحرف الجيم قال: باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله جيم وذلك على أضرب فمنه ما نحت من كلمتين صحيحتي المعنى مطردتي القياس ومنه ما أصله كلمة واحدة وقد ألحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله ومنه ما وضع وضعا وسنفسر ذلك إن شاء الله تعالى[4].

وفسر المنحوت بقوله: « فمن المنحوت قولهم للباقي من أصل السَّعَفة إذا قُطعَت (جُذْمور) . . . . وذلك من كلمتين إحداهما الجذم وهو الأصل والأخرى الجِذْر وهو الأصل وهذه الكلمة من أدلّ الدليل على صحة

---

(١)مقاييس اللغة(١/ ٣٣٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٣٣).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٣٥).

(٤) المرجع السابق(١/ ٥٠٥).

مذهبنا في هذا الباب وبالله التوفيق»[1].

وفسر ما أصله كلمة واحدة ثم أُلحق بالرباعي بقوله: «ومن ذلك قولهم للخفيف (جَحْشَل) فهذا مما زيدت فيه اللام وإنما هو من الجَحْش، والجحش خفيف»[2].

وفسر الموضوع وضعا بقوله: «ومما وضع وضعا ولم أعرف له اشتقاقا: (المُجْلَنْظي) الذي يستلقي على ظهره ويرفع رجليه، و(المجلَعِبّ) المضطجع وسيل مُجْلَعِبّ: كثير القَمْش، و(المجلَخِدّ) المستلقي»[3].

٢ ـ لكن ابن فارس يجعل هذه الأقسام أو الأنواع الثلاثة قسمين في مواضع أخرى من كتابه بل قد يكون هذا التقسيم هو الأكثر وذلك بأن يجعل ما زاد على الثلاثي قسمين:

القسم الأول: المنحوت ويشمل ما يكون منحوتا من كلمتين وما يكون فيه زيادة بحرف أو حرفين وهذا القسم هو الأكثر.

والقسم الثاني:هوالموضوع وضعا.

قال في باب الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف مما أوله باء بعد أن ذكر تعريفه للمنحوت: «فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول أن ذلك على ضربين:

أحدهما المنحوت الذي ذكرناه، والضرب الآخر الموضوع وضعا لا مجال له في طرق القياس وسنبين ذلك بعون الله.

فمما جاء منحوتا من كلام العرب في الرباعي أوله باء(البلعوم)

---

(١) مقاييس اللغة(١/ ٥٠٦).

(٢) المرجع السابق (١/ ٥١٠).

(٣) المرجع السابق (١/ ٥١٢).

مجرى الطعام في الحلق وقد يحذف فيقال بُلْعُم، وغير مشكل أن هذا مأخوذ من بَلع، إلا أنه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه وهذا وما أشبهه توطئة لما بعده.

ومن ذلك (بحتر) وهو القصير المجتمع الخلق، فهذا منحوت من كلمتين من الباء والتاء والراء، وهو من بترته فَبُتِر، كأنه حُرِم الطولَ فبتر خَلْقه، والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء، هو من حَتَرْت وأحْتَرت، وذلك أن لا تُفْضِل على أَحد، يقال أحتر على نفسه وعياله: «أي ضيق عليهم فقد صار هذا المعنى في القصير لأنه لم يعط ما أعطيه الطويل»[(١)].

فقد جمع بين المزيد نحو بلعوم والمنحوت نحو بحتر تحت اسم المنحوت ثم أخذ يسرد عددا من الكلمات المنحوتة والمزيدة حتى وصل إلى الموضوع وضعا فأفرد له بابا.

وقال في باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف مما هو مبدوء بحرف الحاء: «وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب أن الرباعي وما زاد يكون منحوتا وموضوعا كذا وضعا من غير نحت».

فمن المنحوت من هذا الباب (الحرقوف): الدابة المهزولة فهذا من حرف وحقف، أما الحرف فالضامر من كل شيء وأما حقف فمنه المحقوقف وهو المنحني، وذلك أنه إذا هُزِل احدودب كما يقال في الناقة إذا كانت تلك حالها حدباءُ حدبار[(٢)].

ومنه (الحلقوم) وليس ذلك منحوتا ولكنه مما زيدت فيه الميم

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٢٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٤٣).

والأصل الحلق وقد مر والحلقمة: قطع الحلقوم»[1].

والعجيب أن ابن فارس قد نفى النحت عن كلمة «الحلقوم» مع أنه قد أدرجها تحت اسم النحت وذكر عددا كبيرا من الكلمات المزيدة المماثلة لها ولم ينف عنها النحت وإنما اكتفى بأن ذكر أنها مزيدة وبين محل الزيادة ومثل هذا ما فعله مع كلمة «البلعوم» حيث أثبت أنها مزيدة، وأنها من«بلع»،وأنها واضحة غير مشكلة ومع ذلك جعلها منحوتة وجعل الكلمات المشابهة لها مزيدة وعقد لهذه الكلمات بابا سماه (باب آخر من الرباعي) ولعله أراد من عمله هذا أن يبين أن هذه الكلمات وإن عدها تحت النحت فإنها مزيدة وإنما أراد أن يقسم ما زاد على الثلاثي إلى قسمين: ما وضع وضعا، وما يكون له تعليل.

ثم أخذ يسرد عددا من الكلمات المنحوتة والمزيدة حتى وصل إلى القسم الثاني وهو الموضوع وضعا فقال: «وهذا ما أمكن استخراج قياسه من هذا الباب أما الذي هو عندنا موضوع وضعا فقد يجوز أن يكون له قياس خفي علينا موضعه والله أعلم بذلك»[2].

ثم أورد أمثلة على الموضوع منها قوله:«فمن ذلك(الحنْديرة والحُنْدورة) الحدقة، والحَرْقَفة: عظم الحَجَبة وهو رأس الورك»[3].

ومما يؤيد أنه يطلق اسم المنحوت على المزيد بحرف وعلى المنحوت من كلمتين قوله تحت عنوان « باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله صاد»: «وأما المنحوت فقولهم (الصّعْنَب) الصغير الرأس

---

(١)مقاييس اللغة (٢/ ١٤٣).

(٢)المرجع السابق(٢/ ١٤٦).

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٤٦).

فهذا مما زيدت فيه الباء وأصله الصاد والعين والنون وقد قلناه في الصَّعْوَنَ ومضى تفسيره»[1].

ومن الباب: «(اصمقر) اللبن إذا اشتدت حموضته وهذا منحوت من كلمتين من صقر ومقر، أما مقر فهو الحامض، ومن ذلك يقال سمك ممقور وأما صقر فمن الخثورة ولذا سُمي الدبس صقرا»[2].

ثم أخذ يسرد الكلمات المزيدة والمنحوتة من كلمتين تحت اسم النحت حتى وصل إلى الموضوع وضعا فقال: «فأما الذي وضع وضعا وهو عندي غير منقاس فالصنبور النخلة تبقى منفردة ويدق أسفلها»[3].

٣ ـ ويطلق ابن فارس على الأنواع الثلاثة المنحوت والمزيد على الثلاثي والموضوع وضعا قسمة أخرى يجعلها قسمين أيضا: هما المشتق ويشمل المزيد بحرف والمنحوت، والموضوع وضعا، قال في باب ما جاء من كلام العرب عى أكثر من ثلاثة أحرف أوله دال: «وسبيل هذا ما مضى ذكره فبعضه مشتق ظاهر الاشتقاق وبعضه منحوت بادي النحت وبعضه موضوع وضعا على عادة العرب في مثله فمن المشتق المنحوت (الدلّمِص) و(الدُّمِلَص): البراق فالميم زائدة وهو من الشيء الدَّليص، وهو البراق وقد مضى»[4].

وكان المتوقع من ابن فارس أن يمثل للمشتق على حدة وللمنحوت على حدة وللموضوع على حدة لأن كلامه يتوقع منه أن يمثل لكل هذه

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٤٩).
(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٥٠).
(٣) المرجع السابق (٣/ ٣٥٣).
(٤) المرجع السابق (٢/ ٣٣٧).

الأقسام التي ذكرها بمثال ولكنه جعل المشتق والمنحوت شيئا واحدا ومثل له بـ(بدلمص)وهو المزيد بالميم ولكنه قد اعتاد مثل هذا فقد مثل للمنحوت عندما جعل ما زاد على الثلاثي قسمين هما المنحوت والموضوع بـ«بلعوم» مع أنه ذكر أنها من بلع وذلك ليبين أن المنحوت في ذلك القسم يشمل «المنحوت من كلمتين والمزيد بحرف أو حرفين ثم كرر هذا الشيء عند كلمة(حلقوم)عندما جعل ما زاد على الثلاثي قسمين هما المنحوت والموضوع وذلك ليبين أن المنحوت يشمل ما كان من كلمتين وما كان مزيدا على الثلاثي بحرف أو حرفين،وهنا مثل للمشتق والمنحوت «بدلمص» وبين أنها منحوتة لأن الدلالة على اشتقاقها واضحة وهي أن الزيادة عنده دليل على الاشتقاق ولكن ليبين أن المشتق يشمل المزيد بحرف والمنحوت.

ثم ذكر تحت اسم المشتق المزيد بحرف فقال: «ومن ذلك الدفنس» وهو الرجل الدنيء الأحمق، وكذلك المرأة الدفنس والفاء فيه زائدة وإنما الأصل الدال والسين والنون»[1].

ثم ذكر المنحوت بقوله: « ومن ذلك «الدلهمس»وهو الأسد،وهي عندنا منحوته من كلمتين: من دالس وهمس،فدالس أتى في الظلام، وهمس كأنه غمس نفسه فيه وفي كل مايريد»[2].

ثم أخذ يسرد عددا من الكلمات التي تشمل على المزيد والمنحوت وكلها تحت اسم المشتق حتى وصل إلى الكلمات الموضوعة وضعا فذكر منها «دنقش الرجل دنقشة» إذا نظر وكسرعينه و«الدهثم من الرجال

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٣٧).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٣٨).

السهل اللين»[١].

وقد بين هذه القسمة أي جعل ما زاد على الثلاثي قسمين هما المشتق ويشمل المنحوت والمزيد بحرف، والموضوع وضعا عندما ذكر الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف المبدوءة بزاي فقال: «باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله زاي وسبيل هذا سبيل ما مضى فمنه المشتق البين الاشتقاق ومنه مع وضع وضعا».

فمن المشتق الظاهر اشتقاقه قولهم (الزرقم) أجمع أهل اللغة أن أصله من الزرق وأن الميم زائدة[٢].

فقد جعل كلمة زرقم من المشتق هنا وقد ذكرها فيما تقدم تحت اسم «ما كان أصله من الثلاثي ثم زيد حرف»[٣].

وذكر المنحوت تحت اسم المشتق فقال: «ومن ذلك(الزهلوق) وهو الخفيف وهو منحوت من زلق وزهق وذلك إذا تهاوى سفلاه»[٤].

ثم أخذ يسرد عددا من الكلمات المزيدة والمنحوتة تحت اسم الاشتقاق وقال عن الموضوع: «ومما وضع وضعا(الزنترة): ضيق الشيء، والزعفقة: سوء الخلق»[٥].

٤ ـ ولابن فارس قسمة رابعة حيث يجعل المنحوت من كلمتين والمزيد بحرف باسم ماله قياس ويجعل الموضوع ليس له قياس بمعنى أنه

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٤١).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٥٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٣٢).

(٤)المرجع السابق (٣/ ٥٣).

(٥) المرجع السابق (٣/ ٥٤).

يجعل الأنواع الثلاثة: المنحوت والمزيد والموضوع تحت اسمين هما الذي له قياس ويشمل المنحوت والمزيد، والذي ليس له قياس وهو ما سماه بالموضوع وضعا.

قال عنما تحدث عن الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف وأولها الباء: «فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول إن ذلك على ضربين أحدهما المنحوت الذي ذكرناه، والضرب الآخر الموضوع وضعا لا مجال له في طرق القياس»[1].

وقال في «باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله ضاد» بعد أن ذكر المنحوت من كلمتين والمزيد بحرف: «ومما وضع وضعا ولا أظن له قياسا (الضمعج) وهو الضخمة من النوق»[2].

وقال في: « باب ماجاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله جيم » بعد ما انتهى من المنحوت والمزيد: فهذا ما جاء على المقاييس الصحيحة ومما وضع ولم أعرف له اشتقاقا (المجلنظي)[3].

وقال في باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله الحاء بعد الانتهاء من ذكر المزيد والمنحوت: وهذا ما أمكن استخراج قياسه من هذا الباب، أما الذي هو عندنا موضوع وضعا فقد يجوز أن يكون له قياس خفي علينا موضعه[4].

وقال في «باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٢٩).
(٢) المرجع السابق (٣/ ٤٠٢).
(٣) المرجع السابق (١/ ٥١٢).
(٤) المرجع السابق (٢/ ١٤٦).

أوله قاف»: ومنه ماله أدنى قياس ومنه ما وضع وضعا[1].

لذلك فإن مازاد على الثلاثي عند ابن فارس له عدة تقسيمات هي:

١ـ يطلق عليها أحيانا أسماء: المزيد، المنحوت، الموضوع فتكون ثلاثة أنواع.

٢ـ ويجعلها حينا قسمين هما:

أ ـ المنحوت ويشمل ما نحت من كلمتين والمزيد.

ب ـ الموضوع.

٣ـ وأحينا ينظر إليها من حيث القياس فتكون:

أ ـ المقيس أو ماله قياس ويشمل المنحوت والمزيد.

ب ـ الموضوع أو الذي ليس له قياس.

٤ـ وقد ينظر إليها من حيث الاشتقاق فيكون المشتق ما يشمل المزيد والمنحوت وغير المشتق وهو ما وضع وضعا ويلاحظ أن النحت والزيادة عند ابن فارس معظمها تكون في الرباعي بينما معظم الخماسي يكون موضوعا وضعا».

وقد بين ابن فارس أن سبب حدوث النحت هو الاختصار قال في «باب النحت»: العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار وذلك نحو رجل «عبشمي» منسوب إلى (اسمين)[2].

(١) مقاييس اللغة (١١٦/٥).

(٢) الصحابي (٤٦١).

٤ ـ مذهب المحدثين:

يرى المحدثون أن الكلمات ذات الحروف الكثيرة أصل للكلمات ذات الحروف القليلة وذلك أنهم بمقارنتهم للنصوص التاريخية وجدوا أن اتجاه بنية الكلمات ينحو نحو الاختصار والاختزال ولكن هذه النظرية تقوم على أساس مقارنة اللغات «الهندية ـ الأوروبية» القديمة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية بنظائرها في اللغات الأوروبية الحديثة.

وملاحظتهم للغات الأمم البدائية إذ إن معظم كلماتها متعددة المقاطع وهذه اللغات في نظرهم تمثل مرحلة قديمة من مراحل التطور اللغوي في العالم وملاحظتهم أن اللغات الأوروبية تميل نحو تقصير المقاطع واستدلوا بأن الأطفال عند محاولتهم للنطق بالكلمات الطويلة البنية يقنعون عادة بالمقاطع الأخيرة من الكلمة لأنها آخر ما يسمعون ولأنها أيسر في تذكرها وأن الكبار يميلون إلى اختصار أواخر الكلمات الطويلة مكتفين بالمقاطع الأولى مما نشأ عن ذلك مجموعة من الكلمات القصيرة[(١)].

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس تجاه الكلمات العربية الطويلة البنية مذهب الأوروبيين ويعني هذا أن الكلمات الطويلة أصل للكلمات القصرة إذ يقول: «وأغلب الظن أن ما نسميه بالنحت ليس إلا مظهرا من مظاهر الاختزال في مقاطع الكلام أي أنه يؤيد ما يدعو إليه المحدثون من اللغويين فمعظم تلك الأوزان مثل ابذعر، اجلوذ، احرنجم، اذلعب قد اندثرت أو كادت وليس من المقبول أن نفترض أن مثل هذه الكلمات كانت قصيرة البنية وأن زيادة لحقتها فأصبحت على الصورة التي وردت لنا فمع استحالة البرهنة على مثل هذا الغرض لجهلنا العام بتاريخ هذه

(١) انظر: من أسرار اللغة (٩٢).

الكلمات، لانكاد نجد من بينها مايشترك في دلالته مع كلمة صغيرة البنية إلا بنسبة قليلة جدا»[1].

ثم ضرب مثلا للكلمة الطويلة البنية (بجعموس) وللقصيرة البنية (بجعس) وجعل الأولى أصلا للثانية.

ولكني ألاحظ أن ما ساقه الغربيون من أن اللغات القديمة طويلة البنية والحديثة قصيرة البنية يتناقض مع اللغات القديمة ذات المقاطع القصيرة مثل اللغة السومرية واللغة المصرية القديمة بل مع بعض ألفاظ اللغة العربية.

ثم إن المقارنة التي أجراها المحدثون بين اللغات الأوروبية وبين اللغات الحديثة في الأمم التي يسمونها البدائية ولم يجر هذا على اللغة العربية أو إحدى أخواتها ثم إن ما أورده الغربيون ثم تبعهم فيه الدكتور إبراهيم أنيس لايمكن أن يكون على فرض صحته إلا في ما زاد على الثلاثي بحرف أو حرفين ولاينطبق على مقالة ابن فارس حول المنحوت من كلمتين.

وأن القوانين الصوتية تدل على تكبير الكلمة وتضخمها كما هو في فك المتضاعفين أو الإبدال من أحد المتضاعفين وسوف أبينه عند الحديث عن ذلك وليس كما ذهب ابن فارس من أخذه من كلمتين.

ثم إن الدكتور إبراهيم أنيس ذكر عدم معرفته لتاريخ بعض الكلمات التى قد تعد من المنحوت كما ذهب إلى ذلك ابن فارس ولعل عدم معرفته بذلك هو الذي جعله يحمل تراكيب اللغة العربية على تراكيب اللغات الأوروبية.

والكلمات التي ذكرها لها أصول ثلاثية وإنما كثّرت حروفها نتيجة لفك الإدغام أو الإبدال من حروف الحلق، والآن فإنني سأبين الكلمات

---

(١) من أسرار اللغة (٩٤).

التى تبدأ بهاء مبدلة من همزة وقد عدها العلماء رباعية أو خماسية وهى في الحقيقة ثلاثية مزيدة بهمزة وليست رباعية أو خماسية من ذلك ما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس «الهزبر» الأسد زيدت فيه الهاء من زبر .

لكن ابن فارس لم يبين أو لم يعلم أن هذه الهاء هي بدل من همزة «أفعل» (١) .

وجاء في مادة «هزبر»من اللسان الهزبر: من أسماء الأسد، والهزنبر والهزنبران الحديد السيئ الخلق، رجل هزنبر وهزنبران أي حديد وثاب وناقة هزبرة صلبة»ومن مقارنة هذه المادة الرباعية بمادة (زبر الثلاثية) يتضح العلاقة بين هاتين المادتين وأن هذه من مادة زبر مع زيادة الهمزة في أولها على حد(أفعل)ثم إبدال هذه الهمزة هاء كما في اللغة السبئية والعبرية فقد جاء في مادة«زبر» من اللسان: الزبرة: الشعر المجتمع للفحل والأسد وغيرهما، وقيل: زبرة الأسد موضع الكاهل على الكتفين. ورجل أزبر عظيم الزبرة زبرة الكاهل والأنثى زبراء ، ومنه زبرة الأسد وأسد أزبر ومزبراني ضخم الزبرة .

وفي مادة«هزلج»: الهزلج الظليم السريع وقد هزلج هزلجة، والهزلاج السريع، وذئب هزلاج سريع خفيف، والهزالج السراع من الذئاب» فهذه المادة من أزلج بعد إبدال همزة أفعل هاء، وقد لاحظ ابن فارس زيادة الهاء عندما تكلم عن هذه المادة بقوله: «ومنه الهزلاج الذئب الخفيف وزيدت فيه الهاء، من زلج كما يزلج السهم»(٢) ،غير أنه لم يفطن إلى أن هذه الزيادة أو الهاء بدل من همزة .

وبمقارنة هذه المادة بمادة زلج يتضح معناها أكثر، جاء في اللسان

(١) مقاييس اللغة: (٦/ ٧٢) .

(٢) المرجع السابق: (٦/ ٧٢) .

«زلج» : «الزلج السرعة في المشي وغيره وناقة زلجى وزلوج سريعة في السير، والزليجة الناقة السريعة والزلج سرعة ذهاب الشيء ومضيه ، ومر يزلج زلجا وزليجا إذا خف على الأرض » .

وعد ابن فارس « الهبرقي » من الكلمات المنحوتة من كلمتين حيث قال في « باب ماجاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله هاء» ومنه : « الهبرقي» الحداد أو الصانع، وهي منحوتة من هبر وبرق كأنه يهبر الحديد، أي يقطعه ويصلحه حتى يبرق » [1].

لكن معرفتنا لإبدال الهمزة هاء تظهر فساد رأي ابن فارس في النحت وأن هذه الكلمة ثلاثية من برق وزيدت عليها همزة أفعل فأصبحت «أبرق»ثم أُبدلت هذه الهمزة هاء بل لقد جاءت صريحة في مادة (هبرق) من اللسان : «الهبرقي والهبرقي الصائغ ويقال للحداد وقيل هو كل من عالج صنعة بالنار، الهبرقي الذي يصفي الحديد وأصله أبرقي فأبدلت الهاء من الهمزة، الهبرقي الثور الوحشي وهو الأبرقي لبريق لونه».

فالعلاقة بين الهبرقي و«برق» واضحة جدا ولكن ما العلاقة التي تربط بينه وبين « هبر » التي تدل على اللحم .

والحقيقة أن ما يعده ابن فارس منحوتا من كلمتين أو أكثر ليس منحوتا وإنما أصله إحدى هذه الكلمات التي عدهن وجعله منحوتا منهن أو كلمات أخرى وأن ما يعده منحوتا إنما أصله الثلاثي ولكنه أصبح رباعيا أو خماسيا إما بالإبدال من الهمزة كمثل هبرقي أو بإبدال أحد المتضاعفين وسوف نتعرض لذلك عند الكلام عن الإبدال من أحد المتضاعفين .

---

(١) مقاييس اللغة : (٦/ ٧١) .

وقد عد ابن فارس(الهمرجة) منحوتة من ثلاث كلمات حيث قال: ومنه (الهمرجة): الاختلاط وهو من ثلاث كلمات: همج، وهرج، ومرج وقد فسرت كلها . وهمرجت عليه الخبر همرجة مثل خلطته [1].

لكن المتأمل يجد أن الهمرجة من كلمة « مرج » بعد زيادة همزة فتكون على وزن « أفعل » وبإبدال هذه الهمزة هاء تصبح « هفعل» فتكون « همرجة » (هفعلة)وبالنظر في معاني « همرج » و «مرج» يتضح أن الأولى من الثانية فقد جاء في مادة « همرج » من اللسان «الهمرجة الالتباس والاختلاط وقد همرج عليه الخبر همرجة خلط عليه، وقالوا الغول همرجة من الجن ، والهمرجة الخفة والسرعة ووقع القوم في همرجة أي اختلاط والهمرج الاختلاط والفتنة ، والهمرجة الاختلاط في المشي » .

وفي مادة « مرج » المرج بالتحريك مصدر قولك مرج الخاتم في إصبعي مرجا أي قلق، ومرج السهم كذلك ، وسهم مريج أي قلق ومرج الأمر مرجا فهو مارج ومريج أي التبس واختلط وفي التنزيل﴿ **فهم في أمر مريج** ﴾ [2]والمرج الفتنة المشكلة ، والمرج الفساد .

ثم إن الكلمتين اللتين عدهما ابن فارس من ضمن الكلمات التي نحتت منها همرجة وهما همج وهرج لا تدلان مباشرة على كلمة «همرج» وما الداعي للعرب أن تجمع ثلاث كلمات ثم تنحت منهن كلمة واحدة، لأنهم إن أرادوا تقصير الكلمة عمدوا إلى حذف بعض حروفها كما في قطعة طيء وإذا تضايقوا من المتضاعفين أبدلوا أحدهما فيكون فيه

---

(١) مقاييس اللغة :(٦/ ٧١) .

(٢) ق: (٥) .

تكثير لبنية الكلمة .

وعد ابن فارس « هدلق » من المنحوت من كلمتين حيث قال : «ومنه الهدلق» المسترخي وهي منحوتة من هدل أي استرخى واسترسل ، ودلق إذا خرج من المكان الذي كان به [1].

لكن بمقارنة هدلق بمادة دلق اتضح أن هذه « هدلق » من « أدلق» فقد جاء في مادة«هدلق»من اللسان: بعير هدلق وهدليق واسع الأشداق وجمعه هدالق ، والهدلق الخطيب، والهدالق الطوال ، والهدلق المنخل والهدلق الناقة الطويلة المشفر .

وفي مادة دلق منه : الاندلاق التقدم والدلق خروج الشيء من مخرجه سريعا، ودلق السيف من غمده دلقا ودلوقا، واندلق كلاهما استرخى وخرج سريعا من غير استلال، وسيف دالق ودلوق إذا كان سلس الخروج من غمده يخرج من غير سل، واندلق بطنه استرخى وخرج متقدما، وطعنه فاندلقت أقتاب بطنه : خرجت أمعاؤه .

فقد اتضح من هذه المقارنة أن هدلق = أدلق التي من دلق .

وجاء في لسان العرب في مادة : هنبغ : الهنبغ العجاج الذي يطفو من رقته وقيل الهنبغ من العجاج الذي يجيء ويذهب ، والهنبوغ شبه الطرثوث يؤكل والهنبوغ طائر .

وجاء في مادة: « نبغ »: نبغ الدقيق من خصاص المنحل ينبغ خرج، وتقول أنبغته فنبغ، ونبغ الوعاء بالدقيق إذا كان دقيقا فتطاير من خصاص مارق منه، وتنبغت بنات الأوبر إذا يبست فخرج منها مثل الدقيق .

---

(١) مقاييس اللغة (٦/ ٧١) .

فيتضح من هذه المقارنة أن هنبغ هي أنبغ بعد إبدال الهمزة هاء .

وفي «هرجب» من لسان العرب: الهرجاب من الإبل الطويلة الضخمة والهراجيب من الإبل الضخام، وقيل الهرجاب التي امتدت مع الأرض طولا ونخلة هرجاب كذلك .

وفي مادة «رجب» ونخلة رُجَبِيّة ورُجّبية بني تحتها رُجبة والرجبة أن تُعْمَد النخلة الكريمة إذا خيف عليها أن تقع لطولها وكثرة حملها ببناء حجارة ترجب به أي تعمد به، والرجبة أن تعمد النخلة بخشبة ذات شعبتين، والأرجاب الأمعاء واحدها رَجَب ورِجْب .

فقد دلت هاتان المادتان على معنى واحد وهو الطول والضخامة فتكون هرجب هي أرجب مع إبدال الهمزة هاء .

وقد جعل ابن فارس هرجاب من هرج وحكم بزيادة الباء حيث قال: «ومنه الهرجاب الطويل والباء زائدة من هرج» [(١)].

ولكنني أرجح أن الزيادة هي الهاء وهي مبدلة من همزة «أرجب»؛ لأن الهمزة كثيرا ما يبدلها العرب ويتخذون مكانها الهاء فتكون هذه الكلمه من«رجب» ولدلالة معاني رجب وهرجب «لوجود الطول والضخامة في كل منهما».

ومن معاني الهطلع التي جاءت في اللسان: «الهطلع الجسيم المضطرب الطول، والهطلع: الطويل الجسم» .

وقد حكم ابن فارس بزيادة الهاء حيث قال : (ومنه الهطلع: الرجل الطويل ، زيدت فيه الهاء ، من طلع » [(٢)].

(١ ، ٢) مقاييس اللغة (٦/ ٧٢) .

ولكن هذه الهاء بدل من همزة أفعل فيكون «هطلع» على وزن «هفعل» ولم يشر ابن فارس إلى ذلك بل اكتفى بالقول بزيادتها .

وفي مادة « هملع » من لسان العرب جاءت هذه المعاني: رجل هملع متخطرف خفيف الوطء يوقع وطأه توقيعا شديدا من خفة وطئه، وقيل هو الخفيف السريع من كل شيء ورجل هملع وهو من السرعة، والهملع والسملع الذئب الخفيف، وربما سُمي الذئب هملعا، والهملع الجمل السريع، وكذلك الناقة ، والهملع السير السريع .

وبالنظر في مادة «ملع» فإننا نجد «الملع الذهاب في الأرض وقيل الطلب وقيل السرعة والخفة وقيل شدة السير، وقيل هو السير السريع الخفيف، والملع: سرعة سير الناقة، وقد ملعت وانملعت، وجمل ملوع وميلع: سريع ، والأنثى ملوع وميلع ، والميلع الناقة الخفيفة السريعة وما أسرع ملعها وهو سرعتها».

فقد تبين من المقارنة بين المادتين(هملع) و«ملع» العلاقة الدلالية والصوتية التي تربط بينهما مما يدل على أن هلمع أصلها «ملع» فهذه الهاء بدل من همزة «أفعل» ومما يزيد وضوحا أن: «الهملع والسملع» يطلق على الذئب، ومن مقارنة اللغات العربية والسبئية والمعينية ظهر أن الهمزة في العربية تقابل الهاء في السبئية والسين في المعينية فيكون اسم الذئب في السبئية هو الهملع، وفي المعينية السملع ومقابل ذلك يكون اسمه في العربية «أملع».

وقد عد ابن فارس «هملع» مما وضع وضعا ولم يعلم له قياسا حيث قال: «ومما وضع وضعا ولم نعلم له قياسا «الهملع» الذي توقع خطاه

توقيعا شديدا[1]

ومعرفتنا لإبدال الهمزة هاء أوضحت أن هذا مشتق أو مأخوذ من «ملع».

وفي مادة هرثم من اللسان: «الهرثمة مقدم الأنف وهي أيضا الوترة التي بين منخري الكلب وهرثمة من أسماء الأسد».

وفى «رثم» منه: «الرثم والرثمة بياض في طرف أنف الفرس، وقيل: هو في جحفلة الفرس العليا، وقيل: هو كل بياض قل أو كثر إذا أصاب الجحفلة العليا إلى أن يبلغ المرسن وقيل هو البياض في الأنف، وقد رثم رثما فهو رثم والأنثى رثماء، ونعجة رثماء: سوداء الأرنبة وسائرها أبيض، ورثمت المرأة أنفها بالطيب لطخته وطلته، والمرثم الأنف في بعض اللغات».

وقال ابن فارس «وهرثمة» الأسد أنفه وخطمه وشعره[2].

غير أنه جعل «هرثمة» من الأسماء التي وضعت وضعا ولم يجد لها قياسا، ومن المقارنة بين هاتين المادتين«رثم» و «هرثم» يتبين أن «رثم» أصل «هرثم» التي هاؤها مبدلة من همزة «أرثم».

وجاء فى مادة هبرد من اللسان «ثريدة هبْردانة: باردة، تقول العرب: ثريدة هبردانة مبردانة مُصَعنبة مُسَوّاة»، وفي مادة برد: وإبْرِدة الثرى والمطر بردهما، والإبرِدة بَرْد في الجوف.

وجاء في مادة: «هرشف» الهِرْشَفة قطعة خِرْقة يحمل بها الماء أو

(١) مقاييس اللغة (٦/ ٧٣).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٧٣).

قطعة كساء أو نحوه ينشف بها ماء المطر ثم تعصر في الجف وذلك من قلة الماء، ويقال لصوفة الدواة إذا يبست هِرشَفَّة وقد هَرْشَفَت واهْرَشَّفَت، والهِرْشَفّ الكثير الشرب، والتَّهرْشُف التحسي قليلا قليلا» فأصلها «أرشف» أبدلت الهمزة هاء.

ومما جاء في مادة هنبث من اللسان: الهنابث الدواهي واحداتها هنبثة وقيل الهنابث الأمور والأخبار المختلطة: يقال وقعت بين الناس هنابث وهي أمور وهنات.

والهنبثة الاختلاط في القول.

وبمقارنتها بمادة نبث فقد ورد فيها «وفلان ينبث عن عيوب الناس أي يظهرها وخبيث نبيث ينبث شره أي يستخرجه».

وقد صرح الزمخشري بأن الهاء من هنبث زائدة، وأنها من نبث حيث قال: الهنبثة إثارة الفتنة وهي من النبث والهاء زائدة، ويقال للأمور الشدائد هنابث.(١)

فقد لاحظ زيادة الهاء لكنه لم يعرف أنها بدل من أنبث على وزن أفعل أي «هفعل».

وفي مادة «هنبر» من اللسان وفي حديث كعب في صفة الجنة قال: «فيها هنابير مسك يبعث الله تعالى عليها ريحا تسمى المثيرة فتثير ذلك المسك على وجوههم»، وقالوا الهنابير رمال مشرفة واحدتها هنبورة وقيل في قوله هنابير مسك، وقيل أراد: أنابير جمع إنبار قلبت الهمزة هاء، وهي كثبان مشرفة، أخذ من انتبار الشيء وهو ارتفاعه والأنبار من الطعام

---

(١) الفائق (١/ ٦٦).

مأخوذ منه.

وقال الزمخشري في هذا الحديث: جمع هنبورة وهي الرملة المشرفة أو أراد أنابير جمع أنبار فأبدل من الهمزة هاء.[1]

وفي مادة «هركل» من اللسان» والهَرْكَلة والهُركِلة والهِركَولة والهِركّلة الحسنة الجسم والخَلْق والمشية، والهَرْكَلة ضرب من المشي فيه اختيال وبطء وامرأة هِركَولة ذات فخذين وجسم وعجز، والهِركَولة من النساء العظيمة الوركين، وجمل هُراكِل جسيم ضخم ورجل هراكل كذلك.

والهركولة: الجارية الضخمة المرتجة الأرداف، والهَراكلة من ماء البحر حيث تكثر فيه الأمواج، والهراكلة كلاب الماء، قال الشاعر:

ولاتزال وُرّش تأتينا مُهَرْكِلات ومُهَرْكِلينا»

فكل معاني هركل تدل على أنها مشتقة من ركل التي تدل على الاضطراب والحركة بل إن قول الشاعر: مهركلات ومهركلين تدل على أن هذا اسم فاعل كما هو في اللغة السبئية التي يجيء وزن الفاعل منها إذا كان الفعل على وزن «أفعل» «مهفعل» وبمقارنة هذه المادة «بركل» فقد ورد فيها: الركل ضربك الفرس برجلك ليعدو، والركل الضرب برجل واحدة، ركله يركله ركلا وقيل هو الركض بالرجل والمركل الرجل من الراكب، والمركل من الدابة حيث تضربها برجلك، والتركل كما يحفر الحافر بالمسحاة إذا تركل عليها، وتركل الحافر برجله على المسحاة تورك عليها.

وأورد ابن جني مايؤيد أن «هركل» على وزن «هفعل» ونسب ذلك

---

(١) الفائق(٤/ ١١٦).

إلى أبي الحسن والخليل فقال: «ذهب الخليل فيما حكى عنه أبو الحسن[1] إلى أن «هركولة» «هفعولة» وأن الهاء زائدة لأنها التي تركُل في مشيتها»[2] والذي ألاحظه أن العلماء الذين قالوا بزيادة الهاء في هركولة وأمثالها لم يبينوا أن هذه الهاء بدل من همزة أفعل بل إنهم قد لاحظوا وزن «هفعل» غير أنهم لم يربطوا بينه وبين «أفعل» ولعل ذلك جاء من عدم مقارنتهم للغات السامية وخاصة تلك التي يعرفون عنها شيئا مثل الحبشية والحميرية والعبرانية والسريانية، وتكرر عبارات زيادة الهاء في أول الكلمات العربية ويصرح العلماء بزيادتها لكنهم لم يلحظوا أن هذه الهاء بدل من الهمزة.

وفي مادة «هلقم» من اللسان: الهِلْقامة والهِلقّامة الأكول، والهِلْقام الطويل، وقيل: الضخم الطويل، والهِلْقِم والهِلْقَام الواسع الشدقين من الإبل خاصة وربما استعمل لغيرها، وبحر هِلْقم كأنه يلتهم ما طرح فيه، وهَلْقَمَ الشيءَ ابتلعه، والهِلْقَم المبتلع ورجل هُلقم كثير الأكل، وهِلْقام وهِلقامة كذلك، والهلقام الأسد، وهلقام اسم رجل.

فهذه المادة تدل معنى وبنية على أنها مشتقة من لقم فهي «ألقم» من «لقم» مع إبدال همزة ألقم هاء ومقارنتها بمادة «لقم» تزيدها معنى ووضوحا فقد جاء في مادة «لقم» اللَّقْم: سرعة الأكل والمبادرة إليه لَقِمه لَقْما والتقمه وألقمه إياه، ولَقِمت اللُّقمة ألقمها لَقْما إذا أخذتها بفيك،

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع بن دارم، من مشهوري البصريين ومن أحذق أصحاب سيبويه، وكان أسن من سيبويه وهو أول من أملى غريب كل بيت تحته، من مصنفاته: الأوساط في النحو، والمقاييس في النحو، ومعاني القرآن، والعروض، والقوافي، والأصوات. توفي سنة ٢١٥هـ.

ينظر: أخبار النحويين البصريين (٦٦)، تاريخ العلماء النحويين (٨٥)، بغية الوعاة (١/ ٥٩٠)، شذرات الذهب (٢/ ٣٦).

(٢) سر صناعة الإعراب (٢/ ٥٦٩).

وألقمت غيري لقمة فلقمها، والتقمت اللقمة التقمها التقاماً إذا ابتلعها في مهلة، ولَقّمتها غيري تلقيما،وفي المثل سبَّه فكأنما ألقم فاه حَجَرا، واللَّقْم بالتسكين مصدر قولك لقَم الطريقَ وغير الطريق بالفتح يلقمه بالضم لقما سد فمه ولقم الطريق وغير الطريق يلقمه لقما سد فمه،واللقم محرك معظم الطريق».

وبمعرفتنا لهلقم وأنها من ألقم مع إبدال همزتها هاء يمكننا الرد على ابن فارس الذي جعل مادة هلقم منحوتة من كلمتين حيث قال: ومنه الهلقام: الضخم الواسع البطن وهو من هقم من البحر الهيقم الواسع، ولقم من لقم الشيء(١).

وقد لاحظ ابن فارس أن «الهلقام» فيه معنى لقم، ولكنه قد سيطرت عليه نظريته القائلة بالنحت من كلمتين وكثيرا ما يذكر المعنى الأصلي للكلمة الرباعية وهو أحد الكلمتين جعلها منحوتة منهما مما يدل على أن إحداهما هي أصل للكلمة الرباعية مع إبدال أحد حروف الزوائد أو الإبدال من أحد المتضاعفين، وسيتضح ذلك عندما أتناول الإبدال من أحد المتضاعفين.

ومما يزيد أن هلقم من ألقم مع إبدال همزتها هاء ما ذكره ابن جني حول قول الشاعر:

باتت بليل ساهرٍ وقد سهِد هُلَقِم يأكل أطرافَ النُّجُد

حيث قال:«وزنه «هُفَعِل» لأنه من اللَّقْم».(٢)

غير أن ابن جني لم يذكر أن هذه الهاء بدل من همزة أفعل ومثل هذا

(١) مقاييس اللغة(٦/ ٧١).

(٢) سر صناعة الإعراب (٢/ ٥٧٠).

يتكرر دائما في كتب اللغة والنحو والمعاجم إذا لاحظوا مثل هذه الظاهرة فيذكرون أن الهاء زائدة ويذكرون الكلمة التي اشتقت منها تلك التي فيها الهاء ثم لا يذكرون أن هذه الهاء بدل من الهمزة، وقال ابن عصفور في هذا البيت: ينبغي أن تكون الهاء فيه زائدة لأنه من اللقم.[1]

وفي مادة «هبلع» من اللسان: الهِبْلع الأكَول، والهبلع الكلب السلوقي،وهبلع اسم كلب، وقيل هو اسم كلب من الكلاب السلوقية وقيل إن هاء هبلع زائدة.

وقد جعل ابن فارس الهبلع منحوتة من كلمتين حيث قال: «ومن ذلك الرجل الهبلع: الأكول وهذه منحوتة من كلمتين: هلع وبلع، فالهلع الحرص،والبلع: بلع المأكول».[2]

ولكن معاني هبلع تدل على الأكل والابتلاع مما يرجح أنها من «هبلع» أي أبلع مع إبدال الهمزة هاء وهذا الذي تؤيده القوانين الصوتية ويؤيده معرفة اللغات السامية ومقارنتها وفي مادة «هلع» بعد عن معنى الأكل وقد لاحظ ابن فارس معنى الأكل حيث جعل إحدى الكلمتين اللتين نحتت منهما «هبلع» هي «بلع» وإنما حمله على «هلع» نظريته في النحت.

وجاء في مادة «هجرع» منه: الهِجْرَع من وصف الكلاب السلوقية الخفاف والهِجْرَع الطويل الممشوق ويقال للطويل هِجْرَع وهَجْرَع، ورجل هِجْرع بكسر الهاء وهَجْرع بفتحها طويل أعرج، والهِجْرع الأحمق من الرجال والهِجْرَع الطويل والأحمق والجبان.

---

(١) الممتع في التصريف (١/ ٢٢٠).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٧١).

والهاء في هجرع وهبلع السابقة هما مبدلتان من همزتي أفعل أي أن أصل هبلع وهجرع « أفعل» ثم أصبحتا «هفعل» وقد ذهب هذا المذهب أبو الحسن.

قال ابن جني: «وذهب أبو الحسن إلى أن الهاء فى « هِجْرع» و«هِبْلَع» زائدتان لأنهما عنده من « الجَرَع» والبَلْع» وذلك أن «الهجرع» هو الطويل و«الجَرَع» المكان السهل المنقاد و« الهبلع» الأكول فهذا من البلع فمثالهما على هذا «هِفْعَل»[1].

ولكن ما ألاحظه هو أن العلماء القائلين بزيادة الهاء لم يذكروا أنها مبدلة من الهمزة وقد جعل ابن فارس مادة« هجرع» من المنحوت من كلمتين حيث قال: «ومنه(الهجرع الخفيف الأحمق من هرع وهجع)»، والهرع :المتسرع، والهجع: الأحمق[2].

ولكني أرجح أن الأصل هو أن هذه المادة مأخوذة من «جرع» و«أجرع» مع إبدال الهمزة هاء لورود ذلك في اللغة العربية ولهجاتها وفي الأحاديث النبوية الشريفة ولما ذهب إليه أبو الحسن.

وقد جزم ابن عصفور بزيادة الهاء في هبلع حيث قال: «والصحيح أن الهاء في هبلع زائدة لوضوح اشتقاقه من البلع»[3].

لكنه لم يفطن إلى أن هذه الهاء بدل من همزة«أفعل» وهذا الأسلوب يتكرر دائما لدى العلماء القائلين بالزيادة في نحو هبلع.

---

(١) سر صناعة الإعراب(٢/ ٥٦٩).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٧٢).

(٣) الممتع في التصريف (١/ ٢١٩).

الهمزة والعين

الهمزة والعين حرفان(صوتان) حلقيان وقد مر الحديث عن الهمزة ومخرجها وصفاتها ص(١١٥) وقد ذكرنا في موضعه أنها تخرج من أقصى الحلق.

أما العين فإنها تخرج من وسط الحلق وهي تلي الهمزة من حيث المخرج قال سيبويه مبينا مخرجها: «ومن أوسط الحلق مخرج العين..»[١].

وكان سيبويه يعد حرف (صوت) العين من الحروف المتوسطة غير أن التجارب الصوتية الحديثة أثبتت أن هذا الحرف(الصوت) رخو (احتكاكي) لأن الهواء الخارج من الرئتين يحتك بلسان المزمار والجدار الخلفي للحلق عند نقطة تقاربهما»[٢]، وقد تقدم ذلك عند الحديث عن صفات الحروف ص(١٠٧).

وعلى هذا فالعين حرف(صوت) مجهور رخو (احتكاكي) منفتح يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار ونتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى ليكاد يتصل بالحائط الخلفي للحلق وفي الوقت نفسه يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي ويهتز الوتران الصوتيان.[٣]

وقد أثبتت النصوص النثرية والشعرية، والقوانين الصوتية إبدال الهمزة عينا، فمن الأدلة النثرية والشعرية ماجاء في كتاب العين «من ترك عنعنة تميم ..... فهم الفصحاء، أما تميم فإنهم يجعلون بدل الهمزة

---

(١) الكتاب(٤/ ٤٣٣).

(٢) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١٣٠).

(٣) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب(٥٥).

العين قال شاعرهم:

إن الفؤاد على الذلفاء قد كمدا وحبها موشك عن يصدع الكبدا»[١]

وفي مادة خبع من العين «الخبع»: الخبء في لغة بني تميم يجعلون بدل الهمزة عينا.

وقال ابن فارس في«باب القول في أفصح العرب» عندما كان يتحدث عن فصاحة قريش: «ألا ترى أنك لاتجد في كلامهم عنعنة تميم ...».[٢]

وقال في باب «اللغات المذمومة» أما العنعنة التي تكثر في بني تميم فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا يقولون: سمعت عن فلانا قال كذا يريدون (أن).[٣]

وجاء في مادة «ع ن ع ن» من الجمهرة «العنعنة حكاية كلامهم نحو قولهم عنعنة تميم لأنهم يجعلون الهمزة عينا».

وأورد الثعالبي[٤] تحت عنوان «فصل في حكاية العوارض التي تعرض لألسنة العرب»«العنعنة تعرض في لغة بني تميم وهي إبدالهم العين من الهمزة كقولهم ظننت عنك ذاهب، أي أنك ذاهب».[٥]

ومن الشواهد الشعرية الدالة على إثبات إبدال الهمزة عينا قول ذى

---

(١) (١/ ١٠٤).

(٢) الصحابي(٣٤).

(٣) الصحابي(٣٥).

(٤) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، كان فراء يخيط جلود الثعالب ونسب إلى صنعته فقيل الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب من مصنفاته: يتيمة الدهر، وفقه اللغة، وسر البلاغة، وسر الأدب. توفي سنة ٤٣٠هـ.
ينظر: شذرات الذهب(٣/ ٢٤٦)، العبر(٢/ ٢٦٣)، الأعلام(٤/ ١٦٣).

(٥) فقه اللغة (٧٣).

الرمة[1]:

أعن ترسمت من خرفاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وهذا البيت قد استشهد به على عنعنة تميم كثير من العلماء ولا يكاد يخلو منه كتاب تعرض لعنعنة تميم أو إبدال الهمزة عينا.[2]

وجاء في مجالس ثعلب[3] عند الحديث عن فصاحة قريش:

«ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم و.... فأما عنعنة تميم فإن تميما تقول في موضع أَنّ عَنّ تقول: عَنّ عبد الله قائم».[3]

ومثله ما ورد في مادة (عنن) من اللسان: قال الفراء: «لغة قريش ومن جاورهم أن، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أَنّ إذا كانت مفتوحة عينا يقولون: أشهد عَنّك رسول الله فإذا كسروا رجعوا إلى الألف».

وأورد الزمخشري نحو هذا وتبعه المرادي غير أنهما صرحا بأن هذا الإبدال هو عنعنة تميم قال المرادي: «قلت وكذلك يفعلون في أنّ المشددة،

---

(١) انظر: ديوانه(٦٥١)، وغريب الحديث لأبي عبيد(٣/ ٥٥)، ومجالس ثعلب(١/ ٨١)، وسر صناعة الإعراب(١/ ٢٣٤)، والصحابي(٣٥)، والممتع في التصريف(١/ ٤١٣)، واللسان (عنن)، وجمهرة اللغة (د خ ع) و(ص ع ك) والجنى الداني في حروف المعاني(٢٦٥)، والمغني لابن هشام (١/ ١٩٩)، وشرح المفصل(٨/ ٧٩)، وشرح شافية ابن الحاجب (٣/ ٢٠٨).

(٢) هو أبو العباس بن يحيى بن زيد بن يسار المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، من مصنفاته: كتاب المصون في النحو، واختلاف النحويين، وكتاب القراءات، وكتاب الشواذ، وكتاب حد النحو، مات ببغداد سنة٢٩١هـ .
ينظر الفهرست (١١٠)، الأعلام(١/ ٢٦٧)، نشأة النحو(١٢٠).

(٣) (١/ ٨١)، والخصائص لابن جني(٢/ ١١)، سر صناعة الإعراب(١/ ٢٣٥).

قال الزمخشري وتبدل قيس وتميم همزتها عينا فتقول أشهد عَنّ محمداً رسول الله وهي عنعنة تميم»[1].

وليس الأمر كذلك بل إن إبدال الهمزة عينا أو العنعنة لاتخص بأن بل تعم جميع الهمزات سواء كانت في أول الكلمة أو وسطها أو في آخرها وقد صرح السيوطي بأن العنعنة تكون في الهمزة المبدوء بها قال تحت عنوان« النوع الحادى عشر: معرفة الرديء والمذموم من اللغات: ومن ذلك العنعنة، وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها عينا فيقولون في أنّك عَنّك وفي أَسْلَم عَسْلم وفي أُذُنُ عُذُن»[2].

ومن أمثلة إبدال الهمزة عينا في وسط الكلمة بيت طفيل:

فنحن منعنا يوم حَرْسٍ نساءَكم   غداة داعانا عامر غيرُ معتلى

أي مؤتلى»[3].

وجاء في شرح الأشموني «والعنعنة كقولهم ظننت عنّك . . . . . ذاهب، قال في شرح الكافية وهذا النوع من الإبدال جدير بأن يذكر في كتب اللغة وإلا لزم أن تذكر العين لأن إبدالها من الهمزة المتحركة مطرد في لغة بني تميم ويسمى ذلك عنعنة[4].

وليس إبدال العين من الهمزة محصورا بالهمزة المتحركة بل قد ورد

---

(١) الجنى الداني(٢٦٥)، شرح المفصل لابن يعيش(٨/ ٧٨)، والمغني (١/ ١٩٩).
(٢) المزهر(١/ ٢٢٢).
(٣) الإبدال لابن السكيت(٨٤)،سر صناعة الإعراب(١/ ٢٤٠).
(٤) (٤/ ٢٨٢).

إبدال الساكنة عينا. قال يزيد بن الخَذّاق العبدي:

ولقد أضاء لك الطريقُ وأنهجت سُبُل المسالك والهُدى يُعْدى

أي يؤدي بمعنى يقوي[(١)].

ومن الخطأ أن توضع «أن» بعد إبدال همزتها عينا تحت «عن» الحرفية وأن تعد من أقسام عن فيقال إنها تـأتي مصدرية كما فعل المرادي وابن هشام، قال المرادي عندما تحدث عن حرف«عن»: «وأما القسم الثاني من قسمي«عن» الحرفية فهو أن يكون بمعنى «أن» وهي لغة بني تميم، يقولون أعجبني عن تقوم أي أن تقوم»[(٢)].

وقال ابن هشام: «الوجه الثاني أن تكون حرفا مصداريا وذلك أن بني تميم يقولون في نحو أعجبني أن تفعل: عن تفعل»[(٣)].

وقال صاحب القاموس: «وعنعنة تميم إبدالهم العين من الهمزة يقولون: «عن» موضع«أن» وتكون مصدرية وذلك في عنعنة تميم أعجبنى عن تفعل[(٤)].

وكان ينبغي أن لا يقال إن عن هذه قسم من أقسام عن الحرفية وأن لاتوضع تحت «عن» بل تجعل تابعة لأن.

وإبدال الهمزة عينا قد جاء في الحديث النبوي الشريف فقد ،ورد فى حديث قيلة رضي الله عنها«تحسب عنّي نائمة»[(٥)].

---

(١) الإبدال لابن السكيت(٨٤)،وسر صناعة الإعراب(١/ ٢٤٢).

(٢) الجنى الداني(٢٦٥).

(٣) المغني (١/ ١٩٩).

(٤) مادة «عنن».

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد(٣/ ٥١) ،الفائق للزمخشري(٣/ ١٠٠)، الصحابي(٣٥).

قال أبو عبيد وقولها تحسب عني نائمة فإنها أرادت تحسب أني نائمة وهذه لغة بني تميم[1].

وقال الزمخشري: «عني»تميمية في«أني»وهي العنعنة[2].

وعلل ابن جني سبب تسمية إبدال الهمزة عينا بالعنعنة بقوله: «وقولهم عنعنة مشتق من قولهم(عن، عن، عن) في كثير من المواضع ومجيء النون في العنعنة يدل على أن إبدالهم إياها إنما هو في همزة(أن) دون غيرها[3].

وأقول لعل هذا الذي ذكره ابن جني هو الأصل فى العنعنة ثم استعملت بعد ذلك في إبدال الهمزة عينا مطلقا، أولكثرة استعمال العرب الهمزة عينا في«عن» ويطلق على إبدال الهمزة عينا اسم آخر هو العنة فقد ورد في نوادر أبي زيد[4] «قال أبو الحسن. . . .

وأنشدتني أعرابية من بني كلاب:

فَتَعلَّمْنَ وإن هَويتُك عَنَّني قَطّاعُ أرمامِ الحبالِ صرومُ

فقلت لها :ما هذا؟ فقالت: هذه عِنّتُنا.

وبعضهم يقول: عنعنة بني فلان فكما أبدلت الهاء من الهمزة لقربها منها في المخرج أبدلت منها العين لأن العلة واحدة»[5].

---

(١) غريب الحديث(٣/ ٥١).

(٢) الفائق(٣/ ١٠١).

(٣) سرصناعة الإعراب(١/ ٢٣٧).

(٤)هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري الخزرجي كان إماما في اللغة والنحو، ويقال أنه يحفظ ثلثي اللغة، من مؤلفاته: لغات القرآن، واللغات، والنوادر. توفي بالبصرة سنة٢١٥هـ. ينظر: الفهرست(٨١)،وبغية الوعاة(١/ ٥٨٢)،والأعلام(٣/ ٩٢).

(٥) النوادر (٢٠٣).

وقد يكون أنهم أطلقوا اسم العنعنة أو العنة على إبدال الهمزة عينا وإن لم يكن أصله «عَنْ، عَنْ» أو«عَنّ، عَنّ».

وإذا أردنا أن نعرف السبب الذي يُلجئ العرب إلى استبدال الهمزة بعين فإنا سوف نجده وهو كراهية العرب للهمزة ولأن صوت الهمزة يحتاج إلى جهد عضلي كبير وقد سبق أن بينا أن العرب سلكت ثلاثة مسالك للتخلص من الهمزة وهي: إبدالها هاء أوتخفيفها وقد تقدم في ص(١٢٦). أو إبدالها عينا وهو ما نحن بصدده الآن وذلك أن صوت العين يأتي بعد صوت الهمزة من حيث المخرج فهو يليه مباشرة ثم إن صوت العين صوت رخو «احتكاكي» وهذا معناه استبدال الصوت الشديد بصوت رخو وهذا ما تقول به نظرية السهولة واليسر.

وقد كان العلماء يذهبون إلى أن سبب استبدال العرب للهمزة هو تحقيق العرب للهمزة فقد جاء في مادة: ب خ ع: من الجمهرة لابن دريد(٢): وخبع الرجل في المكان إذا دخل فيه وأحسب أن هذه العين همزة لأن بني تميم يحققون الهمزة فيجعلونها عينا فيقولون هذه خباعنا يريدون خباؤنا، ويقولون فَعلتُ كذا وكذا عِن فَعْلتَ كذا وكذا يريدون إن فعلتَ».

وجاء في مادة«ص ع ك» من الجمهرة أيضا «ويقال كعصنا عند فلان ما شئنا وكأصنا أي أكلنا قال أبو حاتم: هي همزة قلبت عينا لأن بني تميم

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي اللغوي البصري كان من أوسع الناس علما وحفظا وأقدرهم على الشعر ويقال له أشعر العلماء وأعلم الشعراء من مؤلفاته الجمهرة في اللغة، وأدب الكاتب، توفي سنة٣٢١هـ. ينظر بغية الوعاة (١/ ٧٦)، شذرات الذهب (٢/ ٢٨٩)، العبر (٢/ ١٢).

ومن يليهم يحققون الهمزة حتى تصير عينا وذلك قولهم عني في معنى أني»

ولكن ما يظهر لي أن إبدال تميم ومن جاورهم الهمزة عينا ليس تحقيقا للهمزة وإنما هو هروب من الهمزة والتجاء إلى صوت حلقي وكان هذا الصوت هو العين؛ لأنه أقرب أصوات الحلق مخرجا بالنسبة إلى الهمزة فهو يليها وأيضا العين صوت رخو والهمزة صوت شديد ومعنى هذا استبدال الصوت الشديد بصوت رخو.

وقد فسر ابن الأثير[١] إبدال العرب للهمزة عينا بأن سببه وجود بحح في أصواتهم فقد جاء في مادة عنن من اللسان « ومنه حديث حصين ابن مُشَمِّت: أخبرنا فلان عَنّ فلانا حدثه» قال ابن الأثير كأنهم يفعلونه لبحح في أصواتهم».

وإذا نظرنا في تاريخ صوت العين وجدناه موجودا في جميع اللغات السامية كلها ما عدا الأكادية فإن حرف الهمزة فيها يقوم مقام حرف العين وحرف الهمزة[٢]، وإذا علمنا أن اللغة الأكادية هي أقدم اللغات السامية تاريخا فأقول لعل هذا البحح الذي ذكره ابن الأثير هو سبب نشأة صوت العين في اللغات السامية وتكون اللغة الأكادية قد احتفظت بالأصل.

وهذه طائفة من الأبيات الشعرية التي تثبت إبدال العرب للهمزة عينا قالت منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي ترقص ابنها:

---

(١) هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري من علماء النسب والأدب من مؤلفاته الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: توفي سنة(٦٣٠هـ)، ينظر العبر(٣/ ٢٠٧)، والأعلام(٤/ ٣٣١)، شذرات الذهب(٥/ ١٣٧).

(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب(٢٢٥).

أشبه أخي أو أشبهن أباكا

أما أبي فلن تنال ذاكا

تقصر أن تناله يداكا

ويُروى: تقصر عن تناله كذا أنشده أبو زيد[1].

وفي اللسان مادة «عمم» وأما قول ذي الرمة:

براهُنَّ عَمَّا هُنَّ إمّا بوادئ   لحاج وإمّا راجعات عوائدُ[2]

قال الفراء: «ما» صلة والعين مبدلة من ألف أن والمعنى براهن أَنْ هن إمّا بوادئ وهي لغة تميم يقولون «عن هُنّ».

وقال ابن هرمة:

أعن تغنت على ساق مطوقة   ورقاء تدعو هديلا فوق أعواد[3]

أي أأن» وجاء في مجالس ثعلب «وكان ابن هرمة رُبي في ديار بني تميم»[4].

وفي مادة عنن من اللسان وعنعنة تميم إبدالهم العين من الهمزة وأنشد يعقوب:

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل   لآخــرة لابــد عـن ستصيرها

---

(١) النوادر لأبي زيد(٣٢٤).

(٢) ديوانه (١٨١).

(٣) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٣٥)، الخصائص(٢/ ١١)، مجالس ثعلب(١/ ٨١)، والممتع لابن عصفور(١/ ٤١٣).

(٤) ص(١/ ٨١).

وقال جران العود:

فمـا أبن حـتى قلن ياليت عننا تراب وعن الأرض بالناس تخسف

وفي قصيدة لأبي حية النميري:

يقلـن وما يدرين عني سمـــعته وهـن بأبواب الخيام جـــنوح[1]

وفي مادة «ب ح ع» من الجمهرة: وأنشد أبو حاتم لرجل من أهل اليمامة ينحل مجنون بني قيس:

فعيناشي عيناها وجيدش جيدها

سوى عن عظم الساق منش دقيق[2]

وهذه طائفة من المواد التي تبين إبدال الهمزة عينا.

ويقال قد: كَثأ اللبن وكَثعَ وهي الكَثْأَة والكَثْعَة وهو أن يعلو دسمه وخثورته على رأسه في الإناء[3].

ويقال: آديته على كذا وكذا وأعديته على كذا أي قويته وأعنته.

ويقال استأديت الأمير على فلان في معنى استعديته[4].

وفي مادتي «ب خ ع» و«ص ع ك» من الجمهرة وتقول بني تميم هذا خباعنا يريدون خباؤنا ويقولون (جارية خُبَعة طُلَعة) أي تختبئ مرة وتطلع أخرى.

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي(١/ ٧٠).

(٢) (١/ ٢٣٨)، وشرح المفصل لابن يعيش(٨/ ٧٩).

(٣) الإبدال لابن السكيت(٨٤).

(٤) المرجع السابق(٨٤).

وفي مادة أك منها: أك يومنا يؤك أكا إذا اشتدت حرارته وسكنت ريحه ويوم عك أك وعكيك أكيك.

وفي عك منها أيضا: وعك يومنا إذا سكنت ريحه واشتد حره ويقال يوم عكيك إذا اشتد حره.

وفي مادة جأف من اللسان: جأفه جأفا واجتأفه: صرعه لغة في اجتعفه.

وانجأفت النخلة كانجعفت إذا انقعرت وسقطت.

وفي مادة رعف: والعرب تقول موت ذؤاف وذعاف وزؤاف وزعاف وهو الذي يعجل القتل[(١)].

وبمقارنة مادتي لأط ولعط في لسان العرب تظهر العلاقة جلية وهي أن الهمزة أبدلت عينا حيث جاء في «لأط»: لأطه لأطاً: أتبعه بصَرهُ فلم يصرفه عنه حتى يتوارى ولأطه بسهم أصابه.

وجاء في «لعط» لَعَطه بسهمٍ لَعْطاً: رماه فأصابه به ولعطه بعين لعطا أصابه.

وفي مادة صبع منه: وصَبَع على القوم يَصْبَع صَبْعاَ: طلع عليهم وقِيل إنما أصله صَبَأ عليهم صَبْأ فأبدلوا العين من الهمزة.

وفي مادة «ج ز ع» من الجمهرة: الجعز لغة في الجأز وهو الغصص جَئِز الرجل يجأز جأزاً وجَأَزا وكذلك جعز يجعز جعزاً إذا اغتصّ.

وفي مادة جعز من اللسان: « الجعز والجأز الغصص كأنه أبدل من

---

(١) الإبدال لابن السكيت (٨٤).

الهمزة عينا جعز جعزا كجئز غص.

وجاء في الجمهرة: الزعت لغة لأهل الشحر مرغوب عنها زعته يزعته زعتا وزأته يزأته زأتا إذا خنقه[1].

وجاء في مادة عنف من اللسان «وفي حديث معاوية: عُنْفُوان المَكْرَع أي أوله وعُنْفُوان فُعْلُوان من العُنْف ضد الرفق قال: ويجوز أن يكون الأصل فيه أُنْفوان من ائتنفتُ الشيء واستأنفته إذا اقتبلته فأقبل إذا ابتدأته فقلبت الهمزة عينا فقيل عنفوان قال وسمعت بني تميم يقول اعتنفت الأمر بمعنى ائتنفته واعتنفنا المراعي أي رعينا أُنُفها وهذا كقولهم أعن ترسمت في موضع أأن ترسمت».

وفي مادة أيك من لسان العرب « الأيك الشجر الكثيف الملتف».

وفي مادة«عيك» والعيك الشجر الملتف لغة في الأيك.

وفي مادة«عهن»منه «وأعطاه من عاهن ماله وآهنه مبدل أي من تلاده».

ومن أبيات الشعر التي اوردها الزمخشري شاهدة على العنعنة أو إبدال الهمزة عينا قول الشاعر:

ولله عن يشفيك أغنى وأوسع[2].

وبعد هذا العرض فقد تبين من النصوص النثرية والشعرية والحديث النبوي الشريف والقوانين الصوتية أن الهمزة هي التي تتحول إلى العين لذلك فإنه إذا وجدت كلمتان متفقتان في عدد الحروف وترتيبها بحيث

---

(١) (٢/ ١٥).

(٢) الفائق (١/ ١٥).

لايختلفان إلا في حرف واحد يكون في إحداهما عينا وفي الأخرى همزة فإن التي تحتوي على الهمزة هي الأصل والتي تحتوى على العين هي الفرع.

أما إبدال العين همزة فإنه ليس من عادات العرب ولا من سجيتهم ويعتبر عيبا في النطق ولا زلنا نرى الأعاجم عند محاولتهم لنطق العين في العربية لايستطيعون بل ينطقونها همزة أما العرب فهم على عكس ذلك.

وتبين من النصوص أيضا: أن العنعنة أو إبدال الهمزة عينا يوجد في تميم وأسد وقيس ونمير وضبة وبني كلاب.

ومعرفتنا لإبدال الهمزة عينا تجعلنا نؤيد ما قال الأستاذ/ طه باقر حول تأصيله لكلمة أباب حيث قال: « أباب = الأباب الماء والسراب ويرى « أدي شير» في تأصيلها في كتابه«الألفاظ الفارسية» أنها من الفارسية (من آب وهو الماء) وهذا الرأي بعيد عن الصواب والصحيح في أصل هذه الكلمة أنها من الكلمات العربية القديمة في العراق، أي الأبجدية (البابلية والأشورية) حيث كلمة «أبوبو» التي تعني الماء الغزير والطوفان أيضا وتضاهيها الكلمة العربية «عباب»[1].

غير أنه لم يبين أي الكلمتين الأصل وأيهما الفرع لكن معرفتنا لإبدال الهمزة عينا تجعلنا نحكم بأن أباب هي الأصلية وأن عباب هي الفرعية وبذلك تتفق أباب مع أبوبو الأكادية وهي أقدم تاريخا بالنسبة للغات السامية ومعنى أباب وعباب واحد في المعاجم العربية لذلك فإن الصورة الأصلية هي أباب والفرعية هي عباب.

---

(١) من تراثنا اللغوي القديم(٣٢).

العنعنة أو إبدال الهمزة عينا في اللهجات الحديثة

توجد العنعنة في اللهجات العربية الحديثة في السعودية والعراق ومصر والسودان والمغرب واليمن.

ففي السعودية توجد في شرق الحجاز وغرب نجد على امتداد الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب حيث يقولون في « الهيئة، وسأل، وسؤال»: الهيعة وسعل وسعال.

وفي العراق يحدثنا الدكتور إبراهيم السامرائي عن العنعنة عندما كان يتكلم عن لهجة البدو في العراق بقوله: « ومن المعلوم أن أكثر الأوجه اللغوية أرث من العربية الفصيحة القديمة فتحقيق الهمزة وتسهيلها وما يطرأ عليها من إبدال بأصوات الحلق له نظائر في العربية الفصيحة ألا ترى أن سأل و«سعل» وأن و«عن» .... من فصيح العربية وما زال نظيره موجودا في اللسان الدارج ثم قال «ولو أردت أن أحصي ما سموه بالعنعنة وما يجري مجراها في العربية الفصيحة لاستطعت أن أجمع مادة ضخمة في هذا الباب ولضاق به هذا الموجز»[(١)].

وفي مصر يقول سكان البوادي «اسعل الله» أي اسأل الله[(٢)].

وفي صعيد مصر يقولون «لع» في «لأ»[(٣)].

وفي السودان يقولون: سعل يسعل وجعر يجعر في«سأل يسأل وجأر يجأر»[(٤)].

---

(١) التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق (١٠٣).

(٢) دراسات في علم اللغة للدكتورة فاطمة محمد محجوب(١٣٩).

(٣) فصول في فقه اللغة العربية للدكتور رمضان عبد التواب(١٣٧).

(٤) انظر من أصول اللهجات العربية في السودان لعبد المجيد عابدين(٣٥).

وفي منطقة الشايقية يقولون عضن وعضنين وعضنان (أي أذن وأذنان وآذان)مع ملاحظة إبدال الذال ضادا،ويقول أحدهم لصاحبه: بالله عليك عل تجي الليلة»أي ألا تجي، ويقولون: العفيون بدل الأفيون «وهو الثمر المخدر»، وتسمع العنعنة في منطقة الجزيرة في الكاملين وود مدني وغيرهما. وهناك طائفة من أسماء الأمكنة في شمال السودان تظهر فيها العنعنة إذا قورنت بالأصل مثال ذلك عطبرة وقد ينطق الأصل «أتبرة» وتظهر العنعنة في غرب السودان في قبائل الكبابيش بكردفان فيقلبون الهمزة عينا في بعض الأحيان»[١].

وفي المغرب وخاصة لهجة الشمال تطوان وما حولها يبدلون الهمزة عينا مثل العنبوب والعفيون في« الأنبوب والأفيون»[٢]

ويقولون تخبع، ونشاع الله أي تخبأ وإن شاء الله[٣].

وتوجد العنعنة في منطقة تهامة باليمن حيث يقولون: «العمير والعمام والعنبر في: الأمير والإمام والأنبار[٤].

ويبدو أن العنعنة منتشرة في أنحاء متفرقة من العالم العربي ولربما تكون موجودة في مناطق أخرى غير التي ذكرت.

---

(١) انظر من أصول اللهجات العربية في السودان لعبد المجيد عابدين(٤١).
(٢) لهجة شمال المغرب للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال(٧٢).
(٣) المرجع السابق (٧٣).
(٤) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين(٢٣).

أثر إبدال الهمزة عينا في بنية العربية

إن المتأمل للكلمات العربية الرباعية المبدوءة بهمزة يجد أن بعضها أصله ثلاثي وأن هذه العين بدل من همزة أفعل كما أبدلت هاء في أثناء الحديث عن إبدالها هاء وهأنذا أورد كلمات من هذا الشأن لأبين أصلها وما آلت إليه.

فمن هذه ما جاء في مادة أثجل«من اللسان: العَثْجَل والعُثاجِل العظيم البطن مثل الأثْجَل، وفي مادة «عثجل» منه «العثجل الواسع الضخم من الأوعية والأسقية مثل الأثجل وعثجل الرجل ثقل عليه النهوض من هرم أو علة» وبالرجوع إلى مادة ثجل« الثلاثية نجدها أصلا لهاتين المادتين فقد جاء فيها « الثَجَل عظم البطن واسترخاوه وقيل هي خروج الخاصرتين ثَجِل ثَجَلا وهو أَثْجَل والمُثَجّل كالأثْجَل والثُّجْلة عظم البطن وسعته».

فقد تبين من هذا أن كلا من أثجل وعثجل جاءت على وزن أفعل من « ثجل» مع إبدال همزة أفعل عينا.

وقد تنبه ابن فارس إلى أن هذه العين من«عثجل» زائدة حيث قال: والعثجل الواسع الضخم من الأسقية والأوعية وهذا مما زيدت فيه العين وإنما هو من الثجلة. والأثجل البطن الواسع[(١)]. غير أنه لم يدر أن هذه العين بدل من همزة أفعل وإلا لما عد هذه المادة في غير الثلاثي.

ونصت المعاجم وكتب اللغة على أن أصل «عبهل» هو أبهل وأن هذه العين بدل من همزة فقد جاء في مادة «أبهل» من اللسان«عبهل الإبل مثل

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٦٤).

أبهلها والعين مبدلة من الهمزة» وفي عبهل منه «وعبهل الإبل أهملها وإبل عباهل ومعهبلة مهملة لا راعي لها وعبهل الإبل أي أهملها مثل أبهلها والعين مبدلة من الهمزة» وكل شيء أهملته فكان مهملا لايمنع مما يريد ولايضرب على يديه فهو معبهل والمتعبهل الممتنع.

وفي البارع: عبهلت الإبل أهملتها وعبلتها وأبهلتها واحد أبدلت الهمزة عينا[1]، وقال الزمخشري في تفسير العباهلة «الذين أقروا على ملكهم لايزالون عنه من عبهله بمعنى أبهله إذا أهمله العين بدل من الهمزة[2].

فهاتان المادتان أصلهما «بهل» وإنما جاءا على وزن أفعل « من بهل» فكانت أبهل ثم أبدلت الهمزة من أفعل عينا فأصبحت «عبهل» فظن أنها رباعية وكان من حق هاتين المادتين أن تذكرا تحت مادة «بهل».

وبالرجوع إلى مادة بهل يتضح أنها أصل لهاتين المادتين فقد جاء في مادة «بهل» من اللسان «أبهل الرجل تركه، ويقال بَهَلْته، وأبهلته إذا خليته وإرادته وأبهل الناقة أهملها، وعبهل الإبل أهملها مثل أبلها والعين مبدلة من الهمزة، وناقة باهلة مسيبة.

وفي هذه المقارنة بين هذه المواد الثلاث «عبهل وأبهل وبهل» رد على ابن فارس الذي جعل الباء من عبهل زائدة حيث قال: «العباهل جمع العبهل وهي الإبل التي أهملت ترد كيف شاءت ومتى شاءت . . . هذا مما زيدت فيه الباء [3].

---

(١) (١٨٨).

(٢) الفائق (١/ ١٥).

(٣) مقاييس اللغة(٤/ ٣٥٨).

وقد لاحظ ابن فارس زيادة العين من «عبهر» إذ قال: «العبهر الضخم الخلق وكل عظيم عبهر وامرأة عبهرة... وهذا مما زيدت العين في أوله وأصله من البهر»[1]، وابن فارس قد عد هذه الكلمة أو المادة رباعية والذي يظهر لي أن هده الكلمة ثلاثية مزيدة وأن أصلها من بهر كما قال ابن فارس ولكنها جاءت على وزن أفعل ثم أبدلت همزة أفعل عينا فقيل عبهر كما قيل في أبهل عبهل.

وعد ابن فارس العين زائدة من «عجلد وعجلط» إذ قال: «العجلد اللبن الخاثر وهذا مما زيدت فيه العين كأنه شبه بالجلد في كثافته»[2].

وقال: « والعجلط مثله والطاء بدل من الدال»[3].

وأقول: « هذه العين التي في «عجلد» و«عجلط» هي بدل من همزة أفعل».

ومما نظن أن العين فيه زائدة مادة «عشنق» من لسان العرب إذ قيل فيها العشنقة الطول، والعشنق الطويل الجسم، وامرأة عشنقة طويلة العنق، ونعامة عشنق كذلك، والعشنق الطويل الممتد القامة.

فهذه مأخوذة من مادة شنق والعين بدل من همزة أفعل من «شنق» أي أشنق تحولت إلى عشنق فقد دلت مادة «شنق» على هذا المعنى فقد قيل فيها «الشَنَقَ طول الرأس، كأنما يُمَد صعدا، وشنق البعيرَ إذا مده بالزمام حتى يرفع رأسه، وأَشْنَق البعيرُ بنفسه رفع رأسه، وشنق رأس الدابة شده إلى أعلى شجرة أو وتد مرتفع حتى يمتد عنقها وينتصب،

(١) مقاييس اللغة(٤/ ٣٥٨).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٣٦٢).

(٣) المرجع السابق(٤/ ٤٦٣).

والشناق الطويل والشنق الطويل. وعنق أشنق وفرس أشنق طويل الرأس، ويقال للفرس الطويل شناق، وجمل شناق طويل في دقة، ورجل شناق وامرأة شناق لايثنى ولايجمع.

وقد عد ابن فارس العين من «عشنزر» زائدة إذ قال: «العشنزر الشديد وهذا مما زيدت فيه العين والنون وأصله من الشزر»[1].

وأقول إن هذه العين التي في أول كلمة عشنزر هي بدل من همزة أفعل والنون بدل من أحد المتضاعفين فيكون أصل هذه المادة شزر ثم جاءت على وزن أفعل فأصبحت أشزر ثم أبدلت الهمزة عينا فكانت «عشزر» ثم ضعفت الزاي فأصبحت «عَشَزّر» ثم فك الإدغام بإبدال أحد الزايين نونا فتحولت إلى «عشنزر».

ولاحظ ابن فارس زيادة العين من«عضنك» حيث قال: «العضنكة المرأة اللفاء العجز التي ضاق ملتقى فخذيها لكثرة اللحم وهذا مما زيدت فيه العين وإنما هو من الضنك والضيق»[2].

وأقول هذه العين بدل من همزة أفعل من ضنك أي أضنك ثم أبدلت الهمزة عينا فتحولت إلى عضنك.

وبالمقارنة بين مادتي «عسجر، وسجر»من لسان العرب تبين أن الثانية أصل للأولى وأن العين من عسجر بدل من همزة أفعل إذ ورد في مادة «عسجر» العيسجور الناقة الصلبة وقيل الناقة السريعة القوية والاسم العسجرة وإبل عساجير هي المتتابعة في سيرها وعسجرت الإبل استمرت في سيرها .

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٦٣).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٣٦٠).

وفي مادة سجر«وانسجرت الإبل في السير تتابعت والسجر ضرب من سير الإبل بين الخبب والهملجة، والانسجار التقدم في السير والنجاء».

ومن هذه المقارنة يرد على ابن فارس الذي جعل الراء زائدة من العيسجور إذ قال: « العيسجور الناقة السريعة وهذا مما زيدت فيه الراء من عسجت في سيرها»[1].

وعد ابن فارس العين من عجلز زائدة حيث قال: «العِجْلِزة الفرس الشديد الخلقِ، وقد نص الخليل في ذلك على شيء فقال: اشتقاق هذا النعت من جَلْز الخَلْق، وهو يصحح ما نذكره في هذا وشبهه فقد أعلمك أن العين زائدة»[2].

لكن ابن فارس لم يعلل سبب زيادة العين، وأقول هذه العين بدل من همزة أفعل من «جلز» أي أجلز ثم أبدلت الهمزة عينا فصارت عجلز.

فقد ورد في مادة «جلز» من لسان العرب ما يؤيد هذا المعنى إذ قيل فيها: « وإذا كان الرجل معصوب الخلق واللحم قلت: إنه لَمجْلوز اللحم، ويقال لأغاظ السِّنان جَلْز، وجلز شيئا إلى شيء أي ضمه إليه».

ومما عد ابن فارس العين منه زائدة «عجرد و عنجرد» إذ قال: «العجرد العريان وهذا أيضا مما زيدت فيه العين وإنما هو من جرد وتجرد، ومنه «العنجرد» وهي المرأة السليطة الجريئة والعين في ذلك زائدة وإنما هو من تجردها للخصومة وقلة حيائها»[3].

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٦٣).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٣٦٤).

(٣) المرجع السابق(٤/ ٣٦٤)

ويمكن لي أن أقول إن العين في هاتين المادتين بدل من همزة أفعل وانفعل أي من أجرد وانجرد.

وعد ابن فارس العين من «عملط» زائدة إذ قال: «العملط الشديد من الرجال وكذلك من الإبل وهذا مما زيدت فيه العين وإنما هو من الملط[1].

ولكنه لم يبين سبب زيادة هذه العين وأرى أنها «بدل» من همزة أفعل من «ملط».

وفي مادة ثكل من الجمهرة: الإثكال والأثكول لغتان مثل العِثكال والعِثكول وفي مادة عثكل من الصحاح « العثكول والعثكال: الشمراخ وهو ما عليه من البسر من عيدان الكباسة وهو في النخل بمنزلة العنقود من الكرم وقول الراجز:

لو أبصرت سعدي بها كتائلي طويلة الأقناء والأثاكِلِ

أراد العثاكل فقلب العين همزة.

وفي مادتي أثكل وعثكل من لسان العرب ورد هذا البيت ولكن قيل فيه إن الراجز أراد العثاكل فقلب العين همزة.

وأقول أن الأصل هو أثكل ثم أبدلت الهمزة عينا فأصبحت الكلمة عثكل وليس الأصل عثكل كما ذكرت المعاجم كاللسان والصحاح لأن العرب تكره إبدال العين همزة وليس هذا من سجيتها وإنما هو من سجية العجم الذين لا يستطيعون أن ينطقوا بالعين وقد دلت الأدلة على إبدال العرب للهمزة عينا كما تقدم .

---

(٢) مقاييس اللغة(٤/ ٣٦٩)

وقد عد ابن فارس العين من(عصفور)زائدة حيث قال: «العصفور طائر ذكر: العين فيه زائدة وإنما هو من الصفير الذي يصفره في صوته»[1].

ولعل هذه العين من «عصفور» بدل من همزة أصفر «من الصفير» وقال في العصفر: «العصفر نبات . وهذا إن كان معربا فلا قياس له وإن كان عربيا فمنحوت من عصر وصفر ، يراد به عصارته وصفرته [2].

وفي هذا أقول لعل كلمة عصفر هي أصفر من «الصفرة» وأبدلت همزتها عينا فأصبحت عصفر كما أبدلت في عصفور وهي من الصفير وهو الصوت فقد جاء في مادة «عصفر» من اللسان ما يدل على أنها من «الصفرة» الدالة على اللون حيث قيل فيها: « العصفر الذي يصبغ به، منه ريفيّ ومنه بريّ وكلاهما نبت بأرض العرب وقد عصفرت الثوب فتعصفر.

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٦٩) .

(٢) المرجع السابق (٤/ ٣٦٩) .

العين والحاء

العين والحاء حرفان (صوتان) حلقيان، مخرجهما من أوسط الحلق قال سيبويه :« ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء »[١] .

وقد تقدم الكلام عن صفات العين في أثناء الحديث عن الإبدال بين الهمزة والعين .

والحاء حرف (صوت) رخو « احتكاكي » مهموس منفتح يتم نطقه بتضييق المجرى الهوائي في الفراغ الحلقي بحيث يحدث مرور الهواء احتكاكا ولكن لا يتذبذب الوتران الصوتيان .

وصوت العين هو النظير المجهور للحاء والفرق بينهما هو تذبذب الوترين الصوتيين مع العين وعدم تذبذبهما مع الحاء [٢].

والحاء والعين من الأصوات العربية ذات الصعوبة على غير العرب ومن النادر أن يستطيع غير العربي النطق بالعين نطقا صحيحا أما الحاء فكثير من الأعاجم ينطقونها خاء أو هاء [٣].

وقد أثبتت النصوص أن العرب تحول العين إلى حاء (أي تبدل العين حاء) قال سيبويه:« ومما قالت العرب تصديقا لهذا في الإدغام قول بني تميم مَحُّم يريدون معَهُم ، ومَحّاولاء يريدون مع هؤلاء [٤].

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣) .

(٢) علم اللغة العام (الأصوات) للدكتور كمال محمد بشر (١٢١) .

(٣) انظر المرجع السابق (١٢١) .

(٤) الكتاب (٤/ ٤٥٠) .

وقال المبرد: «فإن قلبت العين حاء لقرب العين من الحاء جاز الإدغام وذلك قولك محم تريد معهم وهي كثيرة في كلام بني تميم »[1].

وقال ابن دريد: « والعين تتلو الحاء في المدرج والارتفاع فلذلك قال قوم من العرب محهم يريدون معهم وإذا أدغم قيل محم »[2].

وفي مادة ستت من اللسان كما غلبت الحاء على العين في لغة سعد فيقولون كنت محهم في معنى معهم .

وقال المرادي : نعم حرف من حروف الجواب بفتح العين ونعم بكسرها وهي لغة كنانة وبها قرأ الكسائي ونحم[3] بإبدال عينها حاء حكاها النضر بن شميل[4] وبها قرأ ابن مسعود[5].

ومثل هذا ورد في المغني[6] لابن هشام وهمع[7] الهوامع للسيوطي مع زيادة لهجة في نعم وهي كسر نونها مع كسر عينها .

---

(١) المقتضب (١/٢٠٨) .

(٢) الجمهرة (١/٦) .

(٣) الأعراف (٤٤) .

(٤) هو أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم المازني البصري الأصل أخذ عن الخليل والعرب وأقام بالبادية أربعين سنه وأخذ عن فصحاء الأعراب ويعد من أكبر الأئمة الأعلام كان رأسا في الحديث رأسا في اللغة والنحو، ثقة صاحب سنة وولي قضاء مرو ومن مصنفاته كتاب الصفات وهو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب، وكتاب المعاني وغريب الحديث، وكتاب الجيم. توفي سنة ٢٠٣ هـ وقيل سنة ٢٠٤ هـ . ينظر الفهرست (٧٧) شذرات الذهب (٢/٥) ،بغية الوعاة (٢/٣١٦) .

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني (٤٦٩) .

(٦) (٤٥١) .

(٧) (٢/٧٦) .

وقد قرئ قوله تعالى: ﴿ **أفلا يعلم إذا بعثر** ﴾ [1] بالحاء أي بحثر وقد نسب الفراء هذه اللهجة وهي إبدال العين حاء إلى بني أسد قال: وسمعت بعض أعراب بني أسد يقرأها « بحثر » وهما لغتان بحثر وبعثر[2].

وذكر أبو حيان في « بعثر » لهجتين هما بعثر وبحثر حيث قال: وقرأ الجمهور بعثر بالعين مبنيا للمفعول وقرأ عبد الله بالحاء [3].

وفي مادة بعثر من اللسان: بعثروا متاعهم وبحثروه إذا قلبوه وفرقوه وبذدوه قلبوا بعضه على بعض، وبعثر الشيء فرقه، وبعثر المتاع قلبه، ويقال بعثرت الشيء وبحثرته إذا استخرجته وكشفته وبعثر الخبز بحثه.

وينطبق هذا المعني على معنى بحثر تماما فقد ورد: بحثر الشيء بحثه وبدده كبعثره وبحثر المتاع فرقه، وبحثر متاعه وبعثره إذا أثاره وقلبه وفرقه وقلب بعضه على بعض، وبحثرت الشيء وبعثرته إذا استخرجته وكشفته.

قال القتال العامري:

ومن لا تلد أسماء من آل عامر وكبشة تكره أمه أن تبحثرا

ولعل ما تقدم من هذه النصوص النثرية والشعرية والقرآنية يثبت تحول العين إلى حاء ولو بحثنا عن سبب تحول العين إلى حاء لوجدنا أن الجهد العضلي المبذول مع العين أكثر من الجهد المبذول مع الحاء لأن الحاء

---

(١) العاديات (٩).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٨٦)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٢).

(٣) البحر المحيط (٨/ ٥٠٥).

صوت مهموس والمهموس أخف من المجهور وقد نوه سيبويه بهذا في قوله : « فإن التقاء الحاءين أخف من التقاء العينين ألا ترى أن التقاءهما في باب رددت أكثر والمهموس أخف من المجهور » [١].

وفي هذا إشارة من سيبويه إلى نظرية السهولة واليسر، ثم وضح سيبويه أن العرب قد يلجأون إلى الحاء فرارا من بعض الأصوات قال: «ولم تدغم الحاء في العين . . . لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين [٢].

وقد فرت العرب إلى الحاء وإن لم تجمع الهاء مع العين كما في بعثر وبحثر، ونعم ونحم، بل قد أبدلت العين حاء وهي مع الهاء ولم تدغم كما حكى ذلك ابن دريد في « معهم» إذ وردت « محهم»؛ ولأن الحاء أخف من العين لذلك فإن العين والحاء إذا اجتمعتا تتحول العين إلى حاء كما في حالة الإدغام قال المبرد : « وكذلك العين والحاء إذا أدغمت واحدة منهما في الأخرى فقلبت العين حاء جاز، تقول: أصلحّا مرا تريد: أصلح عامرا وكذلك ادفحاتما؛ تريد ادفع حاتما أدغمت العين في الحاء وهذا حسن [٣].

ولقرب مخرج الحاء من العين قال الخليل: «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين » [٤].

ولعل هذه البحة التي في الحاء من الأسباب التي دعت العرب أن

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٥٠) .

(٢) الكتاب (٤/ ٤٥١) .

(٣) المقتضب (١/ ٢٠٨) .

(٤) العين (١/ ٦٥) .

يلجأوا إليها فرارا من العين لذلك فإن الشارق يكرر الحاء مستروحا إليها وهذا يدل على أنها أخف من العين قال ابن جني: « ولأجل البحة التي في الحاء ما يكررها الشارق في تنحنحه» . وحكى أن رجلا من العرب بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح فشرب بعضه فلما كظه الأمر قال : كبش أملح ، فقيل له : ما هذا ؟ تنحنحت فقال : من تنحنح فلا أفلح، وكرر الحاء مستروحا إليها، لما فيها من البحة التي يجري معها النفس وليست كالعين التي تحصر النفس وذلك لأن الحاء مهموسة ومضارعة بالحلقية والهمس للهاء الخفية وليست فيها نصاعة العين ولا جهرها »[1].

وإن كان ابن جني قد أورد هذا النص على إبدال الحاء عينا غير أنه يفهم من قصة هذا الأعرابي أن الحاء أخف من العين وإلا لما لجأ إليها ولو كرر العين لتهوع .

ومما يؤيد إبدال العين حاء ما جاء في مادتي «حد» و «دع» من جمهرة اللغة «دع يدعه دعا إذا دفعه دفعا شديدا» و «دح في قفاه يدح دحا ودحوحا مثل دع سواء» .

وفي «حربس» من اللسان: «أرض حربسيس صلبة كعربسيس» .

وفي مادتي جعفل وجحفل منه «جعفله صرعه، وجحفله أي صرعه ورماه وربما قالوا جعفله » .

وفي مادتي عدس وحدس في اللسان تظهر العلاقة واضحة بين معنييهما مما يجعل إحداهما أصلا للأخرى . فقد جاء في مادة «عدس»

(١) سر صناعة الإعراب (٢٤٦/١) ،الخصائص (١/ ٣٥٨ ـ ٢٧٥)، الجمهرة (١٣٩/١) .

وعدس الرجل يعدس عدسا وحدس يحدس ذهب في الأرض ، وعدس وحدس زجر للبغال، وفي مادة «حدس» حدس في الأرض وعدس يحدس ويعدس إذا أذهب وحدس زجر للبغل كعدس، والعرب تختلف في زجر البغال فبعض يقول عدس وبعض يقول حدس» .

ومن الأمثلة التي وردت بالعين والحاء ونرجح أن العين هي الأصل لما مضى من الأدلة ولما سيأتي في المقارنة بين حروف الحلق .

ما جاء في مادة «قلعم» من اللسان إذ قيل فيها «القلعم الشيخ المسن الهرم مثل القلحم والقلعم العجوز المسنة والقلعمة المسنة من الإبل والحاء أصوب اللغتين وأقلعم الرجل أسن» وفي مادة قلحم« القلحم المسن الضخم من كل شيء وقيل هو من الرجال الكبير المسن مثل القلعم، والقلحم اليابس الجلد وكذلك في الفعل قالوا اقلحم » .

ومما أورد أبو الطيب : الحرج والعرج : الإبل الكثيرة [1] ويقال حاحى بالغنم يحاحي بها وعاعى بها يعاعي إذا صوت بها [2].

ويقال عصدا الرجل: إذا مات ، وقال أبو طيبة لغتنا حصد [3].

وفي مادة قردح من اللسان : « القردعة والقردحة الذل » .

---

(١) الإبدال (١/ ٢٩٦) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٩٩) .

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٠٠) .

حتى

جاءت النصوص مفيدة أن اللغة العربية تشتمل على ثلاث صور لحتى وهي: «حتى» و«عتى» و«أتى» والصورة الأولى تنسب إلى قريش وإلى عامة العرب والصورة الثانية «عتى» تنسب إلى هذيل وثقيف وأهل اليمامة والصورة الثالثة «أتى» وتنسب إلى هذيل وبعض العرب.

ومن أدلة ورود «حتى» و «عتى» ما يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه أن ابن مسعود رضي الله عنه يقرئ الناس﴿**ليسجننه عتى حين**﴾ [(١)] كتب إليه « إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش [(٢)].

وفي هذا النص نسبة « حتى »إلى قريش و « عتى» إلى هذيل.

ومما يدل على نسبة « عتى» إلى لهجتي هذيل وثقيف ما ورد عن الفراء أنه قال : حتى لغة قريش وجميع العرب إلا هذيلا وثقيفا فإنهم يقولون « عتى » قال : وأنشدني بعض أهل اليمامة :

لا أضع الدلو ولا أصلي

عتى أرى جلتها تولي

صوادراً مثل قباب التل [(٣)]

---

(١) يوسف (٣٥) .

(٢) الفائق للزمخشري (٢/ ٣٩١)، لسان العرب « عتا » همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي (٢/ ٢٣)، البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣٠٧) .

(٣)الفائق للزمخشري(٢/ ٣٩١) .

وفي هذا نسبة « عتى » إلى أهل اليمامة .

وقال ابن عقيل [١] :«ولغة هذيل إبدال حائها عينا وقرأ ابن مسعود ﴿فتربصوا عتى حين﴾ [٢] .

وذكر المرادي [٣] في حتى ثلاث لهجات حيث قال : « في حتى ثلاث لغات المشهورة وإبدال حائها عينا وهي لغة هذلية وبها قرأ ابن مسعود ﴿ **ليسجننه** [٤] **عتى حين** ﴾ [٥] وإمالة ألفها وهي لغة يمنية .

ومثل هذا ورد في همع الهوامع للسيوطي [٦] .

وقال أبو زيد : سمعت العرب تقول جلست عنده عتى الليل يريدون حتى الليل، فيقلبون الحاء عينا [٧] .

وفي الإبدال لأبي الطيب « يقال اصبر حتى آتيك وعتى آتيك » [٨] .

ودليل « أتى » ما جاء في الفائق للزمخشري « وقال أبو عبيدة : من العرب من يقول أقم عني عتى آتيك ، وأتى آتيك بمعنى حتى آتيك وهي لغة هذيل » [٩] .

---

(١)هو بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل القرشي الهاشمي الشافعي من أئمة النحاة من مصنفاته شرح ألفية ابن مالك ، والجامع النفيس في فقه الشافعية . توفي سنة ٧٦٩هـ. ينظر بغية الوعاة(٢/ ٤٧)،وشذرات الذهب(٦/ ٢١٤)، والأعلام (٤/ ٩٦).

(٢) المؤمنون (٢٥) .

(٣) شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (٢/ ١٢) .

(٤) يوسف (٣٥) .

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني (٥٠٩) .

(٦) (٢/ ٢٣) .

(٧) اللسان « حتى » (١٤/ ١٦٤) .

(٨) (١/ ٢٩٥) .

(٩) (٢/ ٣٩١) .

وفي الإبدال لأبي الطيب«أبو عبيدة: قوم يحولون حاء حتى يجعلونها عينا كقولك قم عتى آتيك وقوم يجعلونها ألفا فيقولون: أتى آتيك » [1].

وبعض العلماء يطلق على هذه الظاهرة اسم الفحفحة، قال السيوطي في باب « معرفة المذموم من اللغات : ومن ذلك الفحفحة في لغة هذيل يجعلون الحاء عينا » [2].

فتبين مما تقدم أنه قد ورد عن العرب في « حتى » ثلاث لهجات هي حتى وعتى ،وأتى .

وهذا يدل على أن اللغة العربية قد احتفظت بصور تدل على تطور «حتى » التاريخي وكل صورة تمثل طورا معينا ولا شك أن بعض هذه الصور متقدم على بعض وأن بعضها فرع عن بعض وهذه الصور تشتمل على : الهمزة والعين والحاء وقبل أن أستعرض تاريخ هذه اللفظة فإنني سأستعرض آراء العلماء من قدماء ومحدثين ومن عرب ومستشرقين .

آراء العلماء في حتى :

١ ـ يذهب العلماء العرب القدامى إلى أن «حتى» هي الأصل وأن عتى فرع عنها وذلك بإبدال حائها عينا كابن جني [3]وابن عقيل [4]وأبي عبيدة [5]وأبي زيد [6]والزمخشري [7].

---

(١) (٢/ ٥٥٨) .

(٢) المزهر (١/ ٢٢٢) .

(٣) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٤٦).

(٤) شرح ابن عقيل (٢/ ١٢) .

(٥) الإبدال لأبي الطيب (٢/ ٥٥٨) .

(٦) مادة « حتا » من اللسان (١٤/ ١٦٤) .

(٧) الفائق في غريب الحديث (٢/ ٣٩١) .

وحتى السيوطي الذي أورد لقب الفحفحة على هذه الظاهرة والتي يفهم منها أنها تعني تردد صوت الحاء فقد جاء في مادة « فحح » من اللسان: «الفحفحة تردد الصوت في الحلق شبيه بالبحة. والفحفاح الأبح» لم يفطن إلى معنى الفحفحة، وهؤلاء العلماء الذين قالوا بإبدال الحاء عينا من حتى لم يعللوا وإنما اكتفوا بالقول بالإبدال ولعلهم رأوا كثرة استعمال حتى، وممن أيدوا كون الحاء هي الأصل في «حتى» الدكتور رمضان عبد التواب مستخدما مقارنة هذه اللفظة بما يقابلها في اللغتين العبرية والآرامية حيث يقول: « وهذا يذكرنا بما يقابل كلمة « حتى » في العبرية والآرامية فهي في الأولى(עד)وفي الثانية(ܥܕ) أي العين والدال أي كما جهرت الحاء في لغة هذيل فأصبحت عينا فإن هذا هو ما حدث في هاتين اللغتين وزاد الأمر فيهما أن تماثلت التاء مع العين فجهرت هي الأخرى فصارت دالا» [1].

٢ ـ ويذهب المستشرق رابين إلى أن « عتى» في لغة هذيل منحوتة من (حتى) العربية و(عد) أو (عدى) التي توجد في السبئية [2].

هذه هي الآراء التي قيلت حول « حتى » .

وبمقارنة « حتى » في اللغة العربية بما يقابلها في اللغات السامية فإننا نجد مايقابلها في الحبشية (عدى) ، وفي العبرية والآرامية (عد) وفي الأكادية (أدى) .

يقول المستشرق براجشتراسر : « ونقلت العربية ومعها الحبشية واحداً من الحروف الجارة القديمة وهو (<aday)وهي في الأكادية(adi>) وفي

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (١٣٩) .
(٢) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (١٣٩) .

العبرية (<ad̲) وفي الآرامية مع إلحاق (ما) الزائدة (<dammā) فتنوب عنها في العربية حتى » [1].

فإذا أردنا أن نجمع صور حتى كما وردت في اللغة العربية واللغات السامية فإنها تكون على النحو التالي :

١ ـ أتى : وردت عن بعض العرب .

٢ ـ أدى : وردت في اللغة الأكادية .

٣ ـ عتى : وردت في لهجتي هذيل وثقيف .

٤ ـ عد أو عدى : وردت في اللغات العبرية والآرامية والحبشية والسبئية .

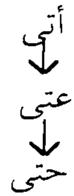
٥ ـ حتى : وهي لغة عامة العرب .

والباحث عن أقدم هذه الصور سوف يختار الصيغ التي تحتوي على الهمزة لأن العرب تنفر من الهمز وتلجأ إلى غيرها وسيقع اختياره على الصيغتين العربية « أتى » والأكادية « أدى » ولكن أي الصيغتين تكون أصلية وأيهما تكون فرعية ، وما دام أن العرب تحول التاء إلى دال كما سيأتي عند الحديث عن التبادل بين التاء ، والدال يترجح أن الصيغة التي تحتوي على التاء هي الأصلية والتي تحتوي على الدال هي الفرعية وإذا علمنا أن العرب تفر من الهمزة وتلجأ إلى العين كما تقدم في أثناء الحديث عن التبادل بين الهمزة والعين وثبوت أن العرب تحول الهمزة إلى العين فإن الصيغةالتي تحتوي على العين تكون تالية للصيغة التي تحتوي

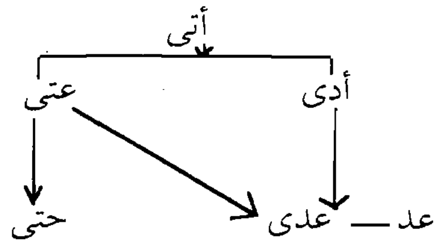
---

(١) التطور النحوي (١٦٠) .

على الهمزة فتكون «عتى» في لهجة هذيل وثقيف متفرعة عن أتى وذلك بإبدال همزتها عينا وتكون «عد» أو «عدى» التي وردت في اللغات العبرية والآرامية والحبشية والسبئية متفرعة عن «أدى» الأكادية، وإذا كانت العرب تحول العين إلى حاء كما في بعثر و«بحثر» ونحوه مما تقدم فإن عين «عتى» إذا أبدلت حاء تصير«حتى» وبذلك نصل إلى أصل «حتى» في العربية وأن حتى هذه أحدث صورة من صور هي مراحل تطور هذه اللفظة وتكون اللهجات العربية قد احتفظت بأقدم صورة وأحدث صورة وكل من اللغات السامية تمثل تطورا من تطورات هذه اللفظة ، وبذلك نرتب اللهجات العربية حسب تاريخ تطورها على النحو التالي :



ونرتب هذه اللفظة في تاريخها عبر اللغات السامية على هذا النحو:



وعلى هذا الأساس تكون القراءة التي وردت فيها «عتى حين» قد مثلت حتى في طور من أطوارها وتكون قد جاءت على صورة أقدم من حتى ولو كان إبدال الحاء عينا لأبدلت كلمة حين المجاورة لعتى .

وقد شكك الدكتور إبراهيم أنيس في نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل وكان شكه هذا مبنيا على نقطتين هما أن قبيلة هذيل حضرية ويناسبها

الصوت المهموس كالحاء أما الصوت المجهور فيناسب القبائل البدوية كتميم والنقطة الثانية هي أن مفهوم كلمة الفحفحة يدل على عكس إبدال الحاء عينا فيقول: على أننا نشك في نسبة هذه الظاهرة لهذيل وذلك لما نعرفه عن اتصال هذيل ببيئة الحجاز . . . بل إن التسمية نفسها لتحملنا على الشك في وصف القدماء لهذه الظاهرة . . . فكلمة « الفحفحة» إذا نظرنا إليها في ضوء مصطلحات الكشكشة والعجعجة نرى أن الحرف الثاني من كل هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه وكان مقتضى هذا أن يكون معنى « الفحفحة » قلب العين إلى الحاء لا العكس ، فلو أن هذه الظاهرة وصفت لنا على أنها قلب العين إلى الحاء لأمكن القول أن قبيلة هذيل المتأثرة ببيئة حضرية قد قلبت صوتا مجهورا وهو العين إلى نظيره المهموس وهو الحاء فنحن بين أمرين إما أن نفسر الفحفحة على أنها قلب العين حاء أو نغير نسبتها لهذيل وننسبها لقبيلة أخرى بدوية مثل تميم (١).

غير أني ألاحظ على هذا ما يلي : في الحقيقة أن إطلاق الفحفحة على مثل« عتى » لا يليق بمعنى الفحفحة وقد سبق أن ذكرت أن معناها تردد الصوت في الحلق شبيه بالبحة وهذا يناسب الحاء ومن حيث نسبة عتى إلى هذيل فلا شك في ذلك وقد أثبتت النصوص تأييد هذه النسبة والذي أطلق هذه النسبة أو اللقب «الفحفحة» هو السيوطي وهي من الذين يقولون بإبدال الحاء عينا كما سبق، وكانت نظرية الدكتور إبراهيم أنيس تقوم على أساس أن الأصوات المجهورة تناسب القبائل البدوية والأصوات المهموسة تناسب القبائل الحضرية ، ولم يعرف تاريخ هذه اللفظة وإلا ما شك في نسبتها إلى هذيل ثم إن اللغة العربية تحول

---

(١) في اللهجات العربية (١٠٩) .

العين إلى حاء وليس العكس وجميع الظواهر التي جاء مثبتة إبدال العين حاء تنسب إلى قبائل بدوية مثل تميم وسعد وأسد وليس من شأن اللغة العربية أن تعمد إلى استبدال الحاء بعين بل هي تفر من العين إلى الحاء كما فرت من الهمزة إلى العين وليس إبدال الحروف خاصاً ببعض القبائل عن بعض وإنما بعض القبائل تحتفظ بالأصل وبعضها يحتفظ بالفرع فكل لهجة تمثل طورا وتاريخا من أطوار الكلمة عبر تاريخها الطويل .

أثر إبدال العين حاء في اللهجات الحديثة

أثبتت اللهجات الحديثة إبدال العين حاء ففي لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها يقولون في «الكعك والسعتر» «الكحك والسحتر»[١] .

وفي لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط وهي المنطقة التي تمتد من غرب الإسكندرية بجمهورية مصر العربية حتى الحدود الليبية يقع إبدال العين حاء فيقولون في « دعك » دحك ، ويقولون : الحصير الخانق أي العصير الخانق «أي قبيل المغرب» ويقولون حشرين للعدد عشْرين، ويحتاد في يعتاد [٢] .

والسودانيون يقولون : لجعفر «جحفر» .

وهذا يؤكد ميل اللغة العربية إلى إبدال العين حاء وتأثر اللهجات الحديثة باللهجات القديمة .

---

(١) لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال (٨١) .
(٢) لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر(٧٣) .

أثر إبدال العين حاء في بنية العربية

لقد ورد عن تميم إبدال العين حاء في الرباعي نحو « عرجل وحرجل» ولمعرفة ذلك فإننا سنقارن بين مادتي حرجل وعرجل في اللسان لنرى مدى انطباق معنى كل منهما على الأخرى .

جاء في مادة«حرجل»الحُرْجُل والحُراجِل الطويل ، وحَرْجَل إذا طال والحُرْجُل الطويلُ الرجلين، والحَرْجَل والحَرْجَلة الجماعة من الخيل تميمية، والحَرْجَل قطيع من الخيل وجاء القوم حَراجلة على خيلهم وعَراجِلة أي مشاة، وحَراجل وعَراجل جماعات والحَرْجَلة الجماعة من الناس ولا يكونون إلا مشاة، والحرجلة العرج، والحرجلة القطعة من الجراد والحرجلة الحرة من الأرض .

وفي مادة « عرجل » العَرْجَلة القطعة من الخيل وقيل الجماعة منها والعرجلة من الخيل القطيع وهي بلغة تميم الحرجلة، والعرجلة الجماعة من الناس وقيل جماعة الرّجّالة والعرجلة الذين يمشون على أقدامهم ولا يقال عرجلة حتى يكونوا جماعة مشاة قال الشاعر حاتم الطائي[1]:

وعَرْجَلةٍ شعث الرءوس كأنهم   بنو الجن لم تطبخ بقدر جزورها

وحراجل وعراجل جماعات ويقال للرجّالة عراجل أيضا .

وأنشد أبو عبيدة في جمع العرجلة الرّجّالة:

راحــو يماشــون القلوص عشية   عَراجِلةً من بين حاف وناعــــل

(١) جمهرة اللغه (٣/ ٣٢٤)، ديوانه (٦٤) .

وكل من «عرجل وحرجل» تحتوي على أربعة أحرف فما هو أصل هذه الحروف وهل فيها زيادة أو لا ؟

وبمقارنة مادتي «عرجل وحرجل» بمادة «رجل» في المعاجم يتضح أصل هاتين الكلمتين أو المادتين فقد ذكرت المعاجم في مادة «رجل» ما يلي « ورَجِل كفرح : فهو راجِل ورَجُل ورَجيل ورَجِل ، ورَجْلان إذا لم يكن له ظهر يركبه وجمعها رجال ورَجّاله ورُجّال ورُجالى ورَجالى ورَجْلى ورُجْلان بالضم ورِجْلة وأرْجَلة وأراجِل وأراجيل والرَّجْلة ويكسر شدة المشي أو بالضم القوة على المشي وحرة رَجْلي كسكري ويمد خشنة يُتَرَجّل فيها أو مستوية كثيرة الحجارة والرجل بالكسر الطائفة من الشيء والقطعة العظيمة من الجراد .

والرَّجْل الرّجّالة الواحد راجل مثل شارب وشرب وصاحب وصحب ورجل رجيل صبور على المشي وامرأة رجيلة كذلك ، ورُجّال جمع راجل ، وقوم رُجالى ورَجّالة ورجلة أي مشاة على أرجل .

وشكا فلان الرُّجْلة أي المشي، وفرس رجيل جريء على المشي، وحرة رجلاء يصعب فيها المشي .

ورأيت رِجْلا من جراد أي قطعة عظيمة،والرجلة القطعة من الوحش[1] .

فيتضح من هذه المقارنة أن مادة«رجل»أصل لمادتي«عرجل»«وحرجل» ويمكن تفسير ذلك بأن «أرجل»من«رجل»أبدلت همزتها عينا فأصبحت «عرجل» كما كان شأن العرب في الهمزة إذ يبدلونها عينا وقد تقدم في

---

(١) انظر مادة « رجل » في اللسان والقاموس والصحاح ومادة « جرل » من الجمهرة .

التبادل بين الهمزة والعين ما يثبت إبدال العرب للهمزة عينا ثم إن العرب أبدلت العين من «عرجل» حاء فأصبحت «حرجل» كما فعلوا في نعم وبعثر .

وبمقارنة المواد الثلاث : «رجل» و «عرجل» و«حرجل» بمادة «هرجل» يتضح علاقة هذه المادة بتلك المواد الثلاث فقد جاء في مادة «هرجل» من القاموس «الهَرْجلة الاختلاط في المشي والهُرْجُل كقنفد البعيد الخطو والهَراجيل الطوال منا والضخام من الإبل .

وفي «المعجم الوسيط» هَرجل فلان هَرْجلة وهِرْجالا اختلط مشيه والهرجل البعيد الخطو بجمعه هَراجِل والهُرْجول الطويل من الناس والضخم من الإبل جمعه هَراجيل» .

فيتضح من المقارنه بين هذه المواد الأربع«رجل، هرجل، عرجل، حرجل».

أن معانيها كلها ترجع إلى «رجل» والتفسير الذي يمكن أن يربط بين هذه المواد الأربع هو «أن الأصل رجل»ثم لما جاء وزن أفعل من رجل«أرجل»أبدلت هذه الهمزة هاء فأصبحت «هرجل» ومثل ذلك تقدم في الكلام عن الهمزة والهاء وهذا مسلك من مسالك العرب للتخلص من الهمزة أما المسلك الثاني فهو إبدال همزة أفعل عينا كما تقدم في أثر العنعنة في بناء العربية فأصبحت أرجل«عرجل» ثم أبدلت العرب العين حاء كما فعلت في «بعثر، ونعم» فأصبحت «عرجل»، «حرجل».

والتبادل بين الهمزة والهاء من جهة وبين الهمزة والعين والحاء من جهة أخرى يشير إلى أمر خطير جدا، كثيرا ما تردد فيه الباحثون وهو أن اللغة الأكادية لا تضم من حروف الحلق إلا حرفين هما الهمزة والخاء

والمواد المتقدمة تشير إلى أن الهاء والعين والحاء ترجع إلى الهمزة ثم إن هذا التبادل يشير إلى نقطة أخرى مهمة جدًا وهي أن ما يعد من إبدال بين الحاء والهاء مرجعه إلى الهمزة لأن كلا منهما مبدل من الهمزة وليس أحدهما مبدلا من الآخر فإذا وجدت كلمتان وقع التبادل بينهما بحيث تحتوي إحدهما على الحاء والأخرى على الهاء فإن هاتين الكلمتين متفرعتان عن كلمة أصلها الهمزة .

وقبل أن أورد الأمثلة التي تشير إلى ذلك فسوف أورد تعليلات العلماء لسبب اختفاء معظم حروف الحلق من اللغة الأكادية ثم أردفه بما أراه صوابا أو بما بدا لي في أثناء مقارنة التبادل بين حروف الحلق .

ذهب فريق من العلماء إلى أن سبب اختفاء معظم حروف الحلق من اللغة الأكادية هو نتيجة لاختلاط الساميين الأكاديين بالسومريين ولما كانت هذه الحروف غير موجودة في اللغة السومرية فقد أثرت هذه اللغة أي السومرية على اللغة الأكادية حتى اختفت منها هذه الحروف وأن هذه الحروف كلها حصل لها هذا الانقلاب نتيجة لامتزاج هاتين اللغتين (١) .

وذهب فريق آخر إلى أن سبب اختفاء هذه الحروف أو حروف الحلق هو استعمال الخط السومري وأن هذه الحروف لم تفقد في الكلام وإنما كانت تنطق ويرمز لها في الكتاب برمز حرف الهمزة أما من حيث النطق فإن الساميين يفرقون بينها يعني أن الأكاديين ينطقونها في أثناء الكلام ولكن بسبب الخط السومري كانت الهمزة ترمز إلى هذه الحروف وهي العين والحاء والهاء وذلك أن الأكاديين أقوام غازية وغالبة في بلاد

(١) التطور النحوي لبراجشتراسر (٢٨)، المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٢٢٤) .

الرافدين فلا يمكن أن تنسى النطق بلغتها [1].

هذا والاستنتاج الذي أصل إليه ولعله يكون صوابا هو أن اللغة الأكادية لم تفقد شيئا من أصواتها لا نطقا ولا كتابة وذلك أنها كانت لها الغلبة في العراق ثم إن التبادل بين الهمزة والهاء من جهة والهمزة والعين والحاء من جهة أخرى قد دل على أن هذه الحروف متفرعة عن الهمزة وهذا يدل على أن اللغة الأكادية التي تعد أولى اللغات السامية تاريخا قد احتفظت بالأصل وهو الهمزة فيما نشأت الحروف المتفرعة عن الهمزة فيما بعد في اللغات السامية الأخرى وقد لاحظنا أمثال هذا التبادل حيث وردت «حتى» في صورها التي تدل على تاريخها الطويل وهي «أتى» و «عتى» و «حتى» مما يشير إلى تفرع العين والحاء عن الهمزة وقد جاءت أمثلة في العربية تشير إلى ذلك أيضا فمن المقارنة بين مواد (أبش) و (حبش) و(هبش) من اللسان تتضح علاقتها ببعضها وأن أصلها «أبش» لأن التبادل قد دل على ذلك فقد جاء في مادة (أبش) الأَبْش الجمع. وقد أَبشه، وأَبشَ لأهله يَأْبُش أَبْشا :كسب. ورجل أَباش : مكتسب. ويقال تَأَبَّش القوم وتَهَبَّشوا إذا تجيشوا وتجمعوا .

وفي مادة (حبش) : التَحَبُّش التجمع وحَبَش الشيء يِحْبُشه حَبْشا وحَبَّشه وتَحَبَّشه واحتبشه جمعه .

والاسم الحُباشة وحَبَشت له حباشة إذا جمعت له شيئا والتحبيش مثله وحباشاتُ العَيْر:ما جمع منه، واحدتها حباشة واحتبش لأهله حُباشه جمعها لهم.وحَبَشت لعيالي وهَبَشت أي كَسَبت وجَمَعْت وهي

(١) تاريخ اللغات السامية أ.ولفنسون (٣٩)، مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي (٨٧)، المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٢٢٥) .

الحُباشة، والهُباشة. وفي المجلس حُباشات وهبُاشات من الناس أي ناس ليسوا من قبيلة واحدة وهم الحُباشة الجماعة وكذلك الأحبوش والأَحابيش، وتَحَبّشوا عليه اجتمعوا وكذلك تهبشوا وحَبّش قومه تحبيشا أي جمعهم .

وفي مادة «هبش» الهَبْش الجمع والكسب يقال: هو يَهْبش لعياله ويُهَبّش هَبْشا ويتَهَبّش ويَهْتَبِش وهو هَبّاش واهتبش وتَهَبّش كسب وجمع واحتال ، ورجل هَبّاش مكسب جامع وهَبَش الشيء يِهْبِشه هَبْشا واهتبشه وتَهَبّشه جمعه، والاسم الهُباشة مثل الحُباشة وهو ما جمع من الناس والمال . ويقال تَأَبّش القوم وتهبشوا إذا تجيشوا وتجمعوا والهُباشة الجماعة وإن المجلس ليجمع هُباشات وحباشات من الناس أي أناساً ليسوا من قبيلة واحدة وتهبشوا وتحبشوا إذا اجتمعوا » .

فيكون أصل هذه المواد هو « أبش» ثم أبدلت الهمزة هاء فأصبحت «هبش » ولو أبدلت عينا لقيل «عبش» ثم أبدلت الهمزة حاء فقيل «حبش» ، وفي هذه المواد ما يفيد أن ما يوجد من كلمات أو من إبدال بين الهاء والحاء إنما مصيره ومرده الهمزة مثل هبش وحبش فإن أصلهما هو أبش فليست إحداهما فرعا عن الأخرى وإنما هما فرعان عن أبش .

وبمقارنة مواد (لأس ولحس ولعس ولهس) من اللسان : يتبين ما أردناه وهو: أن الهمزة أصل للعين والهاء والحاء فقد جاء في مادة«لأس»: اللَّؤُس وسخ الأظفار وقالوا لو سألته لَؤُسا ما أعطاني وهو لا شيء، واللوس أن تَتَبع الحلاوات وغيرها فتأكلها يقال لاس يلوس لَوْسا وهو لائس ولؤوس» .

وفي مادة « لحس » اللَّحْس باللسان يقال لَحِس القَصْعة بالكسر .

واللَّحْسَةَ اللَّعْقة والكلب يَلْحَس الإناء لَحْسا وفي المثل أسرع من لحس الكلب أنفه، ولَحِسْت الإناء لَحْسة ولُحْسة ولَحَسه لَحْسا لَعَقه، واللحس أكل الجراد الخَضِر والشجر. وكذلك أكل الدود الصوف واللاحوس الحريص واللحوس من الناس الذي يَتَبع الحلاوة كالذباب .

وفي مادة «لعس» والمُتَلَعِّس الشديد الأكل واللَّعْوَس الأكول الحريص واللعوس بتسكين العين الخفيف في الأكل وغيره كأنه الشَّرِه ومنه قيل للذئب لَعْوَس وما ذقت لَعوسا أي شيئا وقيل اللَّعْس العض يقال لعسني لعسا أي عضني وبه سُمي الذئب لَعْوَسا .

وفي مادة: لهس «لَهَس الصبي ثدي أمه لَهْسا لطَعَه بلسانه ولم يمصـصه، والمُلاهِس المزاحم على الطعام من الحرص ، واللَّهُس لغة في اللحس أو هَهَّة يقال مالك عندي لُهْسة بالضم مثل لُحْسة أي شيء» .

فكل هذه المواد تدل على الحرص والشراهة في الأكل وهذا مما يدل على أصالة الهمزة في هذه الكلمات حيث الأصل هو«لأس»ثم أبدلت الهمزة هاء على حد قول العرب«هراق»في أراق فأصبحت«لهس» وأبدلت الهمزة من لأس عينا على حد قولهم «عن» في «أن» فأصبحت «لعس» ثم أبدلت العين حاء على حد قولهم بحثر في بعثر فأصبحت «لحس» .

ومما يزيد الأمر وضوحا المقارنة بين هذه المواد«أرش وحرش وهرش» في لسان العرب إذ ورد في مادة «أرش»: أَرّش بينهم حمل بعضهم على بعض وحرّش، والتأريش التحريش وأَرّشت بين القوم تأريشا أفسدت بينهم ، وتأريش الحرب والنار تأريثهما وأرّشت بين الرجلين إذا أغريت أحدهما بالآخر وأوقعت بينهما الشر .

وفي مادة «حرش» الحَرْش والتحريش إغراؤك الإنسان والأسد ليقع

بِقرنه ، وحَرّش بينهم أفسد وأغرى بعضهم ببعض ، والتحريش الإغراء بين القوم وكذلك بين الكلاب .

وفي مادة « هرش » رجل هَرِش مائق جاف والمُهارشة في الكلاب ونحوها كالمحارشة يقال هارش بين الكلاب، والهِراش والاهتراش تقاتل الكلاب ، والهِراش المهارشة بالكلاب وهو تحريش بعضها على بعض ، والتهريش التحريش.

فيكون أصل هذه المواد مادة أرش ، وفرعاها هرش وحُرش .

ومثل هذه المواد (أرش وهرش وحرش) مواد (نأم، ونحم، ونهم)من اللسان .

ففي مادة «نأم» النأمة بالتسكين: الصوت نأم الرجل ينئم وينأم نئيما وهو كالأنين وقيل هو الزحير وقيل هو الصوت الضعيف الخفي أيا كان، ونأم الأسد ينئم نئيما وهو دون الزئير وسمعت نئيم الأسد،ونأم الظبي وأصله في الأسد، والنئيم صوت البوم،ويقال أسكت الله نأمته وهو من النئيم الصوت الضعيف أي نغمته وصوته،والنئيم صوت فيه ضعف كالأنين،يقال نأم ينئم والنأمة والنئيم صوت القوس،ونأمت القوس نئيما.

وفي مادة «نحم» النحيم: الزحير والتنحنح والنحيم صوت يخرج من الجوف ورجل نَحِم ، ونَحَم يَنْحِم بالكسر نَحْما ونَحيما ونَحَمانا فهو نَحّام وهو فوق الزحير وقيل هو مثل الزحير .

ورجل نحام بخيل إذا طلبت إليه حاجة كثر سعاله عندها .

وقد نحم نحيما ، النحمة السعلة وتكون الزحيرة ، والنحيم صوت الفهد ونحوه من السباع ونحم الفهد ينحم نحيما ونحوه من السباع

كذلك وكذلك النئيم وهو صوت شديد ، ونحم السواق والعامل ينحم وينحم نحيما إذا استراح إلى شبه أنين يخرجه من صدره ، والنحيم صوت من صدر الفرس .

وفي مادة نهم « ونَهَم يَنْهِم بالكسر نهيماً وهو صوت كأنه زحير وقيل هو صوت فوق الزئير ، وقيل نَهَم ينَهْم لغة في نَحمَ يَنْحِم أي زحر والنَّهْم والنَّهيم صوت وتوعد وزجر، وقد نَهمَ يَنْهِم ونَهْمة الرجل والأسد نأْمتهما، وقال بعضهم نهمة الأسد بدل من نأمته والنّهام الأسد لصوته، يقال نَهَم يَنْهِم نهيما والناهم الصارخ والنهيم مثل النحيم ومثل النئيم وهو صوت الأسد والفيل يقال نهم الفيل ينهم نهما ونهيما .

وقد جمع ابن السكيت هذه الألفاظ الثلاثة تحت معنى واحد حيث قال: « ويقال نهم ينهم ونحم ينحم ونأم ينئم بمعنى واحد وهو صوت كأنه زحير » [1].

فقد تبين من مقارنة هذه المواد أنها من أصل واحد وقد نص العلماء على ذلك .

وطريقة العرب في الإبدال تجعل الهمزة أصلا والهاء فرعا منها لأنهم يلجأون إلى الهاء فرارا من الهمزة والحاء فرعا عنها أيضا لأنهم يفرون من الهمزة إلى العين ويفرون من العين إلى الحاء ومثل هذه الأمثلة تدل على فرار العرب إلى الحاء دون المرور بالعين وقد يمرون بالعين ولكن في فترة لم تسجل في المعاجم فكأن قياس هذه المواد هو : نأم ثم تبدل الهمزة هاء فتكون نهم وتبدل عينا فتكون نعم ثم تبدل العين حاء فتكون نحم .

---

(١) الإبدال (٩٣) .

وإذا قارنا بين مواد «بحتر وحبتر وبهتر» في الصحاح فإننا سنجد هذه المواد ترتبط بعلاقة صوتية ومعنوية مما يؤكد أن بعضها متفرع عن بعض وبعضها أصل لبعض ففي مادة «حبتر» : الحبتر بالفتح القصير مثل البحتر وفي مادة «بحتر» البحتر بالضم القصير المجتمع الخلق وكذلك الحبتر بالفتح وهو مقلوب منه، وفي مادة «بهتر» البهتر لغة في البحتر وهو القصير» .

وأقول لعل الأصل لهذه المواد هو مادة «بتر» لأن كلمة «أبتر» بعد زيادة الهمزة على بتر تدل على هذه المعاني ثم أبدلت همزة أفعل حاء فأصبحت حبتر ولكن الحاء لا تبدل من الهمزة مباشرة بل لابد من المرور بالعين فيكون الإبدال على هذا النحو أبتر ثم أبدلت الهمزة عينا على حد قولهم «عن» في «أن» فصارت عبتر ثم أبدلت العين حاء، على حد قولهم «بحتر» في «بعثر» فأصبحت«حبتر»، لكن مرحلة العين لم تسجلها المعاجم ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أبدلت الهمزة هاء فأصبحت هبتر ثم دخلها القلب المكاني فأصبحت بهتر ودخل أيضا حبتر فأصبحت بحتر ، ولنا تفسير آخر وهو أن الأصل لبحتر وبهتر هو « بتر» بتضعيف عين بتر ثم فك الإدغام بواسطة حرف الحلق تارة بالحاء وتارة بالهاء وسيأتي مثل ذلك عند فك المدغمين بحروف الحلق فيما بعد : فتكون تطورات هذه المادة على هذا النمط :

أولا : الإبدال من همزة أفعل نحو: أبتر ← عبتر ← حبتر ← وأبتر ← هبتر .

ثانيا : التفسير بالقلب المكاني : أبتر ← عبتر ← حبتر = بحتر، أبتر ← هبتر بهتر .

ثالثا : الإبدال من أحد المدغمين : بتر ← بحتر، بتر ← بهتر .

ويترجح في بهتر وبحتر الإبدال من أحد المدغمين لأنه أقرب في المعنى من القلب المكاني .

ويترجح في حبتر أن تكون هذه الحاء متطورة عن الهمزة لكن بعد المرور بالعين والعلاقة هنا واضحة جلية بين أبتر وحبتر .

ومن هذا يظهر أثر إبدال حروف الحلق في بنية العربية وأن حبتر أصلها مادة ثلاثية مزيدة بالهمزة ولكن بعد مرورها في عدة مراحل وصلت إلى حبتر فعدت رباعية ولكن المتأمل والمتابع لتاريخ هذه اللفظة يستطيع أن يرجعها إلى أصلها الثلاثي .

ومما يؤيد أثر إبدال حروف الحلق في بنية العربية ما لاحظه ابن فارس حول زيادة الحاء في «حبجر» إذ قال: «ومنه الحبجر وهو الوتر الغليظ ويقال في غير الوتر أيضا والحاء فيه زائدة وإنما الأصل الباء والجيم والراء وكل شديد وعظيم بَجْر وبُجْر »[1].

لكنه لم يعلل سبب زيادة الحاء ثم إنه عد هذا البناء فيما زاد على الثلاثي ولكنني أقول في حبجر مثل ما قلته في حبتر أي أن هذه الحاء مرجعها إلى همزة أفعل ثم بعد مرورها بمراحل تحولت إلى حاء .

ولعل العنعنة أو العنة والبحح الذي ذكر في أثناء الحديث عن صوت العين والهمزة يكون سببا في نشوء حرف (صوت) العين ، وتكون البحة والهة سببا في نشوء حرفي الحاء والهاء،فقد لاحظ الخليل ذلك بقوله:

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٤٤) .

«ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين. . . ولولا هتة في الهاء وقال مرة هههة لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من مخرج الحاء » (١).

وهذه مقارنة بين اللغات السامية يظهر من خلالها أن الحاء والعين والهاء تقابلهما الهمزة في اللغة الأكادية (البابلية الآشورية) مما يؤيد أن الهمزة أصل لهذه الحروف (الأصوات) .

فالهاء توجد في جميع اللغات السامية ماعدا البابلية الآشورية فتقابلها الهمزة فمثلا كلمة هلك العربية تكون « **hālaḵ**»في العبرية و« **>alāku** » في البابلية الآشورية .

والعين توجد في اللغات السامية كلها ماعدا البابلية الآشورية إذ تقابلها الهمزة في هذه اللغة فلو أخذت كلمة« عقرب»بالعربية فإنها تكون « **aḵṟab <**»في العبرية و« **ẹkkarb̄a_<**»في الآرامية و«**<akrab**» في الحبشية و « **ạkrabu**» في البابلية الآشورية .

والحاء موجودة في جميع اللغات السامية ماعدا البابلية الآشورية .

فكلمة حدث العربية في العبرية« **hāḏaš̌** »وفي الآرامية« **ẖdaṯ**» وفي الحبشية «**hadasa** » وفي البابلية الآشورية « **>edešu**» بمعنى «جديد» في هذه اللغة (٢).

وقد ورد في العربية مثل هذا فقد جاء في الإبدال لأبي الطيب يقال: « أما والله وحما والله وهما والله، وعما والله ، وغما والله » (٣).

(١) العين (١/ ٦٥) .

(٢) انظر المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٢٢٥) .

(٣)(٢/ ٥٥٠) ونوادر أبي مسحل (١/ ٥٢) .

فقد جاءت كلمة «أما» مشتملة على حروف (أصوات) الهمزة والعين والحاء والهاء والغين وهذا مما يدل على أن اللغة العربية قد احتفظت بتطور هذه الكلمة بل حفظت جميع أطوارها مما يدل على قدم العربية وأن هذه اللفظة من اللغة القديمة التي تفرعت منها اللغات السامية ومعرفة التبادل بين حروف (أصوات) الحلق تفسر تعدد صور هذه اللفظة وأن بعض صورها فرع عن بعض فالأصل ما احتوى على الهمزة وهو«أما» ثم أبدلت الهمزة هاء فرارا من صوت الهمزة كما تقدم في التبادل بين الهمزة والهاء وهو أحد مسالك العرب في التخلص من الهمزة فأصبحت الكلمة «هما»، والطريقةالثانية هي إبدال الهمزة عينا كما في العنعنة فأصبحت اللفظة «عما» ثم أبدلت العين حاء على حد قول العرب «بحثر» في «بعثر» فأصبحت اللفظة «حما» وأما «غما» بالغين المعجمة فلعل هذا يكون نتيجة للتحريف أو التصحيف .

الغين والخاء

يرى العلماء العرب القدامى أن مخرج الغين والخاء هو الحلق حيث قسموا الحلق إلى ثلاث مناطق أول الحلق ويشمل الهمزة والهاء وأوسط الحلق ويشمل العين والحاء وأقصى الحلق ويشمل الغين والخاء قال سيبويه: « وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء » [١].

وقال المبرد عندما كان يعدد مخارج الحروف(الأصوات)الحلقية «والمخرج الثالث الذي هو أدنى حروف الحلق إلى الفم مما يلي الحلق مخرج الخاء والغين » [٢].

وقال ابن دريد: «والغين على مدرج الخاء إلا أنها أسفل منها فهذا جنس حروف الحلق» [٣].

فالغين على هذا: حرف (صوت) حلقي مجهور رخو (احتاكي) منفتح، والخاء هي النظير المهموس للغين .

لكن المحدثين من علماء الأصوات يعدون الغين والخاء من الأصوات الطبقية أي تخرج من منطقة الطبق وهو الجزء الرخو من سقف الحنك بحيث تلتقي مؤخرة اللسان بمنطقة الطبق وهذا الرأي مؤسس على نتائج التجارب الصوتية في المعامل ومعنى هذا أنها تكون تالية لصوت القاف كما ينطقها القراء في هذا العصر . يقول الدكتور تمام حسان: « لقد اعتبر

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣) .

(٢) المقتضب (١/ ١٩٢) .

(٣) الجمهرة (١/ ٦) .

النحاة والقراء الحلق مخرج الغين وبهذا يستطيع الباحث أن يقف منهم أحد موقفين ينبني كل منهما على طريقة فهمهم للاصطلاح (حلق) فإذا كان مفهوم هذا الاصطلاح في أذهانهم مطابقا لما نفهمه نحن الآن فهم ولاشك مخطئون في القول بأن صوت الغين يخرج من الحلق أما إذا كان فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له حتى يشمل ما بين مؤخرة اللسان والطبق فلا داعي للقول بخطئهم »[1].

وقال الدكتور كمال محمد بشر في تفسيره حول جعل العلماء العرب الغين والخاء من حروف (أصوات) الحلق: «ويمكن تفسير ماذهب إليه العرب بواحد من وجهين:

الأول: ربما أخطأ هؤلاء القوم في الملاحظة فلم يستطيعوا التفريق بين مخارج هذه الأصوات.

الثاني: لعلهم أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التي نسميها نحن اليوم بالحلق والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحنك أو بعبارة أخرى ربما أطلقوا المصطلح «الحلق» على تلك المنطقة الكبيرة التي تشمل الحنجرة والحلق وأقصى الحنك على ضرب من التجوز».

ثم أيد الاحتمال الثاني بقوله: « ويؤيد هذا الاحتمال كذلك أنهم عادوا فقسموا « الحلق » إلى ثلاث مناطق جزئية هي أسفل الحلق وأقصاه ومنه الهمزة والهاء وأوسطه ومنه العين والحاء وأدنى الحلق ومنه الغين والخاء».

ثم قال: «فكأن أسفل الحلق«وأقصاه»يناظر الحنجرة في تقسيمنا وأوسط

(١) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان (١٣٠).

الحلق يناظر الحلق بالمعنى الدقيق وأدنى الحلق يقابل أقصى الحنك وإذا ما قبل هذا الافتراض صح ما صنعوا وكانوا على صواب فيما فسروا»[١].

غير أنه يرى أن هذا التقسيم لحروف(أصوات الحلق) يشمل القاف لأنها في نطق القراء اليوم لهوية واللهاة تقع في أقصى منطقة الطبق اللين فكان على هؤلاء أن يعدوا القاف من الحروف (الأصوات الحلقية).

ثم يرد على هذا الاعتراض بأن القاف كما وصفها القدماء ربما تكون طبقية أي تخرج من الطبق فعلى هذا الاعتبار تكون تالية للغين والخاء أو من منطقة واحدة وهي الطبق اللين.

فعلى هذا الاعتبار أو على رأي المحدثين تكون الغين صوتا طبقيا مجهورا رخوا (احتكاكيا)منفتحا يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطبق، اتصالا يسمح للهواء بالمرور فيحتك باللسان والطبق في نقطة تلاقيهما وفي الوقت نفسه يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي مع حدوث ذبذبات في الوترين الصوتيين[٢].

والخاء هو النظير المهموس للغين فهو صوت طبقي مهموس رخو (احتكاكي) منفتح لايفترق في طريقة نطقه عن الغين إلا في أن الوترين الصوتيين لايهتزان معه ويهتزان مع الغين[٣].

وقد ورد عن العرب التبادل بين الغين والخاء فقد جاء في مادة خن من العين «والخُنّة كالغُنّة كأن الكلام يرجع إلى الخياشيم يقال امرأة خنناء

---

(١) علم اللغة العام الأصوات للدكتور كمال محمد بشر(١٢٤).
(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٥٤).
(٣)المرجع السابق(٥٤).

وغناء»"وخَنّت المرأة تَخِن خنينا وهو دون الانتحاب من البكاء، والخنخنة ألا يبين الكلام فيخنخن في خياشيمه، والخُنان في الإبل كالزكام في الناس فيقال خن البعير فهو مخنون، والخنان داء يأخذ الطير في حلوقها فيقال طير مخنون».

وفي مادة صمغ من اللسان: «الصمْغ والصَمغَ شيء ينضحه الشجر ويسيل منها واحدته صَمْغَة وصَمخه، والشاة إذا حلبت عند ولادها فوجد في أحاليل ضرعها شيء يابس يسمى الصمخ والصمغ والواحدة صَمْخة وصمغة فإذا قطر ذلك أفصح لبنها بعد ذلك وأحلولي» وفي مادة «صمخ» والشاة إذا حلبت عند ولادها يوجد في أحاليل ضرعها شيء يابس يسمى الصمخ والصمغ . . .».

وقال ابن فارس في مادة «حنط» الخاء والنون والطاء كلمة ليست أصلا وهي من باب الإبدال يقال خَنَطه إذا كَربَه مثل غَنَطه وليس بشيء.

وفي مادة فدغ من اللسان: « الفَدْغ شدخ شيء أجوف مثل حبة عنب ونحوه، والفدغ كسر الشيء الرطب والأجوف وشَدَخه فَدَغه يَفْدَغه فدغا».

وفي مادة فدخ منه: « فدخه يفدخه فدخا شدخه وهو رطب والفدخ الكسر وفدخت الشيء فدخا كسرته».

وفي مادة ردخ منه أيضا: الردخ: الشدخ والرَدخَ مثل الرَّدَغ عمانية» وفي هذا نسبة هذا الإبدال إلى أهل عمان.

وفي مادتي خضف وغضف من اللسان جاء«خَضفَ بها يَخْضفُ خَضْفا وخَضَفا وخُضافا وغَضَف بها إذا ضرط، والخَيْضَف الضروط من

الرجال والنساء.

وفي مادة وثخ من اللسان: ويقال لما اختلط والتف من أجناس العشب الغض وثيغة ووثيخة بالغين والخاء.

وبعد هذا العرض من الأمثلة التي وقع فيها التبادل بين الغين والخاء فإنني أرجح أن الغين هي الأصلية في هذا الباب وأن الكلمات التي تحتوي على الخاء هي الفرعية أي أن الغين تتحول إلى خاء وذلك للأسباب التالية:

الملاحظ في حروف الحلق أن المجهور يتحول إلى المهموس فالهمزة وهي مجهورة على رأي العلماء العرب القدامى تتحول إلى الهاء،. والعين تتحول إلى الحاء،والغين في هذا تتحول إلى خاء وقد قال سيبويه: إن المهموس أخف من المجهور» وفي تحول الغين إلى خاء تحول من الجهر إلى الهمس. وفي الإدغام تتحول الغين إلى خاء. قال المبرد: «وأما ما لا اختلاف فيه فإنك تدغم الغين في الخاء لاشتراكهما في الرخاوة وأنه ليس بينهما إلا الهمس والجهر،فتقول في قولك: أصبغ خلفا أصبخلفا وهو أحسن من البيان وكذلك اد مخالدا، تريد: ادمغ خالدا، والبيان جائز حسن،وتدغم الخاء في الغين فتقول اسلغنمك تريد اسلخ غنمك، والبيان أحسن لأن الغين مجهورة والتقاء المهموسين أخف من التقاء المجهورين وكل جائز حسن»[1].

بالإضافة إلى ذلك فإن اللهجات الحديثة تؤيد تحول الغين إلى خاء، ومما يؤيد هذا ماورد في أدب الكاتب «يقال أباد الله خَضْراءهم أي سوادهم ومعظمهم ولذلك قيل للكتيبة خضراء قال الأصمعي لا يقال:

---

(١) االمقتضب (١/ ٢٠٩).

أباد الله خضراءهم ولكن يقال: أباد الله غَضْراءهم أي خيرهم وغضارتهم والغضراء طينة خضراء حُرّة علِكة، يقال أنبط بئره في غضراء»[1].

فقد بين الأصمعي أن أصل خضراء في هذا القول هو غضراء.

وقال الكسائي: دخلت في: غَمار الناس وغُمارهم: أي في جماعتهم وكثرتهم، وكذلك خَمار الناس وخُمارهم»[2]. ودخل في غَمَر الناس وخَمَرهم[3].

وقيل في مادة خطط من اللسان: الخطيط قريب من الغطيط وهو صوت النائم والغين والخاء متقاربتان.

وجاء في مادتي خق وغق من جمهرة اللغة «خق القِدْر وما أشبهه خَقًا وخَقيقا وخق فرج المرأة إذا سمع له صوت عند الجماع ومنه امرأة خقوق وخقاقة وكذلك غق غَقّا وغقيقا إذا غلا فسمعت له صوتا والمرأة غقوق وغقاقه».

وغق: «القدر وما أشبهه يغق غقا وغقيقا إذا غلى فسمعت صوته وامرأة غقاقة إذا سمع لفرجها صوت عند الجماع، وسمعت غق الماء وغقيقه إذا جرى فخرج من ضيق إلى سعة أو من سعة إلى ضيق».

---

(١) (٤١).

(٢) أدب الكاتب (٤٣٩).

(٣) مجالس ثعلب (١/ ٢٠٢).

أثر إبدال الغين خاء في اللهجات الحديثة

أثبتت اللهجات الحديثة إبدال الغين خاء ففي لهجة اليمن يقولون في« يغتسل ويغتصب يختسل ويختصب»[1]، ويقولون: أخصان في: أغصان.[2]

ويلاحظ أن التبادل بين الغين والخاء قليل إذا ما قيس بالحروف الحلقية وكذلك فإن هذا التبادل ليس له تأثير في بنية العربية فيما يبدو لي ولعل السبب في ذلك أن هذين الحرفين مخرجهما من الطبق وهو ما ذهب إليه المحدثون من علماء الأصوات أما الحروف الحلقية فمخرجها من الحلق.

وهناك سبب آخر وهو أن تأثير الحروف أو الأصوات الحلقية الهاء والعين والحاء إنما جاء عن طريق الهمزة لأنها إذا تحولت إلى هذه الحروف بدا لها التأثير في البنية وهذا أي التأثير في بنية العربية يؤيد أن هذه الحروف متفرعة عن الهمزة كما سبق في الحديث عن العين والحاء.

---

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية (٢٩).

(٢) المرجع السابق (٤٣).

الفصل الثاني

الحروف الطبقية والغارية

الكاف والشين

الكاف جعلها الخليل تخرج من اللهاة حيث قال: «والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة»(١).

وعد سيبويه مخرجها من أسفل مخرج القاف وما يليه من الحنك الأعلى إذ قال: «ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»(٢).

والمحدثون من علماء الأصوات يجعلون مخرج الكاف من الطبق وهو المنطقة اللينة من الحنك الأعلى، والكاف حرف(صوت) طبقي مهموس شديد «انفجاري» منفتح يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي مع عدم اهتزاز الوترين الصوتيين أي إهمالهما(٣).

أما الشين فقد عدها الخليل شجرية لأن مخرجها من شجر الفم وهو مفرجه قال: «والجيم والشين والضاد، شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي من مفرج الفم»(٤).

---

(١) العين (١/ ٦٥).

(٢) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

(٣) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٥٣).

(٤) العين(١/ ٦٥).

وجعلها سيبويه تخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى قال: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»[1].

وهذا الوصف لمخرج حرف (صوت) الشين هو نفس وصف المحدثين لهذا الصوت إلا أنهم يطلقون على هذه الأصوات الشين والجيم والياء الأصوات الغارية لأنهم يسمون وسط الحنك الأعلى الغار فالشين حرف(صوت) غاري مهموس رخو (احتكاكي) منفتح، يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان تجاه الغار ورفع الطبق ليسد المجرى الأنفي بالتصاقه بالجدار الخلفي ويتم ذلك دون إحداث ذبذبة في الوترين الصوتيين فإذا مر الهواء في الفراغ الضيق بين مقدمة اللسان والغار سبب نوعا من الاحتكاك والصفير وهو صوت الشين[2].

ويذكر عادة تحت هذين الصوتين أي الكاف والشين ثلاث من اللهجات العربية الملقبة وهي الكشكشة والكسكسة والشنشنة.

وأول من قسم هذه اللهجات هو سيبويه غير أنه لم يسمها وذلك أن كاف خطاب المؤنث في حالة الوقف عليها تشتبه بكاف خطاب المذكر لذلك عمدت العرب إلى التفريق بينهما على حسب قول سيبويه وقد سلكوا للتفريق بين كاف خطاب المؤنث والمذكر في الوقف حتى لايشتبه المؤنث بالمذكر ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: إبدال الكاف شينا وقد نسبه إلى تميم وبني أسد.

المسلك الثاني: إلحاق كاف المؤنث سينا وعزاه إلى قوم من العرب.

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب(٥١)

المسلك الثالث: إلحاق كاف المؤنث شينا ونسبه إلى أناس من العرب.

ثم علل بأن إبدال الكاف شينا هو بسبب أنهما مهموسان ومن حروف الفم وهذا التعليل والتقسيم أخذ به من جاء بعده.

قال مبينا المسلك الأول: «هذا باب الكاف التي هي علامة المضمر:

اعلم أنها في التأنيث مكسورة وفي المذكر مفتوحة وذلك قولك: رأيتُكِ للمرأة ورأيتكَ للرجل، والتاء التي هي علامة الإضمار كذلك، تقول: ذهبتِ للمؤنث وذهبتَ للمذكر، فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث. وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا ذهبوا، وذهبن، وأنتم وأنتن، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة ولم يجعلوا مكانها مهموسا من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق وذلك قولك: إنّشِ ذاهبة ومالَشِ ذاهبة تريد إنّكِ ومالكِ»[1].

وقال مبينا المسلك الثاني: «واعلم أن ناسا من العرب يلحقون الكاف السين ليبنوا كسرة التأنيث وإنما ألحقوا السين لأنها قد تكون من حروف الزيادة في استفعل وذلك اعطيتُكِس وأكرمُكِس فإذا وصلوا لم يجيئوا بها لأن الكسرة تبين»[2].

---

(١) الكتاب (٤/ ١٩٩).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٩٩).

وقال مبينا المسلك الثالث: «وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان، وذلك قولهم: أعطيتُكِش واكرمكِش فإذا وصلوا تركوها، وإنما يلحقون السين والشين في التأنيث لأنهم جعلوا تركهما لبيان التذكير»[1].

ولعل أول من ذكر ألقاب هذه اللهجات ثعلب والمبرد وما رُوى عن الخليل في كتاب العين فقد روى ثعلب في مجالسه «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن»[2].

وروى المبرد تحت عنوان «من أفصح الناس»: « قال معاوية يوما: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السِّماط فقال: قوم تباعدوا عن فُراتّية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر. . . »[3].

أما الخليل فقد عرف الكشكشة بقوله: «كش البكر يكش كشيشا وهو صوت بين الكتيت والهدير وكشت الأفعى تكش كشيشا إذا احتكت سمعت لجلدها مثل جرش الرحى والكشكشة لغة ربيعة يقولون عند كاف التأنيث عليكش وإليكش وبكش بزيادة شين»[4].

والعلماء مختلفون في شأن الكشكة والكسكسة:

١ ـ فمنهم من يجعل الكشكشة إبدال الكاف شينا كما فعل المبرد في تفسيره للكشكشة التي وردت في حديث معاوية إذ قال: «قوله: تيامنوا عن كشكشة تميم فإن بني عمرو بن تميم إذا ذَكَرتْ كاف المؤنث فوقفَتْ

---

(١) الكتاب(٤/ ٢٠٠).

(٢) (١/ ٨١).

(٣) الكامل(٢/ ٢٢٣).

(٤) العين مادة «كش».

عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف في المخرج وأنها مهموسة مثلها فأرادوا البيان في الوقف لأن في الشين تفشيا فيقولون للمرأة: جعل الله لك البركة في دارِش ويحك مالَشْ والتي يُدرِجونها يَدَعونها كافا والتي يقفون عليها يبدلونها شينا»[1].

فيكون هذا الإبدال خاصا بكاف المونثة في حالة الوقف.

ومثل قول المبرد قول الثعالبي غير أنه لم يقيد إبدال الكاف شينا بالوقف حيث قال تحت عنوان «فصل في حكاية العوارض التي تعرض لألسنة العرب»: «الكشكشة تعرض في لغة تميم كقولهم في خطاب المؤنث ما الذي جاء بش يريدون بك وقرأ بعضهم قد جعل ربش تحتش سريا لقوله تعالى: ﴿**قد جعل ربك تحتك سريا**﴾[2].

وممن تابع المبرد في القول بأن الكشكشة إبدال كاف المخاطبة شينا مع نسبتها إلى تميم أبو الطيب إذ قال: «حكى سيبويه وغيره أن من العرب من يبدل كاف المخاطبة شينا فيقول: رأيت غلامَشِ يا امرأة ودخلت دارش يريد رأيتِ غلامك ودخلت دارك وهي لغة تميم وجماعة من العرب وتسمى هذه اللغة الكشكشة»[3].

ثم استشهد بقول الشاعر:

يادار حييت وَمن ألمـم بـش   عهدي ومن يحلل بواد يَش يعش[4]

---

(١) الكامل (٢/ ٢٢٣).

(٢) مريم (٢٤).

(٣) الإبدال (٢/ ٢٣٠).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢٣١).

ومن أدلة هذه اللهجة قول راجز بني تميم:

هـل لك أن تنتفعـي وانفعـش فتدخلين اللذمعي في اللذمعش[1]

ومن أدلة هذا القول قراءة من قرأ: «إن الله اصطفاش وطهرش»[2][3].

٢ - ومنهم من يجعل الكشكشة إلحاق الكاف شينا.

وممن يقول بهذا الخليل إذ جعل الكشكشة زيادة شين على الكاف في خطاب المؤنثة[4].

والزمخشري إذ يقول تحت عنوان «ومن أصناف الحرف شين الوقف»: «وهي الشين التي تلحقها بكاف المؤنث إذا وقف عليها من يقول اكرمتكش ومررت بكش وتسمى الكشكشة وهي في تميم»[5].

٣ - ومنهم من يجعل الكشكشة: إبدال الكاف شينا أو زيادة شين بعد الكاف.

ومن هؤلاء ثعلب قال في مجالسه: «وأنشدني ابن الأعرابي[6]:

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٧٧).

(٢) آل عمران (٤٢).

(٣) ألف باء للبلوي (٤/ ٤٣٢).

(٤) العين مادة كش.

(٥) شرح المفصل لابن يعيش (٩/ ٤٨).

(٦)هو أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي من موالي بني هاشم كان نحويا عالما باللغة والشعر لم ير أحد في الشعر أغزر منه من مصنفاته النوادر، وتفسير الأمثال، ومعاني الشعر، مات سنة٢٣١ هـ.

ينظر الفهرست (١٠٢)، بغية الوعاة(١/ ١٠٥)، شذرات الذهب (٢/ ٧٠).

علـــى فيما أبتغـــــي أبغيش

بيضاء ترضيني ولا ترضيش

وتطبـــــي ودبنـــــي أبيش

إذا دنوت جـــعـلت تنئيش

وإن نأيت جـــعلت تدنيش

وإن تكلمت حثت في فيش

حـــتى تنقـي كنقيق الديـــش

قال يجعلون مكان الكاف الشين وربما جعلوا بعد الكاف الشين والسين يقولون إنّكش وإنّكس. قال وهذه الكشكشة والكسكسة المشهورة وهي الكاف المكسورة لاغير يفعلون هذا توكيدا لكسر الكاف بالشين والسين[1].

وتبعه ابن جني إذ قال: «ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شينا حرصا على البيان لأن الكسرة الدالة على التأنيث تخفى في الوقف فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا فقالوا: عليش ومنش ومررت بش، ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل أيضا»[2].

ثم أورد الرجز الذي جاء في مجالس ثعلب وذكر شواهد من كلام العرب على هذه اللهجة بقوله: «ومن كلامهم إذا أعياش جاراتش فأقبلى على ذي بيتش»، وربما زادوا على الكاف في الوقف شينا حرصا على

---

(١) (١/ ١١٦).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٢١٦).

البيان أيضا فقالوا مررت بكش وأعطيتكش فإذا وصلوا حذفوا الجميع»[1].

ثم رضى الدين الإستراباذي إذ يقول: «وقوم من العرب يلحقون كاف المؤنث الشين في الوقف فإذا وصلوا حذفوا. . . . وناس كثير من تميم ومن أسد يجعلون مكان كاف المؤنث في الوقف شينا. . . وقد يجرى الوصل مجرى الوقف»[2].

وممن نهج هذا المنهج ابن فارس حيث قال: «وأما الكشكشة التي في أسد فقال قوم إنهم يبدلون الكاف شينا فيقولون عليش بمعنى «عليكِ»، وقال آخرون: بل يصلون بالكاف شينا فيقولون: عليكش»[3].

وكذلك السيوطي حيث قال تحت عنوان «معرفة الردي المذموم من اللغات»: «من ذلك الكشكشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا فيقولون رأيتكش وبكش وعليكش فمنهم من يثبتها في حالة الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف فيقول: منش وعليش»[4].

هذا بالنسبة للكشكشة أما الكسكسة فإن الآراء التي قيلت فيها مثل الآراء التي قيلت في الكشكشة وآراء العلماء فيها ثلاثة هي:

١ ـ إبدال الكاف سينا:

---

(١)سر صناعة الإعراب(١/ ٢١٧).

(٢) شرح كافية ابن الحاجب (٢/ ٤٠٩).

(٣) الصاحبي (٣٥).

(٤) المزهر(١/ ٢٢١).

مثل ما جاء في شرح الأشموني[1] «والكسكسة في لغة بكر كقولهم في خطاب المؤنث أبوس، وأمس، يريدون أبوك وأمك»[2].

٢ـ زيادة سين بعد الكاف:

مثل قول ثعلب: «وربما جعلوا بعد الكاف الشين والسين يقولون إنَّكش وإنكس قال وهذه الكشكشة والكسكسة المشهورة»[3].

ومثل قول الثعالبي: «والكسكسة تعرض في لغة بكر وهي إلحاقهم لكاف المؤنث سينا عند الوقف كقولهم أكرمتكس وبكس يريدون أكرمتك وبك»[4].

وممن قال بزيادة السين ابن فارس فقد ورد عنه تحت عنوان «باب اللغات المذمومة»: «وكذلك الكسكسة التي في ربيعة إنما هي أن يصلوا بالكاف سينا فيقولون عليكس»[5].

ومثله الزمخشري إذ قال: «والكسكسة في بكر وهي إلحاقهم بكاف المؤنث سينا»[6].

٣ـ إبدال الكاف سينا أو إلحاقه سينا.

من هؤلاء القائلين بأن الكسكسة إبدال الكاف سينا أو إلحاقه سينا

(١) هو نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني أصله لمن أُشمون بمصر من مصنفاته شرح ألفية ابن مالك في النحو، ونظم المنهاج في الفقه الشافعي. توفي سنة ٩٢٩هـ.

ينظر شذرات الذهب (٦/ ١٦٥)، الأعلام (٥/ ١٠)، نشأة النحو (٢٩٢).

(٢) (٤/ ٢٨٢).

(٣) مجالس ثعلب (١/ ١١٧).

(٤) فقه اللغة (٧٣).

(٥) الصاحبي (٣٦).

(٦) شرح المفصل لابن يعيش (٩/ ٤٨).

المبرد إذ يقول: «وأما بكر فتختلف في الكسكسة فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون في الشين وهم أقلهم وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين فيزيدونها بعدها فيقولون: أعطيتكس»[1].

والسيوطي إذ يقول: «ومن ذلك الكسكسة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سينا»[2].

هذه آراء العلماء في الكشكشة والكسكسة أما الشنشنة فهي إبدال الكاف شينا مطلقا كما ذكرها السيوطي عندما تعرض للهجات العربية إذ قال: «ومن ذلك الشنشنة في لغة اليمن تجعل الكاف شينا مطلقا كلبيش اللهم لبيش، أي لبيك»[3].

وذكرها صاحب العقد الفريد في حديث معاوية رضى اللّٰه عنه حول فصاحة العرب ونسبها إلى تغلب حيث قال: «وشنشنة تغلب»[4] ولم يفسرها ومن هذه النصوص نقف أمام لهجات ثلاث:

١ ـ الكشكشة: وهي إبدال الكاف شينا، أو زيادة شين بعد كاف المؤنث.

٢ ـ الشنشنة: إبدال الكاف شينا.

٣ ـ الكسكسة: إبدال الكاف سينا أو زيادة سين بعد كاف المؤنث.

وقد جاءت الأدلة الشعرية وبعض القراءات بالكشكشة أو إبدال الكاف شينا ولم تأت في الكسكسة وإذا نظرنا في الأدلة الشعرية نجد أن الشعر الذي استدل به على إبدال الكاف شينا هو الشعر الذي استدل به على زيادة شين بعد الكاف، مثل قول الراجز:

تضحك مني أن رأتني أحترش

---

(١) الكامل (٢/ ٢٢٤).

(٢) المزهر (١/ ٢٢١).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٢٢).

(٤) العقد (٢/ ٤٧٥).

ولو حرشت لكشفت عن حرش

عن واســـع يغرق فيه القنفرش

فقد استدل الخليْل بهذا الشعر على إلحاق كاف خطاب المؤنثة شينا في كشكشة ربيعة[1].

واحتج به أبو الطيب اللغوي على إبدال كاف خطاب المؤنث شينا في كشكشة تميم[2].

وجعله رضى الدين الإستراباذي دليلا على كشكشة بني أسد وتميم وهي إبدال الكاف شينا[3].

ومن الأدلة التي استشهد بها على إبدال الكاف شينا قول المجنون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى عن عظم الساق منش دقيق

وهذا البيت يستشهد به على أن من العرب من يبدل كاف خطاب المؤنث شينا في الوقف والوصل فقد استشهد به أبو الطيب على إبدال الكاف شينا ويعني به كشكشة تميم[4].

واستشهد به ابن جني على إبدال كاف المؤنث شينا في الوصل والوقف[5]، وكذلك ابن عصفور[6].

---

(١) العين «كش».

(٢) الإبدال (٢/ ٢٣١).

(٣) شرح كافية ابن الحاجب (٢/ ٤٠٩) ،شرح شافية ابن الحاجب(٣/ ١١٩).

(٤)الإبدال(٢/ ٢٣١).

(٥)سر صناعة الإعراب(١/ ٢١٧).

(٦)الممتع في التصريف (١/ ٤١١).

فهل إبدال الكاف شينا هو الكشكشة أو زيادتها شينا؟ إن الشعر الذي جاء مرة مُسْتَشْهَداً به على الكشكشة وهي إلحاق الكاف شينا ومرة مستشهدا به على إبدال الكاف شينا وهو الكشكشة عند بعض العلماء يدل على أن هذه اللهجة واحدة وإنما الاختلاف في وصف الحرف أو الصوت الذي يكون مكان كاف خطاب المؤنث.

ومجموع شواهد الكشكشة والكسكسة والشنشنة يجعلنا أمام ثلاث حقائق هي:

١ ـ إبدال الكاف شينا بلا خلاف وهو الشنشنة.

٢ ـ التردد في إبدال الكاف شينا أو زيادته شينا وهذا في الكشكشة.

٣ ـ التردد في إبدال الكاف سينا أو زيادته سينا وهذا في الكسكسة.

وإذا ذُكِرت الكشكشة ذُكِرت معها الكسكسة، وإذا قيل بأن الكشكشة إبدال الكاف شينا قيل بأن الكسكسة إبدال الكاف سينا، وإن قيل الكشكشة زيادة شين بعد الكاف قيل في الكسكسة مثل ذلك فهما تذكران معاً والاختلاف نفسه في إحداهما يوجد مثله في الأخرى.

واذا نظرنا في السبب في إبدال الكاف شينا أو سينا أو زيادته شينا أو سينا لوجدناه كما نص عليه العلماء واحدا وهو اشتباه كاف خطاب المذكر بكاف خطاب المؤنث في حالة الوقف وهذا السبب لا زال ملاحظا إلى اليوم، لكن الأمثلة التي أُورِدَت فيها كاف غير كاف الخطاب مثل كلمة الديك تجعل هذا الإبدال غير قاصر على كاف المؤنث.

لكن ما هي حقيقة اللهجات الثلاث أو ماهو الحرف الذي يحول إليه الكاف حتى لايشتبه المذكر بالمؤنث؟

إن اللهجات الثلاث لازالت إلى اليوم مستعملة في أنحاء متفرقة من الوطن العربي فيوجد الآن في العالم العربى ثلاث لهجات إحداهن إبدال كاف المؤنثة شينا، والأخرى إبدال كاف المؤنثة صوتا مزجيا يتكون من التاء والشين ويكون في كاف خطاب المؤنث وغيره، والثالثة إبدال الكاف صوتا مزجيا يتكون من التاء والسين ويكون في كاف خطاب المؤنث وغيره.

فإبدال الكاف شينا يكون في الشنشنة، أما ابدال الكاف صوتا مزجيا متكونا من التاء والشين(تش) مثل «**ch**» من الكلمة الانجليزية **children** يكون في الكشكشة ولعل سبب اختلاف العلماء في وصف الكشكشة هو اختلافهم في وصف الحرف (الصوت) المزجي فمنهم من وصفه بالشين ومنهم من وصفه بالكاف والشين أي إلحاق الكاف شينا فكل من الفريقين قد وصف جزءًا منه.

وأما إبدال الكاف صوتا مزجيا متكونا من التاء والسين «تس» كما يقال في الكلمة الألمانية(**leipzig**) يكون في الكسكسة واختلاف العلماء في هذا الحرف(الصوت)مثل اختلافهم في الصوت المزجي في الكشكشة.

فسبب اختلاف العلماء في الكشكشة والكسكسة مرجعه إلى الحرف (الصوت) المزجي لأنه لايمكن أن تزيد العرب سينا أوشينا بعد كاف الخطاب وإنما تبدل هذه الكاف بصوت آخر وهذا هو الموجود اليوم.

ومع هذا كله فقد لاحظ بعض العلماء هذا الصوت المزجي وخاصة الذي يتكون من التاء والشين «تش» فقال ابن دريد رحمه الله مبينًا أن ما استدل به العلماء على زيادة كاف خطاب المؤنث شينا أو إبدال كاف المؤنث شينا إنما هو في الحقيقة صوت مزجي حيث قال: «فإذا اضطروا قالوا غلامش فيجعلونها بين الشين والجيم وكذلك ما يشبه هذا من الحروف المرغوب عنها وهذه اللغة تعرف في مخاطبة المؤنث يقولون رأيت

غلامش أي غلامك يا امرأة إذا خاطبوا المرأة قال راجزهم:

تضحك مني أن رأتني احترش

ولو حرشتِ لكشفت عن حرش

عن واسع يغرق فيه القنفرش

أي حرك فحول كاف المخاطبة شينا وأنشد أبو بكر لمجنون ليلى:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها   سوى عن عظم الساق منش دقيق

أراد عيناك وجيدك ومنك وأنّ وإذا اضطر الذي هذه لغته قال جيدش وغلامش بين الجيم والشين لم يتهيأ له أن يفرده وكذلك ما أشبه هذا من الحروف المرغوب عنها»[1].

فابن دريد جعل الكاف في هذا الشعر مزجية وإنما صورها بالشين لأنها أقرب الأصوات إلى الصوت المزجي إذ لم يكن له رمز وفي هذا النص أورد ابن دريد دليل القائلين بأن الكشكشة إبدال الكاف شينا ودليل القائلين بأن الكشكشة إلحاق الكاف شينا أن هذه الكاف تبدل صوتا مزجيا بين الشين والجيم مما يشير إلى أن الكشكشة صوت مزجي.

وقد ذكر سيبويه الصوت المزجي الذي يتحول إليه الكاف في الكشكشة بقوله في أثناء تعداده للحروف(الأصوات)العربية: «وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف. . .»[2].

(١) الجمهرة (١/ ٦).

(٢) الكتاب (٤/ ٤٣٢).

ولو ربط سيبويه بين هذه الكاف وبين الكشكشة والكسكسة لحصل بذلك خير كثير.

والاستعمال الموجود اليوم لهذه اللهجات هو أن إبدال الكاف صوتا مزجيا «تش» يكون في كاف خطاب المؤنث وفي غيره من الكافات إلا أن الناطقين به لا يمكن أن يبدلوا كاف خطاب المذكر بل يبقى على حاله وهذا يشير إلى أصل هذه اللهجة وهو التفريق بين كاف الخطاب للمذكر والمؤنث وكذلك إبدال الكاف صوتا مزجيا «تس» يكون في كاف خطاب المؤنث وغيره غير أن الناطقين بهذا الصوت لايمكن أن يبدلوا كاف المذكر بل يبقى على حاله وهذا يشير إلى ماأشار إليه الصوت المزجي السابق.

أما إبدال الكاف شينا فالاستعمال الموجود اليوم يجعله لا يكون إلا في خطاب المؤنث أي إبدال كاف المؤنث شينا فعلى هذا تكون اللهجات الثلاث على هذا النحو:

١ ـ الشنشنة :ك = ش.

٢ ـ الكشكشة :ك = تش.

٣ ـ الكسكسة :ك = تس.

وإذا نظرنا إلى انتشار هذه اللهجات الثلاث في الوطن العربي فإن إبدال كاف خطاب المؤنث شينا يوجد في بعض مناطق جنوب الجزيرة العربية وبعض مناطق شرقها أما إبدال الكاف صوتا مزجيا «تس» فيعم معظم مناطق وسط المملكة العربية السعودية.

وإبدال الكاف صوتا مزجيا «تش» يكون أكثر انتشارا من سابقيه إذ يشمل مناطق كبيرة من العالم العربي مثل السعودية وبقية الدول الخليجية

والعراق واليمن الشمالي والصحراء السورية وبعض قرى فلسطين وبعض المناطق بمحافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية وبعض المناطق الشرقية من السودان وفي الأردن.

ونبدأ بإبدال الكاف شينا .

١ ـ إبدال الكاف شينا: الملاحظ في اللهجات العربية الحديثة أو المستعمل فيها أن الكاف لا تبدل شينا إلا إذا كانت لخطاب المفردة المؤنثة ويوجد هذا في بعض مناطق المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في القطيف والأحساء[١] وفي منطقة عسير إذ يقولون: أبوش وأمش يريدون أبوك وأمك»[٢].

لكن هذه المناطق التي وردت فيها هذه اللهجة الغالب على نطق سكانها هو نطق الكاف صوتا مزجيا «تش».

والنطق بالشين بدلا من كاف خطاب المفردة المؤنثة يوجد في منطقة نجران والربع الخالي أما في غير المملكة فيوجد في اليمن في لهجة صنعاء وبلاد يريم وقاع الحقل من أرض يحصب إذ يقولون: «أخوش وأبوش ومنش يريدون أخوكِ وأبوكِ ومنكِ»[٣].

وفي حضرموت مثل قولهم: «ما عاد ناس أخير منش»[٤] وفي بعض مناطق البحرين مثل قولهم: «الله يطول في عمرش ويزيد من رزقش»[٥].

٢ ـ إبدال الكاف صوتا مزجيا «تش»:

---

(١) الأصالة في لهجات الخليج العربي للدكتور عبد العزيز مطر(١٥٩).

(٢) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (١٤٨).

(٣) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين (٣٠).

(٤) اللهجات العربية الحديثة في اليمن للدكتور مراد كامل(٩٣).

(٥) الأصالة في لهجات الخليج العربي(١٥٨).

هذا الإبدال أو الكشكشة هو أوسع اللهجات الثلاث انتشارا اليوم، ففي المملكة العربية السعودية يوجد في جميع مناطق الساحل الغربي على طول البحر الأحمر وفي المناطق الجبلية من السراة على امتداد المملكة من الشمال إلى الجنوب بل يتعداها إلى بعض مناطق اليمن وجميع القبائل التي تسكن المناطق الجبلية توجد لديها هذه اللهجة ولكن بعض المتعلمين قد يهجر هذه اللهجة ولكنها مع ذلك لاتزال موجودة بل إن المدينة تضم هذه اللهجة إذ توجد في المنطقة الغربية منها، وتوجد في جدة ومكة والطائف وخاصة عند غير المتعلمين والذين أتوا من الأرياف والقرى والبوادي وفي جميع المدن الساحلية كينبع والوجه ورابغ. وفي المنطقة الشرقية على امتداد الخليج العربي ويشمل الدمام والجبيل والظهران والأحساء حتى منطقة الربع الخالي المتاخمة للمنطقة الشرقية من الجنوب، وفي حوطة بني تميم أما في غير المملكة العربية السعودية فتوجد هذه اللهجة في اليمن الشمالي في منطقة باقم وبني منبه وبلاد المحويت ولاعة ومغارب اليمن وعمران إذ يقولون: «أنا خوتش، أهلا بتش، قوالتش» يعنون أنا أخوك، أهلا بك، القوة لك[1].

وفي منطقة الخليج العربي الإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين والكويت وجنوب العراق بل إن معظم مناطق القطر العراقي تتكلم بهذه اللهجة ما عدا بعض مناطق مدينة الموصل، ففي الكويت يقولون: باتشر، تشان، تشلب، تشم، تشيف، تشبير، تشذا، تشيس، تشلوة، تشثير، ديتش، ذيتش، فتش، حنتش، ستشين» يريدون بها باكر كان، كلب، كم، كيف، كبير، كذا، كيس، كلوة، كثير، ديك، ذيك،

---

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية (٣١).

أي تلك، فك، حنك، سكين[١].

ومثلها في البحرين[٢] وقطر[٣] والإمارات العربية[٤].

وتعم هذه اللهجات معظم مناطق العراق وقد بين ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي عندما كان يتحدث عن لهجات العراق إذ قال في لهجة البدو: «أما الأصوات العربية في هذه اللغة البدوية فهي محققة غير أنهم يعدلون أحيانا عن (الكاف) إلى صوت قديم لعله شيء من الشنشنة القديمة هو «تش» فيقولون في كان تشان»[٥].

وأقول هذا الوصف للكاف ينطبق على الكشكشة لأنها المقابل للكسكسة وكلاهما صوت مزجي أما الشنشنة فإنها لم تسمع إلا في الشين المبدلة من كاف وقال عن لهجة بغداد والمنطقة الوسطى من العراق ومن هذه الأصوات التي عرض لها التحول «الكاف» فإنها تحولت في العامية إلى صوت هو «تش» أي الجيم الأعجمية أو كما في (ch) الانجليزية وربما كان هذا مثيلا للكشكشة القديمة غير أن الكشكشة القديمة كانت مقصورة على ضمير المخاطب المؤنث كما في «كتابك» وتصبح كتابتش أما في البغدادية فإن ذلك حاصل في كل كاف أينما كانت من الكلمة[٦]. ثم قال: «على أن هذا غير مقصور على اللهجة البغدادية فهو

---

(١) انظر دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ف.م. جونستون(١٠٠).

(٢) المرجع السابق(١٠٥).

(٣) المرجع السابق (١١٠).

(٤) المرجع السابق (١١٣).

(٥) التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق (١٠١).

(٦) المرجع السابق (١٧٢).

شائع معروف في سائر اللهجات الوسطى والجنوبية[١].

وقال عن لهجة المنطقة الجنوبيةمن العراق «تتحول الكاف إلى صوت أشبه ما يكون بالجيم الفارسية أو التركية وهوكما أشرنا بقية الكشكشة القديمة ولكنه غير مختص بكاف الخطاب للمؤنث بل يتجاوز إلى كثير من الكافات التي تكون في بناء الكلمة نحو «تشان، تشاسب، تشلب، والأصل كان، كاسب، كلب[٢].

ثم ذكر أن بعض مناطق الموصل تبدل فيها الكاف صوت (تش) وكذلك المنطقة الشمالية إذ يبدلون الكاف صوتا مثل «CH» الانجليزية ومثل ذلك ذكره في لهجة البدو»[٣].

وفي سوريا توجد هذه اللهجة في الصحراء السورية إذ يبدل سكان هذه الصحراء الكاف صوتا مزجيا «تش» حيث يقولون: تشتف، تشف، تشان يريدون بها كتف وكف وكان [٤]، وهي لهجة القبائل العربية في سوريا وكذلك توجد في لهجات الفلسطينيين[٥] وفي قرى فلسطين يقولون تشل بدلا من كل[٦].

وفي مصر توجد هذه اللهجة في بعض قرى محافظة الشرقية إذ يقولون «تشلب» في كلب[٧].

---

(١)التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق (١٧٣).

(٢) المرجع السابق (٣٢٦).

(٣) المرجع السابق (١٢٢).

(٤)انظر دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ل.م. جونستون (٥٥).

(٥) المرجع السابق (٥٧).

(٦) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية (٣١).

(٧) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (١٤٦).

وتظهر هذه اللهجة في شرق السودان وإن كان الأستاذ عبد المجيد عابدين ينفي أن يكون للكشكشة أو الشنشنة أثر في السودان ويعد المتكلمين بالكشكشة من السودانيين إنما هم من الجماعات التي وفدت على السودان في القرن الماضي إذ يقول: «مهما يكن من أمر فليس لهذه ولا لتلك أثر في لهجات السودان إلا ما يقال عن لهجات جماعات طارئة نزحت إلى السودان في منتصف القرن الماضي يقال لها الرشايدة والزبيدية ويسكنون الآن في المنطقة التي تقع بين بور سودان وطوكر في منطقة القاش من جهة الشرق حتى نهر عطبرة»[١].

وهذه القبائل التي ذكرها موجود بعضها في الحجاز إلى اليوم وهي تتكلم الكشكشة أي إبدال الكاف صوتا مزجيا «تش».

ولازالت لهجات الخليج العربي تستعمل في كاف خطاب المؤنث الصوت المزجى «تش» «CH» حيث يقولون: كتابتش في كتابك» ويقولون في اسم الإشارة المؤنث هذيتش يعنون هذيك أي تلك[٢]، ويقولون في حروف الجر عليتش، معاتش، أي عليك ومعاك، ولتش ومنتش أي لك ومنك[٣].

ومثل هذا يقال في لهجة الحجاز والعراق .

٣ ـ إبدال الكاف صوتا مزجيا «تس».

هذه اللهجة تشمل نجداً وشرق الحجاز وشمال المملكة العربية السعودية حتى مناطق اللهجة السورية العراقية المشتملة على الناطقين

(١) من أصول اللهجات العربية في السودان(٣٠).

(٢) دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ت.م. جونستون(١٦١).

(٣) المرجع السابق (١٦٥).

بالكاف المزجية «تش» أو الناطقين بالكشكشة وهي تشغل معظم وسط الجزيرة العربية، ويلاحظ أنها تكون في منطقة صحراوية لاتفصلها الجبال وتضم هذه اللهجة الرياض وبريدة أو القصيم وحائل وتمتد غربا حتى تشمل بعض أحياء المدينة حيث إن المدينة يتكلم غربيها الكشكشة وشرقيها الكسكسة ووسطها الكاف غير المزجية، والكسكسة تمتد شمالا حتى الحدود السعودية وجنوبا حتى تصل إلى الربع الخالي ومن أمثلة كلامهم: تستب، تسيف، تسم، منتس، عليتس، أي كتب، كيف، كم منك، عليك في خطاب المؤنثة المفردة.

والخلاصة أن للكاف أربع صور في النطق هي الكاف الفصحى، والكاف في الكشكشة، والكاف في الكسكسة، والكاف في الشنشنة أو إبدال الكاف شينا في كاف خطاب المفردة المؤنثة لكن هذه الشين تكون بدلا من الكاف فهي تعد شينا لذلك فصور الكاف في الكتابة ثلاث هي الكاف الفصيحة، والكاف المزجية المتكونة من التاء والشين والمزجية المتكونة من التاء والسين.

❋❋❋❋

الياء والجيم

جمع سيبويه بين مخارج الياء والجيم والشين إذ جعلها ما بين وسط اللسان والحنك الأعلى حيث قال: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»(١).

ويطلق المحدثون من علماء الأصوات على هذه الأصوات الثلاثة اسم الأصوات الغارية نسبة إلى غار الفم.

وقد اختلفت نظرة العلماء في مخرج الياء إذ إن الياء تنقسم قسمين إذا كانت صوت مد فهي تعد من الحركات وإذا كانت صوتا غير مد عدت من الأصوات الصحيحة والمراد بها هنا إذا كانت صوتا صحيحا أي غير مد وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر حروف العلة فيما يأتى وكذلك الجيم قد تعددت مخارجها عند العرب قديما وحديثا وقد جاءت النصوص شاهدة على كل نوع من أنواع الجيم ولكن الجيم التي نريدها هنا هي الجيم التي نسمعها من القراء وهي التي تجمع بين الشدة والرخاوة أو الجيم المزجية وسيكون التفصيل الشامل عن مخارج الجيم واختلاف العرب فيها عند التبادل بين الجيم والقاف فيما سيأتي.

فالياء حرف(صوت)غاري مجهور متسع منفتح والجيم حرف (صوت) غاري مجهور مزدوج «أي يجمع بين الشدة والرخاوة» منفتح، وقد عد سيبويه الجيم من الأصوات الشديدة بينما عد الياء من الأصوات اللينة أو المتسعة المخرج أو الخفية.

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

وقد جاءت النصوص مثبتة إبدال العرب للياء جيما وأطلق على هذا الإبدال اسم العجعجة وروى منسوبا إلى عدة قبائل عربية مثل قضاعة وطيء وبعض بني تميم وأسد، قال سيبويه: «وأما ناس من بنى سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم: هذا تميمج يريدون تميمي، وهذا علج يريدون على، وسمعتُ بعضهم يقول عربَانج يريد عَرَباني وحدثني من سمعهم يقول:

خالي عويف وأبو علجٍّ

المطعمان الشحم بالعشجِّ

وبالغداة فِلَقَ البَرْنجٍّ

يريد بالعشي والبرني، فزعم أنهم أنشدوه هكذا»[١].

وهذا الرجز قد نسبه ابن دريد لامرأة كانت تفخر بأخوالها[٢].

وقال سيبويه في باب حروف الإبدال: « وأبدلوا الجيم من الياء المشددة في الوقف نحو علج وعوفج يريدون عليّ وعوفيّ»[٣].

وقال المبرد: «الحرف الثالث الجيم وهي تبدل إن شئت مكان الياء المشددة في الوقف للبيان لأن الياء خفية وذلك قولك تميمج في تميمي وعلج أي على[٤].

ويريد العلماء العرب القدماء بالخفية شدة الرخاوة أي أن العضوين

---

(١) الكتاب (٤/ ١٨٢)، والإبدال لابن السكيت(٩٦)، وسر صناعة الإعراب (١/ ١٩٢).

(٢) الجمهرة (١/ ١٨٣).

(٣) الكتاب (٤/ ٢٤٠).

(٤) المقتضب (١/ ٦٥).

المكونين للصوت ينفتحان مع الياء أو حروف المد أكثر من انفتاحهما مع غيرهما لذلك عد سيبويه الألف أخفى حروف المد أو العلة.

وتنسب هذه اللهجة أي إبدال الياء جيماً إلى أهل اليمن، روى أبو زيد في نوادره «وقال المفضل[(١)] أنشدني أبو الغول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن:

يارب إن كنت قبلت حجتج

فلا يزال شاحج يأتيك بج

أقمر نهات ينزى وفرتج

أراد حجتي، ووفرتي، وبج أراد وبي»[(٢)].

ونسبت هذه اللهجة إلى طيء قال أبو الطيب اللغوي في الإبدال: «وزعم الفراء أنها لغة طيء وأنشد:

نعما ولدت رضوى لزبان بن كندج

وحوصاء ورألان اللـ ذي دلا على الحج

أراد كندي، واللذي يريد اللذين. دلا على الحج أي على الحيّ بشرفهما نبها على حيهما»[(٣)].

---

(١) هو أبو العباس المفضل بن يعلى الضبي راوية علامة بالشعر والأدب والنحو وأيام العرب من أوثق من روى الشعر من أهل الكوفة من مصنفاته الاختيارات في الشعر وتعرف «بالمفضليات» ومعاني الشعر والألفاظ، والأمثال، توفي سنة١٦٨هـ، ينظر الفهرست (١٠٢)،بغية الوعاه(٢/ ٢٩٧) ،تاريخ العلماء النحويين(٢١٤)،الأعلام(٧/ ٢٨٠).

(٢) النوادر(٤٥٦) الإبدال لابن السكيت(٩٦)،مجالس ثعلب(١/ ١١٧)،الوجيز في علم التصريف لابن الأنباري(٥٧) التصريف الملوكي لابن جني(٥٠).

(٣) (١/ ٢٥٩).

كما نسبت إلى بني حنظلة وبني دبير من بنى أسد ففي الإبدال لابن السكيت «وقال أبو عمرو بن العلاء قلت لرجل من بني حنظلة، ممن أنت؟ فقال فقيمج. قال: قلت من أيهم؟ قال: مرج، يريد فقيمي ومرى»[١].

وجاءت زيادة على هذا النص في الإبدال لأبي الطيب وهي «قال أبو عمرو بن العلاء وهم يقلبون الياء الخفية أيضا إلى الجيم، قال الفراء وذلك في بني دبير من بني أسد خاصة»[٢].

وجاء إبدال الياء المشددة جيما منسوبا إلى بعض العرب قال أبو النجم العجلي:

كـــأن في أذنابهـــن الشـــول   من عبس الصيف قرون الأجل[٣]

ومما ورد على هذه اللهجة قول الراجز:

حتى إذا ما امسجت وأمسجا[٤]

وقد جعل ابن جني هذا دليلا على أن أصل الفعل الثلاثي الناقص مثل رمى وغزا، الواو أو الياء المتحركة وأنها غزو، ورمي، حيث قال:

«يريد أمسى وأمست وهذا أحد ما يدل على ما ندعيه من أن أصل رمت، رميت وغزت غزوت، وأعطت أعطيت، واستقصت، استقصيت،

(١) (٩٥).

(٢) (١/ ٢٦٠).

(٣) الإبدال لابن السكيت(٩٥)، ولسان العرب مادة (عبس، أجل أول) وهذا البيت موجود فى ديوانه لكن برواية الأيل بدلا من الأجل ص(١٩١).

(٤) سر صناعة الإعراب(١/ ١٩٤)، التصريف الملوكي(٥١)، الإبدال لابن السكيت(٩٦) الإبدال لأبي الطيب(١/ ٢٥٩).

وأمست، أمسيت ألا ترى أنه لما أبدل الياء من أمسيت جيما والجيم حرف صحيح يحتمل الحركات .... صححها كما يجب في الجيم»[1].

وقال هميان بن قحافة السعدي:

يطير عنها الوبر الصهابجا

يريد الصهابي من الصهبة[2]

ويطلق على هذه اللهجة اسم العجعجة وقد نسبها السيوطي إلى قضاعة قال في باب «معرفة الرديء المذموم من اللغات»: «ومن ذلك العجعجة في لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون في تميمي تميمج»[3].

وقال الأشموني عند إبدال الياء جيما «وتسمى هذه عجعجة قضاعة»[4].

وفي مادة عجج من لسان العرب «والعجعجة في قضاعة كالعنعنة في تميم يحولون الياء جيما مع العين يقولون هذا راعجّ خرج مَعِجْ أي راعيّ خرج معي كما قال الراجز:

خالي لقيط وأبو علج　　　المطعمان اللحم بالعشج

وبالغداة كسر البرنج　　　يقلع بالودّ وبالصيصج

لكن هذا القيد وهو تحويل الياء إلى جيم إذا كانت مع العين لا تسانده

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ١٩٤).

(٢) الإبدال لابن السكيت (٩٥)، الإبدال لأبي الطيب (١/ ٢٦٠).

(٣) المزهر (١/ ٢٢٢).

(٤) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٤/ ٢٨١).

الأدلة والشواهد التي جاءت عن العجعجة بل إن هذين البيتين اللذين استشهد بهما تردان على القائل بهذ الشرط فإن الياء وإن جاء مع العين في البيت الأول فإن البيت الآخر لم يشتمل على العين، وكذلك القوانين الصوتية لاتؤيد هذا الرأي إن لم ترده.

وقد علق الدكتور رمضان عبد التواب على حفني ناصف عندما نقل هذا الرأي بقوله: ويقيد «حفني ناصف» الياء التي تبدل جيما بوقوعها بعد العين فيقول: «تبدل الياء الواقعة بعد عين جيما في لغة قضاعة فيقولون: الراعج خرج معج، أي الراعي خرج معي، ولست أدري من أين نقله؟ على أن هذا القيد ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية، اللهم إلا تبرير اللقب الذي وصفت به تلك الظاهرة: « العجعجة»[(١)].

ولكن يبدو أن هذه الجيم التي يحولون إليها الياء ليست جيما خالصة وربما تكون من شدة التقاء العضوين المكونين لصوت الياء حتى يظهر في النطق ما يشبه الجيم ولذلك فإن ابن دريد قد لاحظ ذلك فعده صوتا بين الجيم والياء حيث قال: «والحرف الذي بين الياء والجيم» وقال أيضا: «ومثل الحرف الذي بين الياء والجيم إذا اضطروا قالوا غلامج أي غلامي وكذلك الياء المشددة تحول جيما فيقولون بصرج وكوفج كما قال الراجز»[(٢)] ثم أورد الأبيات التي أوردها سيبويه[(٣)].

****

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب.

(٢) جمهرة اللغة (١/ ٥).

(٣) راجع ص٢٠٣.

القاف والجيم

هذان الحرفان (الصوتان) تتعدد مخارجهما فيتقدم كل منهما عن مخرجه ويتأخر وقد يلتقيان في مخرج واحد فالقاف تتأخر عن مخرجها حتى تصل إلى الهمزة وتتقدم عن مخرجها حتى تصل إلى الدال أو المنطقة اللثوية والجيم يتقدم مخرجها حتى تكاد تصل منطقة اللثة ويتأخر مخرجها حتى تصل إلى منطقة الطبق اللين وفي أثناء تحركهما إلى الأمام أو إلى الخلف يلتقيان في مخرج واحد هو الطبق اللين ويكون هذا الحرف (الصوت) قافا عند قوم من العرب وجيما عند آخرين ولازالت العرب تختلف في نطق كل من هذين الحرفين (الصوتين) قديما وحديثا وقد ورثت اللهجات العربية الحديثة هذا الاختلاف وحفظته لنا وهو موجود على ألسنة الناس حتى اليوم، وقد فطن العلماء العرب كسيبويه وابن دريد وبعض من جمعوا اللغة وألفوا في الإبدال فأشاروا إلى نطق العرب المختلف في هذين الحرفين(الصوتين) غير أنهم لم يجعلوا لهذا النطق أو لهذه المخارج التي يتحول إليها القاف والجيم رموزا وإنما اكتفوا بوصفها ولكن لهم الفضل في نسبة هذه الأصوات أو هذا الاختلاف في نطق هذين (الحرفين) (الصوتين) إلى أصحابه ولكن المعاجم العربية قد تورد اللفظ وهو يحتمل القاف أو الجيم ومن ثم يلاحظ الباحث في المواد التي تحت هذين الحرفين (الصوتين) أن منها ما هو جيم ومنها ما هو قاف يعني أنه قد يورد تحت القاف كلمات أصلها القاف والجيم ويورد تحت الجيم كلمات أصلها الجيم والقاف أو تحت الأصوات التي يتحول إليها هذان الحرفان (الصوتان) كما سيأتي.

القاف: لقد جمع الخليل مرة بين القاف والكاف والجيم إذ قال: «وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم»[١] وقال مرة أخرى «ثم القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع»[٢] فصوت القاف عند الخليل لهوي».

وحدد سيبويه مخرج القاف بأنه من أقصى اللسان إذ قال: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ومن أسفل موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»[٣] فقد جعل مخرج القاف قبل مخرج الكاف مما يلي الحلق.

والقاف كما وصفه القدماء حرف (صوت) لهوي مجهور «شديد» منفتح أما المحدثون فيرون أن هذا القاف اللهوي حرف (صوت) مهموس، وذلك لأن الوترين الصوتيين لايهتزان معه ولكن هذا الاختلاف ناشئ من اختلافهم في تعريف المجهور والمهموس كما تقدم في الفرق بين المجهور والمهموس بين القدماء والمحدثين، والقاف كما ينطقها القراء اليوم تنطبق على هذا الوصف ولكنها مهموسة على اصطلاح المحدثين ومجهورة على اصطلاح سيبويه فيتم نطقها برفع مؤخرة الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي ورفع مؤخرة اللسان حتى يتصل باللهاة والجدار الخلفي للحلق مع عدم حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين فينحبس الهواء ثم ينفجر بعد انفصال العضوين المتصلين[٤].

وهذه القاف هي التي تعتبر اليوم لدى المثقفين القاف الفصحى وهي

(١) العين (١/ ٥٨). (٢) العين (١/ ٦٤).
(٣) الكتاب (٤/ ٤٣٣).
(٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي(٥٥).

التي تدرس في علوم اللغة على اعتبار أنها هي القاف القرشية أو القاف الفصحى.

ومما يدل على وجود هذا النطق أو هذه القاف هو أن من بين العرب اليوم من ينطق بهذه القاف على سجيته العامية بالإضافة إلى قراءة القرآن وإنشاد الشعر واستخدامها في الإذاعة والصحافة والتأليف وهي المشتركة بين العرب اليوم وسوف نصطلح على وضع رمز لها وهو «ق» أي برسمها المعتاد لأننا سوف نجعل لأنواع القاف الأخرى رموزاً أخرى.

وقد بين سيبويه الفرق بين القاف والكاف وأن القاف أعلى من الكاف عندما كان يتحدث عن إبدال السين صادا بقوله عن القاف: «وذلك أنها من أقصى اللسان فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم وتَصعّدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى والدليل على ذلك أنك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت: قَقْ قَقْ لم تر ذلك مخلا بالقاف. ولو فعلته بالكاف ومابعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن فهذا يدلك على أن معتمدها على الحنك الأعلى»[1].

وهذا الوصف من سيبويه للقاف يجعلها شبيهة بالقاف التي يقرأ بها القراء اليوم.

الجيم: جعلها الخليل مع الشين والضاد في حيز واحد إذ قال: «ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد»[2].

وقال: «والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي

(١) الكتاب (٤/ ٤٨٠).

(٢) العين (١/ ٦٥).

من مفرج الفم»[١].

ووصفها سيبويه بأنها تخرج من بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى وجمع معها الشين والياء حيث قال: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»[٢] وصفاتها كما ذكر سيبويه هي:

حرف (صوت) مجهور، شديد «احتكاكي» منفتح، والجيم كما يقرأ بها القراء اليوم هي من نفس المخرج الذى ذكره سيبويه وتنطبق عليها الصفات التي ذكرها إلا في قوله: «شديد» فالجيم التي ينطق بها القراء تجمع بين شيئين الشدة والرخاوة أو الانفجار والاحتكاك ويطلق عليه المحدثون من علماء الأصوات اسم الصوت المزدوج أو المركب، أو المعطش[٣] ويعنون بذلك أن مجرى الصوت يحصل له غلق ثم بعد الغلق لا ينفصل العضوان المكونان للصوت بسرعة كما في الأصوات الشديدة وإنما ينفصلان ببطء فيحدث بعد هذا الانفصال احتكاك في أثناء انفصالهما، ويطلق على الصوت الذي يحدث له بعد انفصال العضوين احتكاك بهذا اللقب المركب، أو المزجي، أو المزدوج[٤].

ويطلق المحدثون على هذه الأصوات الثلاثة التي جمعها سيبويه وهي الجيم والشين والياء اسم الأصوات الغارية وعلى هذا تكون هذه الجيم: صوت غاري مجهور مزجي منفتح يتم نطقه بأن يرتفع مقدم

---

(١) العين (١/ ٦٥).

(٢) الكتاب (٤/ ٤٣٢).

(٣) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان (١٣١).

(٤) المدخل إلى علم اللغة (٣٤).

اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم لايزول هذا الحاجز فجأة كما في الأصوات الشديدة وإنما يتم انفصال العضوين ببطء فيحتك هواء الرئتين بالعضوين المتباعدين احتكاكا شبيها بصوت الجيم الشامية(j) ويمكن إيضاح هذا الصوت أيضا بأن فيه عنصرين هما «j»، «g»[(١)].

وهذا الصوت للجيم هو الصوت الذي يقرأ به القرآن ويلقى به الشعر ويستخدم في الإذاعة والصحف وهو الجيم الشائعة في الفصحى اليوم وهي الجيم المشتركة بين العرب وينطق في مناطق شاسعة من العالم العربى وسوف نختار لهذه الجيم رمزا هو «ج» وهو الرمز المعتاد لنفرق بينه وبين أنواع الجيم الأخرى التي سوف نتحدث عنها.

١ ـ **الناطقون بالقاف** «ق»هذا النطق للقاف أي القاف اللهوية يوجد في جمهورية مصر العربية في مديرية الفيوم وبعض مديرية الجيزة وأهل أبيار ورشيد وضواحيها والمحلة الكبرى، والبرلس، وبلبيس من الشرقية والخصوص من القليوبية وبني سويف»[(٢)].

وفي اليمن في مناطق من خولان صنعاء[(٣)].

وفي العراق ينطقها سكان وسط الموصل وهم الذين يسمون «الحضير» وكذلك المسيحيون بالموصل[(٤)]،وفي المغرب لدى أهل الجبال المحيطة بتطوان[(٥)].

---

(١) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١٣٢).

(٢) اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي(٣/ ٤٦٤) .

(٣) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين (٣٠).

(٤) التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق للدكتور إبراهيم السامرائي ١١٩، ١٢٠، ١٢١.

(٥) لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها.

٢ ـ **الناطقون بالجيم «ج»**: وهؤلاء يشملون جزءًا كبيرًا من الوطن العربي إذ تنطق هذه الجيم في أغلب مناطق المملكة العربية السعودية وهي النطق الغالب على سكان مكة المكرمة والمدينة والطائف وتبوك والرياض وبريدة وعنيزة بل نجْد كلها وشمال المملكة.

وفي الأردن، وهذا هو النطق السائد في عامة مناطق السودان[١] وأحد لهجات منطقة تطوان في شمال المغرب[٢].

وفي جمهورية مصر العربية يوجد هذا النطق في لهجات الصعيد[٣].

وفي اليمن يسود النطق بهذه الجيم صنعاء والمناطق الشمالية من اليمن[٤]، وهذا النطق للجيم هو السائد في العراق وخاصة في لهجة الشمال التي تمثلها مدينة الموصل ولهجة الوسط أو المنطقة الوسطى والتي تمثلها بغداد.

ونستطيع أن نطلق على القاف التي اخترنا لرسمها هذا الرمز «ق» وهو رمزها المعتاد اسم القاف الفصحى أو القرشية لنميزها عن غيرها من الأصوات التي تمثل نطق القاف في اللهجات العربية قديمها وحديثها، ونقول في الجيم(ج) مثل الذي قلناه في القاف (ق).

إبدال القاف جيما: إبدال القاف المرموز لها بهذا الرمز «ق» جيما فصيحة والتي اخترت لها رمز «ج» لا زال مستعملا في اللهجات العربية

---

(١) من أصول اللهجات العربية في السودان لعبد المجيد عابدين(٤١).

(٢) لهجة شمال المغرب تطوان وماحولها(٧٤).

(٣) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(٧٨)، مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١٣٢).

(٤) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين(٢٥).

الحديثة وفي مناطق مختلفة من الوطن العربي، وقد جاءت الكتب العربية مشتملة على مواد كثيرة تمثل إبدال القاف جيما من هذه المواد ما يلي:

أشار ابن فارس إلى أن العرب يبدلون القاف جيما حيث قال: «وأما الجِرِّيّة؛ وهي الحوصلة فالأصل الذى يعول عليه فيها أن الجيم مبدلة من قاف كأن أصلها قِرِّيّة لأنها تَقْرِي الشيءَ أي تجمعه ثم أبدلوا القاف جيما كما يفعلون ذلك فيهما»[1].

وقد سبق ابن قتيبة[2] ابن فارس إذ قال: «ابن القرية: والقرية الحويصلة، قال أبو زيد وهي الجرية أيضا»[3].

وقال أبو الطيب: «ويقال انباجت عليهم بائجة وانباقت عليهم بائقة وهي البوائج والبوائق أي الشدائد والدواهي»[4]، ومثله في مادة «بوق» من اللسان: وانباقت عليهم بائقة شر مثل انباجت أي انفتقت.

وفي «حدق» من القاموس المحيط: والتحديج «التحديق» وفي «حدق» من مقاييس اللغة: والتحديق شدة النظر. وفي «حدج» منه «فالتحديج النظر مثل التحديق».

وفي مادة سحق من العين «ويقال سحجه وسحقه إذا طرده طردا شديدا».

---

(١) المقاييس (جرى).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي من أئمة اللغة والأدب ومن المكثرين في التصنيف من مؤلفاته عيون الشعر، عيون الأخبار، إعراب القرآن، مشكل القرآن. توفي سنة ٢٧٦هـ.
ينظر تاريخ العلماء النحويين (٢٠٩)، شذرات الذهب (٢/ ١٦٩)، العبر (١/ ٢٩٧) الأعلام (٤/ ١٣٧).

(٣) أدب الكاتب (٦٠).

(٤) الإبدال (١/ ٢٤١).

وبالمقارنة بين مادتي جمز وقمز من اللسان اتضح أن جمز مبدلة من قمز إذ ورد في مادة «جمز»: «الجُمْزة الكتلة من التمر، والجمع جمز، والجُمْزَة برعوم النبت الذي فيه الحبة عن كراع كالقُمْزة، وفي «قمز»: والقُمْزة برعوم النبت الذي تكون فيه الحبة والقمزة بالضم مثل الجُمْزة وهي كتلة من التمر».

وقال أبو الطيب: «وزلجت الموضع وزلقته أي ملسته ومررت بموضع مزلج فزلجت رجلي وبموضع مزلق فزلقت رجلي»[1].

وبمقارنة هاتين المادتين من لسان العرب ازداد ما قاله أبو الطيب ثباتا وقوة إذ جاء في مادة زلق «ومكان زَلَقَ بالتحريك أي دحض»، «والمزلاق مزلاج الباب أو لغة فيه وهو الذي يغلق به الباب ويفتح بلا مفتاح»، وفي مادة «زلج» سرنا في عقبة زَلوجا وزلَوقا أي بعيدة، طويلة، ومكان زَلْج أو زَليج أي دَحْض، والمِزْلاج المغلاق إلا أنه ينفتح باليد، ومكان زَلْج وزَلَج، أيضا بالتحريك أي زلَق والتزلج التزلق».

وفي مادة وهج من اللسان: الوَهَج والوَهْج، والوَهَجان والتوهج حرارة الشمس والنار من بعيد وفي «وهق» تَوهَقَ الحصى إذا حَمِيَ من شدة الشمس.

وفي مادة شج من القاموس: «شج رأسه يَشِجّ ويَشُج كسره والبحر شقه والمفازة قطعها»، وفي «شج من اللسان» وشجت السفينة البحر خرقته وشقته.

---

(١) الإبدال (١/ ٢٤٥).

(٢) الإبدال (١/ ٢٤٢).

وفي مادة حنج من لسان العرب «وأحنج الفرس ضمر كأحنق»، وأورد أبو الطيب في كتابه الإبدال « ويقال أحنج الفرس يحنج إحناجا وأحنق يحنق إحناقا إذا أضمر».

وأورد أيضا «ويقال حبج يحبج حبجا وحبق يحبق حبقا إذا ضرط والحباج والحباق والضراط واحد»[1].

و في مادتى خبق وخبج من لسان العرب ما يؤيد هذا الإبدال إذ جاء في خبق «والخبق صوت الحياء عند الجماع وامرأة خبوق يسمع منها ذلك ويقال حبق وخبق إذا ضرط» وفي خبج«وخَبَج يَخْبِجُ خبجاً وخُباجا ضرط ضراطا شديدا والخُباج الضراط».

وفي مادتي عزق وعزج من اللسان جاء «وعَزَق الأرض يعزِقها شقها وأرض معزوقة إذا شققتها بفأس أو غيره»، «وعَزَج الأرض بالمسحاة إذا قلبها كأنه عاقب بين عَزَقَ وعزَجَ».

وقال أبو الطيب: «ويقال زرجته بالرمح أزرجه زرجا وزرقته به أزرقه زرقا إذا طعنته به طعنا سريعا»[2].

وفي مادتي «سمحج وسمحق» من اللسان: والسَّمْحَجة الطول في كل شيء وقوس سَمْحَج طويلة في كل شيء والسُّمْحوق الطويل الدقيق.

وفي مادة سلقم من اللسان «السَّلْقَم العظيم من الإبل والجمع سَلاقِم وسَلاقِمة وفي «سلجم» وجمل سَلْجم وسُلاجِم بالضم مسن شديد وبعير سُلاجم عريض.

(١) الإبدال (١/ ٢٤٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٤٢).

وفي «جشر» منه: الجَشَرة: القشرة السفلى التي تلي حبة الحنطة.

وفي مادتى وثج ووثق من اللسان» الوَثيجة الأرض الكثيرة الشجر الملتفةُ الشجر، واستوثج من المال واستوثق إذا استكثر منه» وفي «وثق» الموثق من الشجر الذي يعول عليه الناس إذا انقطع الكلاء والشجر.

وفي مادة جدم من اللسان «وإِجْدَمْ وهِجْدَم على البدل كلاهما من زجر الخيل إذا زجرت لتمضي ويقال للفرس إِجْدَم وأَقْدِم إذا هيج ليمضي وأقدم أجودها وأَجْدَمَ الفرسَ قال له إِجْدَم»، وفي مادة «هجدم» هِجْدَم زجر للفرس، وقال كراع إنما هو هِجْدُمّ بكسر الهاء وسكون الجيم وضم الدال وتشديد الميم وبعضهم يخفف الميم، وإِجْدَم وَهِجْدَم هما على البدل كلاهما من زجر الخيل إذا زُجِرت لتمضي. قال الليث: الهجْدَمُ لغة في إِجْدَم في إقدامك الفرسَ وزجرُكَه يقال أولُ من ركِب الفرسَ ابن آدم القاتل حمل على أخيه فزجر فرساً وقال هِجِ الدَّمَ فلما كَثُر على الألسنة اقتصر على هجدَم وإِجْدَم» ومهما يكن من تعليل لهذه المادة فإن معناها واضح أنها جدم مبدلة من قدم وإن هجدم مبدلة من إقدم وهذه القصة الخيالية التي جاء بها اللغويون ليفسروا بها مادة هجدم سببها وجود الهاء في أول هجدم لذلك أخذوا يعللون «وجودها» بأنها من هج الدم».

وهذا الخيال لايتفق مع تفسير اللغة فإن اللغة تُروى كما سمعت أما التفسيرات فمنها المخطئ والمصيب والذي أراه في هذه المادة أن أصلها «أقدم» ثم حصل لها إبدالان الأول في الهمزة والثاني في القاف فقد أبدلت الهمزة هاء وقد سبق ذلك في التبادل بين الهمزة والهاء على حد قول العرب هراق في أراق، والثاني إبدال القاف جيما مثل الأمثلة التي تقدمت واستعمال اللهجات الحديثة لهذا الإبدال.

وفي ثجل «الثَّجَل عِظم البطن واسترخاؤه وقيل هو خروج الخاصرتين ثَجِل ثَجَلا وهو أَثْجَل والمُثَجَّل كالأثْجَل»وفي «ثقل» والثَّقْلة ما وجد الرجل في جوفه مثل ثقل الطعام ووجد في جسده ثَقَلة أي ثِقَلا وفتورا.

وفي مادة قذف من اللسان «أبو عمرو: المِقْذَف والمِقذاف سجذاف السفينة»، وفي قندل من اللسان أيضا «وقَنْدل الرَجل ضخم رأسه»، وفي جندل «الجَنْدَل صخرة مثل رأس الإنسان».

هذا بالإضافة إلى ما ورد بثلاثة أوجه هي القاف والجيم والغين أو القاف والجيم والهمزة، كما سيأتي.

وهذا الإبدال أي إبدال القاف الفصحى جيما فصحى أو إبدل «القاف» إلى «الجيم» لازال منتشرا في مناطق من العالم العربي ففي المملكة العربية السعودية يوجد في المناطق التي تتكلم بالكشكشة وهي السلسلة الجبلية التي تمتد من شمال المملكة إلى جنوبها من الحدود السعودية الأردنية شمالا حتى الحدود اليمانية جنوبا ما عدا بعض مناطق عسير ولكن معظمها يوجد في قرى الحجاز وبواديه وهم يقولون: «جدام، جلب، مجسوم،جلم، جبلة، جبل، جدر، دجيجة، دجيج، دج؛ يريدون بها: قدام،قلب، مقسوم، قلم، القبلة، قبل، دقيقة، دقيق، دق، ويوجد هذا الإبدال في المنطقة الشرقية حيث تتحول القاف إلى جيم فيقول جاسم وجدام، وجليل يريدون بها قاسم، قدام، قليل وهذا الإبدال يدخل في إطار لهجات شرق الجزيرة العربية.

وهذا الإبدال يوجد في دول الخليج العربي بل يمتد ليشمل لهجات بوادي سوريا والعراق ففي البحرين يقولون: جايلة، جريب، جت، جدام، جدر، جيمة، جليعة ويقصدون بها قائلة، قريب، قت وهو

البرسيم، قدام، قدر، قيمة، قليعة[1].

وفي الإمارت العربية المتحدة يقولون في منطقة دبي، دجيجة، جاسي، جريب، جسم، شرجي، ويقصدون بها: دقيقة، قاسي، قريب، قسم، شرقي[2].

وفي الكويت يقولون: «باجي، جدوم، جلي، يجلي، جليل، حلج، رفيج، ريج، شرجي، ويعنون بها: باقي، قدوم، قلى، يقلى، قليل حلق، رفيق، ريق، شرقي»[3].

وفي جنوب العراق يقولون: جديم، صديج، ويجسم، وجليل، ويعنون بها: قديم، وصديق، ويقسم، وقليل[4]، وهذا يمثل لهجة جنوب العراق وجزءاً من بواديه.

وفي لهجات القبائل الشامية العراقية يحصل مثل هذا الإبدال ففي لهجة الحديدين يقال عرج أي عرق وفي لهجة الموالي «بريج أي إبريق وفي اللهجة السردية يقولون سيجان أي سيقان وفي لهجة بني صخر عرج أي عرق[5] وهذا يمثل جزءً من لهجة بوادي العراق ويلاحظ أن الذين يحولون الـ «ق» إلى «ج» جميعهم يشتركون في ظاهرة الكشكشة وهي إبدال الكاف صوتا مزجيا هو «تش».

---

(١) دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ت.م.جونستون (١٠٧).

(٢) المرجع السابق (١١٥).

(٣) دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ت.م. جونستون(١٠٢).

(٤) التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق للدكتور إبراهيم السامرائي (١٠٥ ـ ٢٣٦).

(٥) دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ت.م. جونستون(٥٥).

فهذه الظاهرة تحيط بجميع أجزاء الجزيرة ما عدا جنوبها ووسطها فهي في الحجاز، والخليج وجنوب العراق وغربه وفي سوريا أو صحراء الشام، وربما تكون في بعض المناطق الجبلية.

٣ ـ إبدال القاف: صوتا طبقيا شديدا مجهورا وهو ما يعرف بالقاف التميمية وسوف أختار لرسم هذا الصوت هذا الرمز« ڨ » لكي أميزه عن القاف اللهوية التي سبق ذكرها وهذه القاف قد ذكرها العلماء غير أنهم لم يجعلوا لها رمزا ولازال المحدثون يخلطون في رمزها وفي اسمها منهم يجعلها كالجيم في نطق أهل القاهرة، ومنهم من يكتبها بالكاف ومنهم من يكتبها بالجيم وسوف نفرق بينها وبين الجيم لدى سكان القاهرة لأن الجيم التي ينطق بها سكان القاهرة هي جيم من أنواع الجيم التي كانت تنطق بها العرب وعندما نتناول التحولات التي حدثت في صوت الجيم سوف نميز هذه الجيم.

وقد فرق ابن دريد بين هذه القاف والقاف اللهوية مع نسبته لها إلى بني تميم حيث قال: ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف»، وقال أيضا: «فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون الڨوم يريدون القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف وهذه لغة معروفة في بني تميم ؛ قال الشاعر:

ولا أڨول لڨدر الڨوم ڨد نضجت ولا أڨول لباب الدار مڨفول[1]

وقد كانت نسخ جمهرة اللغة لابن دريد التي ورد فيها هذا النص مختلفة في رسم هذا الصوت فمنها من يكتبه بالقاف ومنها من يكتبه بالكاف ولكنها تنص على أن النطق بين القاف والكاف ويظهر من كلام

(١) الجمهرة (١/ ٥)، الصاحبي(٣٦).

ابن دريد أن هذا الصوت طبقي حيث حدد مخرجه ولا يزال مستعملا بكثرة.

وقد تعرض ابن خلدون[1] لهذه القاف فوصفها وصفا مثل وصف ابن دريد إلا أنه جعلها ميزة للقبائل العربية البدوية وأنها مما يميز العرب عن غيرهم من العجم وتختص بهذه القاف القبائل العربية التي تمتاز بصفائها وعدم اختلاطها بالأعاجم بينما جعل القاف التي سبق وأن ذكرناها ورمزنا لها بهذا الرمز(ق) بأنها نطق أهل الأمصار من عرب وغير عرب ثم بين أن هؤلاء البدو وقد ورثوا هذه القاف من أسلافهم وأن معظم الناطقين بها هم من سلالة مضر ويخالطهم قليل من سلالة كهلان ورجح أن النطق بهذه القاف هو لهجة النبيﷺ إذ يقول بشأن هذا: «ومما يقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف. . . . يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال ومختصا بهم لايشاركهم فيها غيرهم، حتى أن من يريد التعرف والانتساب إلى الجيل والدخول فيها يحاكيهم في النطق بها. وعندهم أنه إنما يتميز العربى الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف، ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها فإن هذا

---

(١) هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشبيلي الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي أصله من أشبيلية ومولده ومنشأه في تونس من مصنفاته «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر»، وشرح البردة، وشفاء السائل لتهذيب المسائل، توفي سنة٨٠٨هـ. ينظر شذرات الذهب (٧/ ٧٦)، الأعلام(٣/ ٣٣٠).

(٢) المقدمة (١٠٧٦).

الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقا وغربا في ولد منصور بن عكرمة. . . . وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم وهم من أعقاب مضر وسائر الجيل معهم من بني كهلان في النطق بهذه القاف أسوة. وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ولعلها لغة النبي ﷺ بعينها».

ثم أخذ ابن خلدون يرد على القائلين بلحن من قرأ الفاتحة بغير هذه الـ« ڤ » مبينا أن نطق الـ«ق» التي يتكلم بها أهل الأمصار نطقا عربيا وأن معظم سكان الأمصار من مضر وإنما تناقلوها كما تناقل أهل البادية القاف الطبقية مبينا أن فقهاء الأمصار من المستبعد أن يكونوا أهملوا القاف التي سمعوها أو توارثوها من أسلافهم أيضا وإنما مخرج القاف متسع يشمل الـ «ق» اللهوية والـ» « ڤ » الطبقية ولكنه عاد فرجح أن القاف الطبقية هي لغة النبي ﷺ مستشهدا بلغة القبائل العربية التي لم تختلط بالعجم وبإدغام هذه القاف في الكاف حيث قال: «وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد كلامه، ولم أدر من أين جاء هذا؟ فإن أهل الأمصار أيضا لم يستحدثوها وإنما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الأمصار، من لدن الفتح، وأهل الجيل أيضا لم يستحدثوها إلا أنهم أبعد من مخالطة الأعاجم من أهل الأمصار. بهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من سلفهم. هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وأنها الخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري والظاهر أن هذه القاف التي ينطق بها أهل الجيل العربي البدوي هو من مخرج القاف عند أولهم من أهل اللغة وأن مخرج القاف متسع فأوله من أعلى الحنك وآخره مما يلي الكاف فالنطق بها من

أعلى الحنك هو لغة الأمصار والنطق بها مما يلي الكاف هي لغة هذا الجيل البدوي. وبهذا يندفع ما قاله أهل البيت من فساد الصلاة بتركها في أم القرآن فإن فقهاء الأمصار كلهم على خلاف ذلك، وبعيد أن يكونوا أهملوا ذلك، فوجهه ماقلناه، نعم نقول إن الأرجح والأولى ما ينطق به أهل الجيل البدوي لأن تواترها فيهم كما قدمناه، شاهد بأنها لغة الجيل الأول من سلفهم وأنها لغة النبيﷺ. ويرجح أيضا ذلك إدغامهم لها في الكاف لتقارب المخرجين. ولو كانت كما ينطبق بها أهل الأمصار من أصل الحنك لما كانت قريبة المخرج من الكاف ولم تدغم»(١).

ثم أخذ يرد على القائلين بأن مخرج هذه القاف مستقل عن مخرج القاف والكاف وينتقد القائلين باستهجان واستقباح هذه القاف مبينا أنها لغة هذا الجيل العربي وأنه ورثها من أسلافه وأوضح أن مخرج القاف متسعا ليشمل القاف اللهوية والطبقية ويرد على من يزعم أن القاف في لهجة أهل الأمصار كانت ناشئة من اختلاطهم بالأعاجم عندما قال: «ثم إن أهل العربية قد ذكروا هذه القاف القريبة من الكاف وهي التي ينطق بها أهل الجيل البدوي من العرب لهذا العهد وجعلوها متوسطة بين مخرجي القاف والكاف على أنها حرف مستقل وهو بعيد، والظاهر أنها من مخرج القاف لاتساعه كما قلناه ثم إنهم يصرحون باستهجانه واستقباحه كأنهم لم يصح عندهم أنها لغة الجيل الأول وفيما ذكرناه من اتصال نطقهم بها لأنهم إنما ورثوا من سلفهم جيلا بعد جيل وأنها شعارهم الخاص بهم دليل على أنها لغة ذلك الجيل الأول ولغة النبي ﷺ كما تقدم بعد ذلك كله. وقد يزعم زاعم أن هذه القاف التي ينطق بها

---

(١) المقدمة (١٠٧٧).

أهل الأمصار ليست من هذا الحرف وأنها إنما جاءتهم من مخالطتهم للعجم وأنهم ينطقون بها كذلك، فليست من لغة العرب ولكن الأقيس كما قدمناه من أنهما حرف واحد متسع المخرج»[1].

ولكن يظهر من كلام ابن خلدون في جملته أنه يفضل ويرجح القاف الطبقية «ڤ» ولكن يبدو أنه لم يطلع على ما ذكره ابن دريد من أن هذا المخرج قد تتحول إليه الجيم أيضا في بعض لهجات العرب، وهو مثل نطق أهل القاهرة اليوم وسوف نبينه عند ذكر تحولات صوت الجيم.

ونستطيع بعد هذا أن نطلق على هذه القاف اسم القاف التميمية أو البدوية كما يذكر ابن خلدون ولعل هذا هو السبب في أن بعض المؤلفين اليوم يذكرون هذه القاف باسم القاف البدوية ونستطيع أن نطلق عليها اسم القاف الطبقية.

وهذا الصوت: «صوت طبقي مجهور شديد «انفجاري» منفتح يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي مع ذبذبة الوترين الصوتيين واهتزازهما»[2].

ولكن العلماء القدماء لم يفرقوا بين هذه القاف والكاف ولذلك فإنهم يوردون كثيرا من الكلمات التي تحتوي على القاف تحت حرف القاف اللهوية ويذكرونها في لهجات أخرى تحت حرف الكاف وهي في الحقيقة تحتوي على القاف الطبقية ولكنها لما لم يُجْعَل لها رمز كانوا يطلقون عليها اسم الكاف أو يقولون هذه القاف متحولة إلى الكاف.

---

(١) المقدمة (١٠٧٨).

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص(٥٣).

ومما جاء على هذه اللهجة قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾[1]، قال أبو حيان «قرأ الجمهور تقهر بالقاف وابن مسعود وإبراهيم التيمي بالكاف بدل القاف وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور»[2]، وقول أبي حيان وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور يشعر أن هذه الكاف هي القاف الطبقية حيث إن مخرجهما واحد وإنما الفرق هو اهتزاز الوترين مع هذه القاف وعدم اهتزازهما مع القاف اللهوية (ق).

وقال ابن خالويه[3]: «وفي حرف ابن مسعود «فلا تكهر» بالكاف أي لاتنهره ولا تزجره والعرب تبدل القاف كافا والكاف قافا لقرب مخرجيهما[4].

فقوله تبدل القاف كافا والكاف قافا يدل على مخرج هذه القاف وهو بين القاف والكاف كما وصفه ابن دريد وابن خلدون.

ومن هذه القاف التي تكتب في الكتب العربية كافا ما أورده ابن السكيت: يقال دقمه ودكمه أي دفعه في صدره، ويقال للصبي والسخلة أمتك ما في ضرع أمه وأمتق ما في ضرع أمه إذا شربه كله[5].

وقال الفراء: ومن كلام العرب أن يقولوا قاتله الله ثم يستقبحونها

---

(١) الضحى (٩).

(٢) البحر المحيط (٨/ ٤٨٦).

(٣)هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمذاني النحوي اللغوي من مصنفاته « الجمل في النحو، والاشتقاق، ومختصر شواذ القراءات، إعراب ثلاثين سورة وليس في كلام العرب، توفي بحلب سنة ٣٧٠هـ. ينظر بغية الوعاة (١/ ٥٢٩)، شذرات الذهب(٣/ ٧١)، الأعلام(٢/ ٢٣١).

(٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن (١٢٢).

(٥) الإبدال (١١٣).

فيقولون قاتعه الله وكاتعه»[١].

ويقال قهرت الرجل أقهره وكهرته أكهره، قال أي الفراء: وسمعت بعض بني غَنْم بن دودان من بني أسد يقول: «فلا تكهر»[٢].

ويقال: عسق به وعسك به إذا لزمه، والأقهب والأكهب لون إلى الغبرة[٣].

ويقال عَرَف عليهم يَعرُف عِرافة ونقب ينقُب نقابة ونكَب ينكُب نكابة بمعنى نقب[٤].

النقيب الكفيل على القوم والنقابة والنكابة شبيهة بالعرافة[٥].

ومما يؤيد نسبة هذه القاف إلى بني تميم ما رُوي في مادتي بكع ونكه من لسان العرب إذ جاء في المادة الأولى «وتميم تقول ما أدري أين بكع بمعني أين بقع» وفي المادة الثانية «والنُّكَّه من الإبل التي ذهبت أصواتها من الضعف وهي لغة تميم في النُّقَّه».

وجاء في مادة عكد من لسان العرب ما يشير إلى أن أصلها عقد«إذ جاء فيها» العُكْدة والعَكْدة أصل اللسان والذنب وعُقْدَتُه، والعُكْدة عُقْدة أصل اللسان وقيل معظمه، وقيل وسطه وعكْد كل شيء وسطه.

وأورد ابن السكيت قد قَحط القطار وكَحَط[٦] وفي مادة كحط من

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٦٢)، الإبدال لابن السكيت (١١٣).

(٢) الإبدال لابن السكيت(١١٤).

(٣)المرجع السابق (١١٤).

(٤) مجالس ثعلب(٢/ ٥١٩).

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٤١).

(٦) الإبدال (١١٤).

لسان العرب «كحط المطر لغة في قحط وزعم يعقوب أن الكاف بدل من القاف».

وبالمقارنة بين مادتي قح وكح في اللسان تبين أن قح هي الأصل ويعني هذا أن الكاف من كح قاف طبقية ولكن العرب لم تجعل لها رمزا فقد جاء في قح «وأعرابي قُحٌّ وقُحاح أي محض خالص وقيل هو الذي لم يدخل الأمصار ولم يختلط بأهلها»، وقال ابن دريد: «قُحٌّ محض فلم يخص أعرابيا من غيره وأعراب أقحاح والأنثى قُحّة، وعبد قُحّ محض خالص بَيِّن القحاحة والقحوحة، خالص العبودة، وقالوا عربي كُحّ وعربية كُحّة، الكاف في كح بدل من القاف في قح، لقولهم أقحاح ولم يقولوا أكحاح، يقال فلان من قح العرب وكحهم أي من صميمهم».

وفي «كح» الكُحّ الخالص من كل شيء كالقُحّ، والأنثى كُحّة كقحه وعبد كح خالص العبودية وعربي كُحّ وأعراب أكحاح إذا كانوا خلصاء وزعم يعقوب أن الكاف في كل ذلك بدل من القاف».

ويلاحظ أن في مادة كح قد جاء جمع كح على أكحاح وهو رد على ما ورد في مادة قح إذ جاء «ولم يقولوا أكحاح» هذا بالإضافة إلى ما ورد بالجيم والقاف والكاف التي تمثل القاف الطبقية.

وإذا نظرنا لانتشار هذا الصوت في الوطن العربي فإنه أكثر أنواع القاف انتشارا إذ يشمل مساحة شاسعة من العالم العربي تشمل معظم السعودية واليمن وجنوب الجزيرة وعمان وقطر واللهجة العامة للعراق، وشرق سوريا والأردن وفلسطين وصعيد مصر والسودان وليبيا وتونس ومعظم مناطق المغرب والجزائر.

ففي المملكة العربية السعودية يسود النطق بهذا الصوت معظم أنحاء المملكة ما عدا المنطقة الجبلية والساحلية الغربية التي تبدل القاف جيما فصحى وخصوصا القرى والبوادي أما المدن التي في المنطقة الغربية كجدة ومكة والطائف والمدينة فإنها وإن كان يوجد من سكانها من يبدل القاف جيما فصيحة إلا أن الغالب عليها هو النطق بهذا الصوت أما منطقة عسير فهي تنطق بهذا الصوت وخاصة المدن مثل أبها وجيزان أما القرى فإنها تبدل القاف جيما هذا بالنسبة لغرب المملكة أما وسطها وشمالها مثل الرياض والقصيم وحائل وعرعر فإن هذا هو النطق الغالب مع وجود نطق القاف المزجية التي سوف نتحدث عنها فيما بعد وألاحَظ أن المناطق التي تتكلم بالكسكسة تبدل القاف القرآنية بهذه القاف بعكس المناطق التي تتكلم الكشكشة فإنها تجعل القاف اللهوية جيما فصيحة لكن أغلب المثقفين السعوديين ينطقون بهذا الصوت وكذلك الذين سكنوا المدن من أصحاب الكشكشة الذي يبدلون القاف اللهوية جيما أصبحوا يهجرون الجيم المبدلة من القاف وينطقون بهذا الصوت وإن كان هذا الصوت منتشرا في بعض المناطق التي تبدل القاف اللهوية جيما فصيحة أو مزجية، أما شرق المملكة فينطبق عليها ما ينطبق على غربها إذ يجعلون القاف اللهوية جيما مزجيا غير أن منهم من يجعل القاف اللهوية قافا طبقية لكن المدن في المنطقة الشرقية تحتفظ بنطق القاف اللهوية جيما مزجية أكثر من المدن الغربية التي أخذت تهجر الجيم المزجية التي هي بدل من القاف اللهوية.

أما في اليمن فيسود النطق بهذه القاف أواسط اليمن وشمالها يقول الأستاذ أحمد حسين شرف الدين: «فالقاف تنطق في أواسط اليمن

وشمالها طبقيا كما تنطق الجيم في لهجة القاهرة»[1].

كما أن هذا النطق يشمل حضرموت وعمان من جنوب جزيرة العرب يقول الدكتور مراد كامل: « القاف تنطق في عمان وحضرموت ودثينة مثل الجيم القاهرية».[2]

وفي البحرين نجد جزيرة ستره تبدل القاف اللهوية بقاف طبقية حيث يقولون: « ڤدر، ڤربة، عتيڤ، صديڤ، ڤريب، ڤليل، ڤاسم، حلڤ، عرڤ» ويعنون بها: قدر، قربة، عتيق، صديق، قريب، قليل، قاسم، حلق، عرق» بينما تنطق هذه الكلمات في جزيرة المحرق بالجيم الفصيحة أو المزجية «ج».[3]

ويوجد هذا النطق في لهجة الكويت مثل: دڤ، يدڤ، دڤيڤة، ڤسم، وأڤسام، حڤ»[4]

لكن الغالب على هذه اللهجة هو إبدال القاف اللهوية جيما فصيحة أو مزجية «ج».

وهذا النطق للقاف يغلب على عامة لهجات العراق وخاصة لهجة العاصمة بغداد حيث يقولون: «ڤام، وڤعد، وڤال، وڤمر، وڤصب، ورڤبة»[5] أي قام، وقعد، وقال، وقمر، وقصب، ورقبة ومثل ذلك فى جنوب العراق حيث يقولون: ڤام وڤعد[6].

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية(٣٠).

(٢) اللهجات العربية الحديثة في اليمن (٨٦).

(٣) الأصالة العربية في لهجات الخليج للدكتور عبد العزيز مطر(١٤٧).

(٤) دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية(١٠٣).

(٥) التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق للدكتور إبراهيم السامرائي(١٧٢).

(٦) المرجع السابق(٢٣٥).

وهو نطق عامة السودانيين يقول الأستاذ عبد المجيد عابدين «والقاف لها ثلاث صور من النطق في اللهجات السودانية فقد تنطق كنطق الحرف «g» في اللغة الإنجليزية من «go» وهو النطق الأصيل في لهجاتهم والغالب عندهم»[١]. وهو النطق السائد عند أكثر أرياف الجزائر إذ يقولون: سياڨ وڨيڨة [٢].

وقد حكى لي بعض الجزائريين بأن لهجة الجزائر العاصمة هي النطق بالقاف اللهوية وأن القاف الطبقية توجد في بعض مدن الجنوب مثل مدينة بسكرة.

وفي منطقة تطوان من المملكة المغربية في السهول غير الجبلية تنطق القاف صوتا طبقيا هو «ڨ»[٣].

وفي جمهورية مصر العربية تشمل المساحة للمتكلمين بالقاف الطبقية بلاد الصعيد ومعظم مديريتي الشرقية والبحيرة وبعض مديرية المنوفية وجميع سكان البوادي[٤].

كما أن هذا النطق بالقاف يعم لهجة ساحل مريوط وهي المنطقة الممتدة من الإسكندرية إلى حدود ليبيا حيث يقول سكان هذا الإقليم: ڨال، وساڨ.[٥]

وبذلك يتبين لنا تطور القاف إذ تقدم مخرجها من اللهاة إلى الطبق

---

(١) من أصول اللهجات العربية في السودان (٤٣).
(٢) المرجع السابق (٤٤).
(٣) لهجة شمال المغرب لتطوان وما حولها (٨١).
(٤) اللهجات العربية في التراث (٢/ ٤٦٤).
(٥) لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط (٤٨).

فنتج عن هذا الصوت الطبقي «ڤ» ثم تقدم مخرجها إلى الأمام إلى منطقة الغار أو شجر الفم فتحولت إلى الجيم الفصيحة أو المزجية (ج) وهذا الاتجاه الأمامي لتغير القاف.

إبدال القاف غينا:

ورد في اللغة العربية وجود التبادل بين القاف والغين، ولازال هذا التبادل مستعملا في اللهجات العربية الحديثة وهذا عدد من المواد التي جاءت في لسان العرب وتحتوي على القاف والغين.

ورد في مادة «زيق» «تزيقت المرأة تزيقا وتزيغت تزيغا إذا تزينت وتلبست واكتحلت».

وفي مادتي نشق ونشغ «النشق سعوط في الأنف تقول: أنشقته إنشاقا» والشنوغ الوجور والسعوط وقد نشغ الصبي نشوغا».

وبالمقارنة بين مادتي غمز وقمز ظهرت العلاقة بينهما إذ قيل في «غمز» «والغَمَز بالتحريك رُذال المال من الإبل والغنم والضعاف من الرجال يقال رجل غَمزَ من قوم غَمزَ، وأغماز والقَمزَ مثل الغمز»، وفي قمز« القَمزَ صغار المال ورديئه ورُذاله الذي لاخير فيه».

وفى مادة «قمس» وقمسه هو فانقمس أي غمسه فانغمس، قمس الرجل فى الماء إذا غاب فيه وانقمس في الركية إذا وثب فيها والقامِس الغواص وكذلك القَمّاس.

وفي قذم: قَذَم له من العطاء يَقْذِم قَذْما أكثر مِثل قَثَم وغَذَم وغَثَم إذا أكثر» وفي قثم: قَثَم له أعطاه دفعة من المال جيدة مثل قَذَم، وغَذَم وغَثَم.

وروى ثعلب في مجالسه «الوقب والوغب النذل الدنيء»[1] وفي وقب من اللسان «والوقب الرجل الأحمق مثل الوغب».

هذا بالإضافة إلى ماورد بثلاثة أوجه القاف «ق» والجيم«ج» والغين والذي سوف نذكره بعد الانتهاء من تحولات صوت القاف. وإبدال القاف غينا ينتشر في مناطق واسعة من العالم العربي حيث يوجد في الصحراء الكبرى جنوب الجزائر وفي السودان واليمن ومنطقة الخليج العربي وفي العراق وجمهورية مصر العربية.

ففي المملكة العربية السعودية قد تبدل القاف غينا في المنطقة الشرقية فيقولون الاتفاغ بدلا من الاتفاق ودغيغة بدلا من «دقيقة» ولكن الغالب على لهجة المنطقة الشرقية التي لم تحاك الفصحى هو إبدال القاف «ق» جيما مزجية أو فصيحة «ج».

وفي السودان يقول الأستاذ عبد المجيد عابدين مبينا أن من اللهجات السودانية في القاف إبداله غينا.

الصورة الثالثة من نطق القاف عند السودانيين فهي القاف المشوبة بغين. . . . وهي شائعة في لهجات السودان وتظهر على أشدها في الشرق والشمال وتقل كلما اتجهنا غربا حتى تكاد تختفي عند عرب دارفور وينجلي هذا النطق عادة عندما يحكي السوداني القاف الفصيحة كأن يتلو نصا فصيحا أو يعبر بكلام فصيح».[2]

ثم رجح أن يكون هذا النطق قد جاء السودان من الشرق أو من

---

(١) (١/ ٥٧١).

(٢) من أصول اللهجة العربية في السودان (٤٤).

الحبشة، وبدوره قد أتاها من اليمن إذ قال: «ولعل هذا النطق بعض لهجات المنطقة اليمنية الجنوبية وامتدادها في أثيوبيا».

ولاتزال اللغة التجرينية في أثيوبيا تقلب القاف غينا في مثل« تقبل» فتقول «تغبل» ولاتزال بقايا هذه القاف التي تشبه الغين في بعض لهجات اليمن الحديثة ففي لهجتي تعز والحجرية يقال: « التبغ والتاغه يريدون الطبق والطاقة»[1].

وفي اليمن في منطقة ذمار تنطق القاف غينا[2]. وفي تعز والحجرية يقولون: التبغ بالتاغة أي الطبق بالطاقة[3]، وتنطق في أغلب مناطق تعز وإب حلقية رخوة كالغين أو قريبة منها فيقولون: «غاغلك له أي قد قلت له»[4].

ونطق القاف غينا يوجد في بعض لهجات الصحراء الجزائرية.[5]

وهذا النطق للقاف يظهر في لهجات الخليج العربي وجنوب العراق وبادية العراق إلى جانب نطق القاف جيما فصيحة أي مزجية ولكن الغالب على هذه اللهجات هو نطق القاف جيما فصيحة وأما نطقه غينا فيأتي في بعض الكلمات، وقد حدد الدكتور عبد العزيز مطر نطق القاف جيما في لهجة الكويت وهي تمثل جزءاً من لهجات الخليج بما يلي:

أ ـ إذا سبق القاف صوت لين أمامي أي الكسر أو ياء المد، والفتحة

---

(١) من أصول اللهجات العربية في السودان(٤٧).

(٢) اللهجات العربية الحديثة في اليمن للدكتور مراد كامل (٨٦).

(٣) المرجع السابق (٨٤).

(٤) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين (٣٠).

(٥) الأصالة العربية في لهجات الخليج للدكتور عبد العزيز مطر(١٤٩).

المرققة أو ألف المد.

ب ـ إذا مالحقها صوت لين أمامي.

جـ ـ أن يكون لصوت اللين السابق واللاحق هذا التأثير في نطق القاف جيما إذا فصل بينه وبين القاف صوت ساكن مثل عرج وحلج فقد أثرت الكسرة والفتحة الرقيقة في نطق القاف جيما مع أنهما لم تقعا قبل القاف مباشرة بل فصل بينهما صوت ساكن.[1]

ولكنه عند تعرضه للإبدال بين القاف والغين اكتفى بايراد الأمثلة التي وردت بالقاف والغين ولكن الإبدال بين القاف والغين له اتجاهان الأول تحول القاف إلى غين، والثاني عكس الأول وهو تحول الغين إلى قاف فإبدال القاف غينا مثل قولهم: «يلغي كلمة، استقلال يريدون يلقي كلمة، استقلال» وإبدال الغين قافا مثل قولهم: «أقاني، يقنون، مشقول، يستقل الوقت ويريدون: أغاني، يغنون، مشغول، يستغل الوقت».[2]

وما قيل في لهجة الكويت ينطبق على لهجة المحرق بالبحرين إذ يقولون: «الموغف، فندغ، غرطاس غضيةغاضي، استغلال، غوة القانون، يريدون: الموقف، فندق، قرطاس، قضية، قاضي، استقلال، قوة القانون.

وهذه الكلمات هي التي يحاكون بها الفصحى أما معظم الكلمات التي تحتوى القاف فتكون بالجيم الفصيحة المزجية، واللجوء إلى الغين في محاكاة اللغة الفصحى أو القاف القرآنية موجود كما سبق في لهجة السودان فالأصل في لهجات الخليج إبدال القاف جيما ثم قد يلجأون إلى

---

(١) خصائص اللهجة الكويتية(٣٦).

(٢) خصائص اللهجة الكويتية(٣٤).

الغين عند محاكاة اللغة الفصحى هذا في لهجة جزيرة المحرق بينما نجد جزيرة ستره تنطق بالقاف الطبقية.

وقد تعكس لهجة المحرق هذا الإبدال فتجعل الغين قافا مثل:

قنى، أقاني، قواص، قزالة، قنيمة، متقير، يستقل الوقت»، وهي في الفصحى المتعارف عليها« غني، أغاني، غواص، غزالة، غنيمة، متغير، يستغل الوقت». [1]

وفي جمهورية مصر العربية في جهات بني سويف يقولون غاله في قاله، وغادر في «قادر».

وإبدال القاف غينا وإبدال الغين قافا منتشر في لهجة بدو العراق وقراه وشمالها وجنوبها يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: «كما يعرض للغة البدو أن يحصل الإبدال بين (الغين)، و(القاف) فهم يقولون: قزال وقازي وقرب ويريدون بها: غزال، وغازي، وغرب كما يقولون: «شرغ وغرد، ورغم يريدون بها: شرق وقرد ورقم وهدا واقع في أغلب اللهجات العربية من شمالية إلى جنوبية وأظن هذه بقية البداوة في هذه اللهجات[2].

وقال عندما كان يتحدث عن لهجة جنوب العراق: «في هذه اللهجة يحصل إبدال كبير بين القاف والغين فالكلمة إن اشتملت على القاف صارت غينا وإن اشتملت على الغين صارت قافا نحو غصر، شغا

---

(١)الأصالة العربية في لهجات الخليج للدكتور عبد العزيز مطر(١٤٩).

(٢) المرجع السابق (١٥٠).

(٣) التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق (١٤٠).

والأصل قصر وشقا وبالعكس فإنهم يقولون قاص والأصل غاص.(١)

٥ ـ إبدال القاف همزة:

روت المعاجم وكتب الإبدال مايدل على وجود إبدال القاف همزة في اللغة العربية من ذلك ما ورد في مادة «أبض» من لسان العرب« وأبض البعير يِأْبضُه شد رسغ يديه إلى زراعيه لئلا يَحْرد والتّأَبّض انقباض النسا وهو عرق، يقال أَبِض نساه وأَبَض وتَأبض تقبض وشد رجليه».

وروى أبو الطيب في باب التبادل بين الهمزة والقاف «يقال أشبه يأشبه أشبا وقشبه يقشبه قشبا: إذا لامه وعابه وقيل قذفه وخلط عليه الكذب وأصل الأشب والقشب الخلط وكل ما أشب وقشب فقط خلط ومن مجاز الأشب والقشب لطخ المرء بالسوء وخلط الكذب عليه».(٢)

وفي مادة «زنق» من اللسان: «وزَنّق ضيق على عياله فقرًا أو بخلا والزِّناق ضرب من الحلي وهو المخنقة».

وفي مادة «زنأ» وزَنّأ عليه إذا ضيقّ عليه والزّناء الضَّيْق والضّيق جميعا وكل شيء ضَيِّق زَناء، وزَنّأ عليه تزنئة ضَيّق عليه.

وبالمقارنة بين مادتي «أصر وقصر» ظهرت العلاقة بينهما وهى أن القاف من قصر أصل للهمزة من أصر «وأصر الشيء يأصره أصرا حبسه» وفي قصر «وقصر الشيء يقصره قصرا حبسه».

وفي مادتي «وأب ووقب» الوأبة النقرة في الصخرة تمسك الماء، «والوقبة نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء.

---

(١) المرجع السابق (٢٣٥).

(٢) الإبدال (٢/ ٥٦١).

ومما يرويه ثعلب في مجالسه «يقال: أتيته على إفان ذاك وقفان ذاك وعلى قافة ذاك وعلى دبر ذاك وقال بعضهم أتيته على إفان إمركان»[1].

ومما رواه أبو الطيب: في التبادل بين القاف الهمزة «ويقال القوم زُهاق مائة وزهاق مائة أي قريب من ذلك التقدير كقولهم زُهاء مائة وزهاء مائه»[2].

وفي مادتى أفخ وقفخ من اللسان «وأفخه يأفخه ضرب يأفوخه» «وقفخت الرجل أقفخه قفخا ضربت على رأسه».

يضاف إلى ذلك ماورد بثلاث لهجات هى القاف والهمزة والجيم، ولعل هذه النصوص بعد إضافة استعمال هذه اللهجة وهي إبدال القاف همزة في اللهجات الحديثة تثبت استعمال العرب لهذا الإبدال.

وإذا نظرنا في تاريخ تحول القاف إلى همزة نجد أنه قد حدث في اللغة الفينيقية إذ تحولت القاف في أعلام الفينيقية في بعض الأحيان إلى همزة ثم سقطت الهمزات الأصلية في الفينيقية فمثلا العلم الفينيقي «حملقرت «himalkart» تحول إلى «himalar» «حِمَلر»[3].

ولكن يبدو أن إبدال القاف همزة ليس خاصا باللغة الفينيقية بدليل وجوده في اللغة العربية وانتشاره في مناطق متفرقة من العالم العربي مما يدل علي أصالة هذا الإبدال في العربية فهو يوجد الآن في بلاد الشام سوريا والأردن ولبنان وفلسطين وفي جمهورية مصر العربية وفي اليمن وتطوان من بلاد المغرب العربي.

---

(١) (٢/ ٤٨٥).

(٢) الإبدال (٢/ ٥٦٢).

(٣) بحوث ومقالات في اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (١١).

ففي اليمن تبدل القاف همزة في لهجة تهامة إذ يقولون في «قمر وقرص، وقلب»: «أمر، وأرص، وألب».[1]

وفى جمهورية مصر العربية ينتشر هذا الإبدال في لهجة القاهرة وضواحيها وفي القليوبية والواسطي وجزء كبير من الفيوم»[2].

وفي الشام تبدل القاف همزة في دمشق، والقدس[3]، ويقول برجشتراسر بأن «نطق القاف همزة يسود معظم مدن سوريا وفلسطين ماعدا القليل كما ينقل عن ليتمان بأن المسيحيين في حلب لاينطقون إلا الهمزة[4]

وفي المغرب العربي يوجد هذا النطق في «تلمسان وشمال مراكش وعند اليهود في شمالي إفريقيا وكذلك في اللغة المالطية فى أعظم الأحوال[5].

وفي شمال المغرب يسود النطق بالهمزة مدينة تطوان وضواحيها ومدينة وزان حيث يقولون: الأط في «القط» وآل لفلان في «قال» والأبة في «القبة».[6]

٦ ـ إبدال القاف صوتا مزجيا «دز»:

تحويل صوت القاف إلى صوت مزجي يتكون من الدال والزاي «دز»

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية (٣٠).
(٢) بحوث ومقالات في اللغة للدكتور رمضان عبد التواب(١٣).
(٣) التطور النحوي لرجشتراسر(٢٨).
(٤) بحوث ومقالات في اللغة (١٤).
(٥) بحوث ومقالات في اللغة (١٤).
(٦) انظر لهجة شمال المغرب تطوان وماحولها(٧٥).

يوجد في لهجة نجد وشرق الحجاز بالمملكة العربية السعودية وهو ليس في كل قاف ولكنه في كلمات كثيرة تحتوي على القاف وهذا النطق هو الذي يميز وسط الجزيرة عن غيره وهو يستعمل إلى جانب القاف الطبقية فالمتكلمون به يمكن نسبة القاف الطبقية إليهم كما يمكن نسبة هذه اللهجة إليهم ومعظم القبائل العربية التي تسكن شرقي الحجاز وغربي نجد يتكلمون بهذا الصوت، بل حتى شمال المملكة ومن المدن التي تتكلم بهذا الصوت؛ الرياض، بريدة عنيزة، حائل، وتمتد منطقة المتكلمين بهذا الصوت حتى حدود المملكة شمالا وهذا الصوت مرتبط بظاهرة الكسكسة حيث إن الناطقين بالكسكسة هم الناطقون بهذا الصوت ونلاحظ أن الناطقين بالكسكسة وهي كاف مزجية «تس» قد جعلوا القاف مزجية أيضا ومثل هذا حدث لأصحاب الكشكشة وهي كاف مزجية «تش» حيث حولوا القاف إلى صوت مزجي هو الجيم الفصيحة، فإبدال القاف بصوت مزجي مرتبط بالنطق بالكاف المزجية فأصحاب الكشكشة وهي كاف مزجي «تش» يحولون القاف إلى صوت مزجي هو «الجيم الفصحى» وأصحاب الكسكسة وهي كاف مزجي«تس»يحولون القاف إلى صوت مزجي «دز»، وقد تجتمع هذه الأصوات المزجية في لهجات بعض المدن في المملكة ولنأخذ مثلا واحدا وليكن المدينة فإن غربيها يتكلمون الكشكشة فيجعلون القاف جيما فصيحة ويتكلم شرقيها الكسكسة فيحولون القاف إلي صوت مزجي «دز»، ويتكلم وسطها الكاف الفصحى وينطقون القاف الطبقية.

والأصوات المزجية لم يجعل العلماء العرب القدماء لها رمزا يميزها ولذلك كانوا مختلفين بسبب الكاف المزجية في وصف الكشكشة والكسكسة لأنهما يشتملان على هذا الصوت، ولكن هل وردت القاف المزجية في اللغة

العربية؟لما كان العلماء لم يضعوا للأصوات المزجية رمزا يميزها عن غيرها وإنما اكتفوا بقولهم لهذه الأصوات: «وإنما تعرف بالمشافهة» لذلك فإنه من الصعب أن يبحث عن القاف المزجية في المعاجم العربية أو في كتب الإبدال ولكن بعد البحث قد نجد ما يشير إلى هذا الإبدال ففي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة قال حول قوله تعالى: ﴿**يلقون أقلامهم**﴾[1]، أي قداحهم والأقلام واحدها قلم وهي الأزلام أيضا واحدها زَلَم وزُلَم[2].

وهذه مواد من لسان العرب لعل المقارنة بينها تبين القاف المزجية فتارة تأتي القاف على صورة الزاي وتارة على صورة السين وثالثة على صورة التاء ورابعة على صورة الشين.

ففي مادة لتز من لسان العرب: «اللّتْز الدفع لَتَزه يَلْتِزه ويَلْتُزه لَتْزا: دفعه وهو كاللكز والوكز»، وفي لقز «لَقَزَه لَقْزا كلكزه».

وفي ألق: ويقال به أُلاق وأُلاس بضم الهمزة أي جنون من الأَوْلق والأَلْس ويقال من الأَلْق الذي هو الكذب.

وقال أبو عبيدة: به ألاق وألاس.

وفي مادة نتش: والنَّتْش النَّتْف للحم ونحوه والمنتاش المنقاش، والنتش إخراج الشوك بالمنتاش وهو المِنقاش الذي ينتف به الشعر، والعرب تقول للمنقاش مِنتاخ ومِنتاش، ونتشت الشيء بالمنتاش أي استخرجته، ونتش الجراد الأرضَ ينتِشها نَتْشا: أكل نباتها.

وقال ابن شميل نتش الرجل برجله الحجر أو الشيء إذا أدفعه برجله فنحاه نَتشا.

وفي ترنس: التُرْنُسة الحفرة تحت الأرض.

(١) آل عمران (٤٤).

(٢) تفسير غريب القرآن (١٠٥).

وفي ترنق: التَرْنُوق الماء الباقي في مسيل الماء، والتُرْنوق الطين الذي يرسُب في مسايل المياه.

وفي نتس: «نَتَسه ينتِسه نَتْسا إذا نَتَفه وفي نتق: «ونَتَق الشيء يَنْتِقه نَتْقا جذبه واقتلعه».

وفي بخس: البَخْس فقء العين بالإصبع وغيرها وبخس عينه يَبْخَسُها بَخْسا فقأها لغة في بَخَصها والصاد أعلى»، وفي «بخق: البخق أقبح ما يكون من العور وأكثره والبخق أن تخسف العين بعد العور، وأبخقتها إذا فَقَأْتها»، وفي «بخز: بخز عَيْنَه وبَخَسها إذا فقأها وبَخَصَها كذلك».

وإذا نظرنا في تاريخ صوت القاف فإنا نجده في أخوات العربية اللغات السامية صوتا شديدا مهموسا منفتحا على رأي العلماء المحدثين حيث إن في تعريف المجهور خلافا بين القدماء والمحدثين إذ يعتمد المحدثين على ذبذبة الوترين الصوتيين في معرفة المجهور بينما نرى سيبويه ومن حذا حذوه لم يعتمد على الوترين بل لم يذكرهما وإنما اعتمد على ضغط الهواء الخارج من الرئتين على التقاء العضوين المكونين للصوت فإذا كان الهواء الخارج من الرئتين مضغوطا بقوة حتى يضغط على العضوين المكونين للصوت فهذا هو الجهر عند سيبويه وإذا كان الهواء الخارج من الرئتين لم يضغط على العضوين المكونين للصوت ضغطا قويا فهذا هو المهموس ولكني سأسير على طريقة المحدثين في المقارنة بين أصوات القاف وتطوراته.

فالمقارنة بين اللغات السامية تبين أن القاف: صوت شديد «انفجاري» مهموس منفتح ينطق برفع مؤخرة اللسان وإلصاقها باللهاة لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ثم يزول السد فجأة مع عدم حدوث

اهتزاز للوترين الصوتيين، وهذا يعني أن القاف كما هي في قراءة القرآن الكريم وبعض اللهجات الحديثة هي الأصل ومثل هذا ورد في أخوات العربية حيث جاء في العبرية «KŌL» قول، وفى الآرامية «Kālā» قالا وفي الحبشية «KaL» قال بمعنى صوت في الجميع وهو يقابل في العربية «قول» وفي الآشورية «Kūlu» بمعنى «صراخ»[1].

وإذا أردنا تفسير التغييرات التي طرأت على القاف فإنا نلاحظ أن مخرج القاف قد اتخذ اتجاهين أو مسلكين: الأول أمامي والثاني خلفي.

فالأمامي هو أن مخرج القاف تقدم من اللهاة إلى منطقة الطبق فتحول إلى الغين مع جهره ورخاوته ثم انتقل في نفس منطقة الطبق إلى مخرج القاف الطبقية أو التميمية والتي رمزنا لها بالرمز« ڨ » مع محافظته على الشدة إلا أنه أصبح مجهورا ثم انتقل أو تقدم إلى منطقة الغار فتحول إلى الجيم الفصحى أو المزجيه «ج» ثم أخيرا تقدم إلى الأمام إلى منطقة اللثة حيث تحول إلى الصوت المزجي المكون من الدال والزاي «دز» كما هو في لهجة الرياض أمّا الاتجاه الخلفي فهو إبدال القاف همزة إذ اتجه مخرج القاف إلى الوراء فلم يجد حرفا يتناسب معه إلا الهمزة فتجاوز حروف الحلق حتى وصل إليها لأنها تشترك معه في الشدة وكلاهما منفتح وهما مجهوران على رأي القدامى ومهموسان على رأي المحدثين.

٢ـ تحول الجيم المزجية إلى «جيم شديدة التعطيش»:

لقد لاحظ علماء العربية القدامى أن للجيم نطقا يقرب من الشين حيث قال سيبويه مبينا ذلك عندما كان يعدد الحروف الزائدة على التسعة والعشرين والتي لاتظهر إلا بالمشافهة «والجيم التي كالشين»[2].

(١) بحوث ومقالات في اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٩).
(٢) الكتاب (٤/ ٣٣٢).

وقال في موضع آخر عندما كان يعدد الحروف التي تقرب من الدال «والجيم أيضا قد قربت منها فجعلت بمنزلة الشين. من ذلك قولهم في الأجدر: أشدر وإنما حملهم على ذلك أنها من موضع حرف قد قُرِّب من الزاي... وقد قربوها منها في افتعلوا حين قالوا اجْدَمعوا أي اجتمعوا واجدرءوا يريد اجترءوا لمّا قَرّبها منها في الدال وكان حرفا مجهورا قربها منها في افتعل لتبدل الدالُ مكان التاء، وليكون العمل من وجه واحد ولا يجوز أن يجعلها زايا خالصة ولا الشين لأنهما ليسا من مخرجها»[1].

ففي هذا النص بين سيبويه أن هذه الجيم بين الزاي والشين يعني بذلك أن مخرجها من الغار كما في الشين ومجهورة كما في الزاي.

وهذه الجيم كما تسمع اليوم على ألسنة الناطقين بها من سكان الوطن العربي «حرف «صوت» غاري رخو «احتكاكي» مجهور منفتح ينطق برفع مقدمة اللسان تجاه الغار ورفع الطبق ليسد المجرى الأنفي بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق مع تذبذب في الوترين الصوتيين»[2]، وهو المقابل المجهور للشين ويمثل له أو يطلق عليه اسم الجيم السورية بين المحدثين، لكن هذا الصوت كان موجودا في اللغة العربية وكان العلماء يعرفونه ولكن لم يجعلوا له رمزا وهذا الأمر يقال في جميع الأصوات التي تزيد على التسعة والعشرين والتي قال عنها العلماء أنها لا تبين إلا بالمشافهة وسوف نختار لهذه الجيم رمزا هو «چ» لنفرق بينه وبين الجيم المزجية الفصيحة.

وقد جاء في الشعر والنثر ما يؤيد الناطقين بهذه الجيم وينسب النطق بها إلى قبيلة تميم فيمكن لنا أن نقول الجيم التميمية أو السورية أو الجيم الغاريه الرخوة.

---

(١) المرجع السابق (٤٧٩).

(٢) انظر المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٥٠، ٥١).

ومن أدلة هذه الجيم ما أورده أبو الطيب اللغوي «الأجاءه والأشاءة الاضطرار يقال: أجاءه إلى كذا وكذا يجيئه أجاءة وأشاءه يشيئه أشاءة: إذا اضطره وألجأه إليه ومن أمثالهم: أشئت عقيل إلى عقلك[1].

ومثل للشعر بقول الراجز:

ونطعن إن أشئت إلى الطعان

أي إن أُلجئت إليه»[2].

وفي مادة شيأ من لسان العرب: وأشاءه لغة في أجاءه أي ألجأه وتميم تقول شر ما يشيئك إلى مخة عرقوب أي يجيئك قال زهير بن ذؤيب العدوي:

فيال تميم أصبروا قد أشئتم إليه وكونوا كالمحربة البسل

وفي سر صناعة الإعراب لابن جني قال الراجز:

إذ ذاك إذ حبل الوصال مُدْمَشُ

أي مدمج فالشين بدل من الجيم[3].

وقال أبو عمرو: المجارزة والمشارزة الكلام الذي تنازع فيه صاحبك وقد تجارزا وتشارزا والجناجن والشناشن رؤوس عظام الصدر[4].

وإذا نظرنا إلى انتشار هذه الجيم فإنا نجدها منتشرة في مناطق متعددة ومتفرقة من العالم العربي ففي المملكة العربية السعودية يوجد النطق بهذه الجيم في سلسلة جبال السروات وساحل البحر الأحمر والناطقون بهذه الجيم من السعوديين هم الناطقون بالكشكشة، وفي اليمن يوجد في

---

(١) الإبدال (١/ ٢٢٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٢٨).

(٣) (٢١٥).

(٤) الإبدال لأبي الطيب (١٠/ ٢٢٨).

منطقة باقم وما جاورها من فيفا وبني مالك وفي العراق ينطق بهذه الجيم في الجنوب في منطقة الناصرية والعمارة، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: «وقد تتحول الجيم الفصيحة إلى جيم آخر يشبه الجيم المعروفة في اللهجة السورية واللهجة التونسية وهي في الحقيقة كصوت (J) الفرنسية وهذا حاصل في منطقة الأهواز والمستنقعات في العمارة والناصرية فيقولون جاي وجابر ولا يقولون ياي ويابر على الشائع الكثير في اللهجة الجنوبية»[٢].

وهذا الصوت ينتشر في الشام وخاصة سوريا ولبنان وكثيرا ما يطلق عليه الجيم الشامية أو السورية[٣].

وفي جمهورية مصر العربية يسود هذا النطق لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط[٤].

وهذا الصوت شائع في المملكة المغربية[٥] وفي موريتانيا، بل هو السائد في بلاد المغرب العربي[٦].

٣ـ إبدال الجيم ياء:

أثبتت النصوص أن العرب تبدل الجيم ياء وجاء ذلك في القراءات القرآنية وفي الشعر والنثر، ثم لا تزال مناطق كثيرة من العالم العربي

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين (٢٥).
(٢) التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق (٢٣٦).
(٣) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان (١٢٩، ١٣٢)، المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان(٥١).
(٤) لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر (٤٥).
(٥) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس (٧٩).
(٦) المرجع السابق (٨٢).

تتكلم بهذه اللهجة وهي لهجة منسوبة.

ومن الأدلة الشعرية ما ورد عن أبي حاتم[1] أنه قال: قلت لأم الهيثم واسمها عيثمة هل تبدل العرب الجيم ياء في شيء من الكلام فقالت: نعم ثم أنشدتني:

إذا لم يكن فيكُنَّ ظلٌّ ولا جنى فأبعدَكُنَّ اللهُ من شِيرَات[2]

ويروي ابن جني إبدال الجيم ياء في المحتسب إذ يقول: «وحكى أبو الفضل الرياشي قال: كنا عند أبي زيد وعندنا أعرابي فقلت له إنه يقول الشِّيَرة فسأله فقالها، فقلت له سله عن تصغيرها فسأله فقال: شُيَيْرة وأنشد الأصمعي لبعض الرجاز:

تحسبه بين الأكام شِيرَه[3]

وقد جعل ابن جني الياء أصلا ويعني بذلك أنها ليست مبدلة من الجيم بل هي أصل بذاتها أي أن كلا من الياء في شيرة والجيم في شجرة أصل حيث قال: «وإذا كانت الياء فاشية في هذا الحرف كما ترى فيجب أن تجعل أصلا يساوق الجيم ولا تجعل بدلا من الجيم كما جعلت الجيم بدلا من الياء في قولهم رجل فقيمج أي فقيمي وعربانج أي عرباني»[4].

(١) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم السجستاني من أئمة اللغة والشعر وعلوم القرآن، وكان من أعلم الناس بالعروض واشتهر بكثرة التأليف من مصنفاته إعراب القرآن، ولحن العامة، والقراءات، والفصاحة، والإدغام، واختلاف المصاحف. مات سنة ٢٥٥هـ. ينظر الفهرست (٨٦) و، تاريخ العلماء النحويين (٧٣)، وبغية الوعاة (١/٦٠٦).

(٢) الإبدال لأبي الطيب (١/٢٦١)، والمزهر للسيوطي (١/٤٧٥)، وشرح الأشموني (٤/٣١٨ـ٣٣٧) ليس في كلام العرب (٢٥٩).

(٣) المحتسب (١/٧٤).

(٤) المحتسب (١/٧٤).

وذلك أن نظرية ابن جني في معرفة الأصل من الفرع تقوم على كثرة الاستعمال فإذا تساوى الصوتان في الإبدال حكم بأصالتهما.

ولكنه في موضع آخر حكم بجواز كون الجيم بدلا من الياء معللا ذلك بكثرة استعمال شيرة وقلة استعمال شجرة إذ قال: «يجوز أن تكون الجيم في شجرة بدلا من الياء لفشو شيرة وقله شجرة»[1].

ولكنني كما بينت سابقا لا أكتفي بالنظر إلى قلة الاستعمال أو كثرته بل أنظر إلى الحرفين اللذين وقع بينهما التبادل ثم إن العرب قد تترك الأصل لثقله وتستعمل الفرع لخفته وليست كثرة الاستعمال دليلا على الأصل إذ قد تكون الأصول عبارة عن رواسب لغوية تركتها اللغة واستبدلتها بأخف منها وأسهل، إضافة إلى ذلك أن القوانين الصوتية تؤيد إبدال الجيم ياء وكذلك استعمال اللهجات العربية الحديثة.

ونسبت هذه اللهجة إلى بني تميم إذ روى أبو الطيب اللغوي «وقال أبو زيد يقول الكلابيون هي الصهاريج والواحد صهرج وبنو تميم يقولون صهاري والواحد صهري»[2].

وجاءت على هذه اللهجة قراءة «ولا تقربا هذه الشِّيَرَة»[3]. قال أبو حيان حول هذه القراءة مبينا القراءات الواردة في الشجرة «وقرئ الشِّجرة بكسر الشين حكاها هارون الأعور عن بعض القراء، وقرئ أيضا الشِّيَرَة بكسر الشين والياء المفتوحة بعدها وكره أبو عمرو هذه القراءة وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها وينبغي أن لا يكرهها لأنها لغة منقولة فيها»[4].

(١) المرجع السابق (١/ ٧٦).

(٢) الإبدال لأبي الطيب (١/ ٢٦١).

(٣) البقرة (٣٥).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٥٨).

ثم أورد ما أورده ابن جني فيها.

وفي مادة «يصص» من لسان العرب «أبو زيد يصص الجرو تيصيصا إذا فتح عينيه لغة في جصص أي فَقَح لأن العرب تجعل الجيم ياء فتقول للشجرة شَيَرة وللجَثْجات جَثْيات».

وفي نوادر أبي زيد «ويقال يصص الجرو تيصيصا وجصص تجصيصا وفقح تفقيحا، الجيم من جصص معجمة وهو كله واحد إذا فتح عينيه وذلك أول ما يفتح عينيه وهو صغير قال أبو حاتم سمعت أبا زيد مائة مرة أو أكثر يقول يصص الجرو بالياء وكذلك حكاه أصحاب زيد كلهم»[1].

ومثل هذا ورد في نوادر أبي مسحل[2].

وبالمقارنة بين المواد الثلاث من لسان العرب وهي زجم وسجم وزيم تبين أن معناها واحد فقد جاء في مادة «زجم» وبعير أزجم لا يرغو وقيل هو الذي لا يفصح بالهدير وقد يقال بالسين، الأحمر: بعير أزيم وأسجم وهو الذي لا يرغو، قال شمر: الذي سمعته بعير أزجم قال: وليس بين الأزيم والأزجم إلا تحويل الياء جيما، والعرب تجعل الجيم مكان الياء؛ لأن مخرجهما شجر الفم وشجر الفم الهواء وخرق الفم الذي بين الحنكين، والزجوم الناقة السيئة الخلق» وفي مادة «سجم» والأسجم الجمل الذي لا يرغو وبعير أسجم لا يرغو» وفي مادة زيم «وبعير أزيم لا يرغو، الأحمر بعير أزيم وأسجم وهو الذي لا يرغو قال شمر الذي سمعت بعير أزجم بالزاي والجيم قال: وليس بين الأزيم والأزجم إلا تحويل الياء جيما

---

(١) النوادر لأبي زيد (٤٠٤).

(٢) (٢/ ٤٨٤).

وهي لغة في تميم معروفة قال وأنشدنا أبو جعفرٍ الهُذَيْمِيُّ وكان عالما:

من كلِّ أزيمَ شائكٍ أنيابُه ومُقَصَّفٍ بالهدرِ كيف يَصولُ

ويُروى من كل أزجم قال أبو الهيثم والعرب تجعل الجيم مكان الياء لأن مخرجهما من شجر الفم وشجر الفم الهواء وخرق الفم الذي بين الحنكين».

ومن هذه المقارنة تكون الكلمة التي تحتوي على السين هي الأصل لأن قاعدة حروف الصفير هي تحويل السين إلى زاي فتكون «أسجم» هي الأصل و«أزجم» فرع عنها ثم حدث التبادل بين الجيم والياء فتحولت الجيم إلى ياء فأصبحت«أزيم» وليس كما ذهب إليه شمر، ثم إن نسبة هذه اللهجة إلى بني تميم تؤكد هذا لأن إبدال الجيم ياء ينسب إلى بني تميم أما إبدال الياء جيما فهو ينسب إلى قضاعة ثم إن هذه الجيم التي تنسب إلى قضاعة ليست جيما خالصة وإنما هو صوت بين الجيم والياء أو ياء فيها نوع من الشدة.

وإبدال الجيم ياء لا يزال مستعملا لدى كثير من سكان الوطن العربي إذ يوجد في المملكة العربية السعودية في حوطة بني تميم التابعة لمنطقة الرياض وفي عسير لدى بني شهر[1]، وفي المنطقة الشرقية على طول امتداد سواحل المملكة على الخليج العربي وفي الإحساء[2]، وهذه اللهجة هي الصفة المميزة للهجات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية: ففي الحضرمية: يخري «يخرج» وفي لهجة ظفار: ريال «رجل» وفي لهجات الساحل العماني: وايد أي واجد وفي لهجة خور فكان ياب (جاءب)

---

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين (٢٥).

(٢) الأصالة العربية في لهجات الخليج للدكتور عبد العزيز مطر (١٣٧).

وفي لهجة الشارقة وكل لهجات شرقي الجزيرة العربية: يريور «سمك» وفي لهجة دبي: ييت (جئت)، وفي لهجة البريمي: مسيد (مسجد)، وفي اللهجة القطرية بري (برج)، وفي البحرانية ويه (وجه) وفي لهجة السردية عيوز(امرأة عجوز)وفي الجوف: يوز(جوز)، وفي لهجة سرحان: يبنه (جبنه)وفي لهجة البصرة يا(جاء)وفي لهجة الأهواز: يرف(جروف)[1].

وفي اللهجة الكويتية يقولون: «عري، حير، ميداف، سراي، وايد، ويه» ويريدون بها: أعرج، حجر، مجداف، سراج، واجد، وجه»[2].

وفي اللهجة القطرية «عايل، عوي، نيم، ريال» ويريدون بها «عاجل، عوج، نجم، رجال، رجل»[3].

وفي لهجة الإمارات العربية المتحدة «في أبي ظبي يقولون: ميهود، ميرور، يناح» ويريدون بها «مجهود، مجرور، وجناح».

وفي البريمي «عيوز، فنيان، خاري، مسيد، تريع، يابيه» ويريدون بها «عجوز، وفنجان، مسجد، ترجع، جابية».

وفي دبي «ويه، يا» ويريدون بها «وجه وجاء»[4].

وفي لهجة البحرين «دري، يديد، يح» أي «درج، جديد، جح»[5].

وتنتشر هذه اللهجة في قرى العراق الجنوبية يقول الدكتور إبراهيم

---

(١) دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ت.م. جونستون (٦٥).
(٢) انظر المرجع السابق (١٠٣).
(٣) انظر المرجع السابق (١١١).
(٤) انظر المرجع السابق (١١٦، ١١٧).
(٥) دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ت.م. جونستون (١٠٨).

السامرائي عندما كان يتحدث عن لهجة جنوب العراق: «وتتحول الجيم إلى ياء وهذا كثير جدا في لغة القرويين كما في: ديايه، شيرة يبن، وهي في الأصل دجاجة، شجرة، جبن»[1].

وقال عندما تكلم على لهجة الناصرية، «فيقولون جاي وجابر ولا يقولون ياي ويابر على الشائع الكثير في اللهجة الجنوبية»[2].

كما نسب هذا الإبدال إلى لهجة البدو في العراق كقولهم: «ريال، شيرة دياية» ويريدون بها «رجال، وشجرة ودجاجة»[3].

٤ـ تحويل الجيم إلى صوت طبقي:

لقد كان العلماء العرب على علم بهذه الجيم إذ وصفوها بأنها بين الجيم والكاف ولكنهم لم يجعلوا لها رمزا وهذا الأمر قد تكرر في الأصوات التي تزيد على التسعة والعشرين إذ اكتفوا بوصفها دون أن يجعلوا لها رموزاً تميزها عن غيرها ثم بينوا أن هذه الأصوات لا تظهر إلا بالمشافهة.

قال سيبويه مبينا الجيم الطبقية: «والجيم التي كالكاف»[4].

وقال ابن دريد واصفًا هذه الجيم مع نسبتها إلى اليمن: «ومثل الحرف الذي بين الجيم والكاف وهي لغة سائرة في اليمن مثل جمل إذا اضطروا إليه قالوا «جمل» بين الجيم والكاف»[5].

---

(١) التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق (٢٣٦).

(٢) المرجع السابق (٢٣٦).

(٣) المرجع السابق (١٠٥).

(٤) الكتاب (٤/ ٤٣٢).

(٥) جمهرة اللغة (١/ ٥).

ثم تعقب ابن فارس ابن دريد وبين أن هذا الذي ذكره ابن دريد على أنه ضرورة ليس من باب الضرورة في شيء إذ قال: «وأي ضرورة بالقائل إلى أن يقلب الكاف شينا وهي ليست في سجع ولا فاصلة ولكن هذه لغات للقوم على ما ذكرناه في باب اختلاف اللغات»(١).

ويعني ابن فارس بذلك الأصوات العربية الزائدة على التسعة والعشرين ولعل ابن دريد أراد بالاضطرار رمزَ وكتابةَ هذه الأصوات إذ لم يجعل لها رمز يميزها وإنما كتبت بأقرب الأصوات إليها.

وهذه الجيم الطبقية مخرجها ومخرج القاف الطبقية واحد وهو الطبق لأن القاف تقدم مخرجها إلى الطبق فنتج عن ذلك القاف الطبقية، والجيم تأخر مخرجها إلى الوراء إلى الطبق فنتج عن ذلك الجيم الطبقية فهذا الصوت الطبقي جمع بين الجيم والقاف بتأخر الأول وتقدم الثاني.

ولا زال النطق بهذه الجيم الطبقية يشمل مناطق متفرقة من العالم العربي وهذه الجيم تعرف لدى الباحثين اليوم بالجيم القاهرية نسبة إلى مدينة القاهرة وقد سبقتها نسبتها إلى اليمن كما قال ابن دريد وهي لا تزال في اليمن إلى اليوم ولكن كتب التراث قد كتبت هذه الجيم قافا أو كافا.

وقد دلت كتب المعاجم والإبدال والأحاديث النبوية الشريفة على وجود هذه الجيم وقد تكون هذه الجيم مصورة بصورة القاف لكن المقارنة بين الكلمات المحتوية على الجيم والقاف تثبت وجود هذه الجيم وسوف نجعل لها رمزا يميزها عن غيرها وهو «ج».

ومن المقارنة بين عدد من المواد التي وردت في لسان العرب وهي

(١) الصاحبي (٣٨).

تحتوي على القاف أو الجيم ظهرت أصالة الجيم في الكلمات المحتوية على القاف فهذه القاف الموجودة في عدد من الكلمات عند مقارنتها بما يقابلها من الكلمات المحتوية على الجيم ظهر أن معنى هذه الكلمات المحتوية على القاف هو معنى الكلمات المحتوية على الجيم بل إن الكلمات المحتوية على الجيم منها ما ينص على أن الجيم هي الأصل وهذه هي المواد التي وردت في لسان العرب، ففي مادتي «قف وجف» يتبين أن الأصل هو «جف» إذ جاء في «قف» ويقال للثوب إذا جَفَّ بعد الغسل قد قَفَّ قُفوفا وأَقَفَّت السائمة وجدت المراعي يابسة، وقفَّ العشب إذا اشتد يُبْسُه يقال الإبل فيما شاءت من جفيف وقفيف والقف ما غلظ وارتفع من الأرض والقف والقفيف ما يبس من البقل وسائر النبات وفي «جف» : « الجفيف ما يبس من النبات وتجفجف الثوب إذا ابتل ثم جف وفيه ندى فإن يبس كل اليبس قيل قد قَفَّ».

وفي مادة «جح»: «الجُحّ صغار البطيخ والحنظل قبل نضجه، واحده جُحّة»، وفي قح: «يقال للبطيخة التي لم تنضج قُحّة، وقيل القح البطيخ آخر ما يكون».

وبالمقارنة بين مادتي «جعف» و «قعف» تظهر أصالة الجيم وتفرع الجيم الطبقية إذ جاء في «جعف»: «وجَعَف الشيءَ والشجرةَ يَجْعَفُها جَعْفا فانجعفت قلعها وسيلٌ جُعاف يجعف كل شيء أي يقلبه». وفي «قعف» قَعَف المطر الحجارة أخذها بشدته وجرفها وسيل قُعاف كثير الماء يذهب بكل ما يمر به وانقعف الشيء انقلع من أصله وقعفت النخلة اقتلعتها من أصلها».

وفي مادتي «جرث وقرث» الجَريث ضرب من السمك معروف والله أعلم» و «القريث لغة في الجريث وهو ضرب من السمك».

وفي اردق «الرَّدَق لغة في الرَّدَج وهو عِقْيُ الجَدْي كما أن الشَّيْرق لغة في الشَّيرج».

وفي مادة قث من لسان العرب «ويقال اقتَثَّ القوم من أصلهم واجتثهم إذا استأصلهم ويقال اقْتُثَّ واجتُث إذا قُلِع من أصله، والقَثّ والجَثّ واحد، ويقال للْوَدِيّ أول ما يُقْلَع من أمه جثيث وقَثيث»، وفي المادة نفسها «وقوله اقتُثّ أي اجتُثّ إذا قُلع من أصله».

وبالمقارنة بين مادتي «عهج» و «عهق» في لسان العرب يتبين أن «عهج» هي الأصل إذ ورد في عهج «والعَوْهَج الناقة الطويلة العنق والعَوْهَج الطويل العنق من الظباء والظِّلْمان والنوق، ويقال للنعامة عَوْهَج والعَوْهَج الطويل»، وفي مادة: عهق «العوهق الطويل يستوي فيه الذكر والأنثى والطويل من الربد وناقة عوهق طويلة العنق، والعوهق من النعام الطويل».

وفي «هزق»: والهَزَق شدة صوت الرعد»، وفي «هزج»، «ورعد» متُهَزِّج مُصَوِّت وقد هَزَج الصوتَ، ورعدهَزِج بالصوت».

وفي «ملج وملق» والمَلْق الرَّضعْ وملَقَ الجَدْيُ أمه يَمْلُقها مَلْقا رضَعَها وكذلك الفصيل والصبي وملَقَ الرجل جاريته ومَلَجها إذا نكحها كما يملق الجدي أمّه إذا رضعها و«مَلَج الصبي أُمّهَ يَمْلُجُها مَلْجا إذا رضعها».

وفي نبق ونبج «إذا كانت الضرطة ليست بشديدة قيل أنبق بها إنباقا» «والنَّبْجُ ضَرْب من الضراط».

هذا بالإضافة إلى ما جاء على ثلاثة أوجه هي الجيم و، القاف والكاف وسوف يأتي ذلك فيما بعد.

ومما يثبت أن الجيم هذه تجيء على صورة القاف ما أورده أبو الطيب«أبو عمرو يقال إنه لحسن الجسم وحسن القسم بمعنى واحد والقسم هو الجسم بعينه»[1].

وقال الفراء: «يقال فلان من جنسك وقنسك بمعنى واحد»[2].

وفي الجمهرة: وتقول العرب جيء به من جِنثك وجِنسك وقنسك»[3].

وفى مادة«قيه» من العين «القاه بمنزلة الجاه».

وجاءت الأحاديث باللهجتين الجيم المزجية والجيم الطبقية ففي صحيح مسلم «عن جابر قال نهى عن تقصيص القبور»[4].

وفي الفتح الرباني: عن جابر بن عبد الله[5] رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ينهى أن يقعد على القبر وأن يقصص عليه أو يبنى عليه»[6].

---

(١) الإبدال (١/ ٢٤٠).

(٢) المرجع السابق(١/ ٢٤٥).

(٣) (٣/ ٤٥٠٢).

(٤) (٣/ ٦٢).

(٥) هو أبو عبد الله بن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي صحابي ابن صحابي أحد المكثرين عن النبي ﷺ مات سنة ٧٨هـ.
ينظر تذكرة الحفاظ(١/ ٤٣)، الإصابة(١/ ٢١٣)، تقريب التهذيب (١/ ١٢٢).

(٦) (٨/ ٧٨).

وعن أم سلمة[1] رضي الله عنها قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يُبنى على القبر وأن يجصص»[2].

ولكن إذا نظرنا في راوي الحديث الذي جاء بالجيم وهو أم المؤمنين سلمة فإنا نجدها مخزومية من قريش وهذا يعني أنها تكلمت بالجيم القرشية أو المزجية.

أما راوي الحديث الذي جاء بالقاف فإنه من الأنصار والأنصار أصلهم من اليمن فيعني هذا أن القاف التي جاءت بدلا من الجيم، هي الجيم المعروفة اليوم باسم الجيم القاهرية وتعرف قديما بالجيم اليمانية فمن قال: «الجص» فهو لهجة قريش كما قالت أم المؤمنين أم سلمة وهي قرشية ومن قال: «القص» فهو على لهجة الأنصار كما قال جابر بن عبد الله الأنصاري ولكن عندما لم يكن يوجد رمز للجيم اليمانية كتبت في المصادر العربية إما بصورة القاف أو بصورة الكاف وفي الحديث جاءت بصورة القاف.

وبالمقارنة بين مادتي «جص» و«قص» من لسان العرب يظهر منهما أن «القص» لهجة الحجاز ونستطيع أن نقول إن المراد بلهجة الحجاز هو لهجة الأنصار إذ جاء في جصص «الجِصّ والجَص معروف الذي يطلى به وهو مُعَرَّب قال ابن دريد هو الجِصّ ولم يُقل الجَصّ وليس الجِصّ بعربي وهو من كلام العجم ولغة أهل الحجاز في الجَصّ القَصّ ورجل جَصّاص

---

(1) هي أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ. ماتت سنة ٦١هـ
ينظر الإصابة (٤/ ٤٢٣)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٥).

(2) الفتح الرباني (٨/ ٧٨).

صانع للجِص، والجَصّاصة الموضع الذي يعمل به الجِص»، وفي «قص» «القَصّة والقِصّة والقَصّ: الجَصّ لغة حجازية وقيل الحجارة من الجَصّ، وقد قَصّص داره أي جَصّصها ومدينة مُقَصّصة مطلية بالقَصّ».

وإذا نظرنا في تاريخ هذه اللفظة فإنا نجدها قد وردت في اللغة البابلية الأشورية «كصو» (Gassu) وتعنى الجص، وفي الآرامية (كصا) وقد رجح الأستاذ طه باقر أن الكلمة البابلية الآشورية هي الأصل لما ورد في اللغات السامية واللغات الإغريقية واللاتينية»[١] ، والبابلية والآشورية تنطق بالجيم مثل الجيم اليمنية أو الجيم القاهرية المعروفة اليوم.

وبمقارنة صوت الجيم في اللغات السامية يظهر من هذه المقارنة أن صوت الجيم صوت طبقي مجهور كالجيم القاهرية فكلمة جمل تكون في اللغة العبرية(**gāmāl**)وفي الآرامية(**gāmla**)وفي الحبشية(**gamal**)[٢]

والنطق بالجيم الطبقية ينتشر الآن في اليمن في تعز والحجرية[٣] ، وفي عدن من اليمن الجنوبي[٤] ،وفي منطقة تطوان من المملكة المغربية[٥].

وفي جمهورية مصر العربية يسود هذا النطق لهجة القاهرة والوجه البحري.[٦]

---

(١) من تراثنا اللغوي القديم(٧٢)

(٢) التطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب(١٨)،والمدخل إلى علم اللغة (٥٢ ، ٥٣).

(٣)دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين(٢٥).

(٤) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان(١٣٢) .

(٥) لهجة شمال المغرب تطوان وماحولها (٧٤) .

(٦)الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس(٧٧).

٥ ـ الناطقون بالجيم الفصيحة أو القرشية أو المزجية:

النطق بالجيم المزجية أو القرآنية هو النطق السائد في معظم مناطق المملكة ويلاحظ أن جميع الناطقين بالكسكسة ينطقون بالجيم الفصيحة (ج) أو القرآنية ومن أهم المدن السعودية الناطقة بهذه الجيم الرياض، جدة، مكة، الطائف، المدينة المنورة، حائل، وبريدة، وعنيزة، والرس وأبها، ونجران وإن كان بعض المدن الجبلية أو الحجازية مثل مكة والمدينة وجدة يوجد بين سكانها من ينطق بالجيم الشامية أو السورية (ج) وخاصة النازحين إليها من المناطق الجبلية التي لازالت تحتفظ بهذا الصوت ويمكن تحديد الناطقين بهذه الجيم بأنهم يشغلون معظم مناطق المملكة العربية السعودية وقد أخذت هذه الجيم تطغى على أختها الشامية خاصة بين المثقفين وفي المدارس والجامعات.

وفي اليمن ينتشر هذا الصوت في صنعاء والمناطق الشمالية من اليمن[١].

وفي العراق يشيع هذا الصوت في معظم مناطق العراق إذ هو لهجة الموصل التي تمثل المنطقة الشمالية من العراق، ولهجة بغداد التي تمثل المنطقة الوسطى من العراق، وفي شرق سوريا، والأردن

والنطق بالصوت المزجي الجيم الفصيحة يشمل عامة لهجات السودان وصعيد مصر[٢] كما أنه يشيع في معظم مناطق الجزائر وخاصة العاصمة.

وفي المملكة المغربية يسود هذا النطق بهذه الجيم منطقة تطوان إذ تنطق الجيم كالصوت اللاتيني في الكلمة الإنجليزية (**age**)[٣]

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين(٢٥).
(٢) من أصول اللهجات العربية في السودان لعبد المجيد عابدين(٤١).
(٣) لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها(٧٤).

وإذا نظرنا في تعليل التغيرات أو التحولات التي طرأت على صوت الجيم في اللغة العربية فإن الجيم قد حدث لمخرجها تأخر حيث تحولت إلى منطقة الطبق وهو ما يعرف بالجيم اليمانية لدى القدماء أو الجيم القاهرية لدى المحدثين، أما من حيث التغير الذي حدث لها في مخرجها فهي قد تحولت من الصفة المزجية أو المركبة إلى الاتساع فتحولت إلى الياء كما هو في لهجات الخليج وجنوب جزيرة العرب وجنوب العراق أو أصبحت صوتا مجهورا يقابل الشين المهموسة كما هو في بني تميم قديما وفي سوريا وفلسطين ولبنان وبعض قرى جنوب العراق وفي ساحل مريوط بمصر ولدى التونسيين والمغاربة حديثا.

ما ورد فيه ثلاث لهجات:

بمقارنة مواد «أفز» و «قفز» و «جفز» من لسان العرب تبين أن هذه المواد ترجع إلى أصل واحد إذ ورد في «أفز» أبو عمرو الأَفْز بالزاي الوَثْبة بالعَجَلة وجاء في «جفز» الجَفْز سرعة المشي يمانيه حكاها ابن دريد قال: ولا أدري ما صحتها، وروى في «قفز» قَفَز يَقْفِز قَفْزا وقِفازا وقُفوزا وقَفَزانا: وثب، ويقال للخيل السراع التي تثب في عدوها قافزة وقوافز» وأقول أصل هذه المواد هو قفز حصل فيها إبدالان: **الأول** تأخر مخرج القاف إلى الوراء حتى وصل إلى منطقة الحنجرة فأبدل همزة فصارت أفز كما هو في لهجتي القاهرة ودمشق اليوم، **والثاني** تَقَدُّم مخرج القاف إلى منطقة الغار وتحولها إلى جيم كما ينطق بها أصحاب الكشكشة اليوم في السراة والخليج.

وبالمقارنة بين مواد «لأف» و «لقف» و «لجف» من لسان العرب يظهر منها أن أصل هذه المواد هو«لقف» ونقول في أصل هذه المواد مثل ما قلناه

في المواد السابقة «أفز» «وجفز» «وقفز» إذ جاء في مادة «لأف فلان يَلأَف الطعام لأْفا إذا أكله أكلا جيدا».

وفي «لقف» «إنهم لَيُلَقِّفون الطعام أي يأكلونه، واللَّقْف مصدر لَقِفْتُ الشيء أَلْقَفُه لَقْفا إذا أخذته فأكلتَه وابتلعته والتَّلَقُّف الابتلاع.

قال أبو ذؤيب: كما يتهدم الحوضُ اللقيفُ

وقال الأصمعي هو الذي يتلجّف من أسفله فينهار وتَلَجُّفُه أكلُ الماءِ نواحيَه وتَلَقّف الحوض تَلَجّف من أسافله، والألْقاف جوانب البئرِ والحوض مثل الألجاف الواحد لَقَف ولَجَف».

وأورد أبو الطيب «ويقال لجت الشيء في فمي ألوجه ولكته ألوكه وهو اللوج واللوك إذا أدرته في فيك»[1] ،وفي «لوج» من اللسان «لاج الشيء لوجا إذا أداره في فيه » ومثله ورد في «لوك» وفي لوق «واللَّوْق كل شيء لين من الطعام وغيره يقال ماذقت لَواقا أي شيئا».

فأصل هذه الكلمات هو لاق تحولت القاف اللهوية إلى جيم مزجية كما في لاج، وتحولت إلى قاف طبقية كما في «لاك».

وفي مادة «لمق» «واللَّماق اليسير من الطعام والشراب واللَّماق يصلح في الأكل والشرب وخص به بعضهم الجحد يقولون ما عنده لَماق وما ذقت لَماقا ولا لَماجا أي شيئا، قال أبو العميثل ما تَلَمّق بشيء أي ما تَلَمّج بشيء، وما بالأرض لماق أي مرتع» وقال ابن السكيت: «ويقال ما تلمج عندنا بلماج وما تلمك بلماك».[2] ومثله في لمك من اللسان، فأصل هذه المواد هو «تلمق»؛ أي القاف اللهوية أو القرآنية تقدمت إلى

(١) الإبدال (١/ ٢٥٠).

(٢) إصلاح المنطق (٣٩٠).

منطقة الطبق فنتج «تلمك» وهذه تمثل القاف الطبقية التي لم يجعل لها رمز ثم تحولت إلى الجيم المزجية فأصبحت «تلمج».

ومثل ما قلناه في لمق ولمج ولمك نقوله في (دملق ودملج ودملك) إذ ورد في مادة دملق من اللسان «الْمُدَمْلَق من الحجر والحافر الأملس المدور مثل الْمُدَمْلَك والْمُدَمْلَج، والدُّمَلِق الحجر الأملس الصُّلب يقال دَمْلَقه ودَمْلكه إذا مَلّسه وسواه».

وفي «دملك»: الدُّمْلوك الحجر الأملس المستدير وحجر مُدَمْلك مدملق وحافر مدملك مثل مدملق ومدملج».

وقال ابن السكيت: «ويقال ريح سَيْهك وسَيْهج وريح سيهوك وسيهوج إذا كانت شديدة».

فأصل هذه الكلمات الثلاث هو سيهج بالجيم وأما سيهك وسوهق فهما تمثلان التردد في رسم صورة الجيم الطبقية أو القاهرية فمرة ترسم كافا كما في «سيهك» ومرة قافا كما في «سوهق».

ومثل ما قيل في هذه المواد الثلاث يقال في مواد «عبج وعبق وعبك» إذ جاء في مادة عبج.

قال إسحاق بن الفَرَج: سمعت شجاعا السلمي يقول: العَبَكة الرجل البغيض الطّغامة الذي لا يعي ما يقول قال: وقال مدرك الجعفري هو العَبَجة جاء بهما في باب الكاف والجيم «وفي مادة عبك» ما في النحى عَبَكة أي شيء من السمن مثل عَبَقة «ورجل عبكة أي بغيض هِلْباجة».

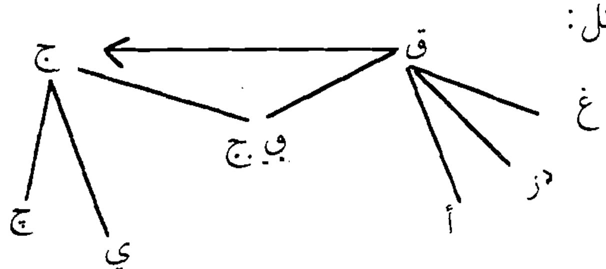
وفي مادة جفر من لسان العرب «الجُفُرّى والكُفُرّى وعاء الطلع، والجُفُرّاء والجُفُرّاة: الكافور من النخل حكاهما أبو حنيفة» وفي مادة «قفر»

قال الأصمعي: الكافور وعاء النخل ويقال له أيضا قَفَور، قال الأزهري وكذلك الكافور الطيب يقال له قَفّور» فأصل هذه المواد الجفرى تحولت الجيم إلى جيم قاهرية فكتبت تارة بالكاف وتارة بالقاف.

وبمقارنة مواد «جلف وقلف وغلف» تظهر العلاقة بين هذه المواد وأن بعضها متفرع عن بعض ففي جلف «الجَلْف القَشْر جَلَف الشيء يَجْلُفُه جَلْفا: قشره وقيل هو قشر الجلد مع شيء من اللحم، وجَلَف ظُفُرَه عن أصبعه كشطه وجَلَفت الشيء قطعته واستأصلته وجَلَف الطينَ عن رأس الدن يَجْلُفُه جَلْفا نزعه، وطعنة جالفة تَقْشُر الجلدَ ولا تخالط الجوف والجالفة الشَّجَّة التي تقشر الجلد مع اللحم وخُبز مجلوف: أحرقه التَّنور فلزق به قشوره والجِلْف بدن الشاة المسلوخة، وفي «قلف» والقُلْفة بالضم الغُرْلة ورجل أقلف بَيِّن القَلَف لم يختن، والقَلْف بالجزم قطع القُلْفة واقتلاع الظفر من أصلها وقَلَف الشجرة نزع عنها لحاءها وقَلَف الدنّ يَقْلِفُه قَلْفا فهو مقلوف وقليف نزع عنه الطين والقِلْف والقُلافة القشر والقَليف ما يقلف من الخبز أي يُقشر».

وفي «غلف» وغلام أغلف لم تقطع غرلته وغلام أغلف لم يختن، كأقلف؛» فأصل هذه المواد قلف أبدلت القاف جيما فصارت «جلف» وأبدلت غينا فصارت «غلف».

وبعد هذا العرض لتبادلات القاف والجيم، فإنه يتبين أن القاف والجيم تأخذ هذا الشكل:



فلو أخذ مثل جملة «قرأ قاسم الجريدة» لأصبحت على النحو التالي:

١ـ الذين يبدلون القاف همزة =: أرأ آسم الجريدة أو الچريدة.

٢ـ الذين يبدلون القاف جيما =: جرأ جاسم اليريدة أو الچريدة.

٣ـ الناطقون بالقاف الطبقية =: ڨرأ ڨاسم الجريدة

٤ـ الناطقون بالقاف المزجية =: دزرأ دزاسم الجريدة

٥ـ الناطقون بالغين بدلا من القاف=: غرأ غاسم اليريدة أو الجريدة

ومن عرض القاف والجيم والتبادل الحاصل بينهما يتضح أنه لا يمكن أن نقول اللهجة السعودية أو العراقية أو المصرية أو الجزائرية أو المغربية إذ إن كل دولة من الدول العربية تشتمل على عدة لهجات تكرر في نواح مختلفة من العالم العربي فلو أخذنا اللهجة السعودية فإنا سوف نجد من السعوديين من ينطق القاف الطبقية وهذا النطق ليس مقصورا على السعودية إذ ينتشر في اليمن والعراق وصعيد مصر والجزائر والسودان. ومن السعوديين من ينطق القاف جيما فصيحة وهذه اللهجة في العراق والخليج هذا من ناحية القاف، أما لو أخذنا اللهجة السعودية الناطقة بالجيم الفصيحة فسيكون هذا النطق في العراق والأردن واليمن والسودان وليبيا فعلى هذا لا يمكن أن نقول اللهجة السعودية لأنها اشتملت على لهجات منتشرة في أنحاء العالم العربي، ولو أخذنا لهجة عربية أخرى ولتكن لهجة جمهورية مصر العربية فإنا نرى أن اللهجة المصرية تشتمل على الناطقين بالجيم القاهرية وهذا النطق يوجد في عدن وفي تطوان بالمملكة المغربية ومن المصريين وخاصة الصعيد من ينطق الجيم الفصحى وهذه تنتشر في السعودية والعراق واليمن والأردن والسودان بل إن من المصريين من ينطق الجيم الرخوة (چ) التي تسمى الشامية هذا بالنسبة

للجيم أما بالنسبة للقاف فإن من المصريين من يجعل القاف همزة وخاصة الوجه البحري وهذا النطق ليس خاصا بمصر بل يوجد في منطقة تهامة باليمن وفي سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وتطوان في المغرب، ومنهم من ينطق القاف الطبقية وهذا ليس مقصورا على صعيد مصر بل يتعداها إلى معظم أنحاء الوطن العربي كالسعودية والعراق وشرق سوريا والأردن والجزائر.

ولو أخذنا لهجة عربية أخرى ولتكن لهجة سوريا فإنها تنطق بالجيم الشامية (چ)، وهذا ليس مقصورا على سوريا بل في الحجاز والشام وتونس والصحراء الغربية من مصر وبعض قرى جنوب العراق.

وإذا أخذنا لهجة تجعل القاف غينا فإنا نجدها في الخليج العربي والسودان وجنوب العراق وجنوب الصحراء الجزائرية.

وإذا أخذنا لهجة عربية تجعل الجيم ياء كما تفعل تميم لوجدنا هذا النطق في جنوب الجزيرة العربية وشرقها وجنوب العراق بل في بعض مناطق عسير غرب المملكة العربية السعودية، وفي منطقة الخليج.

لذلك فإنه لا يمكن أن نقول اللهجة المصرية؛ لأن في مصر أربع لهجات الناطقين بالهمزة بدلا من القاف وهؤلاء يشاركهم في هذا النطق اليمن والشام والمغرب، والناطقين بالجيم الطبقية وهؤلاء يشاركهم اليمن وعمان والمغرب والناطقين بالقاف الطبقية وهم في الصعيد ويشاركهم نجد والعراق والسودان، وكذلك الناطقين بالجيم الفصيحة وهذا المثل الذي ضربناه بمصر جار على جميع اللهجات العربية فمن الجهل أن نقول اللهجة المصرية أو السورية أو السعودية لأن في كل دولة من هذه الدول لهجات يشاركها فيها غيرها ولذلك فإنه من الحسن أو الصواب الذي أراه

أن تصنف اللهجات العربية حسب نطق القاف أو الجيم بل إن الاختلاف بين الناطقين بالجيم والقاف هو العلامة البارزة والمميزة للهجات العربية فبواسطة نطق الجيم يمكن أن يفرق بين الصعيدي والبحري في جمهورية مصر العربية وبواسطة النطق بالجيم الرخوة (چ) يمكن معرفة سكان المناطق الجبلية بالمملكة العربية السعودية إذا قورنت بنطق (ج) وبنطق الهمزة بدلا من القاف يمكن نميز«سكان الوجه البحري بجمهورية مصر العربية والشام وتهامة اليمن وتطوان عن غيرهم من مناطق الوطن العربي. وإذا نظرنا إلى الناطقين بالهمزة بدلا من القاف نستطيع أن نميز بينهم إذا قارنا نطق الجيم إذ سوف ينطق الشاميون والمغاربة بالجيم الرخوة (چ) المجهورة وسوف ينطق المصريون واليمانيون بالجيم الطبقية (ج).

وإذا سمعنا من ينطق الغين بدلا من القاف فسوف ننسبه إلى السودان أو الخليج أو جنوب العراق أو اليمن، لذلك فإنني أرى من الواجب أن تصنف اللهجات العربية على أساس النطق بالجيم أو القاف لا على أساس النسبة إلى الدولة أو الإقليم؛ لأن كل بلد من البلاد العربية يكاد يشتمل على جميع اللهجات العربية وتكون اللهجات في غيره من الوطن العربي مكررة ولكن تصنيف اللهجات العربية على أساس الاختلاف في نطق القاف والجيم يجعلنا ننظر إلى المدن أو المناطق التي تتكلم بالقاف أو الجيم ولا نقصر النظر على الدول لأنه بإمكاننا أن نعرف لهجة كل مدينة أو قرية إذا اتبعنا ذلك فإذا قلنا لهجة الناطقين بالجيم الطبقية فتشمل هذه اللهجة مثلا لهجة القاهرة بمصر وعدن باليمن الجنوبي وتعز باليمن الشمالي.

ولهجة الجيم الرخوة المهجورة تشمل «دمشق وبيروت وتونس».

ولهجة الجيم الفصيحة تشمل «الرياض، جدة، مكة، المدينة ، بغداد الموصل ،عمان ، الخرطوم ، الجزائر ،صنعاء».

ولهجة الذين يبدلون الجيم ياء تشمل«حضرموت، وأبا ظبي، والمنامة ، والدوحة، والكويت ،والبصرة.

هذا بالنسبة للهجات إذا قورنت على أساس النطق بالجيم، أما إذا اتخذ القاف مقياسا فستكون: لهجة الناطقين بالقاف اللهوية تشتمل على الموصل بالعراق وخولان صنعاء باليمن ومديرية الجيزة،وأبيار ورشيد وضواحيها في جمهورية مصر العربية والمنطقة الجبلية من تطوان بالمغرب.

ولهجة الناطقين بالقاف الطبقية (تشتمل سكان الرياض، وجدة، ومكة والمدينة، وبغداد ،وأسيوط ،وصنعاء.

ولهجة الناطقين بالجيم المزجية بدلا من القاف تشمل بعض سكان مكة وجدة والمدينة والدمام بالمملكة العربية السعودية وسكان الدوحة، والمنامة وأبي ظبى والكويت والبصرة.

ولهجة الناطقين بالغين بدلا من القاف تشمل بعض سكان الكويت، وسترة بالبحرين،والمنطقة الشرقية من المملكة،والخرطوم،وسكان صحاري الجزائر.

ولهجة الناطقين بالهمزة بدلا من القاف تشمل (القاهرة ودمشق وبيروت وحلب والمنطقة السهلية من تطوان بالمملكة المغربية، وتهامة باليمن الشمالي).

الناطقون بالقاف المزجية هذا النطق ينحصر في المملكة العربية السعودية في نجد وشرق الحجاز وهو يستعمل إلى جانب النطق بالقاف

الطبقية وهو في بعض المواضع ولكن الغالب هو النطق بالقاف الطبقية وبهذا تمكنا من تصنيف اللهجات العربية على أساس تغيرات مخارج القاف والجيم ولذلك فإنني أرى أن من المناسب أن أذكر حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» في هذا الموضوع لأن الاختلاف بين العرب في نطق هذين الصوتين قديم جدا ولازال قائما إلى اليوم ولأن النصوص أثبتت التبادل بين هذين الصوتين والتغيرات التي طرأت عليهما ولأن إبدالهما يأخذ صفة الاطراد وخاصة إبدال القاف صوتا طبقيا أو جيما مزجيا وإبدال الجيم صوتا طبقيا أو رخوا مجهورا فهو يأخذ صفة الاطراد لدى الناطقين به، ثم إن الأحاديث التي جاءت في هذا الباب أي حديث «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» كلها جاءت بلفظ الحرف وهذا التبادل أو التغير في لهجات العرب. إنما يقع في حرفي القاف والجيم والأحاديث التي جاءت بهذا الصدد أي «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» هي:

١ ـ مارواه البخاري في صحيحه «أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺفكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ أرسله اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت ثم قال اقرأ ياعمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك أنزلت إن**

هذا القرآن أنزلت على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»[1].

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»**[2].

وروى مسلم في صحيحه «عن أبي بن كعب قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ فحسن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا فقال لي: « **يا أبي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إليّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ** »[3].

وفي صحيح مسلم «**عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته،وإن أمتي لاتطيق ذلك**

---

(١) صحيح البخاري .(٣/ ٢٢٧)

(٢) المرجع السابق (٣/ ٢٢٦).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٢٠٣)

ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطيق ذلك ثم جاءه الرابعة ، فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا»[1].

وفي سنن الترمذي «**عن أبي بن كعب قال :لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين :منهم العجوز والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال :يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»**[2].

وإذا نظرنا في آراء العلماء في حديث «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» نجدها كثيرة فقد عدها السيوطى نحواً من أربعين قولا منها[3]:

١ ـ أنه من المشكل الذي لايدرى معناه لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة.

٢ ـ أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ولفظ السبعة؛ يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين ولا يراد العدد المعين.

٣ ـ الأوجه التي يقع بها التغاير.

٤ ـ المراد سبع لغات وتعقب بأن لغات العرب تزيد على سبعة.

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٢٠٤)

(٢) سنن الترمذي(٥/ ١٩٤)

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٤٥).

٥ ـ سبع لغات منها خمس في هوزان واثنتان لسائر العرب.

٦ ـ سبع لغات لغة لقريش ولغة لليمن ولغة لجرهم ولغة لهوازن ولغة لقضاعة ولغة لتميم ولغة لطيء.

وما أراه هو أن التبادل بين القاف والجيم والتغيرات التي تدخل على هذين الحرفين هما سبب اختلاف العرب قديما وحديثا ولعل هذه الأحاديث جاءت لتسهيل الأمر على الأمة إذ إن اليماني الذي ينطق أو تعود على النطق بالجيم الطبقية لايستطيع أن يتركها وينطق بالجيم المزجية وأن التميمي الذي تعود النطق بالقاف الطبقية لايستطيع تركها والنطق بالقاف اللهوية، ثم إن من العرب من ينطق الجيم الرخوة (ڃ) فمن نشأ على هذه الجيم لايستطيع أن يتركها ثم إن الاختلاف وقع بين الصحابة في القراءة وليس في المعنى ثم إن التبادل بين الجيم والقاف أو التغيرات التي دخلتهما كانت منسوبة إلى العرب قديما ولا تزال مستعملة إلى اليوم، وهذا التبادل يكون بين الجيم والقاف من جهة وبين كل منهما والأصوات الغارية والطبقية من جهة أخرى.

الفصل الثاني

الحروف اللثوية والأسنانية والشفوية

الحروف اللثوية والميم:

اللام والنون والراء :

هذه الحروف (الأصوات) الثلاثة أطلق عليها الخليل اسم الأصوات الذلقية وذلك بقوله: «والراء واللام والنون ذَلَقية ؛لأن مبدأها من ذَلَق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان»[1].

وقد أشار إلى أنهن من مخرج واحد حيث قال: «ثم الراء واللام والنون في حيز واحد»[2].

ولكن وصف سيبويه لهذه الحروف (الأصوات) حدد أنها لثوية حيث قال في مخرج النون والراء»، : « ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين مايليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون»[3]، وقال: «ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء»[4].

وقال ابن جني محددا مخرج اللام :«ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام»[5].

---

(١) العين (١/ ٦٥) .

(٢) المرجع السابق(١/ ٦٤) .

(٣) الكتاب (٤/ ٤٣٣) .

(٤) المرجع السابق (٤/ ٤٣٣) .

(٥) سر صناعة الإعراب (١/ ٥٢) .

والمحدثون من علماء الأصوات يطلقون على هذه الأصوات اسم الأصوات اللثوية[1]، وهذا شبيه بوصف سيبويه لهذه الحروف(الأصوات).

اللام والنون:

اللام حرف (صوت) لثوي جانبي مجهور منفتح يتم نطقه بأن يتصل طرف اللسان باللثة ويرتفع فيسد المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق مع حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين.[2]

والنون حرف(صوت)لثوي أنفي مجهور يتم نطقه بجعل طرف اللسان متصلا باللثة مع خفض الطبق ليفتح المجرى الأنفي وإحداث ذبذبة في الوترين الصوتيين»[3].

والعلاقة بين هذين الصوتين هي اتفاقهما في الجهر والانفتاح والمخرج وهما من الأصوات المتوسطة وهي التي بين الشديدة والرخوة وإنما الاختلاف بينهما هو أن الصوت في النون يخرج من الأنف وفي اللام من أحد طرفي اللسان.

وقد جاءت النصوص بإثبات الإبدال بين هذين الحرفين (الصوتين) وهذا الإبدال قد نسب إلى قيس وتميم وأسد وتيم الله وكلب وطيء.

والنصوص تؤيد تحويل اللام إلى نون من ذلك ما أورده ابن السكيت في «باب اللام والنون»: ويقال خامل الذكر وخامن الذكر، وأستشهد لخامن بقول الشاعر حدير الطائي:

أتاني ودوني من عتادي معاقل   وعيد مليك ذكره غير خامن[4].

(١) دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر(٢٧٠).
(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٧).
(٣) المرجع السابق (٤٩).   (٤) الإبدال (٦٩).

وقال ابن جني في «باب في الحرفين المتقاربين أحدهما يستعمل مكان صاحبه»: فأما قولهم ما قام زيد بل عمرو وبن عمرو فالنون بدل من اللام ألا ترى إلى كثرة استعمال «بل» وقلة استعمال «بن» والحكم على الأكثر لا على الأقل هذا هو الظاهر من أمره ولست مع هذا أدفع أن يكون «بن» لغة قائمة برأسها، وكذلك قولهم رجل «خامل» و«خامن» النون بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تصرف وذلك قولهم خَمَلَ يَخْمُلُ خُمولا»[1].

وللعرب في لعل عدة لهجات يتبين من خلالها إبدالهم اللام نونا قال المرادي عندما تكلم عن لعل: «وفي لعل اثنتا عشرة لغة وهي: لعل وعل، ولعن وعن، ولأن وأن، ورعل ورعن، ولغن ورغن وغن وهذه الثلاثة بالغين المعجمة ولعلت بتاء التأنيث»[2].

وقال الرماني[3] لعل وهي من الحروف العوامل تنصب الاسم وترفع الخبر. . . . وفيها لغات قد يقال لعل ولعن وعل ورعن وأن والأفصح لعل وعل»[4].

وفي قوله الأفصح إشارة إلى الأصل، لعل وعل وأن الصيغة المشتمل على اللام هي الأصل.

---

(١) الخصائص (٢/ ٨٤).

(٢) الجنى الداني في حرف المعاني(٥٢٩).

(٣) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني من أئمة النحو والكلام مولده ووفاته ببغداد. من مصنفاته: تفسير القرآن، والنكت في إعجاز القرآن، وشرح كتاب سيبويه، وشرح المقتضب. توفي سنة٣٨٤هـ ينظر بغية الوعاه (٢/ ١٨٠)، شذرات الذهب (٣/ ١٠٩)، الأعلام (٤/ ٣١٧).

(٤) كتاب معاني الحروف (١٢٤).

وذكر ابن السكيت من لهجات لعل: لعني ولغني واستشهد للعن بإبدال اللام نونا بقول الفرزدق:

هل أنتم عائجون بنا لَعَنّا نرى العرصات أو أثر الخيام

وأورد أن بعض العرب يقول «لأنني ولأني»[1].

وفي مادة لغن من لسان العرب: ولغن لغة في لعل وبعض بني تميم يقول لغنك بمعنى لعلك وأستشهد ببيت الفرزدق السابق مع إبدال العين غينا في «لغنا».

وفي مادة «عنن»منه جاءت لَعَنَّ منسوبة إلى بني تميم ورعن منسوبة إلى تيم الله حيث قيل فيها «والعرب تقول لأنك ولعنك تقول ذلك بمعنى لعلك ابن الأعرابي لعنك لبني تميم، وبنو تيم الله ابن ثعلبة يقولون رَعَنّك، ولغنك بالغين المعجمة، ومن العرب من يقول رعنك ولغنك بالغين المعجمة بمعنى لعلك».

ومما أورده ابن السكيت في «باب العين والهمزة» قول الشاعر:

أريني جوادا مات هزلا لألني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا[2].

يريد: لعلني.

وهذا شاهد على أن من لهجات لعل «لألّ».

وقد استشهد أبو الطيب بهذا البيت ولكن جاء فيه «لأنّ» بدلا من «لأل» مع نسبته إلى حطائط بن يعفر النهشلي ورواية البيت هي:

---

(١) الإبدال (١١١).

(٢) المرجع السابق (٨٥).

أريني جوادا مات هزلا لأنني   أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا[1]

وفي الأمالي نقلا عن ابن السكيت ولكن ورد فيها «لأنني» بدلا من «لألني»[2].

وفي السمط برواية لعلني مع نسبة هذا البيت إلى حُطائِط بن يعفر[3].

وجاء هذا البيت في ديوان حاتم الطائي ولكن برواية «لعلني»[4]. هذه هي الرويات التي تمثل لهجات العرب في لعل والتي تمثل تاريخ لعل.

ونحن أمام هذه الرويات المتعددة في لعل نرى منها ما يمثل تاريخ لعل وما يخضع لقواعد التبادل بين حروف الحلق، وقانون التبادل بين الحروف اللثوية فالروايات: «لأل، لأن أن ولعل، علّ لعن، وعن، رعل، رعن» تمثل تاريخ لعل فمنها الأصل ومنها الفرع فما كان محتويا على الهمزة واللام هو الأصل.

«فلأل وأل» هما الأصل والأخيرة هي الأولى بعد حذف اللام وهاتان الكلمتان دخلهما الإبدال من طريقين:

الطريق الأول الإبدال بواسطة حروف الحلق وذلك بإبدال الهمزة عينا فأصبحتا «لعل وعل».

والطريق الثاني بواسطة الحروف اللثوية وذلك بإبدال اللام نونا

---

(١) الإبدال (٢/ ٥٥٧).

(٢) الأمالي لأبي علي القالي (٢/ ٨١).

(٣) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (٢/ ٧١٤).

(٤) ديوان حاتم الطائي (٤٠).

فصارتا «لأن وأن».

أما «لعن وعن» فيمكن أن نرجعهما إلى «لأن وأن» وذلك بإبدال الهمزة عينا.

ويمكن أن نرجعهما إلى «لعل وعل» وذلك بإبدال اللام نونا.

وأما «رعل ورعن» فهما ترجعان إلى «لعل ولعن» وذلك بإبدال اللام راء، كما سيأتي في التبادل بين اللام والراء.

فيكون بذلك تطور لعل على النحو التالي:



وأما الروايات التي أرى أنها لا تخضع للإبدال وإنما يغلب عليها أن تكون محرفة أو مصحفة فهي الروايات التي جاءت بالغين المعجمة «رغن ولغن وغن» وذلك أن الروايات التي جاءت بالغين المعجمة ومنسوبة إلى بني تميم قد جاءت بالعين المهملة منسوبة إليهم أيضا وهذا مما يرجح وقوع التصحيف والتحريف في هذه الروايات بل إن بيت الفرزدق الذي جاء شاهدا على «لغن» هو في الديوان «لعن» كما أورده ابن السكيت(١).

وقد نسب الفراء إبدال اللام نونا إلى بني أسد حيث قال: «العرب تقول ميكال وميكائيل وميكائل وميكائين بالنون. وهي في بني أسد يقولون هذا إسماعين قد جاء بالنون، وسائر العرب باللام. قال وأنشدني

(١) ديوان الفرزدق (٢/ ٢٩٠).

بعض بني نمير لضب صاده بعضهم:

يقول أهل السوق لما جينا هذا ورب البيت إسرائينا[1]

وقد أكد أبو حيان نسبة هذه اللهجة إلى بني أسد إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾[2]: في جبريل ثلاث عشرة لغة ذكر منها «وجَبْرين وجِبْرين في لغة بني أسد»[3].

وأورد ابن السكيت: « ويقال لابل ولابن، وإسماعيل وإسماعين وميكائيل وميكائين، وإسرافيل وإسرافين وإسرائيل وإسرائين»[4].

وهذه الأسماء ونحوها مضافة إلى اسم الجلالة حيث إن «إل» تعني الله أو اسم من أسماء الله حيث جاء في مادة «ألل» من القاموس المحيط «الإل بالكسر العهد والحلف والربوبية واسم الله وكل اسم آخره إل أو إيل فمضاف إلى الله تعالى».

وفي مادة «أيل» منه «إيل بالكسر اسم الله تعالى».

ونسب إبدال اللام نونا إلى بني سعد وكلب والباهليين حيث جاء في اللسان «الفراء: في قولهم: بل بمعنى الاستدراك تقول بل والله لا آتيك وبن والله يجعلون اللام فيها نونا قال وهي لغة بني سعد ولغة كلب وسمعت الباهليين يقولون لابن بمعنى لا بل»[5].

وقال ابن دريد في «باب التاء واللام في الرباعي» استعمل من

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٩١)، والإبدال لابن السكيت (٦٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٣٨).

(٢) البقرة (٩٧).

(٣) البحر المحيط (١/ ٣١٧).

(٤) الإبدال (٦٨).

(٥) المرجع السابق(١٣/ ٦٠).

وجوهها الهتملة مثل الهتمنة وهو الصوت الخفي وهتمل يهتمل هتملة وفي «باب التاء والميم في الرباعي، قال: الهتمنة مثل الهتملة سواء وإنما هي لام قلبت نونا»[1].

وقال ابن فارس في مادة «أتل»: الهمزة والتاء واللام يدل على أصل واحد وهو البطء والتثاقل قال أبو عبيد: الأَتَلان تقارب الخطو في غضب يقال أَتَل يأْتِل أَتَن يأتِن وفي مادة «أتن» قال: قال أبو عبيد الأتنان تقارب الخطو في غضب يقال: أتن يأتن، وهذا ليس من الباب لأن النون مبدلة من اللام والأصل الأتلان وقد تقدم ذكره».

وفي مادة «د ن ه» من جمهرة اللغة: الدنه مثل الدله تقلب اللام نونا.

وجاء في الجمهرة أيضا: جِريال وهو صبغ أحمر ويقال جريان بالنون[2].

وقال ابن فارس في مادة «دحل» فأمّا الدَّحِل في خَلْق الإنسان فيقال هو العظيم البطن وهذا قياس الباب لأنه يدل على سَعَة وتلجّف وفي مادة «دحن» قال: الدال والحاء والنون ليس بأصل لأنه من باب الإبدال يقال رجل دَحِن وهو مثل الدحل وقد فسرناه.

وقال ابن السكيت: يقال بعير رِفَنّ ورِفَلّ إذا كان سابغ الذنب[3].

وقال ابن فارس في مادة «رفل» من المقاييس الراء والفاء واللام أصل واحد يدل على سعة ووفور من ذلك رفل في ثيابه يرفل وذلك إذا طالت

---

(١) الجمهرة (٣/ ٣١٦).

(٢) المرجع السابق(٣/ ٣٨٧).

(٣) الإبدال (٦٣).

عليه وجرها والرِّفَلّ: الفرس الطويل الذنب وفي مادة «رفن» قال: الراء والفاء والنون ليس أصلا وإنما النون في رفن مبدلة من لام لأنه في الأصل رفل.

وقال ابن السكيت ارمَعَنّ الدمع وارمَعَلّ إذا تتابع[١]، وبالمقارنة بين مادتي «رمعن» و«رمعل» في لسان العرب تأكد أن الأصل في هاتين الكلمتين هو «ارمعل» والفرع ارمعن حيث جاء في مادة «رمعل» ارمعل الثوب ابتل، وقيل كل ما ابتل فقد ارمعل وارمعل الدمع وارمعن سال فهو مرمعل ومرمعن وارمعل الشيء تتابع وقيل سال فتتابع وفي: «رمعن»: ارمعن الشيء كارمعل قال ابن سيده يجوز أن يكون لغة فيه وأن تكون النون بدلا من اللام وارمعل الدمع وارمعن سال فهو مرمعل ومرمعن».

وقال أبو الطيب: الجَلَد والجَنَد الأرض الصلبة[٢]: وبمقارنة هاتين الكلمتين في مقاييس اللغة بدا أن الأصلية هي الجلد والفرعية هي الجند قال ابن فارس في مادة «جلد» الجيم واللام والدال أصل واحد يدل على قوة وصلابة. . . والجلد الأرض الغليظة الصلبة، «وفي مادة «جند» والجَنَد الأرض الغليظة فيها حجارة بيض فهذا محتمل أن يكون من الباب ويجوز أن يكون من الإبدال والأصل الجَلَد».

وقال ابن السكيت: يقال رأيت في أرض بني فلان نُعاعة حسنة ولُعاعة حسنة وهو بقل ناعم في أول ما يبدو رقيق لم يغلظ ويقال إنما الدنيا لعاعة[٣]، وفي مادة نعع من اللسان: قال ابن سيدة وحكى يعقوب

(١) الإبدال (٦٨).

(٢) الإبدال (٢/٤٠٨).

(٣) الإبدال (٦٣).

أن نونها بدل من لام لعاعة وهذا قوي لأنهم قالوا لعت الأرض ولم يقولوا نعت.

وفي مادة سربن من لسان العرب «السربان كالسربال وزعم يعقوب أن نون سربان بدل من لام سربال وتسربنت كتسربلت».

وفي مادتي زلم من لسان العرب: والزَّلم الزَّمع الذي خلف الأظلاف وفي مادة زنم: والزَّنَم لغة في الزلم الذي يكون خلف الظلف.

هذا وقد أورد ابن السكيت أمثلة للتبادل بين اللام والنون يرجح فيها أن اللام هي الأصل ومن هذه الأمثلة «ويقال رَهْدَنَة ورَهْدَلَة وهي الرهادن، والرهادل وهو طوير شبيه بالقبرة إلا أنه ليس له قُنْزُعة[1].

ولا زالت العامة في المملكة تطلق على هذا الطائر اسم الرهدل باللام.

والكَتَل والكَتَن التزلج ولزوق الوسخ[2].

ويقال عَتَلْته إلى السجن وعَتَنْته وأنا أعتُله وأعتِله وأعتُنه وأعتِنه[3].

وهو حنَك الغراب وحلَكه لسواده[4].

وهو كبْنُ الدلو وكَبْل الدلو[5].

وقال أبو الطيب: يقال غلام جادل وجادن إذا ترعرع وفصيل جادل وجادن ونحو ذلك[6].

---

(١) الإبدال (٦٤).

(٢) المرجع السابق (٦٢).

(٣) المرجع السابق (٦٨).

(٤) الإبدال (٦٦).

(٥) المرجع السابق (٦٥).

(٦) الإبدال (٢/٤٠٧).

ومما يقوي تحويل اللام إلى النون أنها في حالة التقائها مع النون في الإدغام تتحول إلى نون قال سيبويه عندما كان يتحدث عن الإدغام في النون «وأما اللام فقد تدغم فيها وذلك قولك هَنَّرى، فتدغم في النون والبيان أحسن لأنه قد امتنع أن يدغم في النون ما أدغمت فيه سوى اللام، فكأنهم يستوحشون من الإدغام فيها»(١).

وبعد هذه النصوص التي تدل دلالة واضحة على أن العرب تحول اللام إلى نون فإنه إذا وقع الإبدال بين كلمتين بحيث وردت إحداهما محتوية على اللام والأخرى محتوية على النون وكانتا متساويتين في عدد الحروف وترتيبها فإن التي اشتملت على اللام هي الأصل والتي اشتملت على النون هي الفرع هذا بالإضافة إلى أن بعض الكلمات سيكون الإبدال فيها بين الأصوات اللثوية اللام والراء والنون وسنتناوله فيما بعد.

وبعد أن عرفنا أن اللام تحولها العرب إلى نون نستطيع أن نعرف الأصل والفرع من كلمتي طبرزل وطبرزن للسكر اللتين عدهما ابن جني أصلين كل منهما قائم بذاته حيث قال: «ومن ذلك سُكّر طَبَرْزَل وطبرزن: هما متساويان في الاستعمال فلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منك بحمله على ضده»(٢).

إذ الأصل في هاتين الكلمتين هو طبرزل لأن العرب تحول اللام إلى نون وليس العكس وذلك قولهم في لعل «لعن» وفي إسماعيل إسماعين، بل قد تكون طبرزن لهجة القبائل الذين يبدلون اللام نونا مثل بني أسد وطبرزل لهجة القبائل الذين نطقوا بالكلمة على الأصل.

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٥٦).

(٢) الخصائص (٢/ ٨٢).

وكان ابن جني قد أقام نظريته هذه على أساس الاستعمال فلما تساوى اللفظان في الاستعمال حكم بأصالة كل منهما، ونتساءل فنقول: إن كان كل منهما أصلا فهما ليسا من الإبدال إذ الإبدال يحتم أن يكون أحد اللفظين أصلا والآخر فرعا.

وكذلك نستطيع أن نعرف الأصل من الفرع في كلمتي أو مادتي هتل وهتن اللتين جعلهما ابن جني أصلين كل منهما قائم بذاته، وجعل المحدثون هتل فرعا وهتن أصلا.

قال ابن جني: «ومن ذلك قولهم هتلت السماء وهتنت: هما أصلان ألا تراهما متساويين في التصرف، يقولون: هَتَنت السماء تَهْتِن تَهْتانا وهتلت تهتل تهتالا وهن سحائب هُتُن وهتل قال امرؤ القيس:

فسحت دموعي في الرداء كأنها كُلىً من شعيب ذاتُ سَحٍّ وتَهْتانِ

وقال العجاج:

عزّز منه وهو معطي الاسهالْ ضرب السواري مَتْنه بالتهالْ[1]

وكان ابن جني قد بنى تأصيله لهاتين المادتين على أساس التصرف فلما تساويا في التصرف حكم بأصالتهما وفي طبرزل بنى تأصيله على أساس الاستعمال فلما تساويا في الاستعمال حكم بأصالة المادتين إذ حكمه في التأصيل يقوم على أساسين هما: الاستعمال والتصرف ثم إنه نظر إلى مادتي «هتل وهتن» ولم ينظر إلى اللام والنون إذ كان ينظر إلى الكلمتين اللتين وقع فيهما الإبدال ولو كان ينظر إلى اللام لاستطاع أن يجد ما يؤيد تحول اللام إلى النون وليس خاصا بمادة من المواد وإنما في كل المواد التي يقع التبادل فيها بين اللام والنون.

(١) الخصائص (٢/ ٨٢).

أما المحدثون فقد حكموا بأصالة تهتان يقول الدكتور إبراهيم أنيس «أما حين يرد كل من النطقين في نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح في الغالب أصالته فحين يروي ابن السكيت أن التهتان = التهتال نرجح أصالة التهتان لكثرة شواهدها في معاجم اللغة في حين أن «التهتال» لم يرد لها إلا شاهد واحد نراه ملتزما في كتاب ابن السكيت ولسان العرب»(١).

فهو قد بنى تأصيله على كثرة الشواهد ولكن ليست كثرة الشواهد دليلا قاطعا على أن الكلمة التي تكثر شواهدها هي الأصل إذ قد يكون الأصل قليل الشواهد بل تعد بعض الكلمات القليلة الاستعمال رواسب لغوية قديمة قد تركت لصعوبتها أو لثقلها إذ إنها تمثل مرحلة من مراحل تطور الكلمة فمثلا كلمة «حتى» هي أكثر استعمالا في لغة العرب من كلمتي «عتى وأتى» وهي أحدثهن تاريخا وكلمة هراق أكثر شواهد من كلمة أراق مع أنها هي الفرع وأراق هي الأصل كما تقدم في التبادل بين الهمزة والهاء.

وألاحظ في الذين تناولوا تأصيل الكلمات التي وقع فيها الإبدال:

أولا: النظرة الضيقة حيث ينظرون إلى الكلمتين اللتين وقع فيهما الإبدال وقلما ينظرون إلى الحرفين (الصوتين) اللذين وقع بينهما التبادل.

ثانيا: سيطرت كثرة الاستعمال وقلته على الذين بحثوا في أصل الإبدال.

ثالثا: أن الإبدال إذا وقع في بعض الأصوات يأخذ صفة الاطراد غالبا ولم ينظروا إلى هذه النقطة باهتمام.

---

(١) من أسرار اللغة (٧٩).

وقد سبق أن بينت أنني لن أكتفي بكثرة الاستعمال وقلته أو كثرة التصرف وقلته؛ بل إنني أنظر إلى الحرفين (الصوتين) اللذين وقع بينهما الإبدال ثم إن النظر في الكلمة التي وقع فيها الإبدال يكون: من جهتين:

أولا: النظر إلى الحرفين (الصوتين) اللذين وقع فيهما الإبدال.

ثانيا: النظر في الحروف الأخرى هل بينها علاقة إذ لابد من النظر في العلاقة بين جميع حروف الكلمتين اللتين وقع بينهما التبادل إذ قد يكون التبادل غير مباشر لأن التبادل ليس خاصا بالحرفين اللذين وقع التبادل بينهما فحسب بل قد يدخل الكلمة من جميع أطرافها بل في كل حروفها كما في «لعل».

وبمقارنة هذه المواد «هتل» و«هتن» و«هطل» تتضح أصالة هتل أكثر مما كانت إذ جاء في مادة هتل «من مقاييس اللغة: الهاء والتاء واللام كلمة واحدة: هتلت السماء: هطلت وسحائب هُتَّل وهُطَّل».

وفي مادة «هتن» منه: الهاء والتاء والنون كلمة واحدة هتنت السماء هتنا وهتونا مثل «هتلت».

وفي مادة هطل منه أيضا «الهاء والطاء واللام كلمة تدل على تتابع في قطر وفي غيره»،وفي «هتل» من اللسان «التهتال مثل التهتان وسحائب هتل وهتن هطل وقيل متتابعة المطر هتلت السماء وهتنت تهتل هتلا وهتولا وهتلانا هطلت وقيل الهتلان المطر الضعيف الدائم»، وفي مادة «هتن» هتنت السماء تهتن هتنا وهتوناً وهتنانا وتهتانا وتهاتنت صبت وقيل الهتنان المطر الضعيف الدائم ومطر هتون هطول»،وفي مادة هطل منه أيضا «هطلت السماء تهطل هطلا وهطلانا وتهطالا والهطل والهطلان مطر دائم مع سكون وضعف والهطل تتابع المطر والدمع وسيلانه،

والهطل المطر الضعيف الدائم».

من هذه المقارنة تبين أن هذه المواد الثلاث من أصل واحد وأن إحداهن أصل والأخريين فرع فما هو الأصل؟

الأصل هو هتل وهذا الذي أثبتته النصوص ولهجات العرب وحصل فيها إبدالان:

الأول: خاص بالأصوات الأسنانية اللثوية حيث تحولت التاء إلى طاء وهذه قاعدة الإبدال في هذه الأصوات إذ تتحول الأصوات الأسنانية اللثوية من الانفتاح إلى الإطباق ـ كما سيأتي ذلك عند الحديث عن التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية ـ ونتج عن هذا الإبدال «هطل».

والثاني: خاص بالأصوات اللثوية إذ تحولت اللام من هتل إلى نون فأصبحت الكلمة «هتن» على حد قول العرب في إسماعيل «إسماعين» ونستطيع بهذا أن ننسب هتل إلى العرب المتمسكين بأصل الكلمة وهتن إلى لهجة بني أسد أو كلب أو تيم الله الذين يبدلون اللام نونا أما هطل فيمكن نسبتها إلى بني تميم أو إلى القبائل العربية التي تفخم الحروف وإن كان التفخيم من مزايا اللغة العربية وأخواتها اللغات السامية.

اللام والراء

سبق أن تكلمنا عن مخرج اللام عند الحديث عن التبادل بين اللام والنون.

أما الراء فهي: صوت لثوي تكراري مجهور منفتح يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخيا، في طريق الهواء الخارج من الرئتين فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري، ويتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بهذا الصوت(١).

والعلاقة بينهما أنهما ـ يتفقان في المخرج والصفات ما عدا التكرار والانحراف حيث إن اللام صوت جانبي؛ أي أن الهواء خارج من أحد طرفيه وهو ما يسمى بالانحراف، والراء صوت تكراري وسبق أن بينا معنى ذلك في الحديث عن مخارج الحروف (الأصوات).

وقد أوضحت النصوص أن العرب تبدل اللام راء أي أن الصوت يتحول من الانحراف إلى التكرار.

وقد سبق أن ذكرت في التبادل بين اللام والنون أن بعض العرب يبدل اللام من «لعل» راء فيقول «رعنك» يريد لعلك وتنسب هذه اللهجة إلى تيم الله.

ومن الأمثلة التي وردت عن العرب مبينة أنها تبدل اللام راء ما جاء في مادة «طمر» من لسان العرب: الطُّمْرور الذي لا يملك شيئا لغة في الطملول.

وفي الإبدال لابن السكيت: ويقال للدرع نَثْرة ونَثْلة(٢) ولكن ابن

---

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٨).

(٢) الإبدال (١١٦).

السكيت كعادته لم يبين الأصل من الفرع هل اللام هي الأصل أم الراء وإنما اكتفى بايراد الكلمتين اللتين وقع بينهما الإبدال وقد فطن ابن جني لأصالة اللام فقال: وأما قولهم في الدرع نثرة ونثلة فينبغي أن يكون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها فاللام أعم تصرفا فهي الأصل(١).

وفي مادة «فرق» من اللسان: الفرق والفلق من الشيء إذا انفلق منه، والفَرَق ما انفلق من عمود الصبح، وقالوا أبين من فَرَق الصبح لغة في فَلَق الصبح وقيل الفَرَق الصبح نفسه وانفرق الفجر وانفَلَق، وفي مادة فلق منه «الفلق بالتحريك ما انفلق من عمود الصبح وقيل هو الصبح بعينه وقيل هو الفجر، قال الفراء الفَلَق الصبح يقال هو أبين من فَلَق الصبح وفَرَق الصبح.

وفي مادة «خرق» منه والتَّخَرُّق لغة في التخلق من الكذب وخَرَق الكذبُ وتَخَرّقه وخَرّه كله اختلَقه.

وفي مادة «فرطح» منه أيضا رأس مُفَرْطَح أي عريض وفَرْطَح القُرْص وفلطحه إذا بسطه وأنشد لرجل من بلحرث بن كعب يصف حية ذَكَرا وهو ابن أحمر البَجَليّ:

خلقت لهازمه عزين ورأسُه كالقرص فُرْطِح من طحين شعيرِ

قال ابن بري صوابه فُلْطِح باللام وكذلك أنشده الآمدي.

وكل شيء عَرّضْتَه فقد فرطحته.

وفي مادة «فلطح»: رأس مفلطح وفلطاح: عريض ومثله فرطاح بالراء

(١) سر صناعة الإعراب (١/٢٠٦).

وكل شيء عرضته فقد فلطحته وفرطحته، ابن الأعرابي رغيف مفلطح واسع، وذكر ابن بري في ترجمته فرطح قال هذا الحرف أعني قوله مفلطح، الصحيح فيه عند المحققين من أهل اللغة أنه مفلطح باللام.

وفي الأمالي للزجاجي(١) ما يروى عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: مر الحسن البصري رحمه الله بباب عمر بن أبي هبيرة وعليه القراء فسلم ثم قال ما لكم جلوسا إلى أن قال: «وفلطحتم نعالكم».

قال عبد الرحمن قلت لعمي ـ ما المفلطح ـ قال هو الشيء يعرض أعلاه ويدق أسفله، ومنه قيل رأس مفلطح، والعامة تقول مفرطح»(٢).

وهذه مجموعة من المواد التي وردت في لسان العرب ومن خلالها يتبين أن اللام تتحول إلى راء.

في مادة «سرجم» والسرجم الطويل مثل السلجم وفي «عرجم» العرجوم والعلجوم الناقة الشديدة.

وفي «سرهب» أبو زيد قال: سمعت أبا الدقيش يقول امرأة سرهبة كالسلهبة من الخيل في الجسم والطول وفي «سلهب» السلهبة من النساء الجسيمة. .

وفي مادة «دربح» دَرْبَح الرجل حنا ظهره عن اللحياني ودربح تذلل عن كراع وقال الأصمعي قال لي صبي من أعراب بني أسد: دلبح أي طأطئ ظهرك قال ودربح مثله، وفي مادة «دلبح» دَلْبَح الرجل: حنا ظهره

---

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي النحوي من مصنفاته الجمل والإيضاح في علل النحو والمخترع في القوافي توفي بطبرية سنة ٣٤٠هـ وقيل سنة ٣٣٩هـ وقيل سنة ٣٣٧هـ.
(٢) الأمالي (١١).

عن اللحياني، وقال أعراب بني أسد دلبح أي طأطئ ظهرك ودربح مثله.

وفي مادة «علندس»: العلندس والعرندس الصلب الشديد.

وفي مادة «عمرس» والعَمَرّس والعَمَلّس واحد إلا أن العملس يقال للذئب، وفي عملس: العمرس مثل العملس القوي على السير السريع.

وبالمقارنة بين مادتي جرج وقلق من اللسان ظهر أن اللام تحولت إلى راء حيث جاء في «جرج»: الجَرِج: الجَائِل القَلق وقد جَرِج جَرَجا قَلِق واضطرب وجَرِج الخاتم في يدي جَرَجا إذا قَلِق واضطرب من سعته وجال»، وفي «جلج» الجلج القلق والاضطراب.

فأصل هاتين المادتين هو قلق ثم حصل فيها إبدالان الأول منهما خاص بالحروف الطبقية والغارية حيث تحولت القاف إلى جيم فنتج عن ذلك جلج، والثاني منهما خاص بالحروف اللثوية حيث تحولت اللام إلى راء فنتج عن هذا جرج.

وفي مادة «جرو» من جمهرة اللغة «ويقال أنا من هذا الأمر أوجر في معنى أوجل.

وفي «دلل» من اللسان «وتدلدل الشيء وتدردر إذا تحرك متدليا».

وذكر ابن السكيت في «باب اللام والراء»: وقد هدل الحمام هديلا وهدر يهدر هديرا[1].

وقال الزجاجي حول قول الشاعر الأحوص بن محمد:

أإن نادى هديلا ذاتَ فلج   مع الإشراق في فَنَن حمامُ

(١) الإبدال (١١٦).

أما قوله: «أإن نادى هديلا» فإني سمعت أبا الحسن الأخفش يقول سمعت المبرد يقول أصحابنا يقولون هدل الحمام هديلا وهدر هديرا إذا صوت وهدر الجمل ولا يقال هدل»[1].

وفي هذا إشارة إلى أن الهديل صوت الحمام والهدير صوت الجمل ولكن لما أبدل اللام راء فقيل هدر الحمام اشتبه بهدر الجمل فأصبح مثله لذلك فإنه قال ولا يقال هدل الجمل وفي هذا إشارة إلى أن الكلمة المحتوية على اللام هي الأصلية.

من هذه الأمثلة يتبين أن العرب تحول اللام إلى راء كما حولت اللام إلى نون ومما يؤكد إبدال اللام راء أنها في الإدغام تحول إلى راء أو تدغم في الراء قال سيبويه«وقد تدغم هذه اللام والنون مع الراء لأنك لا تخل بهما كما كنت مخلا بها لو أدغمتها فيهما ولتقاربهن .وذلك: هَرأيت ومَرّأيت»[2].

ثم قال عند ذكر الإدغام أيضا «اللام مع الراء نحو اشغل رّحبة لقرب المخرجين ولأن فيهما انحرافا نحو اللام قليلا وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجرى الصوت سواء وليس بين مخرجيهما مخرج والإدغام أحسن»[3].

هذا بالإضافة إلى الكلمات التي وردت باللام والنون والراء.

إبدال اللام راء في اللهجات الحديثة:

أثبت اللهجات الحديثة إبدال اللام راء ففي لهجة شمال المغرب

(١) الأمالي (٥٣).

(٢) الكتاب (٤/ ٤٤٨).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٤٥٢).

يقولون: «دجداد استنسرت أي استنسلت الدجاجة»[١] مع ملاحظة أن كلمة الدجاجة قد حصل فيها قلب مكاني وكلمة ليت تنطق «ريت» في كثير من أنحاء العالم العربي، ولازلنا نسمع هذه اللفظة في المدينة، وفي جمهورية مصر العربية يقولون راخر في لاخر بمعنى الآخر ويقولون قرقشندة في قلقشندة[٢].

(١) لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها (٨٢).
(٢) انظر معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية (١/ ٨١).

النون والراء

النون والراء حرفان (صوتان) لثويان متوسطان مجهوران منفتحان يتفقان في المخرج وجميع الصفات ما عدا أن النون أنفية والراء تكرارية وقد وقع التبادل بينهما والنصوص تؤيد إبدال النون راء بل تثبته، من هذه النصوص ما ذكره ابن قتيبة: «والبرنساء الخلق وأصله بالنبطية ابن الإنسان يقال في المثل: ما أدري أي البرنساء هو»[1].

وقال ابن جني: «واعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط وإذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا البرطلة وإنما هو ابن الظل»[2].

وفي مادة رقش من اللسان: «الرقش كالنقش والرقشاء دويبة تكون في العشب منقوشة مليحة».

وقال أبو الطيب: «ويقال هذا وكر الطائر ووكنه وموكنه، وهو مجثمه في نقب صخرة أو أكمة»[3].

ويقال ريح ساكرة وساكنة بمعنى واحد[4].

وفي الإدغام تتحول النون إلى راء أي تدغم النون في الراء، قال سيبويه: «النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان وهي مثلها في الشدة وذلك قولك من رّاشد، ومن رّأيت»[5].

(١)أدب الكاتب(٣٨٣).

(٢)سر صناعة الإعراب(١/ ٢٣٢).

(٣)الإبدال(٢/ ٩٢).

(٤)المرجع السابق(٢/ ٨٨).

(٥)الكتاب(٤/ ٤٥٢) .

وقال أيضا «وقد تدغم هذه اللام والنون مع الراء لأنك لا تخل بهما كما كنت مخلا بها لو أدغمتها فيهما ولتقاربهن وذلك هَرّأيت ومَرّأيت»[1].

وبمقارنة اللغات السامية نجد أن النون هي التي تتحول إلى راء فكلمة اثنان فى العربية تكون «شنايم» في العبرية، و«ترين» في الآرامية والسريانية[2].

وكلمة.بنت العربية تكون«بنتو»في البابلية الآشورية و«بت» في العبرية و«برتا» في الآرامية و«بنت» في لهجات جنوب الجزيرة والحبشة[3].

وكلمة«ابن»العربية تكون «بنو» في البابلية الأشورية و«بن» في العبرية و«برا» في الآرامية و«بن» في لهجات جنوب الجزيرة العربية والحبشة[4].

وبهذا يكون اللفظ الذي احتوى على صوت النون هو الأصلي والذي احتوى على صوت الراء هو الفرعي وبهذا نتوصل إلى أنه إذا وجدت كلمتان متفقتان في الحروف وعددها وترتيبها بحيث لا يختلفان إلا في صوت واحد بحيث يكون في إحداهما نوناً وفي الأخرى راءً فإن الكلمة التي تحتوي على النون هي الأصلية والتي تحتوي على الراء هي الفرعية.

ويقول الدكتور إبراهيم السامرائي مبينا العلاقة بين النون والراء في التثنية في اللغات السامية «ولفظ (اثنان) من الألفاظ السامية فهو في اللغة العبرية (شنايم) «**shnayim**» للمذكر و «شتايم» (**shtayim**) للمؤنث، وفي الأكادية «شين» للمذكر و «شتين» للمؤنث وفي الحبشة نجد «سنوي» و

---

(١)الكتاب(٤/ ٤٤٨).

(٢) فقه اللغه المقارن للدكتور إبراهيم السامرائي (١٩٣).

(٣) تاريخ اللغات السامية أ. ولفنسون (٢٨٤).

(٤) المرجع السابق (٢٨٣).

«سانيت» بمعنى اليوم الثاني من الأسبوع أو الشهر على أن الحال تختلف في الآرامية والسريانية فهي «ترين» (**trên**) للمذكر و«ترتين» «**tertên**» للمؤنث، ثم قال: «والراء في هذه اللفظة ليست أصيلة فهي من فك الإدغام الحاصل في النون فيبدل بإحدى النونين راء ويدلنا على هذا أن كلمة (برتا) **Barta** مؤنث (بر) **Bar** بمعنى بنت تجمع على بنات كما تجمع بت العبرانية والتي تعني بنت على «**Bânôt**» أي بنات وهو أيضا من فك الإدغام الكائن في تاء المفرد وكذلك الحال في لهجة قرويي جنوبي العراق إذ يقولون بِتّ بكسر التاء للبنت ويجمعونها على بنات[1].

وهذه اللفظة موجودة في لهجة جيزان بالمملكة العربية السعودية إذ يقولون في بنت «بت»، وفي، ابن «بر» وفي بعض اللهجات اليمنية وقد ذكر الدكتور مراد كامل أنها من اللغة اليمانية القديمة[2].

وأقول الأصل في كلمة بنت هو «بت» بتشديد التاء ثم حصل فك الإدغام بالنون فأصبحت الكلمة بنت ثم حصل التبادل بين النون والراء فأبدلت النون راء فأصبحت «برتا» كما في اللغة الآرامية وسوف يتضح هذا جليا في باب الإبدال من أحد المتضاعفين، ولكن الذي اتضح من هذه المقارنة هو أن النون هي التي تتحول إلى راء وأن اللغة العربية ولهجاتها قد حافظت على تاريخ هذه الكلمة من فك الإدغام وإبدال النون راء وبهذا نستطيع معرفة أقدم صيغة في اللغات السامية فالعبرية وبعض اللهجات العربية الحديثة كانت تمثل المرحلة الأولى وهي بت واللغة العربية الفصحى تمثل المرحلة الثانية وهي «بنت» واللغة الآرامية تمثل المرحلة الأخيرة وهي «برتا»، هذا بالإضافة إلى الكلمات التي وردت باللام والنون والراء.

---

(١) فقه اللغة المقارن للدكتور إبراهيم السامرائي (٧٧).

(٢) اللهجات العربية الحديثة في اليمن للدكتور مراد كامل (٤٠).

ما ورد باللام والنون والراء

لقد سبق أن بينا أن للعرب لهجات في لعل وهي: لعل باللام ولعن بإبدال اللام نونا، ورعن بإبدال اللام الأولى راء والثانية نونا وهذا يدل دلالة واضحة على أن اللام هي الأصل في الكلمات التي يرد الإبدال فيها في الأصوات اللثوية الثلاثة اللام والنون والراء، وبمقارنة عدد من المواد التي ورد الإبدال فيها مشتملا على الأصوات الثلاثة يزداد الأمر وضوحا وثباتا.

فقد جاء في مادة سدر من لسان العرب «والسدر والسدل إرسال الشعر يقال شعر مسدور ومسدول ومنسدر ومنسدل إذا كان مسترسلا، وسدرت المرأة شعرها فانسدر لغة في سدلته فانسدل».

وفي مادة (سدن) منه: قال أبو عبيد سدانة الكعبة. خدمتها وتولى أمرها وفتح بابها وإغلاقه يقال منه سدنت أسدن سدانة ورجل سادن من قوم سدنة وهم الخدم والسدن الستر والجمع أسدان وقيل هنا النون بدل من اللام في أسدال.

والأسدان لغة في الأسدال وهي سدول الهودج وسدن الرجل ثوبه وسدن الستر أرسله.

وقال ابن فارس في تأصيل مادة(سدن)السين والدال والنون أصل واحد لشيء مخصوص يقال إن السدانة الحجابة وسدنة البيت حجبته ويقولون السدن الستر فإن كان صحيحا فهو من باب الإبدال والأصل السدل.

فأصل هذه الكلمات سدل وهي لهجة عامة العرب ثم تحولت اللام إلى نون كما في لهجة تميم وبني أسد ثم تحولت النون إلى راء كما في «بن» و «بر».

وبمقارنة هذه المواد «طرس وطلس وطنس» من لسان العرب يتضح ما نهدف إليه وهو أن اللام تتحول إلى نون أو راء والنون تتحول إلى راء فقد جاء في مادة (طرس) الطِّرْس الصحيفة ويقال هي التي محيت ثم كتبت وكذلك الطِّلْس، وطَرَس الكتاب سوده.

وفى مادة «طلس» الطلس لغة في الطرس والطلس المحو وطلس الكتاب طلسا وطلسه فتطلس كطرسه ويقال للصحيفة إذا محيت طلس وطرس، وقيل الأصل فيه الطلسة وهي الغبرة إلى سواد والأطلس الأسود الوسخ وذئب أطلس في لونه غبرة إلى سواد، وأطلس: عبد حبشي أسود والأطلس من الرجال الدنس الثياب، ورجل أطلس الثياب وسخها ويقال للثوب الأسود الوسخ أطلس.

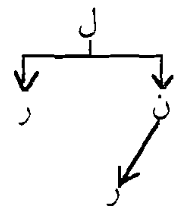
وفي مادة «طنس» الطنس الظلمة الشديدة والطنس أصله الطمس أو الطلس.

وبمقارنة هذه المواد (فرطس وفلطس وفنطس) من لسان العرب أيضا يثبت أن اللام هي الأصل ثم تحولت إلى نون والنون تحولت إلى راء ففي مادة (فرطس): الفُرْطوس قضيب الخنزير والفيل والفَرْطسة مدهما إياه، وفِنْطيسة الخنزير خطمه وهي الفِرْطيسة، والفَرْطَسة فعله إذا مد خرطومه، وفَنطيسة الخِنزير وفرطيسته أنفه، وفُرْطوسة الخنزير أنفه والفرطيسة الفيشلة وأنف فِرْطاس عريض، الأصمعي إنه لمنيع الفرطيسة والفنطيسة الأرنبة؛ أي هو منيع الحوزة حَمِيّ الأنف.

وفى مادة «فلطس»: الفِلْطاس والفِلطَوْس الكمرة العريضة، وقيل رأس الكمرة إذا كانت عريضة، ويقال لرأس الكمرة إذا كان عريضا فلطوس وفلطاس والفلطيسة روثة أنفي الخنزير، وتَفَلْطس أنفه اتسع.

وفي مادة فنطس: فنطيسة الخنزير خطمه، وأنف فنطاس عريض وروُي عن الأصمعي أنه لمنيع الفنطيسة والفرطيسة والأرنبة أي هو منيع الحوزة حمي الأنف وفنطيسة الخنزير وفرطيسته أنفه، والفنطيس من أسماء الذكر.

وبعد هذا العرض من الأدلة والمقارنة فإن التبادل بين الأصوات اللثوية يكون على النحو التالي: اللام تتحول إلى نون كما فى إسماعيل وإسماعين والنون تتحول إلى راء كما في سدن وسدر، واللام تتحول إلى راء كما في لعل ورعن، فهي على الشكل التالي:



فإذا وجدت ثلاثة ألفاظ دالة على معنى واحد ومتساوية في عدد الحروف وترتيبها ولا تختلف إلا بأن يكون أحدها يحتوي على اللام والثاني على النون، والثالث على الراء فإن الكلمة المحتوية على اللام هي الأصلية وهي أولها تاريخا والمحتوية على النون تكون فرعية وتمثل المرحلة الثانية من تاريخ الكلمة والمحتوية على الراء هي التي تمثل المرحلة الأخيرة من تاريخ الكلمة.

وبمعرفتنا لقانون التبادل بين الأصوات اللثوية نستطيع تأصيل المواد

التي وردت في اللغات السامية بمعنى واحد والتي لا تختلف في شيء إلا بأن يكون بعضها مشتملا على اللام وبعضها على النون وبعضها على الراء ونستطيع معرفة الأصلي منها والفرعي وقد تناول الأستاذ طه باقر عددا من الكلمات التي كانت المعاجم العربية تعدها أعجمية وقد استطاع بمقارنته للغات السامية أن يرجع معظم ما عدته المعاجم من الأعجمي وخاصة المنسوب إلى اللغة الفارسية إلى اللغات السامية وخاصة اللغة البابلية الآشورية غير أنه في مقارنته للألفاظ في اللغات السامية كثيرا ما يجعل ما يرد في اللغة العربية هو الأصل أو ما يرد بالراء مثلا هو الأصل وما يرد باللام هو الفرع وهذا عكس ما أثبتته النصوص في التبادل بين الأصوات اللثوية إذ إن إبدالها يتجه من الانحراف إلى التكرار أو من الانحراف إلى الأنفية؛ أي إلى صوت النون ومن الأنفية إلى التكرار.

وهذا عدد من الكلمات التي تناولها الأستاذ طه باقر أبين في كل كلمة رأيه فيها ثم أتبعه بما بدا لي من قاعدة التبادل بين الأصوات اللثوية مبيِّنا الأصل من الفرع من هذه الكلمات.

قال في كلمة«بصل»: يسمى البصل في الأكادية (البابلية الآشورية) «بصرو» أي مضاهيا لكلمة بصل العربية ولكن بقلب أو إبدال اللام العربية«راء» في الأكدية وفق القاعدة العامة التي مرت بنا وهي تبادل الراء واللام في اللغات العربية القديمة (السامية) مثل فيل العربية و «پيرو» الأكدية ونهر ونهل ونيل»[1].

ولكنه لم يذكر الأصلي من اللفظين أو الفرعي وإنما اكتفى بذكر الصوتين اللذين وقع بينهما التبادل وهذا منهج الكتب العربية التي تناولت الإبدال مثل الإبدال لابن السكيت والإبدال لأبي الطيب اللغوي ونحوهما

(١) من تراثنا اللغوي القديم ٥٩.

والذي يتبين لي من قانون التبادل بين الأصوات اللثوية هو أن كلمة «بصل» العربية المحتوية على اللام هي الأصل وهي الأقدم وكلمة«بصرو» الأكادية المحتوية على الراء هى الفرع وذلك بإبدال اللام راء فتكون العربية قد حافظت على اللفظة السامية الأم والأكادية دلت على الفرع.

وقال في كلمة «سلسلة»: يطلق على السلسلة في الأكادية(البابلية والآشورية) كلمة مضاهية للعربية وهي «شرشرتو» بإبدال اللام العربية راء في البابلية وهو إبدال مألوف مرت بنا أمثلة عنه مثل بصرو للبصل وپيرو للفيل[1].

وأقول اللغة العربية جاءت على الأصل وهو الكلمة المحتوية على اللام وهي سلسة والأكادية جاءت على الفرع وهو الصيغة المحتوية على الراء وذلك بإبدال اللام راء.

وقال في كلمة «صرصر، صرصور»: الصرصر (وجمعه صراصر) وصرصور (وجمعه صراصير) حشرة مشهورة بصوتها في الليل، ولذلك قد يسمى «صراصر الليل» وهو من الحشرات التي ورد ذكرها في المصادر المسمارية بلفظ يطابق العربية تقريبا بصيغة «صرصورو»، وفي السريانية «صرصيرا» و «صيصيرا»، وفي العبرانية« صلوصال» بإبدال الراء لاما[2].

وألاحظ أنه قد جعل الراء تتحول إلى لام كأنه حكم بأن الصيغة المشتملة على الراء هي الأصل، لكن إذا نظرنا إلى هذه اللفظة بمنظار قاعدة التبادل بين الأصوات اللثوية فإن الصيغة التي احتوت على اللام هي الأصلية وهي الصيغة العبرانية وبقية الصيغ التي جاءت بالراء فروع

---

(١) من تراثنا اللغوي القديم ٩٥.

(٢) المرجع السابق(١١٣).

عنها فتكون اللغة العبرانية قد حافظت على الأصل الساميّ لهذه اللفظة.

وقال عن كلمة «صل»: الصل من جنس الحيات السامة ورد اسمه في المصادر المسمارية في اللغة الأكدية «البابلية والآشورية» بكلمة تضاهي اسمه في العربية هي «صيرو» بإبدال اللام راء حسب القاعدة الصوتية التي نوهنا بها، وتلفظ كذلك «صر»[1].

وأقول إن الصيغة العربية هي الصيغة الأصلية والبابلية الآشورية هي الفرعية أي أن اللغة العربية حافظت على الأصل وهو صل باللام، وأبدلت اللام راء كما في قانون التبادل بين الأصوات اللثوية فنشأ عن ذلك «صر».

وعن كلمة فيل قال «اسم الفيل في الأكدية (البابلية-الآشورية) «پيرو» (**piru**) الذي يرادف الكلمة العربية «فيل» بشيء من الإبدال إبدال الفاء العربية بالپاء الأكدية «وهي قاعدة» عامة في تبادل الأصوات بين العربية والأكدية ثم اللام العربي بالراء الأكدية وهي كذلك من الظواهر اللغوية التي مرت علينا جملة أمثلة عليها، ثم قال: « ويسمى العاج في الأكدية سن الفيل وباللفظ الأكدي «شن بيري» (**shinpiri**)[2].

وهذه الكلمة فيها إبدالان هما: الفاء العربية والپاء الأكدية، واللام العربية والراء الأكدية فيكون أصلها على القياس پيل (**pilu**) أبدلت الباء الأكدية فاء عربية فأصبحت «فيل» ودخلها الإبدال الثاني فأبدلت اللام راء فتكون اللفظة العربية في الطور الثاني من تاريخ هذه اللفظة واللفظة الأكدية في الطور الثالث.

(١) من تراثنا اللغوي القديم (١١٤).

(٢) من تراثنا اللغوي القديم لطه باقر (١٢٠).

وفي لفظ لقلق قال: اللقلق وهو الطائر المعروف المتميز بطول عنقه ورجليه ورد اسمه في المصادر المسمارية باللفظ الآكدية (البابلي الآشوري) المضاهي للكلمة العربية بهيئة «رقرقو» بتشديد القاف الثانية مع إبدال اللام راء في الأكدية حسب القاعدة في تبادل الراء واللام في الأمثلة التي مرت بنا(١).

فتكون العربية حسب قاعدة تبادل الأصوات اللثوية جاءت بالكلمة الأصلية والأكدية جاءت بالكلمة الفرعية.

وقال حول كلمات « زلم وصنم وصلم» الصنم (وجمعه أصنام) ما يعبده الوثنيون من تماثيل أو صور تمثل آلهتهم، وترى بعض المعاجم العربية أن كلمة صنم فارسية أو آرامية؛ أي أنها أعجمية الأصل ولكن الواقع في تأصيل هذه الكلمة أنها موجودة في معظم اللغات العربية القديمة (السامية) وهي بصيغ متشابهة ففي الأكدية (البابلية والآشورية) وردت بهيئة صلم (صلمو) وفي العبرانية (صالم) والآرامية (صلما) والعربية الجنوبية ص ل م. ويرجح كثيرا أن كلمة زلم (وجمعها أزلام) من المادة أو الاشتقاق نفسه وهنا تظهر الظاهرة اللغوية في اللغات العربية وهي ضعف صوت النون واستبداله فى حالات كثيرة بحرف اللام(٢).

وقال: أيضا «وقد ذهب بعض اللغويين العرب إلى أن «صنم» معرب من الكلمة الأعجمية شمن».

وأقول وفقا لقانون التبادل بين الأصوات اللثوية فإن النون ليست حرفا ضعيفا كما قال الأستاذ طه باقر بل اللام هي التي تتحول إلى النون

---

(١) من تراثنا اللغوي القديم لطه باقر(١٣٩).

(٢) المرجع السابق (٩٦).

وقد فعلت العرب ذلك كما في لعل ولعن وإسماعيل وإسماعين ونحوهما فاللام هي التي تتحول كثيرا إلى أخويها الصوتين اللثويين النون والراء.

فإذا طبقنا قانون التبادل بين الأصوات اللثوية الثلاثة اللام والنون والراء تكون اللفظة التي جاءت باللام هي الأصلية وهي لفظة «صلم» فتكون جميع اللغات السامية قد حافظت على الأصل ما عدا العربية التي جاءت بالنون فإنها تمثل الفرع وذلك بإبدال اللام نونا فأصبحت كلمة «صلم» بعد هذا الإبدال «صنم» وهي الصيغة العربية.

هذا من ناحية الأصوات اللثوية، أما إذا أردنا معرفة كلمة «زلم» وعلاقتها بصلم، فإنا سوف ننظر بمنظار التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية والذي فيه تتحول الصاد إلى زاي كقول العرب صدق وزدق فتكون صلم هي الأصل لزلم وذلك بإبدال الصاد زايا حتى نشأت كلمة زلم.

النون والميم

سبق الحديث عن مخرج النون وأنها حرف (صوت) لثوي أنفي مجهور منفتح أما الميم فهي حرف (صوت) شفوي أنفي مجهور منفتح يتم نطقه بأن تطبق الشفتان تماما فيحبس خلفهما الهواء وينخفض الطبق ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف مع ذبذبة الوترين الصوتيين وبقاء اللسان في وضع محايد[1]. فهذان الصوتان يتفقان في الأنفية والجهر والانفتاح.

وقد أثبتت النصوص أن العرب تحول النون إلى ميم فقد جاء في نوادر أبي زيد عن الأصمعي: أن الشاة والناقة تترك على ندىً فيخرج اللبن كقطع الأوتار أحمر فيقال النَّغَر والمغر الميم بدل من النون لمقاربتها لها في المخرج يقال أنْغَرت الشاة وأمغرت وشاة منغر وممغر فإذا كان ذلك من عادتها فهي مِنْغار وممغار والمصدر الإنْغار والإمغار والاسم النَّغَر والمغر[2].

وأورد ابن السكيت في التبادل بين النون والميم: الحُلاّن والحُلاّم: الجدي الصغير[3].

وقال الزمخشري: وأما الحلام فميمه بدل من النون[4].

وقال ابن عصفور عندما كان يتحدث عن إبدال الميم: وأبدلت من النون فيما حكاه يعقوب عن الأحمر من قولهم طانه الله على الخير وطامه أي جبله، وهو يطينه ولا يقال يطيمه فدل ذلك على أن النون هي الأصل[5].

(١) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٣).

(٢) النوادر في اللغة (٢٩٢)

(٣) الإبدال (٧٨).

(٤) الفائق في غريب الحديث (١/ ٣٠٩).

(٥) الممتع (١/ ٣٩٤).

وأورد ابن السكيت في التبادل بين النون والميم: «الحزن والحزم ما غلظ من الأرض وهي الحزون والحزوم»، غير أنه لم يبين الأصل من الفرع لكن تقديمه للحزن على الحزم قد يفهم منه أن الحزن هي الأصل لأنه عادة يجعل الكلمة الأصلية هى الأولى والفرعية هي الثانية، وبمقارنة مادتي حزن وحزم يتضح أن حزن هي الأصلية فقد قال ابن فارس في مادة حزن«الحاء والزاي والنون أصل واحد وهو خشونة الشيء وشدة فيه فمن ذلك الحزن وهو ما غلظ من الأرض»[1].

وفي مادة حزم قال: «فأما الحزم من الأرض فقد يكون من هذا ويكون من أن يقلب النون ميما والأصل حزن»[2].

وفي مادة دخشن من لسان العرب: «رجل دَخْشَن عظيم ويقال الدخشم» ومن إبدال النون ميما ما جاء في شرح الأشموني«وقالوا في حنظل حمظل»[3].

وأورد ابن السكيت «ويقال ماء آجن وآجم وأنشد الأصمعى لعوف بن الخرع:

وتشرب أسآر الحياض تسوفها　　　ولو وردت ماء المُرَيْرة آجما

قال أظنه أراد آجناً»[4].

وفي مادة أجم من لسان العرب: وأجم الماء تغير كأجن وزعم يعقوب أن ميمها بدل من النون، الأصمعي ماء آجن وآجم إذا كان مغيرا وأراد ابن الخرع آجنا.

وفي مادة قنع من لسان العرب: قَنَعة الجبل والسنام أعلاهما وكذلك

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٥٤).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٤).
(٣) المرجع السابق(٤/ ٣١٩).
(٤) الإبدال (٧٨).

قمعتهما.

ويقال نَجِر من الماء يَنْجَر نجرا ومجر يمجر مجرا: إذا أكثر من شربه ولم يكد يروى(١).

وفي مادة مجر من لسان العرب: ومجر من الماء واللبن مجرا فهو مجر تملأ ولم يرو وزعم يعقوب أن ميمه بدل من نون نجر وزعم اللحياني أن ميمه بدل من باء بجر، ويقال مجر ونجر إذا عطش فأكثر من الشرب فلم يرو لأنهم يبدلون الميم من النون مثل نخجت الدلو ومخجتها

وفي مادة دنن من لسان العرب: الدندن بالكسر: ما بلي واسود من النبات والشجر وخص به بعضهم حطام البهمى إذا اسود وقدم وقيل: هي أصول الشجر البالي، الأصمعي إذا اسود اليبيس من القدم فهو الدندن، والدندن أصول الشجر.

وقال أبو حنيفة: قال أبو عمرو: الدندن الصليان المحيل، تميمية ثابتة.

وفي مادة دمم منه «وقال أبو عمرو الدمدم الصليان المحيل في لغة بني أسد وهو في لغة بني تميم الدندن».

وجاء إبدال النون ميما فى الشعر قال رؤبة:

يا هال ذات المنطق التمتام وكفك المخضب البنام(٢)

وأصله البنان، أي أبدل النون من البنان ميما فأصبحت البنام.

وتبدل النون ميما إذا سكنت وبعدها باء قال سيبويه: « الميم تكون بدلا من النون في عنبر وشنباء ونحوهما إذا سكنت وبعدها باء»(٣).

---

(١) الإبدال(٧٩).

(٢)شرح الأشموني(٤/ ٣١٩) ديوانه ضمن مجموع أشعار العرب(١٨٣)،ضياء السالك إلى المسالك (٤/ ٤٠١).

(٣) الكتاب (٤/ ٢٤٠).

وقد علل سيبويه سبب إبدال العرب النون ميما وبين أنهم يلجأون إلى الميم فرارا من النون إذ قال: «ومن الحروف حروف لا تدغم في المقاربة فيها»، وتلك الحروف الميم والراء والفاء والشين؛ فالميم لا تدغم في الباء وذلك قولك: أكرم به لأنهم يقلبون النون ميما في قولهم العنبر ومن بدا لك فلما وقع مع الباء الحرف الذي يفرون إليه من النون لم يغيروه[١].

وتبدل النون ميما في حالة الإدغام وتدغم في الميم وقد بين سيبويه سبب الإدغام أو تحويل النون إلى ميم وهو أنهما حرفان أنفيان يشتركان فى الغنة حيث قال: وتدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون حتى تتبين فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب وإن كان المخرجان متباعدين إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعا في الخياشيم[٢].

وقد بين سيبويه سبب اختيار العرب لإبدال النون ميما إذا كانت ساكنة وبعدها باء ولماذا لم تدغم في الباء بقوله: «وتقلب النون مع الباء ميما لأنها من موضع تعتل فيه النون فأرادوا أن تدغم هنا إذ كانت الباء من موضع الميم كما أدغموها فيما قرب من الراء في الموضع فجعلوا ما هو من موضع ما وافقها في الصوت بمنزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع ولم يجعلوا النون باء لبعدها في المخرج وأنها ليست فيها غنة ولكنهم أبدلوا مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم وذلك قولهم: مَمْبك يريدون من بك وشمباء وعمبر، يريدون شنباء وعنبر»[٣].

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٤٧).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٤٥٣).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٤٥٣).

من سرد هذه النصوص يظهر أن النون هي التي تتحول إلى ميم وهذا يعني تحول الصوت اللثوي الأنفي إلى الصوت الشفوي الأنفي. وهذان الصوتان مما يطلق عليه اسم الأصوات المتوسطة وهي التي يحصل لمجراها غلق من جهة والسماح للهواء بالمرور من جهة أخرى، لذلك فإنه إذا وجدت كلمتان بمعنى واحد ومتساويتان في عدد الحروف وترتيبها ولا يختلفان إلا بأن تكون إحداهما مشتملة على النون والأخرى على الميم فإن المشتملة على النون هي الأصلية والمشتملة على الميم هي الفرعية.

وإذا قارنا الميم والنون في اللغات السامية فإننا نجد علامة الجمع في العبرية حرفي «يم» الياء والميم للمذكر، وفي الآرامية حرفي «ين» الياء والنون في حين أن علامة الجمع المذكر في العربية هي الواو والنون في الرفع والياء والنون في حالتي النصب والجر[1].

وعلامة التثنية في العبرية حرفا «يم» الياء والميم وفي الآرامية «ين» الياء والنون بينما هي في العربية الياء والنون في حالتي النصب والجر والألف والنون في حالة الرفع، وبمعرفة أن النون تتحول إلى ميم نستطيع أن نعرف أقدم هذه العلامات فالعلامات التي تحتوي على النون هي القديمة كما في العربية والآرامية والتي تحتوي على الميم هي الحديثة وبهذا نرى أن كلاً من اللغات السامية قد احتفظت بعناصر قديمة وأخرى حديثة فتارة تحتوي العربية على أقدم العناصر وتارة الآرامية وثالثة العبرية.

وإبدال النون ميما يدل على أن التنوين الموجود فى العربية أصل للتمييم الموجود في البابلية الآشورية وفيه رد على المستشرقين الذين ذهبوا إلى أن التمييم أصل للتنوين ولم يأتوا بأدلة على ذلك وإنما اكتفوا بأن

---

(١) فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي (٢١).

حملوا العربية على البابلية الآشورية والسبئية يقول براجشتراسر عندما كان يتحدث عن التغيرات المطردة في اللغات السامية: «والتغييرات المطردة منها مطلقة ومنها مقيدة بالشروط... وأما المقيدة فمثالها أن الميم الأصلية في أواخر الكلمات، صارت نونا عربية وذلك أن قلب الميم نونا مطرد من جهة أنه حصل في كثير من الكلمات لكنه مقيد من جهة أنه اقتصر على أواخر تلك الكلمات ولم يتعدها إلى أوائلها ولا أواسطها مثاله التنوين فإن أصله ميم كما كان في الأكدية والسبئية مثل بيت**baytun** بيت**baytin** بيتا **baytan** أصلها: بيتم**baytum** بيتم **baytim**، بيتم **baytam**، وكلمة: إن **in** فإنها في العبرية: **im**»[1].

فقد حمل العربية على الآشورية والعبرية والسبئية ولكن قانون التبادل بين النون والميم يجعل النون هي الأصل لأن الصوت اللثوي الأنفي يتحول إلى الصوت الشفوي الأنفي ثم إنه لم يعرف قانون التبادل بين الأصوات اللثوية والأنفية مثل اللام والنون والراء والميم والباء، فإن مقارنة اللغات السامية نفسها تدل على أن الصيغ المحتوية على الميم قد أتت بعد مرحلة النون مثال ذلك: **Im** العبرية تقابل«إن» العربية و**in** في السريانية[2]وبهذا تكون الصيغة إن «هي الأصلية كما في العربية والسريانية و «إم» هي الفرعية كما في العبرية وهذا مثل ما حصل في علامة الجمع والمثنى في اللغات السامية.

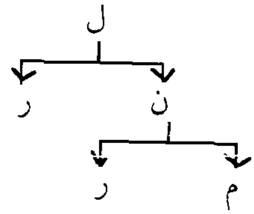
ومن النصوص التي وردت في التبادل بين هذه الأصوات: ل ـ ن ـ ر م، نتبين أنَ اللام تتحول إلى راء أو إلى نون وأن النون تتحول إلى راء أو

---

(١) التطور النحوي (٢٧).

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (٢٤٦).

إلى ميم أي تأخذ هذا الشكل:



فإذا وجد تبادل بين اللام والميم فلابد من المرور بالنون وإلا لم يكن ذلك إبدالا بل قد ورد ما يفيد أن اللام تتحول إلى نون والنون تتحول إلى ميم فقد جاء في مادة «ق ل ل» من جمهرة اللغة «والقُلَّة قُلَّة الجبل وهي القطعة المستديرة أعلاه وهي القُنَّة أيضا.

وفي مادة «ق م م» منه «والقِمّة قمة الرأس وهي أعلاه وأعلى كل شيء قمته».

وفي مادة «قنن» منه أيضا «وقُنَّة الجبل مثل قلته سواء». ومثله لقع ونقع ومقع: فقد جاء في مادة لقع من اللسان: التَقَع لونه والتمع أي ذهب وتغير عن اللحياني مثل امْتَقَع.

وفي مادة نقع: نقع وانْتَقَع لونه تغير من هم أو فزع وهو منتقع والميم أعرف وزعم يعقوب أن ميم امتقع بدل من نونها.

وفي مقع: ويقال امتقع لونه إذا تغير من حزن أو فزع وكذلك انتقع بالنون وابتقع بالباء والميم وزعم يعقوب أن ميم امتقع بدل من نون انتقع.

وتذكر كتب اللغة والمعاجم والنوادر أن طيئا وهذيلاً واليمن وحميراً يجعلون «أل» التعريفية «أم» أي تتحول اللام إلى ميم وسأستعرض النصوص التي وردت فيها ثم أذكر ما أراه صوابا.

أولا: النصوص النثرية جاء في مادة فرسك من لسان العرب:

الفِرسِك الخَوْخ يمانية، وقيل: هو مثل الخوخ في القدر وهو أجرد أملس أحمر وأصفر. قال شمر: سمعت حميرية فصيحة سألتها عن بلادها فقالت: النخل قل ولكن عيشتنا امقمح، امفرسك امعنب امحماط طوب أي طيب فقلت لها: ما الفرسك؟ فقالت هو امتين عندكم.

وفي «برك» من جمهرة اللغه: وكُبّار على وزن فُعّال وهي لغة يمانية، أهل اليمن يسمون الرجل الكبير كباراً وذو كبار رجل منهم وسمعت رجلا يقول أمشيخ أم كبار ضرب رأسه بالعصو.

وقال الأخفش: وأما ما سمعنا من اليمن فيجعلون «أم» مكان الألف واللام الزائدتين يقولون: «رأيت امرجل وقام امررجل» يريدون «الرجل»[(١)].

وقد روى هذا ثعلب مع نسبة هذه اللهجة إلى الأزد «قال الأخفش: قام امرجل يريد الرجل».

قال أبو العباس: هذه لغة للأزد مشهورة[(٢)].

وروى الهمداني في صفة جزيرة العرب «وبلد سفيان بن أرحب فصحاء إلا في مثل قولهم ام رجل وقيد بعيراك ورأيت أخواك ويشاركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل والبعير وما أشبهه الأشعر وعك وبعض حكم من أهل تهامة[(٣)].

ويطلق على هذه اللهجة لقب الطمطمانية وقال الثعالبي تحت عنوان «فصل في حكاية العوارض التي تعرض لألسنة العرب: الطمطمانية تعرض في لغة حمير كقولهم طاب امهواء يريدون الهواء»[(٤)].

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٩).
(٢) مجالس ثعلب (١/ ٥٨).
(٣) المرجع السابق(٢٧٨)
(٤) فقة اللغة (٧٣)، المزهر للسيوطي (١/ ٢٢٣).

ثانيا: الأحاديث والآثار، عن كعب بن عاصم الأشعري رضي الله عنه وكان من أصحاب السقيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من امبر امصيام في امسفر**»[١].

وهذا الحديث استدل به كثير من العلماء على هذه اللهجة فقد استشهد به الرماني[٢] والمرادي[٣] وابن هشام[٤] والأشموني[٥] وابن عصفور[٦] وابن يعيش[٧].

وفي حديث أبي هريرة أنه دخل على عثمان رحمه الله وهو محصور فقال له طاب امضرب قال فأمره عثمان أن يلقي سلاحه[٨].

وقال الرماني: ومن كلام أبي هريرة لما حوصر عثمان طاب امضرب وحل امقتال[٩].

وجاء في كتاب الرسول ﷺ إلى وائل بن حجر «ومن زنى مم بكر فاصقعوه واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم»[١٠].

ثالثا: الشعر لقد وردت عن العرب أشعار كثيرة تمثل هذه اللهجة من

---

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني(١٠٧/١٠).

(٢) معاني الحروف (٧١).

(٣) الجنى الداني (١٧٣).

(٤) مغني اللبيب (٧١).

(٥) شرح الأشموني (١/ ٣٧).

(٦) الممتع في التصريف (١/ ٣٩٤).

(٧) شرح المفصل (١٠/ ٣٣).

(٨) غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ١٩٣).

(٩) معاني الحروف (٧١).

(١٠) الفائق للزمخشري (١/ ١٤).

هذه الأشعار قول ذي يزن حين قاتل الحبشة:

قَدْ عَلِمتْ ذاتُ امْنِطَعْ

أَني إذا امموت كَنَعْ

أَضربُهم بذا امْقَلَع

لا أتوقّى بامجزع

اقتربوا قِرْف امْقمَع

أراد ذات النِّطَع، وإذا الموت كنع وبذا القَلَع فأبدل من لام المعرفة ميما[١].

وما جاء في شرح الأشموني ومثل أل أم في لغة طيء كقوله:

أإن شمت من نجد بريقا تألقا تبيت بليل أم ارقد اعتاد أو لقا[٢]

وقول بجير بن غنمه الطائي[٣]:

وإن مـــولاي ذو يعيرنـــي لا احنـــة بيننـــا ولا جرمـــه

ينصرني منك غير معتذر يرمي ورائي بامسهم وأم سلمة[٤]

وهذه اللهجة قد نسبت إلى اليمن وإلى طيء قال المرادي عندما كان يتحدث عن أقسام الميم« الثاني الميم التي هي بدل من لام التعريف في

(١) لسان العرب (٨/ ٢٩٥).

(٢) الأشموني(١/ ٩٦).

(٣) شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام (٢/ ٣٤٤)، شواهد العيني على الأشموني (١/ ١٥٧).

(٤) معاني الحروف للرماني (٧١)، الجني الداني للمرادي (١٧٢)، مغني اللبيب (٧١)، شرح الأشموني (١/ ١٥٧)، غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ١٩٤).

لغة طيء وقيل هي لغة أهل اليمن[1]، وقال عندما عدد أقسام أم «الرابع ام التي هي حرف تعريف في لغة طيء أو لغة حمير»[2]، وقال الأشموني و«ال معرفة ويقال فيها أم في لغة طيء» [3].

ونسبها الرماني إلى هذيل فقال عندما كان يتكلم عن «أم» وتأتي للتعريف وهي لغة هذيل يقولون جاءني أم رجل ورأيت أم غلام[4].

ولكن ما أصل هذه الميم وما علاقتها بأل التعريفية؟ لمعرفة ذلك لابد من النظر في آراء العلماء حول «أل» التعريفية ثم النظر في تاريخ التعريف في اللغة العربية واللغة اليمنية القديمة واللغات السامية.

علامة التعريف في اللغة العربية هي «أل» في أول الاسم وقد اختلف علماء العربية في أصلها فالتعريف عند الخليل وسيبويه هو «أل» بكاملها قال سيبويه «وأل» تعرف الاسم في قولك القوم والرجل»[5].

وقال: «وزعم الخليل أن الألف واللام اللتين يعرفون بهما حرف واحد كقد وأن ليست واحدة منهما منفصلة عن الأخرى»[6].

وقال سيبويه عندما كان يتكلم عن الألفات الموصولة «وتكون موصولة في الحرف الذي تعرف به الأسماء والحرف الذي تعرف به الأسماء هو الحرف الذي في قولك القوم والرجل والناس، وإنما هما حرف واحد بمنزلة قد وسوف»[7].

(١) الجنى الداني (١٧٢) .
(٢) المرجع السابق (٢٢٧).
(٣) شرح الأشموني (١/ ٣٧).
(٤) معاني الحروف (٧١).
(٥) الكتاب (٤/ ٢٢٦).
(٦) المرجع السابق (٣/ ٣٢٤).
(٧) المرجع السابق (٤/ ١٤٧).

الرأي الثاني: هو أن حرف التعريف هو الهمزة فقط وهذا ينسب إلى المبرد، جاء في شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذي «وذكر المبرد فى كتاب الشافي أن حرف التعريف الهمزة المفتوحة وحدها وإنما ضم إليها اللام لئلا يشتبه التعريف بالاستفهام»[١].

الرأي الثالث: أن حرف التعريف هو اللام وحدها قال ابن جني: «فأما لام التعريف فهي نحو قولك: الغلام والجارية فاللام هي حرف التعريف وإنما دخلت الهمزة عليها لأنها ساكنة فتوصلوا إلى الابتداء بها بالهمزة قبلها[٢]، وقال أيضا: «فقد صح مما أوردناه ولخصناه واستقصيناه أن حرف التعريف إنما هو اللام وحدها دون الهمزة»[٣].

وقد سرد ابن جني عند حديثه على اللام آراء العلماء في «أل» غير أنه لم يذكر من قال إنها الهمزة.

وإذا نظرنا في تاريخ التعريف في اللغة العربية التي في النقوش وفي اللغة اليمنية القديمة وفي اللغات السامية فإنا نجد علامة التعريف في عربية النقوش هي الهاء أو «هن» فأداة التعريف في النقوش اللحيانية هي «الهاء في العادة. غير أنها تظهر قبل الألف والعين في صورة «هن» بصفة مطردة»[٤].

وفي النقوش الثمودية يستعمل حرف الهاء للتعريف حيث يقولون

---

(١) شرح الشافية (٢/ ١٣١)، الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي(٣/ ٥٦)، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل (١/ ٨٤)، وحاشية الصبان على شرح الأشموني (١/ ١٧٧).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٣٣٣).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٤٥).

(٤) المدخل إلى علم اللغة والبحث اللغوي (٢٤٣).

(هجمل) عوضا عن الجمل و «هبيت» عوضا عن البيت[1]. ويلاحظ في هذا أن علامة التعريف هي الهاء ويشدد معها الحرف الأول من الكلمة مثل أداة التعريف في العربية مع الحروف الشمسية.

وذهب البروفسيور جام إلى أن حرف التعريف في العربية هو «هن» مستدلا بنقش حسائي جاء فيه كلمة «هنعبد» قال إن معناها العبد[2].

وعلامة التعريف في اللغة العبرية هي الهاء(הַ) وتكون في أول الاسم وتشكل بالفتحة ويكون ما بعدها مشددا إذا لم يكن حرفا من حروف الحلق أو الراء وهي حروف(א ה ע ח ר) فإن كان الذي بعد أداة التعريف حرف من هذه الحروف لم يشدد وإنما أطيلت حركة الهاء في بعض الأحيان عوضا عن التشديد.

وقد اختلف الباحثون في أصل علامة التعريف في اللغة العبرية.

ذهب نحاة اللغة العبرية إلى أن أصل الأداة هو «هل» وإنما أدغمت اللام في أول الكلمه المعرفة كما أدغمت اللام في علامة التعريف مع الحروف الشمسية في اللغة العربية وبهذا تكون أداة التعريف هي «هل» عند هؤلاء[3].

ويرى المستشرق أونجناد أن أصل أداة التعريف هو «هن» وإن النون هي الحرف الذي يدغم في أول الكلمة المعرفة مستدلا بأن النون هي التي ينالها الإدغام كثيرا في اللغة العبرية[4].

---

(١) تاريخ اللغات السامية (١٨٠).

(٢) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام لأحمد حسين شرف الدين (٨٠).

(٣) الفلسفة اللغوية (١٢١)، دروس في اللغة العبرية للدكتور يحيى كمال (١١).

(٤) المدخل إلى علم اللغة (٢٤٣).

ويرى بعض المستشرقين أن الهاء « ה » هي علامة التعريف وحدها لأن اللام أو النون التي زعم الفريقان السابقان أنها علامة للتعريف لا تظهر عند ترك الإدغام بسبب حروف (א ד ל ה ר) كما ظهرت فى العربية. ويذهب هذا المذهب بروكلمان وبراجشتراسر[1].

ويرجح علماء اللغات السامية أن الأصل في أداة التعريف السامية هو «الهاء واللام» وهما عنصران يدخلان في تركيب كثير من أسماء الإشارة في اللغات السامية غير أن هذا الأصل لم تحتفظ به أية لغة من اللغات السامية[2].

وسوف أبين فساد هذا الرأي بعد الانتهاء من علامات التعريف في اللغات السامية.

هذا بالنسبة للغات السامية التي علامة التعريف فيها. تكون في أول الاسم، أما اللغات السامية التي علامة التعريف فيها تكون في آخر الاسم فهى: اللغة الآرامية و اللغة اليمنية القديمة، فعلامة التعريف فى اللغة الآرامية هى الألف الممدودة وتوضع في آخر الاسم المعرف[3]، وعلامة التعريف في اللغة اليمنية القديمة: هي« نون» تلحق آخر الاسم المعرف مثل: ملكن، ذهبن، بيتن أي الملك والذهب، والبيت[4].

وإذا نظرنا إلى نهاية الأسماء العربية وجدناها تنتهي بنون ساكنة وهي

(١) المدخل إلى علم اللغة(٢٤٤).

(٢) المرجع السابق (٢٤٢).

(٣) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٢٤٢)، فقه اللغة للدكتور على عبدالواحد وافي (٢١).

(٤) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام لأحمد حسين شرف الدين (٨٢)، المدخل إلى علم اللغة (٢٤٢).

ما تسمى بالتنوين ولكنه ورد في اللغة العربية علامة للتنكير، فما هي العلاقة بين علامة التعريف أو النون التي تلحق الأسماء المعرفة في اللغة اليمنية بالتنوين الذي يلحق الأسماء المنكرة في اللغة العربية ثم ما علاقة النونين التي إحداهما علامة تنكير في اللغة العربية والثانية علامة تعريف فى اللغة اليمانية بالتمييم الذي يوجد في نهاية الأسماء في اللغة البابلية الآشورية.

وإذا كانت النون هي التي تتحول إلى ميم عرفنا أن أصل التمييم هو التنوين لكن ما هي حقيقة الأسباب التي أدت إلى هذا التفريق بين اللغات الثلاث بسبب النون والميم؟.

يذهب المستشرقون إلى أن التمييم أصل للتنوين ويرجح بروكلمان أن الميم التي تلحق آخر الكلمات في اللغة اليمنية والأكادية أنها مختصرة من «ما» بمعنى «شيء ما» الموجودة في العربية الشمالية وقد تحولت هذه الميم المختصره من «ما» إلى «نون» في اللغة العربية فأصبح في اليمانية التمييم وفي الشمالية التنوين[١].

ولكن التمييم في اللغة الأكادية لا يدل على التنكير كما ذهب إليه المستشرقون وإنما يدل على التعريف كما أن النون التي تلحق الأسماء المعرفة في اللغة اليمانية تدل على التعريف.

وقد أحس المستشرق براجشتراسر: بعلاقة التنوين والتمييم ولكن ذهاب المستشرقين إلى أن أصل التمييم «ما» والتمييم أصل للتنوين جعله يحكم بأصالة الميم وحمل النون عليها وهذا مخالف للتبادل بين الأصوات

---

(١) المدخل إلى علم اللغة (٢٤٦).

الأنفية: إذ إن النون هي التي تتحول إلى ميم ومع ذلك فقد أحس بعلاقة التنوين بالتمييم وأن كلا منهما قد وضع في الأصل للتعريف حيث قال: وحقيقة الأمر أن التنوين، إن كان علامة التنكير في كل ما بقي من مستندات اللغة العربية فربما كان في الأصل علامة للتعريف فقد ذكرنا أن أصل التنوين هو التمييم وإنا نرى للتمييم آثارا من معنى التعريف في الأكدية العتيقة»[1].

ولكنني ألاحظ أنه حمل التنوين على التمييم وهذا عكس ما أثبته التبادل بين هذين الصوتين إذ إن النصوص كلها تثبت أن النون هي التي تتحول إلى ميم، ثم إنه حمل اللغة العربية على الآشورية وليس لباحث أن يحمل إحدى اللغات السامية على الأخرى؛ لأن لكل واحدة منهن أطوارا متعددة منها ما يشمل الحديث ومنها ما يشمل القديم وإنما ينبغي أن نقارن بين الظواهر في جميع اللغات السامية ثم بعد ذلك تتضح الظاهرة القديمة من الحديثة.

وقد علل براجشتراسر سبب تحول التعريف ويريد به التنوين إلى ضده أي إلى التنكير بما حصل للغة الآرامية إذ فقدت علامة التعريف وأصبحت هذه العلامة وهي الألف في آخر الاسم تدل على التنكير[2].

وبعد هذا العرض لأداة التعريف في اللغات السامية فإني أستنتج ما يلي: الأصل في الاسم النكرة أن لا توضع له علامة لأن العلامة تدل على تعريف المنكر ويستدل من هذه النصوص المقارنة على أن اللغة

(١) التطور النحوي(١١٨).

(٢) المرجع السابق (١١٨، ١١٩).

السامية كانت تنهي الأسماء المنكرة فيها بإحدى الحركات الثلاث الفتحة والضمة والكسرة ولعل من رواسب هذه المرحلة ما رويَ عن الأزد إذ يقول سيبويه: «وزعم أبو الخطاب أن أزد السراه يقولون هذا زيدو، وهذا عمرو ومررت بزيدي وبعمري جعلوه قياسا واحدا فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف»[١].

ثم وضعت النون في آخر الأسماء دليلا على التعريف كما هو في اللغة اليمنية القديمة ومع مرور الزمن تحولت النون إلى ميم أو ما يعرف بالتمييم وهو علامة التعريف في اللغة الأكادية أو يفيد التعريف، وقد تحول التنوين إلى تمييم في السبئية ولكن بعد أن فقد قيمته التعريفية وذلك أن السبئية قد استعاضت عنه بأداة للتعريف في أول الاسم وهي أم[٢].

وقد فقد التنوين قيمته التعريفية في اللغة العربية واستعاضت اللغة العربية عنه بالتعريف في أول الاسم ولكن وجود التنوين يشير إلى تلك المرحلة القديمة من تاريخ اللغة لذلك فإن ما يوجد في الأعلام من تنوين إنما يشير إلى الأصل البعيد قبل أن يفقد التنوين قيمته التعريفية ويصبح لا يدل على التعريف بل أصبح يلحق الأسماء المنكرة، وبهذا تكون اللغة العربية قد حافظت على أقدم تعريف في اللغات السامية.

وقد استعاضت بعض اللغات السامية العلامات التعريفية في أول الاسم بدلا من آخره مثل اللغة العبرية والنقوش العربية التي وجدت مشابهة لهذه اللغة، وكذلك اللغة العربية.

---

(١) الكتاب (٤/ ١٦٧).

(٢) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين (٥١).

لكن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو أصل هذه العلامات؟

وسنبدأ باللغة العربية وعلامة التعريف في اللغة العربية هي «أل» وكان للعلماء فيها آراء قد عددناها فيما سبق لكن الذي ترجحه المقارنات وتاريخ اللغات السامية وإبدال الحروف في اللغة العربية هو أن علامة التعريف أصلها الهمزة وهذا المذهب هو ما ذهب إليه المبرد لكنه علل وجود اللام بأنه للفرق بين التعريف والاستفهام.

وما أراه هو أن أداة التعريف هي الهمزة تضاف إلى أول الاسم مع تشديد الحرف الأول عند دخولها عليه، ولا زال هذا الاستعمال موجودا مع الأسماء المبدوءة بالحروف الشمسية إذ لا تظهر لام التعريف مع هذه الحروف بل إن بعض اللهجات الحديثة كاللهجة المصرية لا تظهر فيها اللام إذا ولي أداة التعريف جيم أو كاف مثل «اجّبل، اجّدع، اكّتاب، اكّلب»[1] وتعني الجبل والجذع، والكتاب، والكلب.

وكذلك لا تظهر اللام إذا ولي أداة التعريف جيم في لهجة العراق وشرق سوريا وكذلك إذا وليها الباء في مناطق من اليمن في خولان صعدة وبعض نواحي الحجرية من لواء تعز إذ يقولون: احّب، ابقّرت ابّاب ويريدون الحب والبقرة والباب[2].

وقد لاحظ الدكتور إبراهيم السامرائي ذلك ولكن يبدو أنه لم يطلع على القول القائل بأن أداة التعريف هي الهمزة كما أنه لم تتضح عنده قاعدة التبادل بين الحروف الحلقية إذ يقول: «ولو أننا نظرنا في كتب النحو لوجدنا أن هناك من يقول إن التعريف حاصل في الألف واللام

---

(١) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٢٤٥).

(٢) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين (٥٢).

وهو قول الخليل أو أنها اللام وحدها وهو قول سيبويه. ولنا أن نقول ربما حصل التعريف في الألف ويدلنا على ذلك أن اللام لا تنطق مع الحروف الشمسية، وأن الهمزة تقرب من الأداة العبرية وهي الهاء، والهمزة والهاء سواء في العربية، فأيا وهيا في النداء بمعنى، وألا وهلا تخفيفا وتشديدا كذلك هذه الملاحظة رأي شخصي صرف أسوقه لا على سبيل التقدير والتأكيد وإنما على سبيل العرض والاقتراح[1].

ولكن ما سبب حدوث اللام في أداة التعريف العربية؟

وفيما يبدو لي أن اللام في أداة التعريف مع الحروف القمرية قد نشأت من فك الإدغام الحاصل بسبب أداة التعريف الهمزة، وذلك أن فك الإدغام يكون بأحد الحروف اللثوية (ل ن ر) وقد جاء في الشعر ما يشير إلى ذلك مثل قول الشاعر:

لما رأى أن لا دعه ولا شبع   مال إلى أرطاة حقف فالطجع[2]

فقد رويت كلمة «الطح» بأربعة أوجه هي «اضّجع، اضطجع، اطّجع، الطجع» وأقول هذه اللام نشأت من إبدال أحد المتضاعفين أو من فك الإدغام الحاصل في اطجع.

وسيتضح أن فك الإدغام يكون بالحروف اللثوية (ل ن ر) عندما نتناول الإبدال من أحد المتضاعفين أو المدغمين فيما بعد.

وبمعرفة أن الهمزة أداة للتعريف في العربية يسهل علينا تفسير أداة التعريف في اللغات السامية التي تكون في أول الاسم ويمكننا معرفة كيفية تفرع بعضها عن بعض ومعرفة الأصلي من الفرعي والقديم من الجديد.

(١) فقه اللغة المقارن (١٩٤).
(٢) شرح الأشموني (٤/ ٣٣٢).

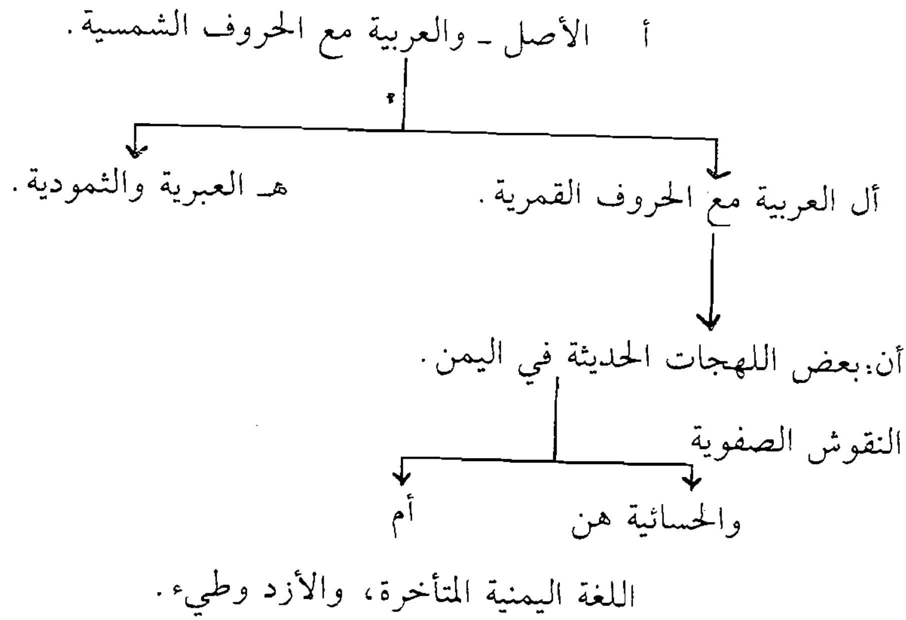
إذ ثبت أن الهمزة تتحول إلى هاء كما هو في التبادل بين الهمزة والهاء في قانون التبادل بين الحروف الحلقية فيكون أصل الأداة التي في أول الاسم في اللغات السامية هي الهمزة تدخل على الاسم فيشدد الحرف الأول منه وقد بقيت محافظة على هذا الأصل مع الحروف الشمسية في اللغة العربية، وتحولت الهمزة إلى هاء كما في العبرية ولكن العبرية جعلت بدلا من التضعيف أو التشديد في أول الاسم فتحة طويلة إذا وليها حرف من حروف الحلق والراء وهي «אהעחר» وهذه طريقة من طرق فك الإدغام وأبقت الهاء مشددا ما بعدها مع بقية الحروف، وتحولت الهمزة إلى هاء مع بقاء ما بعدها مشددا في النقوش الثمودية.

أما الهمزة إذا وليها حرف من الحروف القمرية في اللغة العربية فقد فك الإدغام أو التشديد بواسطة حرف الذلاقة أو اللثة وهو اللام فنشأ عن ذلك «أل».

ثم تحولت اللام كما هو في قانون التبادل بين الأصوات اللثوية إلى نون فنشأ عن ذلك «أن» والتي لا زالت تستعمل لدى بعض سكان اليمن إلى اليوم وأبدلت الهمزة هاء كما في قاعدة الحروف الحلقية فنشأ عن هذا «هن» وهي أداة التعريف في اللغة الصفوية أو عربية النقوش، وتحولت النون من «أن» إلى ميم كما هو في قاعدة الحروف اللثوية فنشأت «أم» التي لا تزال تستعمل إلى اليوم في مناطق من العالم العربي وهي أداة التعريف في السبئية بعد أن فقد التنوين قيمته التعريفية.

وبذلك نستطيع تفسير أدوات التعريف في اللغة العربية ولهجاتها

وكذلك اللغات السامية وأن أصل التعريف في أول الاسم هو الهمزة وقد أخذت الشكل التالي:



فالتطور الذي حصل لأداة التعريف جاءها من طريقين التبادل بواسطة حروف الحلق والتبادل بواسطة الحروف اللثوية.

فالهمزة بقيت على أصلها مع الحروف الشمسية في اللغة العربية وأبدلت هاء في اللغة العبرية واللغة الثمودية مع احتفاظ الثمودية بالإدغام أما العبرية فقد فُك الإدغام فيها مع حروف الحلق والراء بواسطة الفتحة الطويلة وقد فك الإدغام بواسطة اللام مع الحروف القمرية في اللغة العربية فنشأت «أل» وهنا دخل دور التبادل بين الحروف اللثوية فتحولت «أل» مع مرور الزمن إلى «أن» كما هو في لهجات بعض مناطق اليمن اليوم ولكنها مع الحروف الشمسية إذ يقولون: انصلاة وانثور انسيارة، ويريدون: الصلاة، الثور، السيارة وهي لهجة قبائل سحار المتاخمة

لخولان صعدة[1].

وهذه تمثل مرحلة بين «أل» و«أم» وفي هذه المرحلة أبدلت الهمزة هاء فأصبحت «هن» وهذا في اللغة الصفوية، والمرحلة الأخيرة أبدلت النون من «أن» ميما فأصبحت «أم» المسماة بطمطمانية حمير والتي جاءت عن العرب في الشعر والنثر كما سبق وبها جاء الحديث النبوي الشريف وهذه الأداة التي تمثل المرحلة الأخيرة وهي «أم» لا تزال مستعملة إلى اليوم إذ توجد في المملكة العربية السعودية في منطقة عسير وخاصة منطقة تهامة إذ يقولون أمقمة، أي القمة، وكذلك توجد في منطقة جيزان.

وتوجد في مناطق من اليمن في بلاد حاشد وأرحب وبني حشيش وبلاد همدان وسحار من صعدة وبالأخص قرية الطلح وفي معظم مناطق تهامة باليمن[2].

وفي مصر تنطق كلمة البارح «امبارح»[3].

وخلاصة القول في الطمطمانية أو أداة التعريف «أم» أن هذه قد مرت بمراحل هي «أل» ثم «أن» ثم «أم» فهذه الميم ليست بدلا من اللام وإنما هي بدل من النون لأن النون هي التي تتحول إلى ميم أما اللام فلا تتحول إلى ميم إلا بعد المرور بالنون فهذه الأداة تمثل المرحلة الأخيرة من التبادل بين الأصوات اللثوية والميم.

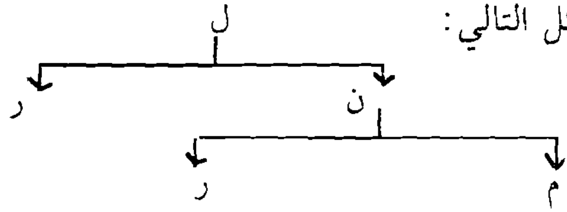
ومما سبق يتبين لنا أن قاعدة التبادل بين الحروف اللثوية والميم هي

(١) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام لأحمد حسين (٨٣)، دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية (٥٢).

(٢) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام (٨٣)، دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية (٥١).

(٣) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (١٣٠).

على الشكل التالي:



فاللام تتحول إلى نون أو راء والنون بدورها تتحول إلى راء أو ميم

فإذا وجد تبادل بين اللام والميم فلابد من مرحلة قد مر فيها اللام بالنون لأن اللام صوت لثوي والميم صوت شفوي أنفي، فلابد من صوت لثوي أنفي ليجمع بينهما، وهو النون.

ويجمع بين هذه الأصوات الأربعة أنها من الأصوات المتوسطة التى بين الشديدة والرخوة.

وليس هذا الإبدال مقصورا على اللغة العربية أو أخواتها الساميات بل يتعداهن إلى اللغات العالمية فحرف النفي في اللغات السامية «لا» وفي الآرية نو (no) أو أحد تنوعاتها وفي اللغات الطورانية «ال» أو «نه» أو «ما» وفي اليابانية «نا» وفي الصينية «مو»[1].

وبناء على قاعدة التبادل بين اللام والنون والميم فإن اللغات التي تكون فيها أداة النفي «لا» تمثل أداة النفي الأولى، واللغات التي تحتوي على «نا» تمثل المرحلة الثانية والتي تحتوي على «مو» أو الميم وحرف المد تمثل المرحلة الأخيرة، واللغة العربية تمثل المرحلة الأولى «لا» والأخيرة «ما» واللغات الطورانية مثلت جميع المراحل، واللغات الآراية واليابانية مثلت المرحلة الثانية، واللغة الصينية مثلت المرحلة الأخيرة فاللغات التي جاءت باللام تمثل المرحلة الأولى والتي جاءت بالنون تمثل الثانية، والتي جاءت بالميم تمثل الثالثة.

(١) الفلسفة اللغوية جرجي زيدان (٤٦).

الحروف (الأصوات) الأسنانية اللثوية

الزاي والسين والصاد

يطلق العلماء العرب على هذه الحروف (الأصوات) اسم الأسلية نسبة إلى أسلة اللسان وهو مستدق طرفه قال الخليل: «والصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهو مستدق طرف اللسان»[١].

وبين سيبويه مخرج هذه الحروف (الأصوات) بقوله: « ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد»[٢].

وهذا شبيه برأي المحدثين من علماء الأصوات حيث يعدون هذه الحروف (الأصوات) من الأصوات الأسنانية اللثوية[٣].

ويطلق على هذه الحروف الثلاثة لقب الصفير إذ يقال لها حروف الصفير قال سيبويه عندما كان يتحدث عن الإدغام بين الحروف (الأصوات) الأسنانية اللثوية «وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن لأنهن حروف الصفير وهن أندى في السمع»[٤].

وقال المبرد: «ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا حروف الصفير وهي حروف تنسل انسلالا وهي السين والصاد والزاي»[٥].

وسميت بهذا الاسم لأن الصوت يخرج معها عند النطق بها بما يشبه

---

(١) العين (١/ ٦٥).

(٢) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

(٣) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٦).

(٤) الكتاب (٤/ ٤٦٤).

(٥) المقتضب (١/ ١٩٣).

الصفير[١].

السين: حرف(صوت) أسناني لثوي رخو «احتكاكي» مهموس منفتح يتم نطقه بوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمة مقابل اللثة العليا مع رفع الطبق تجاه الحائط الخلفي للحلق فيسد المجرى الأنفي مع عدم وجود ذبذبة في الوترين الصوتين»[٢].

الصاد: حرف(صوت) أسناني لثوي رخو(احتكاكي) مهموس مطبق، فهو نظير السين المطبق ينطق كما ينطق السين مع فارق واحد هو أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق[٣].

قال سيبويه: «والسين كالصاد في الهمس والصفير والرخاوة، فإنما يخرج الصوت إلى مثله في كل شيء إلا الإطباق»[٤].

وقال أيضا: «لولا الإطباق لصارت . . . الصاد سينا»[٥].

الزاي: حرف(صوت) أسناني لثوي رخو «احتكاكي» مجهور منفتح، وهو النظير المجهور للسين ينطق بنفس الطريقة التي ينطق بها السين إلا أن الوترين الصوتيين يهتزان في أثناء النطق به ولا يهتزان في أثناء النطق بالسين[٦].

---

(١) انظر التمهيد لابن الجوزي (٩١).

(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٧).

(٣) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٧)، مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان (١٢٨).

(٤) الكتاب (٤/ ٤٨١). (٥) المرجع السابق (٤/ ٤٣٦).

(٦) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٧)، مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان (١٢٨).

التبادل بين السين والصاد

أثبتت النصوص إبدال السين صادا وقد جاء ذلك منسوبا إلى عدد من لهجات القبائل العربية.

وقد اشترط سيبويه لإبدال السين صادا أن يكون بعدها قاف أو غين أو خاء أو طاء وأن تكون السين وهذه الحروف (الأصوات) في كلمة واحدة.

فقد قال تحت عنوان« هذا باب ما تقلب فيه السين صادا في بعض اللغات»: «تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة وذلك نحو: صُقْت وصَبَقْت»(١).

وبين سبب ذلك الإبدال وهو أن القاف حرف مستعل ومتصاعد فيناسبه الصاد والسين حرف مستفل أو غير مستعل فأبدلت السين صاداً لكى تكون مشتركة مع القاف في الاستعلاء حيث قال: «وذلك أنها من أقصى اللسان فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى والدليل على ذلك أنك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت: قَقْ، قَقْ لم تر ذلك مخلا بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن. فهذا يدلك على أن معتمدها على الحنك الأعلى فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد وهي الصاد لأن الصاد تَصعّد إلى الحنك الأعلى للإطباق»(٢).

(١) الكتاب (٤/ ٤٧٩).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٤٨٠).

ثم قال عن الخاء والغين والطاء مبينا أن سبب إبدال السين صادا هو الاستعلاء مع نسبة إبدال السين صادا إلى بني العنبر «والخاء والغين بمنزلة القاف وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق وذلك نحو: صالغ في سالغ وصلخ في سلخ . . . . وإنما يقولها من العرب بنو العنبر، وقالوا صاطع في ساطع لأنها في التصعد مثل القاف وهي أولى بذا من القاف لقرب المخرجين والإطباق»[1].

فالعلة في إبدال السين صادا هي اجتماع السين والحرف المستعلى في كلمة واحدة وتقدم السين على حرف الاستعلاء ويبدو أن هذا الشرط الذي اشترطه سيبويه قد أخذ به من جاء بعده قال المبرد تحت عنوان «هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً وتركها على لفظها أجود»: «وذلك لأنها الأصل وإنما تقلب للتقريب مما بعدها فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قلبت معه ليكون تناولهما من وجه واحد. . . . فإذا كانت السين مع حرف من هذه الحروف في كلمة جاز قلبها صادا وكلما قرب منها كان أوجب ويجوز القلب على التراخي بينهما وكلما تراخى فترك القلب أجود. وذلك قولك: سطر وصطر، وسقر وصقر، وسلخت وصلخت، ومساليخ ومصاليخ»[2].

ثم بين أنه إذا تقدم حرف من حروف الاستعلاء على السين لا يجوز قلبها صادا إذ قال: «فإن كان حرف من هذه الحروف قبل السين لم يجز قلبها نحو: قست، وقسوت وطست»[3].

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٨٠).
(٢) المقتضب (١/ ٢٢٥).
(٣) المرجع السابق (١/ ٢٢٥).

وقد كرر الفراء شرط سيبويه وهو أن تتقدم السين على حروف القاف والخاء والغين والطاء وأن تكون هذه الحروف والسين في كلمة واحدة مع نسبة لهجة الصاد إلى قريش، وبني العنبر ولهجة السين إلى عامة العرب إذ جاء في مادة «سرط» من اللسان: «قال الفراء ونفر من بني العنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة ثم جاء بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء صادا. . . . فمن ذلك قولهم الصراط والسراط، قال: وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب، قال: وعامة العرب تجعلها سينا».

وقد أكد قطرب[1] نسبة هذه اللهجة وهي إبدال السين صادا إلى بني تميم حيث بين أن بني العنبر الذين نسبت إليهم هذه اللهجة هم من بني تميم مع تكراره لشرط سيبويه والفراء حيث جاء في مادة «صدغ» من لسان العرب «قال محمد بن المستنير قطرب: إن قوما من بني تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين ولا يبالون أثانية كن أم ثالثة أم رابعة بعد أن يكن بعدها يقولون: سراط وصراط وبسطه وبصطه وسيقل وصيقل وسرقت وصرقت ومسغبة ومصغبة ومسدغة ومصدغة وسخر لكم وصخر لكم والسخب والصخب.

وجاء في مادة «صقع» من اللسان: «وكل صاد وسين تجيء قبل القاف فللعرب فيها لغتان منهم من يجعلها سينا ومنهم من يجعلها صادا

(١) هو أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب وهو لقب أطلقه عليه سيبويه لأنه يخرج بالأسحار فيجده سيبويه على بابه حرصا على التعلم فأطلق عليه سيبويه هذا اللقب لأن القطرب دويبة تدب في الليل لا تفتر أخذ النحو عن سيبويه وبعض البصريين. من مؤلفاته: القوافي والأصوات، والمصنف والغريب في اللغات. مات سنة ٢٠٦هـ.
تاريخ النحويين (٨٢)، الفهرست (٧٨)، انظر بغية الوعاة (١/ ٢٤٢).

لا يبالون متصلة كانت بالقاف أو منفصلة، بعد أن تكونا في كلمة واحدة إلا أن الصاد في بعض أحسن والسين في بعض أحسن».

ومن الأمثلة التي تحمل على هذه القاعدة أو الشرط الذي اشترطه العلماء وهو تقدم السين على حرف من حروف الاستعلاء وأن تكون هذه السين وحرف الاستعلاء في كلمة واحدة تلك المواد:

١ـ في «ل س ق» من الجمهرة: والسقب بالسين والصاد حوار الناقة وبالسين أعلى.

٢ـ وفي سقعب من اللسان: السقعب الطويل من الرجال بالسين والصاد.

٣ـ «سخب» من اللسان: والسخب لغة في الصخب ومضارعة.

٤ـ «خصم» من الجمهرة: والمصخ لغة في المسخ.

٥ـ «خصو» من الجمهرة: الوضخ لغة في الوسخ.

٦ـ «صمخ» من الصحاح: الصماخ خرق الأذن وبالسين لغة.

٧ـ «بخص» من الجمهرة: والصبخة لغة في السبخة والسين أعلى.

٨ـ «بسغ» من الجمهرة: وأسبغ الله النعمة وأصبغها أكثرها إسباغا بالسين والصاد والسين أعلى وأكثر.

٩ـ «سفق» من اللسان: السفق لغة في الصفق وثوب سفيق أي صفيق.

١٠ـ «سلق» من اللسان: وسلق لغة في صلق أي صاح.

١١ـ «رصخ» من اللسان: رصخ الشيء ثبت مثل رسخ بمعنى واحد.

١٢ـ «رصغ» من الجمهرة: الرصغ والرسغ بالسين والصاد من الدابة وغيرها وهو موصل الوظيف بالحافر من ذوات الأربع، ومن الناس موصل الكف بالذراع.

١٣ـ «سقو» من الجمهرة: والسويق معروف وقد قيل بالصاد أيضا لغة لبني تميم لبني العنبر خاصة.

١٤ـ«صغبل» من اللسان: صغبل الطعام لغة في سغبله: أدمه بالإهالة أو السمن.

١٥ـ «صغصغ» من اللسان: صغصغ رأسه بالدهن صغصغه وصغصاغا لغة في سغسغه حكاها قطرب وهي مضارعه وصغصغ ثريده رواه دسما ومثله سغسغه.

١٦ـ «س ق ل» من الجمهرة: السقل سقلك الشيء مثل السيف والثوب وغيرهما بالسين والصاد جميعا.

١٧ـ «سغل» من اللسان: الصغل لغةُ في السغل وهو السيئ الغذاء والسين فيه أكثر من الصاد.

١٨ـ «صملق» من اللسان: الصملق لغة من السملق وهو القاع الأملس.

١٩ـ «صوق» من اللسان: الصاق لغة في الساق عنبرية.

وقد أثبتت القراءات القرآنية هذه اللهجة أي إبدال السين صادا فقد قرئ قوله تعالى: **﴿والله يقبض ويبصط وإليه ترجعون﴾**[١] بالسين والصاد في كلمة «يبصط»[٢].

(١) البقرة (٢٤٥).

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني (٨١).

وقوله تعالى: ﴿**وزادكم في الخلق بصطة**﴾[1] بالسين والصاد في كلمة «بصطة»[2].

فالقراءة التي جاءت بالصاد تكون على لهجة قريش وبني تميم وهي تدل على الفرع والقراءة التي جاءت بالسين على لهجة عامة العرب وهي تدل على الأصل.

وهذه القراءات جاءت وفق الشرط الذي اشترطه العلماء وهو أن تتقدم السين على أحد حروف الاستعلاء وأن تكون السين وحرف الاستعلاء في كلمة واحدة واشتراط العلماء أن تكون السين متقدمة على حروف الاستعلاء يدل على قصور في استقصاء هذه الظاهرة فقد أوردت المعاجم العربية ما ينقض هذا الشرط.

فقد جاء في مادة «سهلب» من لسان العرب «السهلب الطويل عامة وقيل هو الطويل من الرجال، والسهلب الطويل من الخيل على وجه الأرض وربما جاء بالصاد، وفي مادة «صلهب» منه «الصلهب من الرجال الطويل وكذلك السهلب».

ويظهر في هذا المثال «سلهب» خلو هذه الكلمة من حروف الاستعلاء حيث لم تأت لا متقدمة على السين ولا متأخرة.

وفي مادة «خرمص» من اللسان أيضا «المخرنمص الساكت عن كراع وثعلب كالمخرنمس والسين أعلى». الفراء أخرمس وأخرمص سكت.

وفي مادة «س ف ق» من الجمهرة: «والفقس من قولهم فقست البيضة وفقصتها إذا كسرتها بالسين والصاد ثم أخرجت ما فيها».

(١) الأعراف (٦٩).

(٢) التيسير للداني (٨١).

وفي هذا المثال تقدم حرف الاستعلاء على السين أو تأخر السين عن حرف الاستعلاء.

وفي مادة «سحر» من اللسان «السحر والسحرة بياض يعلو السواد يقال بالسين والصاد».

وفي مادة «سلفع» منه «سلفع الرجل لغة في صلفع أفلس».

وقد جاءت في كتب الإبدال كثير من الكلمات التي حصل فيها إبدال السين صادا ولم تتقيد بالشرط الذي شرطه العلماء من هذه ما أورده أبو الطيب «ويقال جاء يتبربس ويتبربص إذا جاء يمشي مشية خفية كأنه يتدحرج[١] والخرس والخرص الدن[٢] ويقال امتسحت السيف وامتصحته إذا اخترطته[٣]ويقال ما سمعت له نبسه ونبصه وما ينبس بكلمة وما ينبص بكلمة[٤] والعسلب والعصلب الشديد وكذلك العسلبي والعصلبي[٥] ويقال رجل مسمهل ومصمهل إذا كان طويلا تاما[٦].

ويظهر مما تقدم أن السين تتحول إلى صاد هذا بالإضافة إلى ماورد بثلاثة أوجه هي السين والصاد والزاي فيما سيأتي.

---

(١) الإبدال (٢/ ١٧٤).

(٢) الإبدال (٢/ ١٧٧).

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٧٩).

(٤) المرجع السابق (٢/ ١٨٣).

(٥) المرجع السابق (٢/ ١٩٢).

(٦) المرجع السابق (٢/ ١٩٤).

التبادل بين السين والزاي

الزاي هو النظير المجهور للسين ولا فرق بينهما إلا أن الوترين الصوتيين يهتزان مع الزاي ولا يهتزان مع السين.

وقد جاءت النصوص مؤيدة إبدال السين زايا وينسب هذه الإبدال إلى لهجة كلب وإلى اليمن.

من هذه النصوص قول سيبويه: « فإن كانت سين في موضع الصاد وكانت ساكنة لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب وذلك قولك في التسدير التزدير وفي يَسْدُل ثوبه يزدل ثوبه لأنها من موضع الزاي وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق والبيان فيها أحسن، لأن المضارعة في الصاد أكثر وأعرف منها في السين والبيان فيهما أكثر أيضا[1].

وقد نسب إبدال السين زايا إلى كلب قال ابن جني: « وكلب تقلب السين مع القاف خاصة زايا فيقولون في سقر: زقر، وفي مس سقر، مس زقر»[2].

وتنسب هذه اللهجة إلى الأزد أيضا فقد جاء في مادة «سقف» من العين «السقف عماد البيت والسماء سقف فوق الأرض والزقف لغة الأزد في السقف يقولون ازدقف أي استقف»[3].

وبمقارنة مادتي «قسب» و «قزب» يتضح إبدال السين زايا مع نسبته إلى أهل اليمن إذ جاء في قسب: القسب الصلب الشديد يقال إنه لقسب

(١) الكتاب (٤/ ٤٧٩).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٠٨).

(٣) العين (٤/ ٣٨١).

العلباء وقد قسب قسوبة وقسوبا، وفي قزب «قَزِب الشيء قَزَباً صلب واشتد» يمانية.

وهذه طائفة من المواد التي ورد فيها إبدال السين زايا

١ـ جاء في مادة «ج ز ف» من الجمهرة: والفجز لغة في الفجس وهو التكبر.

٢ـ وفي مادة «ج ز هـ» منها: والهجز لغة في الهجس وهي النبأة تسمعها خفية.

٣ـ وفي مادة «ج ر س» فيها أيضا: ورعد مرتجس ومرتجز ورجاس إذا سمعت له صوتا.

٤ـ وفي «عرطز» من اللسان: عرطز الرجل تنحى كعرطس.

٥ـ «أزد» من اللسان: الأزد لغة في الأسْد تجمع قبائل وعمائر كثيرة في اليمن وأزد أبوحي من اليمن وهو أسْد بالسين أفصح.

٦ـ «زرد» من اللسان: الزَّرْد والزَّرَد حلق المغفر والدرع والزَّرَدة حلقة الدرع والسَّرْد ثقبها والجمع زُرود والزَّرَّاد صانعها وقيل الزاي في ذلك كله بدل من السين في السَّرْد والسراد.

ومن الأمثلة التي أوردها أبو الطيب للتبادل بين السين والزاي: يقال مكان شأز وشأس وهو الغليظ[١]، وأزفلان فلانا يؤزه وأسه يؤسه إذا حركه[٢]، ويقال فطز فطزًا وفطس فطسا إذا مات[٣].

---

(١) الإبدال (٢/ ١٠٧).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١١٣).

(٣) المرجع السابق (٢/ ١١٧).

هذا بالإضافة إلى ما ورد بثلاثة أوجه هي السين والصاد والزاي، ومن هذه النصوص يتضح أن السين هي التي تتحول إلى زاي أي تحول الصوت الصفيري من الهمس إلى الجهر، أو تحول الحرف الأسناني اللثوي المهموس إلى نظيره المجهور.

التبادل بين الصاد والزاي

دلت النصوص من الشعر والنثر والقرآن والحديث على إبدال العرب للصاد زايا، وهذا الإبدال موجود في لهجة كلب وطيء وقد سلكت العرب في إبدال الصاد مسلكين:

المسلك الأول: إبدال الصاد زايا مفخمة أو مطبقة أو مشربة وهذا هو الأكثر.

والمسلك الثاني: إبدالها زايا خالصة.

لكن من حيث الكتابة فإن الزاي المفخمة أو المطبقة قد كتبت بصورة أو برسم الصاد الخالصة ولم يكن لها رمز يميزها وإنما قد ميزت في القراءات القرآنية، وبعض النصوص التي تشير إلى هذه الزاي.

وقد بين سيبويه المسلك الأول تحت عنوان «هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه إذ قال: « فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك نحو: مصدر، وأصدر، والتصدير لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في افتعل فلم تدغم الصاد في التاء لحالها التي ذكرت لك، ولم تدغم الدال فيها ولم تبدل لأنها ليست بمنزلة اصطبر، وهي من نفس الحرف، فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مددت فجعلوا الأول تابعا للآخر فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة»[1].

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٧٨).

ثم بين سبب إبدالهم للصاد زايا مفخمة أو مطبقة أو مشربة بقوله: «ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق كما كرهوا ذلك فيما ذكرت لك من قبل هذا»[1].

وقال مبينا المسلك الثاني: وهو إبدال الصاد زايا خالصة «وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة كما جعلوا الإطباق ذاهبا في الإدغام وذلك قولك في التصدير: التزدير، وفي الفصد: الفزد، وفي أصدرت: أزدرت»[2].

ثم بين السبب الذي جعل العرب يبدلون الصاد زايا مفخمة أو مطبقة وهو ما أطلق عليه اسم التقريب، أو أن يبدلوها ويعني بالإبدال إبدالهم لها زايا خالصة بقوله: « وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد، إذ لم يصلوا إلى الإدغام ولم يجسروا على إبدال الدال صادا لأنها ليست بزيادة كالتاء في افتعل والبيان عربي»[3].

فالسبب الذي دعا العرب إلى الإبدال أو التقريب هنا هو التناسب بين صوتي الدال والصاد حيث إن الدال صوت مجهور فأثر في الصاد الصوت المهموس حتى جعله يتحول إلى صوت مجهور قريب منه يشاركه في المخرج وصفة الصفير وهو الزاي بنوعيه الخالص والمطبق أو المفخم.

وسيبويه يرى أن إبدال الصاد زايا خالصة وهو ما يسميه الإبدال أو إبدال الصاد زايا مطبقة أو مفخمة وهو ما يسميه التقريب أو المضارعة إنما

---

(١) الكتاب (٤/٤٧٨).

(٢) المرجع السابق (٤/٤٧٨).

(٣) المرجع السابق (٤/٤٧٨).

يكونان في الصاد إذا كانت ساكنة أما إذا تحركت فالإبدال عنده وهو الزاي الخالصة لا يجوز، و أما المضارعة أو التقريب فتجوز.

إذ يقول: « فإن تحركت الصاد لم تبدل لأنه وقع بينهما شيء فامتنع الإبدال إذ كان يترك الإبدال وهي ساكنة، ولكنهم قد يضارعون بها نحو صاد صدقت، والبيان فيها أحسن، وربما ضارعوا بها وهي بعيدة نحو مصادر والصراط لأن الطاء كالدال والمضارعة هنا وإن بعدت الدال بمنزلة قولهم صويق ومصاليق فأبدلوا السين صادا كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء في صقت ونحوه»[١].

ثم بين أن المضارعة تخل بالصاد وأن الوجه هو البيان أي ترك الصاد على طبيعتها وعدم إبدالها أو تقريبها حسب تعبير سيبويه إذ يقول: « ولم تكن المضارعة هنا الوجه لأنك تخل بالصاد لأنها مطبقة وأنت في صقت تضع في موضع السين حرفا أفشى في الفم منها للإطباق فلما كان البيان ههنا أحسنَ لم يجز الإبدال»[٢].

وقد بين ابن يعيش معنى المضارعة بقوله: «ومعنى المضارعة أن تشرب الصاد شيئا من صوت الزاي فتصير بين بين»[٣].

وقال أيضا: « وأما المضارعة فأن تنحو بالصاد نحو الزاي فتصير حرفا مخرجه بين مخرج الصاد ومخرج الزاي»[٤].

ولكن يفهم من كلام سيبويه أن المضارعة هي إبدال الصاد زايا مع

(١) الكتاب(٤/ ٤٧٨).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٤٧٨).

(٣) شرح المفصل (١٠/ ٥٣)

(٤) المرجع السابق (١٠/ ٥٣).

المحافظة على الإطباق وهذا يعني أنها زاي مطبقة أو مفخمة أو مشربة أو مقربة ولكن الأفضل أن نجعلها زايا مطبقة أو مفخمة لتشتمل على صفة الإطباق التي أخذتها من الصاد وصفة الجهر التي أخذتها من الزاي.

وقد نسب إبدال الصاد زايا إلى كلب، قال ابن عصفور: « وأما الزاي فأبدلت من الصاد إذا كان بعدها قاف أو دال فقالوا في «مصدق» و«مصدوقة»: «مزدق، ومزدوقة » وإنما تفعل ذلك كلب»[1].

ثم أورد قول الشاعر:

يزيد زاد الله في خيراته ... حامي نزار عند مزدوقاته[2]

أي مصدوقاته.

وفي مادة «صدق» من اللسان: «وكلب تقلب الصاد مع القاف زايا تقول أزدقني أي أصدقني».

وهذا الشرط وهو أن تكون الصاد مع القاف هو الشرط الذي تقدم في إبدال كلب للسين زايا ومن شواهد إبدال الصاد زايا قول الشاعر:

ودع ذا الهوى قبل القلى ترك ذي الهوى

متين القوى خير من الصرم مزدرا [3]

أي مصدرا.

وينسب إبدال الصاد زايا إلى طيء وقد أورد أبو الطيب اللغوي قصة حاتم الطائي مع نسبة هذا الإبدال إلى طيء حيث قال: «وطيء تقلب كل

(١) الممتع في التصريف (٢/ ٤١٢).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٠٨)، لسان العرب «مادة صدق».

(٣) الممتع في التصريف (٢/ ٤١٢)، سر صناعة الإعراب (٢/ ٢٠٨).

صاد ساكنة زايا. قال الأصمعي كان حاتم الطائي أسيرا في عنزة فجاءته النساء بناقة ومفصد وقلن له: أفصد هذه الناقة فأخذ المفصد فلتم في سبلتها: أي نحرها وقال: هكذا فزدي أنه: أي فصدي أنا»[1].

وفي مادة «زدق» من لسان العرب «أبو زيد الزدق الصدق، وهو أزدق منه أي أصدق منه. قال وقد قالوا القزد للقصد وحكى النضر عن بعض العرب: خير القول أزدقه، ثم أورد قول مزاحم العقيلي:

فلاة فلى لماعة من يجُربها عن القزد تجحفه المنايا الجواحف

وفي مادة «ح د ز» من جمهرة اللغة قال ابن دريد: « أهملت إلا في قولهم الحزد في معنى الحصد وإنما يجعلون ذلك إذا سكنت الصاد فإذا حركوها ردوها إلى أصلها حزدت الشيء وحصدته في معنى».

ويلاحظ في الأمثلة التي تقدمت أن الصاد فيها ساكنة وبعدها دال ومن الشواهد القرآنية قوله تعالى: ﴿**ومن أصدق من الله حديثا**﴾[2]، فقد قرأ الكسائي «أزدق»[3]. بالزاي بدلا من الصاد.

ومن الشواهد الشعرية: قول الشاعر:

ولا تهيبني الموماة أركبها إذا تجاوبت الأزداء بالسحر[4]

أراد الأصداء، والصدى ذكر البوم، وصوت البوم.

ومن الأمثلة التي جاء فيها إبدال الصاد زايا والصاد غير ساكنة ولا

(١) الإبدال(٢/ ١٢٨)، جمهرة اللغة(٢/ ٢٦٠)، الفاضل للمبرد(٤٢)، مجالس العلماء للزجاجي (١٠٥).

(٢) النساء (٨٧).

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٩٣)، التيسير في القراءات السبع للداني(٩٧).

(٤) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه (١٢٩).

متبوعة بدال أو قاف ما جاء في مادة «قنز» من لسان العرب «القنز لغة في القنص وحكى يعقوب أنه بدل، قال غلام من بني الصارد رمى خنزيرا فأخطأه وانقطع وتره فأقبل وهو يقول: إنك رعملي بئس الطريدة، القنز ومنه قول صائد الضب:

ثم اعتمدت فجبذت جبذة خررت منها لقفاي أرتمز

فقلت حقا صادقا أقوله هذا لعمر الله من شر القنز

يريد القنص: قال أبو عمرو: وسألت أعرابيا عن أخيه فقال: خرج يتقنز أي يتقنص كل ذلك حكاه يعقوب في المبدل، قال ويقال للقانص والقناص قانز وقناز».

وقال ابن فارس في مادة «زمت» من المقاييس «زمت: الزاء والميم والتاء ليست أصلا لأن فيه كلمة وهي من باب الإبدال يقولون: رجل زَميت وزِمّيت أي سِكّيت والزاء في هذا مبدلة من صاد والأصل الصمت»

وفي «زمك» من اللسان: أزماك الشيء لغة في أصماك وفي «صمك» منه «وأصماك الرجل وأزماك إذا غضب».

وفي «هصم» من اللسان أيضا «والهَيزْم لغة في الهيصم وهو الصلب الشديد» وفي هصم «الهَيْصم الغليظ الشديد الصلب، والهيصم حجر أملس يتخذ منه الحقاق وأكثر ما يتكلم به بنو تميم وربما قلبت فيه الصاد زايا».

من هذه النصوص يتضح أن الصاد هي التي تتحول إلي زاي وهذا يعني تحول الصوت الصفيري من الهمس إلى الجهر، يضاف إلى هذا ما ورد بثلاثة أوجه هي السين والصاد والزاي، والذي فيه تزداد علاقة أصوات الصفير بعضها ببعض.

ما ورد بالسين والصاد والزاي

سأورد الكلمات التي تحتوي على أحد أصوات الصفير الثلاثة السين والصاد والزاي وكان للعرب في نطق هذه الكلمات ثلاث لهجات أو أربع هي النطق بالصوت الصفيري الموجود في هذه الكلمات سينا أو صادا أو زايا مطبقة وغير مطبقة.

لقد اتضح عند الحديث عن التبادل بين السين والزاي أن العرب تبدل السين زايا وتبين في أثناء الحديث عن التبادل بين السين والصاد أنهم يبدلون السين صادا وظهر في التبادل بين الصاد والزاي أنهم يجعلون الصاد زايا مفخمة أو غير مفخمة وهذه الكلمات التي سأوردها تشتمل على اللهجات الثلاث أو الأربع مجتمعة من هذه الكلمات:

١ ـ لسق ولصق ولزق: الكلمة المحتوية على السين تنسب إلى قيس والمحتوية على الصاد تنسب إلى بني تميم والمشتملة على الزاي تعزى إلى ربيعة إذ جاء في مادة «لصق» من لسان العرب «لَصِق به يَلْصَق لُصوقا: وهي لغة تميم وقيس تقول لَسِق بالسين وربيعة تقول لَزَق وهي أقبحها إلا في أشياء نصفها في حدودها»، وأقول أصل هذه المواد هو «لسق» وهو لهجة قيس ثم أبدلت السين صادا فأصبحت «لصق» وهي لهجة تميم ثم أبدلت الصاد زايا فتنتج عن ذلك «لزق» وهي لهجة ربيعة فهذا يبين لنا تطور كلمة «لسق» إذ تمثل لهجة قيس الأصل أو المرحلة الأولى وتمثل لهجة بني تميم المرحلة الثانية وتمثل لهجة ربيعة المرحلة الأخيرة أو الثالثة ولعل قول أصحاب المعاجم لبعض اللهجات هي أقبحها مثل ما قيل في

لزق يشير إلى أن هذه اللفظة متفرعة عن أصل.

٢ـ سرط وصرط وزرط: نقول في أصل هذه الكلمات مثل قلناه في الكلمات السابقة لسق ولصق ولزق إذ تشير جميع النصوص إلى أصالة السين وفرعية الصاد والزاي ففي مادة «سرط» من اللسان «سَرِط الطعام والشيءَ بالكسر سَرَطا وسَرَطانا بلعه واسترطه وازدرده ابتلعه وانسرط الشيء في حلقه سار فيه سيرا سهلا والِمسْرط والَمسْرط البلعوم والصاد لغة، والسراط السبيل الواضح والصراط لغة في السراط والصاد أعلى لمكان المضارعة وإن كانت السين هي الأصل» وفي «زرط منه: سرط اللقمة وزرطها وزردها وهو الزراط والسراط».

وقد جاءت القراءات القرآنية باللهجات الأربع السين والصاد والزاي المطبقة والزاي غير المطبقة أي الخالصة وقد جاءت مجتمعة في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم**[١] **صراط الذين أنعمت عليهم**﴾[٢].

حيث قرأ قنبل بالسين وخلف بإشمام الصاد زايا أي الزاي المطبقة وقرأ بقية القراء بالصاد [٣]وقرأ عمرو بن العلاء بالزاي الخالصة[٤].

ومن هذا يتبين أن القراءات القرآنية قد جاءت بجميع تطورات كلمة السراط فهذه الكلمة هي الأصل ثم أبدلت السين صادا فأصبحت الصراط ثم بعد ذلك دخل الصاد إبدالان هما: إبدالها زايا مطبقة وزايا خالصة.

---

(١) الفاتحه (٥).

(٢) الفاتحة (٦).

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني(١٨)،النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٢٧٢)، الإبانة عن معاني القراءات للقيسي (٨٨).

(٤) الإبانه عن معاني القراءات للقيسي (٩٤)، البحر المحيط (١/ ٢٥).

وإبدال السين زايا نسب إلى لهجة عذرة وكعب وبني القين وكلب[١].

والزاي المطبقة نسبت إلى قيس[٢] وإبدال السين صاداً نسب إلى لهجة قريش [٣]والقراءة بالسين وهي الأصل نسبت إلى عامة العرب[٤].

وقال ابن خالويه مبينا أن السين هي الأصل في الكلمات المحتوية على حروف الصفير وهي بمعنى واحد «وفي الصراط أربع لغات السراط بالسين وهو الأصل وبالصاد لمجيء الطاء بعدها وبالزاي الخالصة وبإشمام الصاد الزاي، كل ذلك قد قرئ به ومثله سندوق وصندوق وزندوق[٥].

٣ـ بسق وبصق وبزق: جاءت هذه الكلمات بمعنى واحد ففي مادة بزق من اللسان «البزق والبصق لغتان في البزاق والبصاق» وفي «بسق» وبسق بسقا لغة في بصق، بصق وبسق وبزق واحد» وفي «بصق» «البصاق لغة في البزاق، بصق لغة في بزق وبصق».

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة بهذه اللهجات الثلاث منها قوله ﷺ: «إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه فلا يبسقن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبسق عن يساره تحت رجله اليسرى...»[٦].

وصح عنه ﷺ أنه قال: « إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي

---

(١) البحر المحيط (١/ ٢٥)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٥).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٥)

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٥).

(٥) إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه (٢٩)،إملاء ما من به الرحمن للعكبري (١/٧).

(٦) معالم السنن للخطابي (١/ ١٤٤).

ربه أو أن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه»[١].

وقال ﷺ: « إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه عز وجل والملك عن يمينه فلا يبصقن بين يديه ولا عن يمينه وليبصق تحت قدمه اليسرى»[٢].

من هذا يتبين أن أصل هذه المواد بسق بالسين ثم أبدلت السين صادا فأصبحت بصق ثم أبدلت الصاد زايا فأصبحت بزق، ودلت هذه الأحاديث على تطور هذه الكلمة فالحديث الذي جاء فيه: «بسق» دل على أصل الكلمة، والذي جاء فيه «بصق» دل على المرحلة الثانية، والذي جاء فيه «بزق» دل على المرحلة الثالثة أو الأخيرة أو الحديثة أو نقول بسق جاء على الأصل، وبصق على لهجة تميم وقريش، وبزق على لهجة ربيعة.

٤ـ سقر وصقر وزقر: في مادة «زقر» من اللسان: « زقر لغة في الصقر مضارعة» وفي «سقر» منه «السقر من جوارح الطير معروف والزقر الصقر مضارعة، سقرته الشمس آلمت دماغة بحرها، ويوم مسمقر ومصمقر شديد الحر، وسقر من أسماء جهنم»، وفي «صقر» منه «الصقر الطائر الذي يصاد به من الجوارح والصَّقْر والصَّقْرة شدة وقع الشمس وحدة حرها»، وفي مادة«زرق» من الجمهرة«والزقر لغة في الصقر تميمية».

ويروى عن الأصمعي أنه قال: « اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما الصقر (بالصاد) وقال الآخر السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد

(١) صحيح البخاري (١/ ٨٣)

(٢) الفتح الرباني (٣/ ٥٧).

عليهما فحكيا له ما هما فيه فقال: «لا أقول كما قلتما إنما هو الزقر»[1].

فأصل هذه الكلمات سقر تحولت السين إلى صاد فأصبحت «صقر» ثم تحولت الصاد إلى زاي فأصبحت «زقر».

٥ـ مسدغة ومصدغة ومزدغة: أورد أبو الطيب في إبدال الزاي والسين: ويقال للمخدة المزدغة والمسدغة[2] وفي التبادل بين الزاي والصاد أورد: ويقال هي المزدعة والمصدغة للمخدة[3]. وفي التبادل بين السين والصاد قال: «ويقال للمخدعة: المسدغة والمصدغة»[4].

وفي هذه الكلمات ظهر منهج أبي الطيب وهو أن الكلمات التي وقع الإبدال فيها ليس بعضها متفرعا عن بعض وليس بعضها أصلا لبعض، بل كل منها أصل قائم بنفسه لذلك كررها في الزاي والسين، والزاي والصاد والسين والصاد، وقد بينت ذلك في آراء العلماء في الإبدال لكن ما نقوله في هذه الكلمات هو أن الأصل مسدغة ثم أبدلت السين صادا فصارت مصدغة، ثم أبدلت الصاد زايا فصارت مزدغة فالسين تمثل أقدم الألفاظ تاريخا والصاد تمثل الطور الثاني والزاي تمثل الطور الثالث والأخير.

٦ـ وهس، وهص ووهز: جاء في مادة وهص من اللسان «ابن شميل الوهص والوهس والوهز واحد وهو شدة الغمز.

وهذه المواد وأمثالها تمثل تطور الإبدال بين حروف الصفير.

---

(١) الخصائص (١/ ٣٧٤)، إعراب ثلاثين سورة في القرآن (٢٩)، المزهر للسيوطي (١/ ٢٦٣).
(٢) الإبدال (٢/ ١١٥).
(٣) المرجع السابق (٢/ ١٣٢).
(٤) المرجع السابق (٢/ ١٨١).

٧ـ «عسد وعصد وعزد» جاء في مادة «عزد» من اللسان «العزد والعصد الجماع عزدها يعزدها عزدا جامعها وفي «عسد»منه« والعسد لغة في العزد وهو الجماع، يقال عسد فلان جاريته وعزدها وعصدها إذا جامعها» ومثله ذكر في مادة «عصد» أيضا، فأصل هذه المواد عسد أبدلت السين صادا فكانت «عصد» ثم أبدلت الصاد زايا فصارت «عزد».

٨ـ ملس وملص وملز: جاء في ملز من لسان العرب «مَلَزَ الشيءُ عني مَلْزاً وأمّلز ومَلَّز: ذهب وتَمَلَّز من الأمر تَمَلُّزا وتملس تملسا خرج منه وأمّلز من الأمر وأمّلس إذا انفلت وقد مَلّزته ومَلّسته إذا فعلت به ذلك تمليزا فتَملّز وما كدت أتَملّص من فلان ولا أتملز منه أي أتخلص» ونفس المعنى تكرر في مادتي «ملص وملس» منه.

فأول هذه الألفاظ تاريخا هو ملس بالسين وآخرهن وأحدثهن ملز بالزاي وملص تمثل المرحلة الوسطى من تطور لفظة ملس.

٩ـ سيطر وصيطر وزيطر «جاء في مادة سطر من الصحاح» والمسيطر والمصيطر: المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله وأصله من السطر لأن الكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا».

ونلاحظ أن المعاجم ذكرت طورين لسيطر هما: مسيطر ومصطير أي طور السين وطور الصاد، لكن القراءات القرآنية قد جاءت بالأطوار الثلاثة طور السين وطور الصاد وطور الزاي وقد اجتمعت في قوله تعالى: ﴿**بمسيطر**﴾[1] من سورة الغاشية، حيث قرئ بالسين والصاد والزاي المفخمة[2].

---

(١) آية (٢٢).

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني.

١٠ـ سنخ وصنخ وزنخ: جاء في مادة زنخ من الصحاح: زنخ الدهن بالكسر يزنخ زنخا تغير فهو زنخ وفي «سنخ» منه «وسنخ الدهن بالكسر لغة في زنخ إذا فسد وتغيرت ريحه.

وأورد أبو الطيب في التبادل بين الزاي والصاد «زنخت الإهالة وصنخت أي تغيرت»[١].

فأصل هذه الكلمات سنخ أبدلت السين صادا فأصبحت صنخ، ثم أبدلت الصاد زايا فأصبحت زنخ.

١١ـ شرس وشرص وشرز: أورد ابن السكيت في التبادل بين الزاى والصاد: والشَّرْز والشَّرْص واحد وهو الغِلَظ[٢] وفي مادة «شرز» من الصحاح «الشرز: الشرس وهو الغلظ».

فيقال في هذه الألفاظ مثل ما قيل في التي قبلها.

١٢ـ شسب وشصب وشزب: جاء في مادة «شزب» من القاموس: الشازب الخشن والضامر واليابس وفي «شصب» منه «الشاسب اليابس ضمرا أو المهزول أو لغة في الشازب» وفي مادة «شصب» ذكر من معانيها «اليبس» فيقال في هذه الألفاظ بأنها تمثل تطور شسب.

١٣ـ نشس ونشص ونشز: في مادة «س ش ن» من الجمهرة: النشس لغة في النشز وهي الربوة من الأرض وقد قالوا: امرأة ناشس وناشص وناشز سواء» فأصل هذه الألفاظ نشس أبدلت السين صادا فكانت نشص ثم تحولت الصاد إلى زاي فنتجت نشز.

وقد جاء القرآن الكريم باللهجة الأخيرة بعد ما تم وكمل تطور هذه

---

(١) الإبدال (٢/ ١٣٣)

(٢) المرجع السابق (١٠٥).

اللفظة، قال الله تعالى: ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن**﴾[1].

١٤ـ عفس وعفص وعفز: جاء في مادة «عفس» من اللسان «وعفسه صرعه وعفسه أيضا ألزقه بالتراب وعفسه عفسا وطئه وثوب مُعَفَّس صبور على الدلك وعفس الأديم يعفِسه عَفْسا دلكه في الدباغ، والعفس الضرب على العجز وعفس الرجل امرأته ضربها على عجيزتها يعافسها وتعافسه وعافس أهله معافسة وعفاسا وهو شبيه بالمعالجة. والمعافسة المداعبة والممارسة يقال فلان يعافس الأمور أي يمارسها ويعالجها وفي «عفز» منه «العفز الملاعبة يقال بات الرجل يعافز امرأته أي يغازلها وهو من باب قولهم بات يعافسها فأبدل من السين زايا» وفي مادة «عفص» من القاموس «وعفصه يعفصه قلعه وفلانا أثخنه في الصرع ويده لواها وجاريته جامعها».

فأصل هذه المواد عفس أبدلت السين صادا فأصبحت عفص ثم أبدلت الصاد زايا فأصبحت عفز.

١٥ـ سدف وصدف وزدف: في مادة زدف من اللسان «يقال أسدف عليه الستر وأزدف الستر»، وفي سدف منه «أسدف الليل وأزدف إذا أرخى ستوره وأظلم»، وفي «صدف» منه أيضا «الصدف غشاء خلق في البخر تضمه صدفتان مفروجتان عن لحم فيه روح يسمى المحارة، وصدف الدرة غشاؤها».

وبعد هذا العرض من النصوص التي تبين من خلالها لهجات العرب في الكلمات التي وقع التبادل بينها في حروف الصفير فإني أستنتج ما يلي:

---

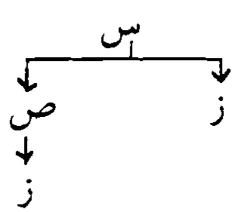
(١) النساء (٣٤).

١ـ السين تتحول إلى صاد وليس ذلك مقصورا أو مشروطا بتقدمها على حرف من حروف الاستعلاء بل قد وقع الإبدال في كلمات ليس فيهن حرف من حروف الاستعلاء وكل إبدال بين السين والصاد فالسين هي الأصل والصاد هي الفرع.

٢ـ الصاد تتحول إلى زاي مفخمة أو غير مفخمة.

٣ـ الكلمات التي وردت فيها ثلاث لهجات هي السين والصاد والزاي فإن التي وردت بالسين هي الكلمة الأصلية والتي وردت بالصاد أو الزاي هي الفرعية وهذا يدل على تدرج وتطور اللفظة حيث تمثل الكلمة التي تحتوي على السين المرحلة الأولى أو القديمة، والكلمة التي تحتوي على الصاد تمثل المرحلة الثانية أو الوسطى، والكلمة التي تحتوي علي الزاي تمثل المرحلة الأخيرة أو الحديثة.

٤ـ التبادل بين أصوات الصفير التي هي جزء من الأصوات الأسنانية اللثوية يتجه من الهمس إلى الجهر ومن الانفتاح إلى الإطباق بعكس أصوات الحلق التي يتجه الإبدال فيها من الجهر إلى الهمس مثل العين والحاء ويكون التبادل بين أصوات الصفير على النحو التالي:



٥ـ القرآن الكريم جاء بالصور الحديثة للكلمات العربية وهذا يدل على أن نزول القرآن قد جاء بعد مرحلة طويلة من تطور اللغة العربية وتخلصها من الثقل كما تقدم في الحديث عن حتى وعتى ومثل ما جاء

في نشس ونشص ونشز حيث جاء القرآن الكريم على الصورة الأخيرة نشز والتي تعد آخر مراحل مادة نشس ونلاحظ الصعوبة في نطق الكلمتين نشس ونشص.

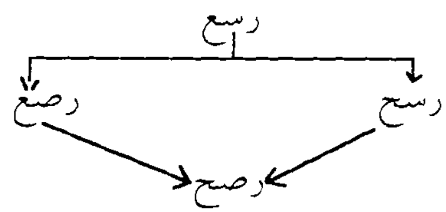
٦ـ القراءات القرآنية كل منها تمثل لهجة عربية وهذه اللهجة تمثل طورا من أطوار الكلمة في تاريخها الطويل.

وقد يحدث للكلمة الواحدة أكثر من إبدال في أكثر من حرف وأضرب لذلك مثلا «رسح، رصح، رصع، رسع» فإن هذه الكلمات الأربع تدل على معنى واحد وهذا يعني أن إحداهن أصل والأخر متفرعات عن ذلك الأصل فقد جاء في مادة حرص من الجمهرة «الرصح لغة في الرسح رجل أرصح وأرسح والمرأة رصحاء ورسحاء التي لا عجز لها وفي «رصع» منه «والرصع مثل الرسح سواء رجل أرصع وامرأة رصعاء وهو خفة المؤخرة وفي «رسح» منه «والرسح خفة لحم الأليتين ولصوقهما رسح يرسح رسحا والرجل أرسح والمرأة رسحاء وهو لصوق العجز وصغر الأليتين والذئب أرسح والرسح والرصح واحد»، وفي «رسع» من اللسان «والرسع ما شد به، ورسع به الشيء لزق، ورسعه الزقه، والرسيع الملزق».

فأصل هذه المواد هو «رسع» دخلها الإبدال من طريقين: طريق حروف الحلق وطريق حروف الصفير.

فعن طريق الإبدال بين حروف الحلق أبدلت العين من رسع حاء فأصبحت رسح وعن طريق حروف الصفير أبدلت السين من رسع صادا فأصبحت رصع ثم أبدلت السين من رسح صادا عن طريق التبادل بين حروف الصفير فأصبحت رصح.

وهذا المثال يظهر أثر الإبدال العظيم في تغير الكلمات حتى لنجد عدة كلمات هي في الحقيقة كلمة واحدة تبدلت أصواتها على مر الزمان وهذا الشكل يبين تطور كلمة رسع:



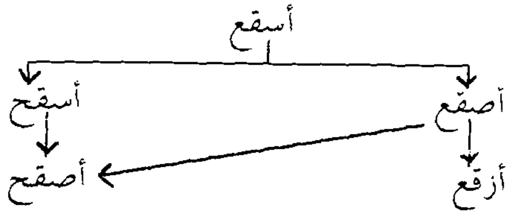
ومثال آخر هو «سقح وصقح وسقع وصقع وزقع» إذ جاء في مادة «ح ص ق» من الجمهرة «يقال رجل أصقح بالسين والصاد بين الصقح وهو الصلع لغة يمانية يسمون الصلعة الصقحة»، وفي مادة «ح س ق» منه «والسقحة لغة يمانية وهي الصلع يقال رجل أسقح من قوم سقح وفي «صقع» من اللسان: الصقع القزع في الرأس وقيل هو ذهاب الشعر، وفي «سقع» منه «كل ما يذكر في ترجمة صقع بالصاد فالسين فيه لغة»، وقال ابن جني: «وشاة زقعاء في صقعاء»[١].

فيكون أصل هذه الكلمات سقع وقد أخذت في تطورها طريقين: **الأول**: منهما طريق حروف الصفير حيث أبدلت السين صادا فأصبحت صقع، ثم أبدلت الصاد زايا فأصبحت زقع».

والثاني: طريق حروف الحلق حيث أبدلت العين من سقع حاء كما في التبادل بين العين والحاء من الحروف الحلقية فصارت «سقح» ثم أبدلت السين صادا كما هو في حروف الصفير فصارت «صقح».

(١) سر صناعة الإعراب (١/٢٠٨).

فيكون تطور هذه اللفظة على هذا النحو:



فأصقح ممكن أن تكون متطورة عن أسقح بإبدال السين صادا وممكن أن تكون متطورة عن أصقع بإبدال العين حاء.

التاء والدال والطاء

يطلق المحدثون من علماء الأصوات على هذه الحروف (الأصوات) الثلاثة التاء والدال والطاء اسم الأصوات الأسنانية اللثوية وهذا اللقب يشمل هذه الأصوات وغيرها من الأصوات التي تعرف بهذا الاسم كأحرف الصفير السين والصاد والزاي.

وهذه الحروف (التاء والدال والطاء) تخرج من مخرج واحد قال سيبويه محددا مخرجها: « ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء»[1].

وهذا يعني أنها تخرج من مخرج واحد وإنما تختلف باختلاف صفتها ووصف سيبويه لمخرج هذه الحروف (الأصوات) شبيه بوصف المحدثين الذين يعدون هذه الحروف من الحروف الأسنانية اللثوية.

وكذلك قد جعلها الخليل في مخرج واحد أيضا إذ قال: «ثم الطاء والتاء والدال في حيز واحد»[2].

وقد أطلق الخليل علَى هذه الحروف(الأصوات)مصطلح الأصوات النطعية حيث قال: «والطاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى»[3].

والمحدثون علماء الأصوات يرون أن هذا اللقب «الأصوات النطعية

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

(٢) العين (١/ ٦٥).

يناسب أصوات اللام والراء والنون وأنه أقرب إلى هذه الأصوات منه إلى الطاء والتاء والدال، يقول الدكتور إبراهيم أنيس في هذا الصدد: «أما تسميتهم« الدال والطاء والتاء» بالأصوات النطعية فيبدو أن هذا المصطلح قد جانبه التوفيق لأن النطع ـ كما شرحته المعاجم وكما يفهم من كلام هؤلاء العلماء ـ هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصوال الثنايا. . . . وتدل التجارب الحديثة على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصوال الثنايا بل ومعظم الثنايا من الداخل فهي أصوات أسنانية لثوية. ولو قد وضعوا هذا المصطلح للام والراء والنون لكانوا أقرب إلى الصواب»[١].

غير أنني ألاحظ أن قول الخليل: «لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى» يفهم منه أنه حدد البداية لهذه الأصوات ولم يحدد النهاية فلعل نهايتها الأسنان أو أصول الأسنان وبذلك تكون أسنانية لثوية فهو قد وصف جزءًا من مخرجها أو لعله كان يعتمد في وصفه للأصوات على أول نقطة يبدأ منها التقاء العضوين المكونين للصوت.

التاء: كما وصفه سيبويه: «حرف(صوت) شديد مهموس منفتح يخرج من بين طرف اللسان وأصول الثنايا وهذا شبيه برأي المحدثين الذين يرون أنه حرف (صوت) أسناني لثوي شديد (انفجاري) منفتح ينطق بأن تلتصق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا التصاقا يمنع مرور الهواء ورفع الطبق ليسد التجويف الأنفي مع عدم ذبذبة الوترين الصوتيين ثم يزال السد بانخفاض مقدمة اللسان فيندفع الهواء المحبوس إلى الخارج»[٢].

---

(١) الأصوات اللغوية (١٠٨).

(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٦).

والدال: هو النظير المجهور للتاء ولا فرق بينهما إلا أن الوترين الصوتيين يهتزان معها ولا يهتزان مع التاء فهو إذن: حرف (صوت) أسناني لثوي شديد (انفجارى) مجهور منفتح.

والطاء: كما وصفها سيبويه لا تفترق عن الدال إلا في الإطباق فهي تخرج من بين طرف اللسان وأصول الثنايا وصفاتها شديدة مجهورة مطبقة.

أما المحدثون من علماء الأصوات فيرون أنها النظير المفخم أو المطبق للتاء لا فرق بينهما إلا أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق عند نطق الطاء ولا ترتفع نحوه عند نطق التاء[1] فهي في رأيهم: صوت أسناني لثوي شديد (انفجاري) مهموس مطبق أو مفخم.

وهذا الاختلاف بين العلماء العرب القدامى والمحدثين ناتج عن اختلافهم في مصطلح الجهر والهمس حيث اعتمد المحدثون في معرفة المجهور من الهموس على ذبذبة الوترين الصوتيين أو عدم ذبذبتهما بينما اعتمد العلماء العرب القدامى في معرفة المجهور والمهموس على قوة الصوت بمعناه اللغوي وعلى ضغط الهواء الآتي من الرئتين على نقطة تلاقي أو تقارب العضوين المكونين للصوت وعلى امتلاء مجرى الهواء بالصوت وعدمه وقد مر ذلك في أثناء الحديث عن الجهر والهمس في صفات الحروف (الأصوات) وعلى هذين الاعتبارين نجد أن من عد الطاء مهموسة من المحدثين معتمدا على مصطلحه فهو مصيب فيما قال ومن قال أن الطاء مجهورة من القدماء معتمدا على مصطلحه فهو مصيب أيضا غير مخطئ ولكن ينبغي أن لا يحمل أحد المصطلحين على الآخر لأنهما مختلفان وإلا وقع خطأ عند كلا الفريقين.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٧).

التبادل بين التاء والدال

أثبتت النصوص إبدال العرب التاء دالا، من هذه النصوص أن فاء افتعل إذ كانت زايا أو ذالا أو دالا فإن للعرب فيها ثلاث لهجات هي:

١ـ إبدال التاء دالا وهو الأعم والأكثر في كلام العرب.

٢ـ إبدال التاء صوتا من جنس الفاء وإدغام المتماثلين وينسب إلى بني أسد .

٣ـ إبدال التاء دالا وإبدال الفاء دالا أيضا وإدغام المتماثلين في بعضهما وهذا خاص بالذال.

ودليل اللهجة الأولى والثانية إذا كان فاء افتعل زايا قول سيبويه: «والزاي تبدل لها مكان التاء دالا، وذلك قولهم: مزدان في مزتان لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال وهي مجهورة مثلها وليست مطبقة كما أنها ليست مطبقة ومن قال مصبر قال مزان»(١).

وقال الفراء مبينا اللهجتين الواردتين عن العرب في التاء إذا كان فاء افتعل زايا: « ولا تنكرن اختيارهم الحرف بين الحرفين فقد قالوا: ازدجر ومعناه ازتجر فجعلوا الدال عدلا بين التاء والزاي ولقد قال بعضهم مزجر فغلب الزاي كما غلب التاء»(٢).

وإذا كانت فاء افتعل دالا فإنه لا يجوز في التاء إلا إبدالها دالا وإدغام الدال في الدال لأن هذا يشمل إبدال التاء دالا وإبدالها من جنس

(١) الكتاب (٤/ ٤٦٨).
(٢) معاني القرآن (١/ ٢١٦) .

ما قبلها لأن ما قبلها دال.

قال سيبويه: «وكذلك الدال وذلك قولك ادّانوا من الدْين لأنه قد يجوز فيه البيان في الانفصال على ما ذكرنا من الثقل وهو بعد حرف مجهور فلما صار ههنا لم يكن له سبيل أن يفرد من التاء كما يفرد في الانفصال فيكون بعد الدال غيرها كما كرهوا أن يكون بعد الطاء غير الطاء من الحروف فكرهوا أن يذهب جهر الدال كما كرهوا ذلك في الذال»(١).

ودليل اللهجة الأولى والثانية والثالثة إذا كان فاء افتعل ذالاً قول سيبويه: «وكذلك تبدل الذال من مكان التاء أشبه الحروف بها لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزم ألاّ يُبينا إذ كانا يدغمان منفصلين فكرهوا هذا الإجحاف وليكون الإدغام في حرف مثله في الجهر وذلك قولك مُدّكر كقولك مُطّلم، ومن قال مظعن قال مذكر.... وإنما منعهم من أن يقولوا مذدكر كما قالوا مزدان أن كل واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال فلم يجز في الحرف الواحد إلا الإدغام والزاي لا تدغم فيها على حال فلم يشبهوها بها»(٢).

ويبدو أن سيبويه لا يجيز اللهجة الأولى وهي إبدال التاء دالا مع بقاء الذال التي هي فاء افتعل على طبيعتها ولكن هذه اللهجة قد تكلمت بها العرب، قال ابن جني: «وقد قلبوا تاء افتعل أيضا مع الذال لغير إدغام دالا حكى أبو عمرو عنهم اذدكر وهو مذدكر وقال أبو حكاك:

تنحى على الشوك جرازا مقضبا والهرم تذريه اذدراء عجبا(١)

وقد نسب الفراء اللهجة الثانية وهي إبدال التاء من جنس فاء افتعل

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٧١) (٢) المرجع السابق (٤/ ٤٧٠).
(٣) سر صناعة الإعراب(١/ ٢٠٢).

وإدغامها فيها إلى بني أسد إذ قال: «وإذا قلت مفتعل فيما أوله ذال صارت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة وبعض بني أسد يقولون مذّكر فيغلبون الذال فتصير ذالا مشددة»[١].

والذي يهمنا في هذا البحث هو إبدال التاء دالا وهو اللهجة الأولى إذا كان فاء افتعل دالا أو ذالا أو زايا، حيث التجأ العرب إلى الدال فرارا من التاء، والتاء قد أبدلت أيضا زايا أو ذالا وهذا معناه أن العرب يفرون من الهمس إلى الجهر في الأصوات الأسنانية اللثوية وقد تبين ذلك أيضا في أثناء التبادل بين أصوات الصفير ولعل هذا يشمل جميع الأصوات الأسنانية اللثوية.

ومن أدلة إبدال تاء الافتعال دالا إذا كانت الفاء زايا ما أورده ابن جني وهو قول الشاعر: :

إلا كعهدكم بذي بقر الحمى هيهات ذو بقر من المُزْدارِ[٢]

ومن كلام ذي الرمة في بعض أخباره «هل عندك من ناقة تزدار عليها ميا»[٣].

وقول رؤبة:

قولك أقوالا مع التحلاف فيه ازدهاف أيما ازدهاف[٤]

وتبدل تاء افتعل دالا إذا كانت الفاء جيما، قال ابن جني: «وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم في بعض اللغات، قالوا: اجدمعوا في اجتمعوا

---

(١) معاني القرآن (٣/ ١٠٧).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٠٠).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٠٠).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٠١)، مجموعة أشعار العرب ديوان رؤبة (١٠٠).

واجدز في اجتز [١] وأنشدوا:

فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع أصوله وأجدز شيحا[٢]

ومن أدلة إبدال التاء دالا قول سيبويه: « وقالوا فزد يريدون فزت»[٣] وقوله أيضا:

وقال بعضهم: عُدُّه يريد عدته شبهها بها في ادّان.... وقالوا نَقَدُّه يريدون نقدته»[٤].

وينسب إبدال التاء دالا إلى بني تميم، قال سيبويه: « ومن ذلك قولهم وَدّ وإنما أصله وتد وهي الحجازية الجيدة ولكن بني تميم أسكنوا التاء كما قالوا في فَخِذ فَخْذ فأدغموا»[٥].

وقد أكد ابن دريد نسبة هذه اللهجة إلى بني تميم بقوله في مادة «دوو» من الجمهرة «والود لغة تميمية وهو الوتد».

وفي مادة «زلب» من اللسان «ازدلب في معنى استلب وهي لغة رديئة» وفي هذا المثال دليل على تحول الصوت اللثوي الأسناني من الهمس إلى الجهر حيث تحولت السين والتاء المهموسان إلى الزاي والدال المجهورين.

وفي مادة «جلت» منه أيضا «الجليت لغة في الجليد وهو ما يقع من

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٠١).

(٢) وينسب هذا البيت إلى مضرس بن ربعي وقيل ليزيد بن الطثرية. ينظر شرح شافية ابن الحاجب(٤/ ٤٨٣)،لسان العرب مادة(جرز)،شواهد العيني على شرح الأشموني (٤/ ٣٣٢).

(٣) الكتاب (٤/ ٢٤٠).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٤٧٢).

(٥) المرجع السابق(١/ ٤٨٢).

السماء».

وفي مادة «تخرص» من اللسان: التِّخريص لغة في الدِّخْريص، وفي دخرص: الدخريص عُنَيْق يخرج من الأرض أو البحر.

وفي مادة «ت غ ف» من الجمهرة «يقال فتغت الشيء أفتغه فتغا إذا وطئته حتى ينشدخ مثل الفدغ أو نحوه».

ومما ذكره ابن السكيت في «باب الدال والتاء» ويقال. سبنداه وسبنتاه للجريئة، والدولج والتولج الكناس»[1].

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين التاء والدال«يقال مضى عتف من الليل وعدف من الليل أي قطعة من الليل[2]ويقال فلان بصتت هذا الأمر وبصدده والكنعت والكنعد هذا السمك المعروف، ويقال رجل صنديد وصنتيت إذا كان كريما[3]، وحكى الكسائي هو التفتر والدفتر وقال الفراء: والتفتر لبني أسد، ويقال أنتغ الرجل من الضحك وأندغ وانتتغ وانتدغ: إذا أفرط في الضحك، وقال الفراء: الزم سمتك وسمدك أي قصدك[4].

ومما ذكره أبو الطيب: «مر يكرتح ويكردح ويكلتح ويكلدح إذا مر يعدو»[5]، وهذه الكلمات أصلهن واحد هو كلتح ثم دخل الكلمة إبدالان: **الإبدال الأول** عن طريق الحروف اللثوية حيث تحولت اللام إلى راء فنتج عن ذلك كرتح، والإبدال الثاني عن طريق الحروف الأسنانية

(١) الإبدال (١٠٣).

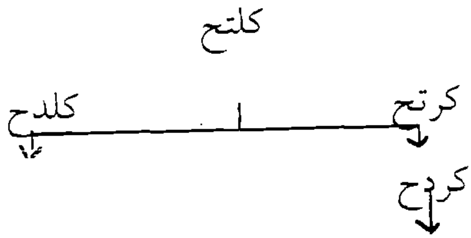
(٢) الإبدال (١/ ١٠٥).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٠٧).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٠٩).

(٥) المرجع السابق (١/ ١٠٢).

اللثوية حيث تحولت التاء إلى دال فنتج عن ذلك كلدح، فيكون تطور هذه الكلمة على النحو التالي:



يضاف إلى ذلك ما ورد بثلاثة أوجه هي التاء والدال والطاء .

التبادل بين التاء والطاء

جاءت النصوص مؤيدة إبدال العرب للتاء طاء من ذلك أن فاء افتعل إذا كانت أحد أصوات الإطباق الأربعة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء فإن للعرب في إبدال تاء الافتعال لهجات هي:

١ـ إبدال تاء الافتعال طاء وهو الأعم والكثير.

٢ـ إبدال تاء الافتعال صوتا من جنس الفاء وإدغامه في الفاء.

٣ـ إبدال تاء الافتعال طاء وإبدال الصوت المطبق وهو فاء الافتعال طاء أيضا وإدغام الطاء في الطاء وهو خاص بالضاد والظاء.

ودليل اللهجتين الأولى والثانية إذا كان فاء الافتعال صادا قول سيبويه «وقالوا في مفتعل من صبرت: مصطبر أرادوا التخفيف حين تقاربا ولم يكن بينهما إلا ما ذكرت لك، يعني قرب الحرف وصارا في حرف واحد ولم يجز إدخال الصاد فيها لما ذكرنا من المنفصلين فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالصاد وهي الطاء ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد من الحروف وليكون عملهم من وجه واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام»[١].

هذا دليل اللهجة الأولى، أما دليل اللهجة الثانية فهو قوله: « وأراد بعضهم الإدغام حيث اجتمعت الصاد والطاء فلما امتنعت الصاد أن تدخل في الطاء قلبوا الطاء صادا فقالوا مُصَّبر»[٢].

وهذا رأي سيبويه وهو إبدال تاء الافتعال طاء ثم إبدال الطاء صادا ثم إدغام الصاد في الصاد.

ولكن الحقيقة هي إبدال تاء الافتعال من جنس فاء الافتعال ثم يجري

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٦٧).　(٢) المرجع السابق (٤/ ٤٦٧).

الإدغام وما الداعي إلى إبدال التاء طاء ثم إبدال الطاء صاداً وإدغام الصاد في الصاد، بل قد جاء عن سيبويه أن الصوت الصفيري وهو السين تدغم فيه التاء إذ قال: « وتقول في مُستمع مُسَّمع فتدغم لأنهما مهموسان ولا سبيل إلى أن تدغم السين في التاء فإن أدغمت قلت مسمّع كما قلت مصبر حيث لم يجز إدخال الصاد في الطاء»[1] وقد قاس إبدال التاء سينا ثم إدغام السين في السين على إبدال الطاء صاد في مصطبر حتى أصبحت «مصبر» على حد زعمه، ولكن كان ينبغي أن يقيس «مصبر» على «مسمع» حيث أن التاء ابدلت صوتا صفيريا هو السين وفي مصبر نقول أبدلت التاء صوتا صفيريا هو الصاد.

وقد جاء في شرح المفصل لابن يعيش ما يثبت أن التاء في مصبر هي التي أبدلت صادا وليس الطاء المبدلة من التاء هي التي أبدلت صادا كما ذهب سيبويه إذ ورد« و من العرب من يبدل التاء إلى ما قبلها فيقول اصّبر يصّبر واضّرب يَضَّرب.... كان هؤلاء لما أرادوا تجانس الصوت وتشاكله قلبوا الحرف الثانى إلى لفظ الأول فأدغموه فيه لأنه أبلغ في الموافقة[2].

وقد نسب الفراء إبدال التاء من الافتعال حرفا مجانسا للفاء إلى عقيل حيث قال:«وسمعت بعض بني عقيل يقول: عليك بأبوال الظباء فأصّعطها فإنها شفاء للطحل فغلب الصاد على التاء»[3].

ودليل اللهجات الثلاث إذا كانت فاء افتعل ضادا قول سيبويه: «والضاد في ذلك بمنزلة الصاد لما ذكرت لك من استطالتها كالشين وذلك قولك مضطجع،وإن شئت قلت مضّجع،وقد قال بعضهم مطجع حيث كانت مطبقة ولم تكن في السمع كالضاد وقربت منها وصارت في كلمة

(١) الكتاب (٤/ ٤٦٨)   (٢) (٤٧/١٠).

(٣) معاني القرآن (١/ ٢١٦).

واحدة»[1].

وقال أيضا: «وقالوا في اضطجر اضّجر كقولهم مُصَّبر»[2].

ويريد سيبويه أن الطاء أدغمت في الضاد بعد إبدالها ضادا!.

ودليل إبدال التاء طاء من افتعل إذا كانت الفاء طاء قول سيبويه: «وإذا كانت الطاء معها يعني مع التاء فهو أجدر أن تقلب التاء طاء ولا تدغم الطاء في التاء فتخل بالحرف لأنهما في الانفصال أثقل من جميع ما ذكرناه ولم يدغموها في التاء لأنهم لم يريدوا إلا أن يبقى الإطباق إذ كان يذهب في الانفصال فكرهوا أن يلزموه ذلك في حرف ليس من حروف الإطباق وذلك قولك اطَّعنوا»[3].

واطعنوا يشمل اللهجتين الأولى والثانية، ومثل هذا قيل أيضا في فاء افتعل إذا كان دالا.

وقال سيبويه مبينا اللهجتين الأولى والثانية إذا كان فاء افتعل ظاء: «وكذلك الظاء لأنهما إذا كانا منفصلين يعني الظاء وبعدها التاء جاز البيان ويترك الإطباق على حاله إن أدغمت فلما صارا في حرف واحد ازدادا ثقلا إذ كانا يستثقلان منفصلين فألزموها ما ألزموا الصاد والتاء فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالظاء وهي الطاء ليكون العمل من وجه واحد . . . وكان ذلك أخف عليهم وليكون الإدغام في حرف مثله إذ لم يجز البيان والإطباق حيث كانا في حرف واحد فكأنهم كرهوا أن يجحفوا به حيث منع هذا وذلك قولهم مظطعن ومظطلم وإن شئت قلت مطعن ومطلم كما قال زهير:

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٧٠)

(٢) المرجع السابق (٤/ ٤٦٨)

(٣) المرجع السابق(٤/ ٤٧٠).

هذا الجواد الذي يعطيك نائله عفوا ويظلم أحيانا فيطلم

وكما قالوا يَطّنَ ويظطن من الظنة، ومن قال مُتَّرد ومُصَّبر قال مُطّعن ومطلم وأقيسهما مطعن ومطلم لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر.

ألا ترى أنك لو قلت من المنفصلين بالإدغام نحو ذهب به وبين له فأسكنت الآخر لم يكن إدغام حتى يسكن الأول فلما كان كذلك جعلوا الآخر يتبعه الأول ولم يجعلوا الأصل أن ينقلب الآخر فتجعله من موضع الأول»[١].

لكن سيبويه لم يذكر اللهجة الثانية وهي إبدال تاء الافتعال صوتا من جنس الفاء ثم إدغامه في الفاء وذلك مثل مظلم ومظن من ظلم وظن.

وقوله: ومن قال مترد ومصبر قال مطعن ومطلم يعني أن تاء الافتعال تبدل طاء ثم تبدل هذه الطاء صوتا من جنس الفاء فعنده مصبر كما تقدم عندما تكون الصاد فاء للافتعال أصلها مصتبر أبدلت التاء طاء فأصبحت مصطبر ثم أبدلت الطاء صادا من جنس الفاء فأصبحت بعد الإدغام مصبر لكن الذي حصل في مصبر هو أن تاء الافتعال أبدلت صادا ثم أدغمت الصاد في الصاد فأصبحت مُصبر أي إبدال التاء صوتا مجانسا للفاء وإدغامه فيه ومن قال مصبر قياسه أن يقول مظلم ومظن ومظعن لأنه يدغم تاء الافتعال في صوت الإطباق وهو الفاء، وأما مترد فأصله مثترد ومن ادغمها على حد مصبر قال مثرد فليست مترد مثل مصبر، وليست مطلم ونحوها مثل مصبر ومترد وبيت زهير قد روي باللهجات الثلاث إبدال تاء الافتعال طاء نحو فيظطلم، أو إبدال تاء الافتعال من

---

(١) الكتاب (٤/٤٦٩).

جنس الفاء وإدغامها فيه مثل فيظلم أو إبدال كل من التاء والفاء طاء وإدغام الطاء في الطاء مثل فيطلم[1].

ورأي سيبويه وهو أن تاء الافتعال لا تدغم في الفاء وإنما الذي يدغم في الفاء هو الطاء المبدلة من تاء الافتعال وعليه درج كثير من النحويين من بعده[2].

والغريب أن سيبويه قد أثبت أن الطاء والتاء والدال يدغمن في الصاد والزاي والسين ولكنه ذكرها في غير هذا الموضع حيث قال: «والطاء والدال والتاء يدغمن كلهن في الصاد والزاي والسين لقرب المخرجين لأنهن من الثنايا وطرف اللسان وليس بينهن في الموضع إلا أن الطاء وأختيها من أصل الثنايا وهن من أسفله قليلا مما بين الثنايا وذلك قولك: ذهبسّلمى وقسّمعت فتدغم وأضبزردة، وأنعصابرا فتدغم وسمعناهم ينشدون هذا البيت لابن مقبل:

فكأنما اغتبقصّبير غمامة بعرا تصفقه الرياح زلالا

فأدغم التاء في الصاد، وقرأ بعضهم ﴿**لا يسَّمَّعون**﴾[3] يريد لا يتسمعون والبيان عربي حسن لاختلاف المخرجين»[4].

فلما جاء الإدغام بين تاء افتعل وفائه إذا كان صادا جعل التاء تبدل طاء أولا ثم تبدل الطاء صادا وتدغم الصاد في الصاد مثل اصبر، ولو جعلها مثل ذهبسّلمى وقسّمعت لكان صوابا.

والمهم في هذا البحث هو إبدال التاء طاء وهو لهجة عامة العرب والذي فيه دلالة واضحة على أن العرب يفرون من التاء إلى الطاء. ومن

(١) شرح الأشموني (٤/ ٣٣١).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٣٣١).
(٣) الصافات (٨).
(٤) الكتاب (٤/ ٤٦٣).

أمثلة إبدال التاء طاء قول العرب في «يتطوعون يَطَّوَّعون» قال سيبويه: «ومما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد. . . . قولهم يَطَّوَّعون في يتطوعون»[١].

ومن الأدلة التي تثبت إبدال العرب للتاء طاء ما جاء في مادة «فلط» من اللسان «وأفلطني الرجل إفلاطا مثل أفلتني وقيل لغة في أفلتني تميمية قبيحة وقد استعمله ساعد بن جوية فقال:

بأصدق بأس من خليل ثمينة   وأمضى إذا ما أفلط القائمَ اليدُ

ومما يدل على أن العرب تغلب الطاء على التاء، إبدال تاء الفاعل طاء قال سيبويه مبينا ذلك «وقد شبه بعض العرب ممن ترتضى عربيته هذه الحروف الأربعة الصاد والضاد والطاء والظاء في فعلت، بهن في افتعل لأنه يبني الفعل على التاء ويغير الفعل فتسكن اللام كما أسكن الفاء في افتعل ولم تترك الفعل على حاله في الإظهار فضارعت عندهم افتعل وذلك قولهم: فحصطُ برجلي وحصطُ عنه، وخبطُّه وحفطُّه يريدون حصت عنه، وخبطته وحفظته وسمعناهم ينشدون هذا البيت لعلقمة بن عبدة:

وفي كل حي قد خبطّ بنعمه   فحق لشأس من نداك ذنوب

وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبها طاء لأن هذه التاء علامة الإضمار وإنما تجيء لمعنى»[٢].

ولو تأملنا السبب في إبدال التاء طاء لوجدناه ليس مقصورا على افتعل أو فعلت وإنما يخضع لقاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٧٤).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٤٧٢).

وهي الاتجاه من الانفتاح إلى الإطباق وقد مضى مثل هذا في حروف (أصوات) الصفير فيما سبق.

وهذه بعض المواد التي جاءت في المعاجم دالة على إبدال التاء طاء جاء في مادة غترف من اللسان «التغترف مثل التغطرف الكبر» وفي مادة تلع منه «وتلع الظبي والثور من كناسه أخرج رأسه وسما بجيده وأتلع رأسه أطلعه فنظر وأتلع رأسه إذا أطلع، وتلع رأسه نفسه» وفي مادة قطر منه أيضا «التقطر لغة في التقتر وهو التهيؤ للقتال»، وفي مادة «ت خ ل» من الجمهرة «اللتخ مثل اللطخ تلتخ وتلطخ».

وفي نوادر أبي مسحل «وطيء تقول قد غلت في حسابه يغلت غلتا وغيرهم غلط يغلط غلطا»[١].

ومما ذكره أبو الطيب «والعتعت والعطعط الجدي[٢] ويقال هتع إلينا يهتع هتعا وهطع ويهطع هطعا إذا أقبل مسرعا[٣] ويقال هتلت السماء تهتل هتلانا وهطلت تهطل هطلانا إذا صبت المطر وهو التهتال والتهطال ويقال سحائب هتل وهطل»[٤].

ويضاف إلى ذلك ما ورد بثلاثة أوجه هي التاء والدال والطاء.

---

(١) (١/ ٢٩٥).

(٢) الإبدال (١/ ١٢٧).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٣١).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٣٣).

التبادل بين الدال والطاء

ظهر من التبادل بين التاء والدال أن العرب تميل إلى تحويل التاء إلى دال ومن التبادل بين التاء والطاء أنهم يحولون التاء إلى طاء وكذلك يفعلون بالدال فيحولونها إلى طاء والعلاقة بين الدال والطاء وثيقة حيث يقول سيبويه: « ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا»[١].

ومما يدل على إبدال الدال طاء ما جاء في مادة «ر ط غ» من جمهرة اللغة «والطغر لغة في الدغر طغر ودغر سواء وهو رفع ورم في الحلق».

وفي مادة «قلعط» من اللسان: اقلعط الشعر: جعد كشعر الزنج وقيل اقلعط واقلعد وهو الشعر الذي لا يطول ولا يكون إلا مع صلابة في الرأس».

وفي مادة «قمعط» منه «اقمعد الرجل كاقمعط والمقمعد الذي تكلمه بجهدك فلا يلين لك ولا ينقاد وهو أيضا الذي عظم أعلى بطنه واسترخى أسفله».

وفي مادة «لدس» منه أيضا «والملدس لغة في الملطس وهو حجر ضخم يدق به النوى».

وفي نوادر أبي مسحل: «رجل ندس وندس ونطس ونطس وقد نطس نطسا وندس ندسا ويقال ندس الرجل إذا كان عالما بالأمر والخبر وكذلك النطس»[٢].

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٦).

(٢) (١/ ١٢٦).

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين الدال والطاء «ويقال بدغ الرجل يبدغ وبطع يبطغ إذا لطخ أسته بعذرته[1] ويقال ماله عندى إلا هذا فقط وإلا هذا فقد أي حسب، ويقال قدي من هذا وقطي وقطني وقدني أي حسبي[2].

ويقال أبعدته أبعد، إبعادا وأبعطته إبعطه إبعاطا ويقال طرده فما أبعد وما أبعط[3].

ويقال: ما أدري أي الدهم هو وأي الطهم هو أي: أي الناس هو ويقال قدقد في الأرض قدقدة وقطقط قطقطة إذا ذهب في الأرض، ويقال دحوت الشيء دحوا وطحوته طحوا ودحيته أيضا دحيا وطحيتة طحيا إذا بسطته[4]، ويقال سمعت دقدقة الحجر وطقطقة الحجر وهما حكاية صوته[5].

وزعموا أن الدخاء والطخاء في بعض اللغات واحد وهما الظلمة ويقال: ليلة دخياء وطخياء: أي مظلمة، أبو زيد القردع والقرطع قمل الإبل[6].

ويقال فرس أمرد وأمرط: إذا لم يكن له ثنة وهو الشعر المتدلي خلف حافره، واللدم واللطم واحد عن ابن الأعرابي[7].

---

(١) الإبدال (١/ ٣٧٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٧٣).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٧٤).

(٤) المرجع السابق (١/ ٣٧٥).

(٥) المرجع السابق (١/ ٣٧٦).

(٦) المرجع السابق (١/ ٣٧٧).

(٧) المرجع السابق (١/ ٣٧٨).

وفي مادة «ضرغط» من اللسان «وضرغط اسم جبل وقيل هو موضع ماء ونخل ويقال له أيضا ضرغد».

هذا بالإضافة إلى ما ورد فيه ثلاثة أوجه هي التاء والدال والطاء.

ما ورد بثلاثة أوجه هي التاء والدال والطاء

لقد سبق أن تبين أن العرب يحولون التاء إلى الدال أو إلى طاء وأنهم يحولون الدال إلى طاء، وهذا يعني أنهم يفرون من التاء إلى الطاء أو إلى الدال ومن الدال إلى الطاء فإذا وجدت ثلاث كلمات متساويات في عدد الحروف وترتيبها بحيث لا يختلفن إلا بأن تكون إحداهن تحتوي على التاء والأخرى على الدال والثالثة على الطاء فإن التي تحتوي على التاء هي الأصلية واللتين تحتويان على الدال والطاء هما الفرعيتان، وبمعنى آخر التى تحتوي على التاء تمثل المرحلة الأولى من تاريخ الكلمة والتي تشتمل على الدال تمثل المرحلة الثانية أو الوسطى، والتي تضم الطاء تمثل المرحلة الأخيرة أو الحديثة .

وسأورد هنا بعض الأمثلة التي توضح هذا التطور أو الإبدال الذي يخضع للقاعدة العامة للإبدال بين الأصوات الأسنانية اللثوية وهو الاتجاه من الانفتاح إلى الإطباق ومن الهمس إلى الجهر وقد تقدم جزء منه في حروف الصفير وجزء منه يمثله التبادل بين أصوات «التاء والدال والطاء».

من هذه الأمثلة ما يلي:

١ ـ هرت وهرد وهرط، قال أبو الطيب في التبادل بين التاء والدال «ويقال هرت القصار الثوب وهرده: إذا خرقه».

وثوب مهرود ومهروت، ويقال: هرت عرضه يهرته هرتا وهرده يهرده هردا إذا سبه[1] وقال في التبادل بين التاء والطاء: « هرت ثوبه يهرته

(١) الإبدال (١٠١/١).

هرتا وهرطه يهرطه هرطا إذا شقه وكذلك هرت عرضه يهرته هرتا وهرطه يهرطه هرطا: إذا سبه وهو الهرت والهرط»[1].

ومثل هذه المعاني وردت في مواد«هرت وهرد وهرط»من لسان العرب.

وهذه الكلمات أصلهن واحدة والأخريان متفرعتان عنها والملاحظ أن الأصوات اللثوية الأسنانية تتجه من الانفتاح إلى الإطباق ومن الهمس إلى الجهر فيكون بناء على ذلك الأصل من هذه الكلمات هو «هرت» وهي تمثل المرحلة الأولى ثم تحولت التاء إلى دال أي من الهمس إلى الجهر فأصبحت «هرد» ثم تحولت الدال إلى طاء أي من الانفتاح إلى الإطباق فأصبحت «هرط».

٢ـ «مت ومد ومط» قال أبو الطيب في التبادل بين التاء والطاء ويقال مط الحرف ومده ومته بمعنى واحد[2]، وجمع الزجاجي هذه الألفاظ الثلاثة تحت عنوان «باب التاء والدال والطاء» بقوله: «مد يمد مدا ومط يمط مطا ومت يمت متا» ثم أورد قول الراعي:

فدعى مط حاجبيك وعيشي ... معنا بالرجاء والتأمال

قال ويروي «مد ومت»[3].

وذكر مثل هذا في مواد «مت ومد ومط» من اللسان.

فهذه الألفاظ تمثل تطور «مت» إذ الأصل مت ثم أبدلت التاء دالا فصارت «مد» ثم أبدلت الدال طاء فصارت «مط» وهذا الإبدال خاضع

(١) الإبدال (١/ ١٣٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٢٦).

(٣) الإبدال والمعاقبة والنظائر (٤٠).

لقاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية.

٣ـ لتح ولدح ولطح: ذكر أبو الطيب في التبادل بين التاء والدال «ويقال لتحه بيده يلتحه لتحا ولدحه يلدحه لدحا إذا ضربه»[١].

وقال في التبادل بين التاء والطاء «ويقال لتحه بيده يلتحه لتحا وكذلك بالعصا ولطحه يلطحه لطحا إذا ضربه»[٢].

فأصل هذه الكلمات «لتح» وهي تمثل المرحلة الأولى من تاريخ هذه اللفظة ثم أبدلت التاء دالا أو تحول الصوت المهموس إلى صوت مجهور فأصبحت «لدح» ثم أبدلت الدال طاء أو تحول الصوت المنفتح إلى صوت مطبق فنتج عن ذلك «لطح» وهي تمثل المرحلة الأخيرة أو الحديثة من تاريخ اللفظة.

٤ـ قت وقد وقط ذكر الزجاجي هذه الألفاظ تحت عنوان: باب التاء والدال والطاء إذ قال: «وقط يقط قطا، وقد يقد قدا، وقت يقت قتا»[٣].

ويقال في هذه الألفاظ مثل ما قيل في سابقتها إذ الأصل قت ثم أبدلت التاء دالا فأصبحت قد ثم أبدلت الدال طاء فأصبحت قط أو نقول تحول الصوت المهموس وهو التاء إلى صوت مجهور وهو الدال فنتج عن ذلك «قد» وتحول الصوت المنفتح وهو الدال إلى صوت مطبق وهو الطاء فنتج عن ذلك «قط» وهذه قاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية.

٥ـ والإبدال قد يتناول الكلمة من عدة جوانب فيجعلها بعيدة عن أصلها أو يجعلها متفرعة إلى عدة كلمات قد يبدو للقارئ أن بعضها ليس

---

(١) الإبدال (٢/ ٦ - ١).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٣١).

(٣) الإبدال والمعاقبة والنظائر (٤١).

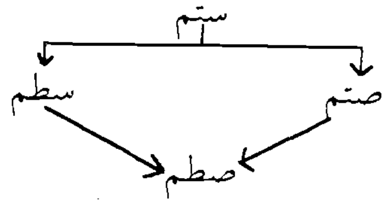
متفرعا عن بعض غير أن الناظر المتفحص سيجد علاقة وثيقة بين هذه الكلمات التي تفرعت عن أصل واحد ويمكنه إرجاعها إلى ذلك الأصل الذي تفرعت عنه بعد أن يتبين له تطورها والخطوات التي سارت عليها في أثناء رحلتها التاريخية الطويلة وكل كلمة من هذه الكلمات تمثل مرحلة من مراحل الكلمة الأصلية.

من هذه الأمثلة أو الكلمات ما ورد في لسان العرب في عدة مواد متفرقة وهي:

مادة «سطم» إذ جاء فيها «وسُطُمَة البحر والحسب وأسْطُمَته وأُسْطُمه وسطه ومجتمعه: والجمع الأساطم، وتميم تقول أساتم تعاقب بين الطاء والتاء فيه، والأسطم مجتمع البحر، وأُسْطُمَة كل شيء معظمه وهو في أسْطُمَة قومه أي في سِرِّهم وخيارهم، وقيل في وسطهم وأشرافهم»، ومادة «صتم» حيث جاء فيها «والأصتمه معظم الشيء تميمية التاء فيها بدل من الطاء، وفلان في أصتمة قومه مثل أصطمتهم، والأصاتم جمع الأصطمة بلغة تميم جمعوها بالتاء كراهة تفخيم أصاطم فردوا الطاء إلى التاء.

ومادة «صطم» إذ وردت فيها «الأصطمة والأصطم لغة في الأسطمة والأسطم في جميع ما تصرف منه» من هذه النصوص اجتمعت أربع مواد هي «ستم، صتم، سطم، صطم» وهذه الكلمات تمثل تاريخا طويلا لكلمة واحدة وهذه الكلمة قد اعتورها التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية، الصفيرية وحروف «ت د ط» وإذا أردنا أن نبحث عن أصل هذه الكلمات فسيقع الاختيار على كلمة «ستم» وهذه الكلمة دخلها الإبدال عن طريق الأصوات الأسنانية اللثوية، وذلك عن طريق أصوات الصفير بإبدال السين صادا وعن طريق أصوات «ت د ط» بإبدال التاء طاء،

فيكون تطورها على الشكل التالي:



٦ـ وقد يتناول الإبدال جميع أصوات الكلمة ويسير بها في اتجاهات مختلفة ويجعلها تتفرع إلى عدة كلمات غير أن العالم بالتبادل بين الأصوات في اللغة العربية يدرك العلاقة بين هذه الكلمات العديدة ويرجعها إلى كلمة واحدة ويرى الطرق التي سلكتها هذه الكلمة في أثناء تغيراتها التاريخية وهي طرق منتظمة.

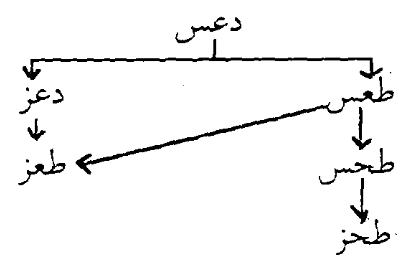
مثال ذلك ما ذكره أبو الطيب في التبادل بين الحاء والعين إذ قال «ويقال بات الرجل يطحز امرأته طحزا ويطعزها طعزا ويطحسها طحسا ويطعسها طعسا»[١]، وقال في التبادل بين الزاي والسين«بات الرجل يطحز امرأته طحزا ويطحسها طحسا: إذا جامعها»[٢].

وقال ابن دريد في مادة «ح س ط» من جمهرة اللغة «والطحس والطحز يكنى به عن الجماع طحز وطحس طحزاً وطحساً»، وقال أبو الطيب في التبادل بين الدال والطاء «ويقال دعز الرجل امرأته دعزا وطعزها طعزا: أي جامعها، وكذلك: دعسها دعسا وطعسها طعسا كل ذلك يكنى به عن الجماع»[٣].

فقد اجتمع من هذه النصوص ست كلمات كلهن بمعنى واحد وهي

(١) الإبدال (١/ ٢٩٧).
(٢) المرجع السابق (٢/ ١١٦).
(٣) المرجع السابق (١/ ٣٧٧).

«دعس، طعس، طحس، طحز، دعز، طعز» والعلاقة الصوتية وثيقة بين هذه الكلمات وكلهن راجعات إلى كلمة واحدة وقد دخلها التغيير في أصوات الحلق والأصوات الأسنانية اللثوية وهي أصوات الصفير وأصوات «ت د ط» وكل هذه التغييرات خاضعة لقاعدة التبادل بين تلك الأصوات فما أصل هذه الكلمات وكيف تغيرت حتى وصلت إلى هذه الصور المتعددة؟ أصل هذه الكلمات هو «دعس» وقد تناولها التغيير في صوتها الأول وهو«الدال» حيث تحول إلى طاء وهذا خاضع لقاعدة التبادل بين أصوات«ت د ط»، ودخلها التغيير في صوتها الأوسط أو الثاني وهو العين حيث تحولت إلى حاء وهذا خاضع لقاعدة التبادل بين الأصوات الحلقية ودخلها التغيير في صوتها الأخير أو الثالث حيث تحولت السين إلى زاي وهذا خاضع للتبادل بين الأصوات الصفيرية والتي هي جزء من الأصوات الأسنانية اللثوية فيكون تطور الكلمة قد شمل ثلاثة طرق كل واحد منها يسير في اتجاه معين وهذه الطرق هي: أصوات الحلق، أصوات الصفير، وأصوات «ت د ط» ويمكن أن يطلق على الطريقين الأخيرين؛ وهما أصوات الصفير وأصوات «ت د ط» طريق الأصوات الأسنانية اللثوية، فيكون تطور هذه اللفظة على الشكل التالي:



ويتضح من هذا اتجاه الإبدال في أصوات الحلق وهو الاتجاه من الجهر إلى الهمس كما يتضح مسار الإبدال بين الأصوات الأسنانية اللثوية وهو الاتجاه من الهمس إلى الجهر ومن الانفتاح إلى الإطباق.

أثر هذا الإبدال في اللهجات الحديثة

لقد أثبتت اللهجات الحديثة إبدال التاء دالا وطاء وإبدال الدال طاء وهي قاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية ففي لهجة صنعاء وما جاورها باليمن تبدل التاء دالا إذ يقولون «دجاه يدكي في تجاه ويتكي»[١]

ويقولون: «دجي، دجعل» في «تجيء وتجعل»[٢].

ويقولون: «ددرب، دبجح دبختر» في« تدرب، تبجح، تبختر»[٣].

ومثل هذا في لهجة أقليم ساحل مريوط بجمهورية مصر العربية إذ يقولون دجي في تجيء[٤].

وتبدل الدال طاء في لهجة صنعاء وما حولها إذ يقولون: سعط الله، بعط الله، عبط الله في« سعد الله، بعد الله، عبد الله »[٥].

وبعد هذا العرض للتبادل بين التاء والدال والطاء فإن هذه الأصوات تخضع لقانون مطرد وهو تحول التاء إلى دال أو طاء، وتحول الدال إلى طاء وهذا القانون يجري على الأصوات الأسنانية اللثوية وهو الاتجاه من الهمس إلى الجهر ومن الانفتاح إلى الإطباق.

---

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين (٢٤).

(٢) المرجع السابق (٤٣).

(٣) المرجع السابق (٥٨).

(٤) لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر (٧٢).

(٥) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية (٢٦).

الثاء والذال والظاء والضاد

لقد جمعت بين هذه الأصوات الأربعة لأنه قد وقع التبادل بينها جميعا.

والأصوات الثلاثة الأولى يطلق عليها اسم الأصوات الأسنانية قال سيبويه: «ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء»[1].

والذي أطلق عليها هذا الاسم هم المحدثون أما سيبويه فإنه اكتفى بوصف مخرجها بأنه من بين طرف اللسان وأطراف الأسنان، والخليل بن أحمد يُسمي هذه الأصوات لثوية حيث يقول: «والظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة»[2].

ولكن الخليل يصف مبدأ هذه الأصوات أنه من اللثة ولكنه لم يصف نهايتها فهو يصف جزءًا من مخرجها فلعل نهايتها تكون بين الأسنان وقد سبق في تعريفه للأصوات النطعية فهو يصف مبدأ المخرج ولا يصف نهايته ولكن وصف سيبويه أوضح وهو ماتؤيده التجارب الصوتية الحديثة.

الثاء: صوت أسناني رخو«احتكاكي»مهموس منفتح ينطق بأن يوضع طرف اللسان بين أطرف الثنايا بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء ويكون معظم جسم اللسان مستويا ويرفع الطبق ليسد المجرى الأنفي بأن يلتصق بالحائط الخلفي للحلق ويتم ذلك كله مع عدم ذبذبة الوترين الصوتيين[3].

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

(٢) العين (١/ ٦٥).

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب (٤٥).

الذال: صوت أسناني رخو «احتكاكى» مجهور منفتح، وهو النظير المجهور للثاء ويتم نطقه بنفس الطريقة التي ينطق بها الثاء مع فارق واحد هو أن الوترين الصوتيين يهتزان عند نطق الذال ولا يهتزان عند نطق الثاء[1].

الظاء: صوت أسناني رخو «احتكاكي» مجهور مطبق فهو النظير المطبق للذال لذلك قال سيبويه: «ولولا الإطباق لصارت الظاء ذالا»[2].

وينطق بنفس الطريقة التي ينطق بها الذال مع فارق واحد هو: أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق مع الظاء ولا ترتفع مع الذال[3].

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب (٤٥).

(٢) الكتاب (٤/ ٤٣٦).

(٣) المدخل إلى علم اللغة (٤٥).

التبادل بين الثاء والذال

تبين من التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية أنها تتحول من الهمس إلى الجهر ومن الانفتاح إلى الإطباق وهذا الأمر ينطبق أيضا على الأصوات الأسنانية وهذا معناه أن الثاء تتحول إلى الذال، والذال تتحول إلى الظاء.

وقد جاء ما يثبت أن الثاء تتحول إلى ذال ففي مادة «ذفرق» من اللسان الذفروق لغة في الثفروق «والثفروق والذفروق قمع البسرة»[1].

ومما أورده ابن السكيت في التبادل بين الثاء والذال «النبيثة والنبيذة»[2].

وفي مادة «نبذ» من لسان العرب «ونبيذة البئر نبيثتها وزعم يعقوب أن الذال بدل من الثاء.

وفي مادة «جذا» منه «وقيل الجاذي كالجاثي، وجذا وجثا لغتان بمعنى ثبت قائما وكل من ثبت قائما فقد جذا ويقال جذا مثل جثا».

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين الثاء والذال «ويقال امرأة قرثع وقرذع وهي البلهاء، الهثرمة والهذرمة كثرة الكلام واختلاطه ويقال قد لاث به يلوث ولاذ به يلوذ بمعنى واحد[3].

ويقال اتبعته أقثه قثا وأقذه قذا وهو أن تكون قريبا منه وأنت تطلبه،

---

(١) الإبدال لأبي الطيب (١/ ١٦٢).
(٢) الإبدال (١٠٨).
(٣) الإبدال (١/ ١١٦١).

ويقال تمر فث وفذ: إذا كان متفرقا لا يلزم بعضه بعضا[1].

وفي مادة «ذعب» من اللسان: قال الأصمعي رأيت القوم مذعابين كأنهم عرف ضبعان ومثعابين بمعناه، قال الأزهري: وهذا عندي مأخوذ من انثعب الماء وانذعب إذا سال واتصل جريانه في النهر قلبت الثاء ذالا».

وفي مادة «ح ذ ك» من جمهرة اللغة: كذحته الريح إذا ضربته بالحصى والتراب مثل كثحته.

وفي «ح ذ ل» منه «والحذالة مثل الحثالة وهي حطام التبن ونحوه».

وفي مادة «قثم »من اللسان: وقيل قثم له أعطاه دفعة من المال جيدة مثل قذم وغذم وغثم.

ومما ذكره ابن السكيت في التبادل بين الثاء والذال: ويقال قرأ فما تلعثم وما تلعذم، خرجت غثيثة الجرح وغذيذته إذا خرجت مدته وما فيه وقد غث يغث وغذ يغذ[2].

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين الثاء والذال «ويقال رجل كنابث وكنابذ وهو المتداخل بعضه ببعض وقد تكنبث وتكنبذ: إذا تجمع وتقبض، وقالوا الغثمة والغذمة من الألوان غبرة كدرة يقال، إنه لأغثم وأغذم بين الغثمة والغذمة[3].

وهكذا فإن الثاء تتحول إلى ذال كما تحولت التاء إلى دال وهذا القانون أي تحول الأصوات من الهمس إلى الجهر تسلكه جميع الأصوات الأسنانية في التبادل بينها كما سلكته الأصوات الأسنانية اللثوية.

(١) الإبدال (١/ ١٦٢).

(٢) المرجع السابق (١٠٨).

(٣) الإبدال (١/ ١٦٣).

التبادل بين الذال والظاء

الذال مثل الظاء في كل شيء إلا في الإطباق حيث إن الظاء من الأصوات المطبقة والذال من الأصوات المنفتحة.

والقوانين الصوتية والتبادل بين الأصوات الأسنانية يؤيد أن الذال تتحول إلى ظاء فمما يدل على إبدال الذال ظاء ما جاء في مادة «خظرف» من لسان العرب «خظرف البعير أسرع ووسع الخطو لغة في خذرف» وفي «خذرف» منه «الخذروف السريع المشي وقيل السريع في جريه».

وقال ابن جني حول الذال والظاء: «ويقال تركته وقيذا ووقيظا والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه ﴿**والموقوذة**﴾[1] بالذال ولقولهم وقذه يقذه ولم أسمع وقظه ولا موقوظه فالذال أعم تصرفا فلذلك قضينا بأنها هي الأصل»[2].

لكن نظرية ابن جني في تأصيل الكلمات تقوم على كثرة الاستعمال وقلته فالتي تكون أكثر استعمالا هي الأصل والذي يظهر لي من مقارنات النصوص الواردة في التبادل بين الأصوات الأسنانية، والأصوات الأسنانية اللثوية يثبت أن هذه الأصوات تتحول من الهمس إلى الجهر ومن الانفتاح إلى الإطباق كما تحولت الدال إلى طاء وهنا تحولت الذال إلى ظاء لأن الإطباق مسلك تتميز به اللغة العربية وأخواتها اللغات السامية ثم إن كثرة

---

(١) المائدة (٣).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٣٣).

الاستعمال ليست دليلا على الأصل لأن العرب قد تترك الأصل لثقل فيه أو لتطور حدث له وتستعمل الفرع أكثر من استعمالها للأصل كما في استعمالها لهراق بدلا من أراق وحتى بدلا من «عتى» ولكثرة الاستعمال وقلته حكم ابن جني بأن هتل وهتن أصلين لتساويهما في الاستعمال والحق أن أحدهما فرع عن الآخر حيث إن الأصل هتل والفرع هتن لأن قاعدة التبادل بين الأصوات اللثوية يتحول فيها اللام إلى النون كما سبق.

وأورد أبو الطيب في التبادل بين الذال والظاء «ويقال أقبلت تخنظي وتخنذي إذا رفعت صوتها بالوقيعة وامرأة خنذيان وخنظيان إذا كانت تسخر من الناس وتوسد بينهم وتقع فيهم»(١).

هذا بالإضافة إلى وجود إبدال الذال ظاء في اللهجات الحديثة وسنتحدث عنه بعد الانتهاء من التبادل بين هذه الأصوات.

---

(١) الإبدال (٢/٢١).

الظاء والضاد

هذات الحرفان (الصوتان) مما امتازت بهما اللغتان: اللغة العربية الشمالية ويقصد بها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم واللغة العربية الجنوبية ويقصد بها اللغة اليمنية القديمة وقد فرق بينهما خط المسند وهو الخط الذي كتبت به اللغة اليمنية القديمة حيث جعل لكل منهما رمزا يختص به ويميزه عن الآخر فرمز للظاء بهذا الرمز () ورمز للضاد بهذا الرمز ()[1].

وقد وصف سيبويه الضاد بقوله: «ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد»[2].

وهي كما وصفها سيبويه صوت مجهور رخو «احتكاكي» مطبق.

وقد وصف المبرد مخرج الضاد بأنه من الشدق الأيمن أو الأيسر قال عندما كان يتحدث عن مخرج الشين «ويليها مخرج الجيم ويعارضها الضاد ومخرجها من الشدق فبعض الناس تجري له في الأيمن وبعضهم تجري له في الأيسر»[3].

وقال ابن جني مؤكدا هذه النقطة وهي أن الضاد تخرج من أحد الشدقين.

«ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر»[4].

---

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (٣٧)، اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام لأحمد شرف الدين (٧٣)، تاريخ اللغات السامية أ. ولفنسون (٢٤٢).

(٢) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

(٣) المقتضب (١/ ١٩٣).

(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ٥٢).

ويفهم من وصف المبرد وابن جني لمخرج الضاد أنها تخرج من أحد الشدقين الأيمن أو الأيسر غير أن سيبويه قد وصف الضاد الضعيفة بهذا الوصف حين قال: « إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه، وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين. وهي أخف لأنها من حافة اللسان وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فستطيل حين تخالط حروف اللسان فسهل تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت كذلك في الأيمن»[(١)].

ولعله أراد أن يبين وصف الضاد الضعيفة وأنها تتكلف في مخرج الضاد الفصيحة ولكن قوله: « وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة. . . » يشير إلى أن الضاد الضعيفة إذا تكلفت من الجانب الأيسر تكون أخف وكأن مخرج الضاد الفصيحة من الجانب الأيمن بل قد جاء ما يثبت أن الضاد الضعيفة تخرج من الجانب الأيسر ففي شرح شافية بن الحاجب لرضى الدين قال سيبويه تكلف الضعيفة من الجانب الأيسر أخف قال: السيرافي لأن الجانب الأيمن قد اعتاد الضاد الصحيحة وإخراج الضعيفة من موضع اعتاد الصحيحة أصعب من إخراجها من موضع لم يعتد الصحيحة»[(٢)].

وتوصف الضاد بأنها حرف مستطيل أي أن مخرجه يمتد حتى يتصل بحروف طرف اللسان وهي الحروف الأسنانية. والأسنانية اللثوية قال

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣)

(٢) (٣/ ٢٥٧).

سيبويه عندما كان يتحدث عن إدغام لام المعرفة «ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا. وهذه الحروف أحد عشر حرفا منها حروف طرف اللسان وحرفان يخالطان طرف اللسان»[1]، ثم عدد حروف طرف اللسان ثم بين الحرفين اللذين خالطا اللام بقوله: «واللذان خالطاها الضاد والشين لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام»[2].

فتبين من وصف الضاد كما وصف سيبويه والعلماء العرب من بعده، أنها حرف (صوت) يخرج من حافة اللسان ويمتد حتى يصل إلى طرفه أنه يخرج من الشدق الأيمن أو الأيسر وهو رخو مجهور مطبق.

ولكن الخليل قد وصف الضاد بأنها شجرية إذ يقول: « والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي من مفرج الفم»، وقد قرنها بالجيم والشين وجعلها من مخرج واحد ولكن ما ورد من مخارج الحروف في كتاب العين نلاحظ أن الخليل يصف مبدأ الحروف من جهة الحلق والاتجاه إلى الفم وهو يصف مبدأ الصوت من هذه الناحية ولا يحدد نهاية لأن الضاد مثلا تبدأ من حافة اللسان وتنتهي بطرفه أما الخليل فهو يكتفي بوصف أول نقطة يلتقي بها العضوان المكونان للصوت ولذلك يقول دائما «مبدؤها» ويفهم من هذا أن نهايتها غير مبدئها وأن للصوت بداية ونهاية.

ولا شك أن العرب كانت تفرق بين هذين الصوتين تفريقا واضحا في الرسم والنطق وقد ظهر الفرق بينهما جليا في النقوش اليمنية التي كتبت بالخط المسند، وإنما سبب الخلط بينهما هو فساد اللغة ولعل ذلك

(١) الكتاب (٤/ ٤٥٧).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٤٥٧).

(٣) العين (١/ ٦٥).

كان نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى، وقد وضح القاضي محمد بن نشوان في مختصره الذي ألفه في الفرق بين (الضاد والظاء) أن العرب كانت تميز بين هذين الصوتين تمييزا واضحا وأن من علامات هذا التمييز أن الضاد قد تميل إلى الشين والظاء قد تميل إلى الثاء حيث قال: «اعلم أن بين الضاد والظاء فرقا واضحا في اللفظ والمخرج والخط، فأما اللفظ فصميم العرب لا يخلطون بعضهما ببعض ويميزون أحدهما عن الآخر فلا يقع عندهم بينهما اشتباه، كما لا يشتبه سائر الحروف، حتى أن بعضهم يميل في نطق الضاد إلى الشين لقرب مخرج الشين من مخرج الضاد وبعضهم يميل في النطق بالظاء إلى الثاء لقرب مخرجها منها وأما في المخرج فإن الجيم والضاد والشين شجرية . . . وأما في الخط فالفرق بينهما أبين من أن يذكر وأشهر من أن يذكر وعند من يعرف الفرق بينهما وأما من لا يعرف ذلك فيهوي في هوى المهالك ويكتب الضاد بصورة الظاء والظاء بصورة الضاد ويكون إصلاحه كالإفساد وعلى هذا أكثر كتاب هذا الزمن . . . والذي أوقعهم في ذلك فساد ألسنتهم بالنطق بهما في مخرج متفق، والجهل بالتفرقة بينهما في المنطق وقلة معرفتهم بلغة العرب»[1].

ومن هذه النصوص يتضح أن صوت الضاد محصور بين الشين واللام والذين ألفوا في الفرق بين الظاء والضاد إنما يعمدون إلى جمع الكلمات التي تحتوي على الظاء أو الضاد أو كليهما ويجعلونها في كتب ومختصرات لكي تحفظ ويمكننا أن نحصر الطرق التي اتبعوها في التفرقة بين هذين الصوتين في أربعة مسالك هي:

المسلك الأول: جعل المؤلف قسمين القسم الأول يشمل الكلمات

(١) الفرق بين الضاد والظاء (٣).

المحتوية على الضاد، والقسم الثاني يشمل الكلمات المحتوية على الظاء، وقد تذكر بعد هذين القسمين الكلمات التي جاءت بالضاد والظاء، وهي على وزن واحد وبمعنى واحد، وكذلك الكلمات التي جاءت بالضاد والظاء وهي على وزن واحد وبمعنى مختلف ولكن هذا قليل إذ إن الأغلب أن يكون المؤلف قسمين قسم للضاد وقسم للظاء مثل كتاب في معرفة الضاد والظاء لأبي الحسين على بن أبي الفرج بن أحمد القيسي الصقلي.

المسلك الثاني: جمع الكلمات التي تحتوي على الظاء والضاد وتكون متساوية في الوزن والترتيب بحيث لا تختلف الكلمتان إلا بأن تحتوي إحداهما على الضاد والأخرى على الظاء ولكن هذه الكلمات وإن كانت متفقة في الوزن إلا أنها مختلفه في المعنى ثم ترتيب هذه الكلمات حسب الترتيب الهجائي بحيث يذكر تحت كل حرف الكلمات التي تبدأ بذلك الحرف حيث تذكر اللفظة مرتين إذا كانت مشتملة على ضاد وإذا كانت مشتملة على ظاء ثم يبين الفرق بين معنى الكلمة حين تحتوي على الظاء ومعناها حين تحتوي على الضاد ومن المؤلفات التي سلكت هذا المسلك الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لابن مالك والفرق بين الضاد والظاء لأبي القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني.

المسلك الثالث: أن يكون المُؤَلَّف قسمين القسم الأول تجمع فيه الكلمات التي تحتوي على الظاء والضاد وتتفق في ترتيب الحروف وعددها بحيث تكون الكلمتان لا فرق بينهما من حيث الوزن والعدد إلا أن إحداهما تحتوي على الظاء والأخرى على الضاد ثم محاولة التفريق بينهما في المعنى وذلك بإيراد الظاءات ثم ما يناظرها من الضادات، والقسم الثاني من المؤلف يورد الظاءات التي ليس لها ما يناظرها من الضادات.

مثل الفرق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد.

المسلك الرابع: إيراد الكلمات التي تحتوي على الظاء وإذا عرفت هذه الكلمات فإن ما عداها يكون ضادا وهذا ما فعله الحريري في المقامة الحلبية حيث جمع الظاءات في قصيدته التي مطلعها:

أيها السائل عن الضاد والظا ء لكيلا تضله الألفاظ
إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والأظلام والظلم والظبي واللحاظ[١]

وقد حاول ابن مالك أن يوجد قانونا لمعرفة الظاء من الضاد فقد ذكر السيوطي أن ابن مالك ذكر فروقا بين الظاء والضاد في كتاب الاعتضاد منها «تتعين الظاء بافتتاح ما هي فيه بدال لا حاء معها، أو قبل ميم بعد همزة [٢] أو قبل همزة بعدها راء أو فاء أو ميم أو باء»[٣].

وكذلك ذكر أبو حيان الأندلسي في كتابه الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء وهو مختصر من كتاب الاعتضاد لابن مالك عدة فروق بين الضاد والظاء منها قوله في باب الجيم «الجيم هذا الحرف مما يضبط بقانون وذلك أن الجيم إما أن تجتمع معها في الكلمة راء أوهاء أو ياء أصلية أو لا تجمع فإن اجتمعت فالكلمة ضادية كالجريض وهو الريق الذي يغص به عند الموت والجيض وهو الحيد في القتال والإجهاض وهو الإخراج وإن لم تجتمع فالكلمة ظائية كالجعظ وهو الدفع والرجم الضخم»[٤].

(١) شرح مقامات الحريري لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريسي (٤/ ٢٠٢)، المزهر للسيوطي(٢/ ٢٨٦).
(٢) المزهر (٢/ ٢٨٢).
(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٨٣).
(٤) الفرق بين الضاد والظاء (١٠٩).

وقال في حرف الشين: « إذا سبقت الشين فإما أن تجتمع معها راء أو هاء أو ياء أصلية أو لا، فإن اجتمعت تعينت الضاد كالشرض وهو المكان الغليظ وإن لم تجتمع تعينت الظاء كشظاظ»[1].

ولكن الذي نرمي إليه هو معرفة أي الصوتين يكون أصلا وأيهما يكون فرعا وأي الصوتين يتحول إلى الآخر فلذلك فإني سأعرض أمثلة للتبادل بين هذين الصوتين ثم أردفه بما أراه راجحا أو ما تسانده الأدلة.

لقد وقع التبادل بين الظاء والضاد في لهجات العرب القديمة والحديثة وجاء منسوبة إلى بعض القبائل العربية.

جاء في مادة حضرب من اللسان: حضرب حبله ووتره: شده وكل مملوء محضرب والظاء أعلى،وفي حظرب: وكل مملوء محظرب وقد تقدم بالضاد.

وفي «عظ» منه «العظ الشدة في الحرب وقد عظته الحرب بمعنى عضته وعظه الزمان لغة في عضه».

وفي «بظ» منه أيضا «بظ الضارب أوتاره يبظها بظا: حركها وهيأها للضرب، والضاد لغة فيه».

وفي بضض: « وبض أوتاره إذا حركها ليهيئها للضرب، ويقال بظ بظا بالظاء وهو تحريك الأوتار ليصيب بها وليهيئها وقد يقال بالضاد والظاء أكثر وأحسن».

ومما أورده أبو الطيب في التبادل بين الضاد والظاء «الحضل والحظل فساد يلحق أصول سعف النخل فإذا أرادوا صلاحها أشعلوا فيها النار

---

(١) الفرق بين الضاد والظاء (١٥١).

ليحترق ما فسد من سعفها وليفها ثم تجود بعد ذلك يقال حضلت النخلة تحضل حضلا وحظلت تحظل حظلا[١].

والعضلان والعظلان ضرب من الفأرة أو الجرذان الواحد عضل وعظل[٢].

وفي مادة «فيض» من لسان العرب «وفاضت نفسه تفيض فيضا خرجت لغة تميم وأما أبو عبيد فقال: فاظت نفسه بالظاء لغة قيس وفاضت بالضاد لغة تميم، وقال أبو حاتم سمعت أبا زيد يقول بنو ضبة وحدهم يقولون فاضت نفسه وكذلك حكى المازني عن أبي زيد قال: كل العرب تقول فاظت نفسه إلا بني ضبة يقولون فاضت بالضاد، وأهل الحجاز وطيء يقولون فاظت نفسه وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه مثل فاضت دمعته وزعم أبو عبيد أنها لغة لبعض تميم يعني فاظت نفسه وفاضت».

ومثل هذا جاء في ماده «فيظ» منه امن هذه المادة تبين أن العرب منهم من ينطقها بالظاء مثل أهل الحجاز وطيء ومنهم من ينطقها بالضاد مثل بني ضبة، ومنهم من يروي نطقه بالضاد وبالظاء مثل قيس وبني تميم.

وهذا الاختلاف بين العرب يشير إلى تاريخ هذه اللفظة فكل نطق يشير إلى مرحلة تاريخية ولكن أي هذه اللهجات أقدم وأيها أحدث؟

لابد من معرفة هل الضاد تتحول إلى ظاء أم الظاء تتحول إلى ضاد؟ والذي يبدو لي هو أن الضاد تتحول إلى ظاء لأن الظاء أسهل نطقا من الضاد وهذا ما تقول به نظرية السهولة واليسر وهو أن الأصوات الثقيلة

(١) الإبدال (٢/ ٢٧٠).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٧١).

في النطق تتحول إلى الأصوات السهلة.

إن صوت الضاد قد تحول في اللهجات الحديثة إلى ظاء كما في السعودية ودول الخليج العربي والعراق وتحول إلى دال مفخمة أو مطبقة كما في قراءات القراء اليوم وتحول إلى لام مطبقة كما في لهجات حضرموت بينما بقيت الظاء محافظة على مخرجها.

وقد لاحظ ابن الجزري اختلاف الناس في عصره في نطق صوت الضاد ولا زال هذا الاختلاف قائما إلى الآن قال: « والضاد انفرد بالاستطالة وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة وقل من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء ومنهم من يمزجه بالذال ومنهم من يجعله لاما مفخمة ومنهم من يشمه الزاي وكل ذلك لا يجوز[١].

والخلط بين الظاء والضاد قديم فقد ذكر السيوطي ما يشير إلى أن الخلط موجود في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قال: «ويروى أن رجلا قال لعمر بن الخطاب ما تقول في رجل ظحى بضبي فعجب عمر ومن حضره من قوله فقال يا أمير المؤمنين إنها لغة، وكسر اللام فكان عجبهم من كسره لام لغة أشد من عجبهم من قلب الضاد ظاء والظاء ضادا»[٢].

ومن الغريب أن توصف اللغة العربية بلغة الضاد مع أن الذي ورد عن أصحاب اللغة أن اللغة العربية تمتاز بصوت الظاء والآثار التي وردت بالضاد غير صحيحة.

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢١٩).

(٢) المزهر (١/ ٥٦٣).

فمن أدلة امتياز اللغة العربية بصوت الظاء ما جاء في كتاب العين «وليس في شيء من الألسنة ظاء غير العربية»[١].

وقال ابن دريد عندما كان يتحدث عن الأصوات العربية «منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والظاء وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة وأن الظاء وحدها مقصورة على العرب»[٢].

وذكر ابن دريد الضاد من ضمن الأصوات التي تكون للعرب وقليل من العجم[٣].

وممن ذهب إلى أنها خاصة بالعرب المتنبي إذ يقول:

وهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد

قال ابن جني حول هذا البيت: «فذهب فيه إلى أنها للعرب خاصة»[٤] وقد ذهب ابن جني إلى أنها للعرب خاصة حيث قال: «واعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا يوجد من كلام العجم إلا في القليل»[٥].

وكأن ابن جني متردد في هذه المسألة إذ كيف تكون للعرب خاصة مع وجودها في لغة العجم.

وممن يذهب إلى أن الضاد خاصة بالعرب ابن مالك إذ ذكر في مقدمة كتابة «الاعتماد في نظائر الظاء والضاد» أن النبي ﷺ يقول: «**أنا أفصح**

---

(١) (١/ ٥٩)

(٢) الجمهرة (١/ ٤)

(٣) المرجع السابق (١/ ٤).

(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٢٢).

(٥) المرجع السابق (١/ ٢٢٢).

من نطق بالضاد بيد أني من قريش»[1].

وهذا الأثر لا أصل له قال السخاوي: حديث أنا أفصح من نطق بالضاد معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قاله ابن كثير[2].

وقال ابن الجزري حوله: « والحديث المشهور على الألسنة: أنا أفصح من نطق بالضاد لا أصل له ولا يصح»[3].

هذا مع أن ما نصت عليه كتب اللغة هو أن لغة العرب تميزت بالظاء لا بالضاد بل إن الضاد موجودة في كلام العجم.

وإذا قارنا اللغة العربية بأخواتها اللغات السامية وجدنا أن هذين الصوتين الظاء والضاد قد تحولا في هذه اللغات على النحو التالي:

تحولت الظاء في العربية إلى صاد في البابلية الأشورية وفي العبرية التي تمثل اللغة الكنعانية وإلى طاء في اللغة الآرامية فكلمة ظل «العربية تكون» صلو في البابلية الأشورية، و«صل» في العبرية، وطلا في الآرامية، وصللوت في الحبشية[4].

وقد فطن ابن جني لذلك فقال في «باب الظاء»: واعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط وإذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا: البرطلة وإنما هو ابن الظل، وقالوا: ناطور، وإنما هو ناظور فاعول من نظر ينظر»[5].

وكلمة عظم العربية تكون: «عصمتو» في البابلية الأشورية، و«عصم»

---

(١) الاعتماد (٢٤).

(٢) المقاصد الحسنة (٩٥).

(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٠).

(٤) تاريخ اللغات السامية أ. ولفنسون (٢٨٩).

(٥) سر صناعة الاعراب (١/ ٢٣٢)

في العبرية و «عطما» في الآرامية[1].

والضاد في العربية تقابلها الصاد في البابلية الأشورية. والعبرية والعين أو القاف في الآرامية فكلمة أرض العربية تقابلها «أرصتو» في البابلية الأشورية و «أرص» في العبرية، و «أرعا أو أرقا» في الآرامية[٤].

وكلمة ضرة العربية تقابلها «صرتو» في البابلية الأشورية و «صاراة» في العبرية و«عرتا» في الآرامية[٢].

والكلمات العربية المنطوقة بالضاد أو الظاء تقابلها ضاد أو ظاء في اللغة اليمنية القديمة وهذا يعني أن هذين الصوتين مما اختص به العرب سواء كانوا من الشمال أو الجنوب.

وإذا أردنا أن نفسر اختفاء الظاء والضاد من اللغات السامية ما عدا العربية الجنوبية فإنا نرى أن الأصوات الأسنانية كالثاء والذال قد اختفت من هذه اللغات فهل منشأ هذين الصوتين هو من الثاء إذ تحولت إلى ذال والذال إلى ضاد أو إلى ظاء أم أنهما صوتان أصليان في اللغة السامية الأم.

إن القوانين الصوتية قد أثبتت أن الأصوات الأسنانية تتحول إلى الأصوات الأسنانية اللثوية وذلك بأن تتأخر مخارجها قليلا وسيتضح ذلك عندما نتناول التبادل بين الأصوات الأسنانية والأصوات الأسنانية اللثوية.

وتميل بعض اللهجات الحديثة إلى النطق بالظاء زايا مفخمة ونحن أمام هذا النطق نتساءل هل هذا النطق من تأثير اللغات أخوات العربية

---

(١) تاريخ اللغات السامية أ. ولفنسون (٢٩٠).

(٢) المرجع السابق (٢٨٣).

(٣) المرجع السابق (٢٨٩).

التي كانت الظاء تنطق فيها صادا والصاد قريبة من الزاي وتتحول إليها أم أن ما أصاب اللغة السامية الأولى أصاب اللهجات العربية الحديثة وكل من هذين العاملين متوقع ولكن صوت الثاء كثير التغير والتحول وقد يكون هذا ليس مقصورا على اللغة العربية فهو يتحول إلى تاء وإلى سين أو شين وإلى فاء فهل منشأ هذين الصوتين منه خاصة وأنه قد حصل التبادل بين الثاء والضاد والثاء والظاء ولكن ليس لدينا الدليل الكافي على أن مرجع هذين الصوتين إلى الثاء وإنما المعروف أن هذين الصوتين مما اختصت بهما اللغة العربية الشمالية واللغة اليمنية القديمة.

التبادل بين الضاد والثاء والضاد والذال

لقد سبق أن الثاء تتحول إلى ذال والذال تتحول إلى ظاء وسأورد في هذا المقام أمثلة من الكلمات التي تحتوي علي الثاء والضاد والذال والضاد.

جاء في مادة (حث) من لسان العرب «وحثحثه كحثه وحثثه أي حضه ولا يتحاثون على طعام المسكين أي لا يتحاضون» وفي «حض» منه «الحض ضرب من الحث في السير والسوق وكل شيء، والحض أيضا أن تحثه على شيء لا سير فيه ولا سوق حضه يحضه وحضا وحضضه يتحاضون والاسم الحض والحضيضى كالحثيثى، والمحاضة أن يحث كل واحد منهما صاحبه، والتحاض التحاث.

وأورد أبو الطيب في التبادل بين الثاء والضاد: « يقال ثغثغ كلامه يثغثغه ثغثغة وضغضغ كلامه يضغضغه ضغضغة إذ خلط فيه».

الذال والضاد:

قال أبو الطيب: ويقال ما غذذتك من مالك شيئا وما غضضتك أي ما نقصتك، ويقال رجل عذيوط وعضيوط، وهو الذي إذا جامع أحدث والذياط والضياط: الذي إذا مشي حرك كتفيه مثل مشي القصار السمان.

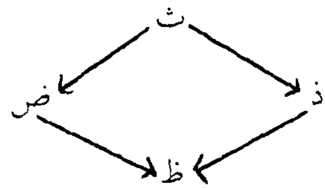
وذكر ابن السكيت أنه «يقال نبض العرق ينبض ونبذ ينبذ إذا ضرب».

هذا بالإضافة إلى ماجاء في اللهجات العربية الحديثة من هذا التبادل.

والمرجح أن الكلمات التي تحتوي علي الثاء أو الذال هي الأصل لأن الأصوات الأسنانية اللثوية، والأسنانية تميل في تطورها إلى التفخيم أي

تتحول من الانفتاح إلى الإطباق، وتتجه من الهمس إلى الجهر، بل إن الأصوات الأسنانية تميل في تغيرها إلى تأخر مخارجها قليلا إلى الأصوات اللثوية الأسنانية.

وبهذا يكون التبادل بين الحروف (الأصوات) الأسنانية والضاد على هذا النحو:



أثر هذا الإبدال في اللهجات الحديثة

أثبتت اللهجات الحديثة ما سبق أن بيناه وهو أن الأصوات الأسنانية تتحول من الانفتاح إلى الإطباق وقد تتأخر مخارجها إلى مخارج الأصوات الأسنانية اللثوية كما أنها أثبتت صحة التبادل الذي ورد عن العرب وهو تحول الذال إلى ظاء أو ضاد.

ففي لهجة صنعاء باليمن تتحول الذال إلى ظاء فيقولون: هاظاك وهاظكه، أي ذلك[1].

وفي لهجة البدو في ساحل مريوط بجمهورية مصر العربية تتحول الذال إلى ظاء أيضا حيث يقولون في اسم الإشارة المفرد المذكر هذا: هاظا وهظ وهظيه[2].

ومثل هذا الإبدال في اسم الإشارة المفرد المذكر قد حدث في لهجة الأردن.

وفي لهجة السودان وصعيد مصر إذ يقول السودانيون: كضاب وضبح الضبيحة، الورد ضبل، ضيل الكبش، أضن وعضن، عضر، الضيب، الضنب، الضراع الضرا، ضهب يريدون: كذاب، وذبح الذبيحة، الورد ذبل، ذيل الكبش، أذن، عذر، الذئب، الذنب، الذراع، الذرى أي المأوى، ذهب.

وفي صعيد مصر جهات أسيوط كبني رافع والحواتكة وغيرهما يقولون الضرة، يضوق، الضرا يريدون: الذرة يذوق، الذرى وهو المأوى الذي يستظل به[3]، وفي الصحراء الشرقية من صعيد مصر بقعة تسمى بئر الجضامي (أي بئر الجثامي)[4].

---

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين (٢٦).

(٢) لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر (١٦٦).

(٣) من أصول اللهجات العربية في السودان لعبد المجيد عابدين (٥٠).

(٤) المرجع السابق (٥١).

الثاء والتاء والثاء والسين والثاء والفاء

الثاء والتاء:

تقدم الحديث عن مخرج هذين الصوتين في أثناء الكلام عن التبادل بين الأصوات الأسنانية بعضها مع بعض والأصوات الأسنانية اللثوية فيما بينها ولكي نرى العلاقة الصوتية بين هذين الصوتين فإننا سنقارن بين مخرجيهما.

فالثاء: صوت أسناني مهموس رخو «احتكاكي» منفتح، والتاء صوت أسناني لثوي مهموس شديد «انفجاري» منفتح فيجمع بينهما قرب المخرج إذ إن مخرج التاء يلي مخرج الثاء والانفتاح في كل منهما وكل منهما يشترك في مخرج الأسنان إلا أن الثاء أسنانية بحتة والتاء أسنانية لثوية.

التبادل بينهما:

جاء في نوادر أبي زيد «وقال أبو الحسن حدثني شيخ لنا من البصريين عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي قال أنشدني الخليل بن أحمد قول السموأل:

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت

ولكلٍّ من رزقه ما قضى الله ولو حك أنفه المستميت

فقال لي: ما الخبيت؟ فقلت أراد الخبيث وهذه لغة لليهود يبدلون من الثاء تاء، قال فلم لم يقل الكتير فلم يكن عندي فيه شيء»[1].

وفي مادة «ثخخ» من لسان العرب«ثخ الطين والعجين إذا كثر ماؤهما

---

(١) النوادر (٣٤٧).

كتخ وأثخه كاتخه وهي أقل اللغتين» وقد ذكر ذلك في التاء أيضا.

وفي مادة «كتب» منه «والكتاب سهم صغير مدور الرأس يتعلم به الصبي الرمي وبالثاء أيضا والتاء في هذا الحرف أعلى من الثاء».

وفي مادة «ثرع» من الجمهرة «والعرث الانتزاع عرثه بالتاء والثاء والثاء أعلى عرثا إذا انتزعه ويقال عرته عرتا إذا دلكه».

وفي مادة «ت ع ع» منه «يقال تع تعا وتعة إذا قاء وقالوا ثعا واستعمل من معكوسها عت بالكلام يعته عتا إذا وبخه ووقمه ويقال عتا وعثاً بالتاء والثاء جميعا».

وفي مادة «ث ع ع» من الجمهرة أيضا: ثع ثعة مثل تع تعة سواء إذا قاء.

وفي مادة «وتن» من اللسان: «الواتن والواثن لغتان وهو الشيء المقيم الدائم الراكز في مكانه.

وفي هذه الأمثلة اتضح أن الثاء تحولت إلى تاء وهذا معناه تحول الصوت الأسناني إلى صوت لثوي أسناني وتحول الصوت الرخو إلى صوت شديد وفي هذا تأخر لصوت الثاء عن مخرجه إلى الوراء وهو جزء من قاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية.

الثاء والسين

الثاء والسين يجمع بينهما الرخاوة والانفتاح والأسنان إلا أن مخرج الثاء من بين الأسنان والسين تشترك الأسنان واللثة في مخرجه، ومن أمثلة الإبدال بينهما:

ما أورده ابن السكيت يقال فوه يجري سعابيب وثعابيب وهو أن يجري منه ماء صاف فيه تمدد»[١].

وفي مادة «سعب» من اللسان «وانسعب الماء وانثعب إذا سال».

وفي مادة «ثعو» من الجمهرة: والوعث الأرض السهلة الكثيرة الرمل تشق على الماشي والجمع وعوث وأوعاث وأوعث القوم إذا ركبوا الوعث وفي «سعو» منه:

والوعس الرمل السهل الذي يشق على الماشي فيه أرض وعس وأرضون وعوس ووعس وأوعاس وأوعس القوم إذا ركبوا الوعس.

ومما ذكره ابن السكيت في التبادل بين الثاء والسين «يقال أتيته ملس الظلام وملث الظلام أي اختلاط الظلام والوطس والوطث الضرب الشديد بالخف، ويقال قد وطس الأرض بخفه وقد وطث، ويقال ناقة فاسج وفاثج وهي الفتية الحامل»[٢].

وفي مادة «جثم» من اللسان: والجثمان الجسم، الجثمان بمنزلة الجسمان جامع لكل شيء تريد به جسمه، ويقال ما أحسن جثمان الرجل وجسمانه أي جسده.

---

(١) الإبدال لابن السكيت (١٠٦).

(٢) الإبدال لابن السكيت (١٠٦).

وفي مادة «جسم»: وجسمان الرجل وجثمانه واحد ورجل جسماني وجثماني إذا كان ضخم الجثة».

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين الثاء والسين «يقال للبقية في أسفل الإناء من الماء وغيره السُّمْلة والثُّمْلة، والسَّمَلة والثَّمَلة[1].

الثول والسول استرخاء في عصب الشاة يقال منه شاة أثول وثولاء وأسول وسولاء والطرموث والطرموس الرغيف الكبير من خبز الملة[2].

ويقال إنه لمن إرث صدق وإرس صدق أي من أصل صدق[3].

وكل هذه الأمثلة التي تقدمت تدل على أن الثاء تتحول إلى سين وهذا يعني أن الثاء تحولت إلى صوت رخو يشابهها في الرخاوة والانفتاح غير أن مخرجها تأخر إلى مخرج السين وهذه القاعدة مطردة في حروف الأسنان إذ تتحول من أسنانية إلى أسنانية لثوية في بعض تغيراتها وهنا تأخرت الثاء إلي الوراء قليلا مع محافظتها على صفة الرخاوة.

---

(١) الإبدال (١/ ١٧٢).

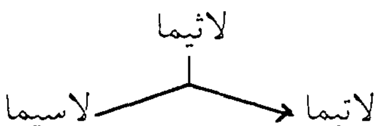
(٢) المرجع السابق (١/ ١٧٣).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٧٤).

ماورد بثلاثة أوجه هي الثاء والتاء والسين

أورد أبو الطيب في التبادل بين التاء والثاء «وزعموا أن بعض العرب يقولون لاتيما ولاثيما يريدون لاسيما»[١]، وذكر في التبادل بين التاء والسين» وحكوا: لاسيما ولاتيما بمعنى واحد[٢]، وفي التبادل بين الثاء والسين قال: «وحكوا عن الفراء لاسيما ولا ثيما بمعنى واحد»[٣].

فالكلمات الثلاث يمثلن تطورا لكلمة واحدة وقد سبق أن الثاء تتحول إلى تاء وتتحول إلى سين لذلك فأصل هذه الكلمات الثلاث هي: لاثيما أبدلت الثاء تاء وذلك بأن تأخر مخرجها إلى الوراء مع تحولها من الرخاوة إلى الشدة وهذا مسلك من مسالك تحول الثاء، وتحولت الثاء إلى سين وذلك بأن تأخر مخرجها إلى الوراء قليلا مع المحافظة على الرخاوة وهذا مسلك من مسالك تغيرات الثاء، وهو جزء من قاعدة تحول الأصوات الأسنانية إذ تتحول إلى أصوات أسنانية لثوية وذلك بأن تتأخر مخارجها إلى الوراء فيكون تطور كلمة لاثيما على هذا النحو:



وقال أبو طيب في التبادل بين الثاء والسين ويقال ثاخت رجله في الأرض تثوخ ثوخا وساخت تسوخ سوخا: إذا دخلت»[٤]، ومثل هذا ورد في مواد «ثوخ، توخ، سوخ» من لسان العرب.

---

(١) الإبدال (١/ ٩٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٢٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٧٢).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٧٠).

ويقال في هذه المواد مثل ما قيل في «لاثيما ولاتيما ولاسيما»، أي أن الأصل ثاخ: تحول الصوت الأسناني المهموس الرخو المنفتح إلى صوت أسناني لثوي شديد مهموس منفتح هذا من جهة ومن جهة أخرى تحول الصوت الأسناني المهموس الرخو المنفتح إلى صوت أسناني لثوي مهموس رخو.

ومن هذه النصوص يتبين أن الثاء صوت كثير التغير إذ يتحول تارة إلى التاء وتارة إلى السين أي يتأخر عن مخرجه إلى الوراء وقد مر في الأصوات الأسنانية أنه يتحول إلى الذال وإلى الضاد.

وإذا قارنا تحولات الثاء في اللغات السامية فإننا نجد أن الثاء في اللغة العربية تقابلها شين في اللغة الأشورية البابلية واللغة العبرية وتاء في الآرامية وسين في الحبشية وبعض اللهجات اليمنية القديمة.

فكلمة اثنين العربية تكون «شنا» في البابلية الأشورية، و«شنايم» في العبرية، و «ترين» في الآرامية، و«سنيت» في الحبشية[١].

وأنثى العربية تكون «اششتو» في البابلية الأشورية و «أشه» في العبرية و «أتتا» في الآرامية، و «أنست» في الحبشية[٢].

وثلاث العربية تكون «شلاشو» في البابلية الأشورية، و «شلوش» في العبرية، و «تلات» في الآرامية، و «سلاس» في الحبشية.

وثمان العربية تكون «شمانو» في البابلية الأشورية و «شمونه» في العبرية، و «تمانا» في الآرامية، و «سماني» في الحبشية.

---

(١) تاريخ اللغات السامية أ/ ولفنسون (٢٨٣).

(٢) المرجع السابق (٢٨٤).

وثور العربية تكون «شورو»في البابلية الأشورية، و «شور»في العبرية، و «تورا» في الآرامية، و «سور» في الحبشية.

وثوم العربية تكون«شومو» في البابلية الأشورية، و«شوم» في العبرية، و«توما» في الآرامية، و «سومات» في الحبشية(١).

ومثل العربية تكون «مشل» في البابلية الأشورية، و«مشل» في العبرية.

و «مثل متلا» في الآرامية، و «مسل» في الحبشية(٢).

وإذا قارنا التاء في العربية بأخواتها فإننا لا نجد اختلافا بينها بل توجد التاء في كل لغة من غير أن يطرأ عليها أي تغيير مثل كلمة«بيت» العربية تكون«بتو»في البابلية الأشورية، و«بيت» في العبرية، و«بيتا» في الآرامية، و «بيت» في الحبشية(٣).

وبنت العربية تكون «بنتو» في البابلية الأشورية، و «بنت»في العبرية، و«برتا» في الآرامية و «بنت» في الحبشية(٤).

وهذه المقارنة تشير إلى أشياء هي:

١ـ أن صوت الثاء صوت أصيل في اللغات السامية بل في اللغة السامية الأم.

٢ـ الثاء صوت كثير التغير.

---

(١) تاريخ اللغات السامية أ/ ولفنسون (٢٨٥).
(٢) المرجع السابق (٢٩٣).
(٣) المرجع السابق (٢٨٥).
(٤) المرجع السابق (٢٨٤).

٣ـ فقدان الثاء من اللغات السامية بسبب تحوله إلى السين أو الشين أو التاء وإن اللغة العربية لا زالت محتفظة بهذا الصوت مما يشير إلى قربها من اللغة السامية الأم في هذا.

٤ـ الرد على المستشرقين الذين قالوا بأن السين العربية نشأت من حرفين السين السامية في بعض الكلمات والشين في بعضها الآخر إذ يقول المستشرق الألماني براجشتراسر في ذلك «فالسين العربية نشأت من حرفين السين السامية الأصلية في بعض الكلمات والشين في بعضها»[1].

وذلك أنهم لما رأوا أن السين العربية تقابلها السين في بعض الكلمات في اللغات السامية ويقابلها الشين في بعضها الآخر حكموا بأن السين العربية قد نشأت من هذين الحرفين ولكن الحقيقة أن الكلمات التي جاءت مشتملة على السين العربية منها ما يكون السين فيها أصلية ومنها ما يكون السين فيها بدلا من ثاء وقد سبق أن الثاء تتحول إلى سين، فالشين التي يزعم المستشرقون أنها إحدى مكونات السين العربية هي بدل من الثاء السامية، والسين العربية التي تقابل هذه الشين هي بدل من الثاء أيضا لأن الثاء قد تحولت في بعض الكلمات إلى سين في العربية وإلى شين في بعض اللغات السامية الأخرى.

والثاء صوت كثير التغير والتطور حتى أنه ينشأ من تطوره عدد من الكلمات لكن معرفة إبدال الحروف تجعلنا نلاحظ العلاقة بينها وكيفية تفرع بعضها عن بعض ونستطيع أن نرجعها إلى كلمة واحدة من هذا ما أورده أبو الطيب اللغوي في التبادل بين الثاء والدال إذ قال: «يقال مرث

(١) التطور النحوي (٢٤).

خبزه يمرثه مرثا، ومرده يمرده مردا إذا لينه بالماء، وقد مرث الشيء مرثا، ومرده مردا إذا لينه بيده، وكل شيء مرث فقد مرد، ويقال أمرث الثريد وأمرده فيفته ثم يصب عليه اللبن»[١]، وقال في التبادل بين الثاء والسين «ويقال مرثت الدواء أمرثه مرثا ومرسته أمرسه مرسا والمرث والمرس واحد»[٢]. وذكر في التبادل بين الدال والسين «ويقال مردت الشيء أمرده مردا ومرسته أمرسه مرسا[٣]، ويقال مردت التمر في اللبن ومرسته وهو المريد والمريس»[٤].

وفي مادة «مرذ» من لسان العرب «ومرث فلان الخبز في الماء ومرذه إذا ماثه ويقال أمرذ الثريد فتفته ثم تصب عليه اللبن ثم تمثيه وتحساه».

فتجمَع لنا من هذه النصوص «مرث، مرذ، مرت، مرد، مرس» وكل هذه المواد تدل على معنى واحد وهو تليين الخبز ونحوه وأصل هذه الكلمات هي: مرث وحصل فيها إبدالان الأول بين الأصوات الأسنانية إذ تحولت الثاء إلى ذال أي تحول الصوت المهموس إلى صوت مجهور وهذه هي قاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية، والإبدال الثاني يخضع لقاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية إذ تأخرت الثاء عن مخرجها إلى الوراء حتى اتصلت باللثة وهنا تحولت إلى صوت أسناني لثوي مع محافظتها على همسها ورخاوتها وهو السين، وهذا مسلك من مسالك الثاء في التغير، وتحولت الثاء إلى صوت أسناني لثوي ولكن بتحول صفة الرخاوة إلى شدة وهو التاء، أما كلمة «مرد» فيمكن أن

---

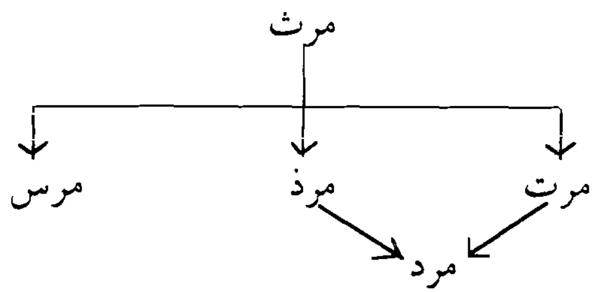
(١) الإبدال (١/ ١٥٩).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٧٣).

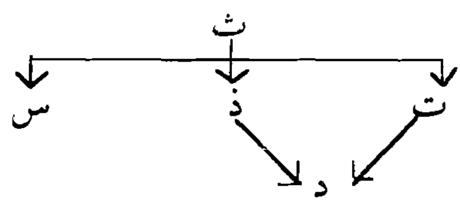
(٣) المرجع السابق (١/ ٣٧٠).

(٤) المرجع السابق (١/ ٣٧١).

تكون هذه الدال جاءت بدلا من تاء مرت التي هي بدل من ثاء مرث ويمكن أن تكون بدلا من ذال مرذ،وفى هذه الحالة تكون خاضعة لقاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية،والأسنانية اللثوية وهى أن الأصوات الأسنانية تتحول إلى أسنانية لثوية في بعض تغيراتها فيكون تطور هذه الكلمات على هذا الشكل:



ويكون تحول الثاء إلى الأصوات الأسنانية اللثوية على هذا الشكل:

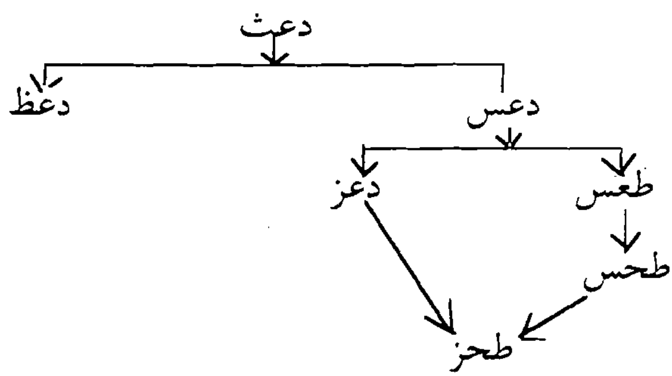


وقد يصيب الثاء تغيرات كثيرة أكثر من هذا التغير الذي مثلنا له وهو ماذكرناه في التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية التاء والدال والطاء وهو أن هذه الكلمات «دعس، طعس، طعز، طحس، طحز، دعز» قد جاءت بمعنى الوطء وقد بينا أنهن يرجعن إلى «دعس» ويتفرعن منها وهذا دليل على أن الإبدال يدخل جميع حروف الكلمة ويباعد بين أصلها وفروعها لكن كلمة أو مادة «دعس» ترجع بدورها إلى «دعث» إذ إن السين في «دعس» بدل من ثاء «دعث» حيث جاء في مادة «دعث» من

اللسان مايدل على الوطء «الدعث الوطء الشديد ودعث الأرض دعثا وطئها، وكل شيء قد وطئ عليه فقد اندعث» ومما يدل على أن أصلهن «دعث» هو وجود «دعظ» بهذا المعنى وهذا يدل على أن الثاء من «دعث» تحولت إلى ظاء وهي قاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية قال ابن فارس في مادة«دعظ» الدال والعين والظاء ليس بشيء ويقولون الدعظ النكاح».

وبزيادة هاتين المادتين «دعث» و«دعظ»تجمع لنا عدد كبير من الكلمات التى ترجع إلى أصل واحد وهى «دعس»و«طعس»و «طعز»و«طحس» و«طحز» و «دعز» و «دعث» و «دعظ».

ويكون تطور «دعث» على هذا النحو:



فالأصل دعث دخلها الإبدال ضمن الأصوات الأسنانية فأبدلت الثاء ظاء فكانت «دعظ» وأبدلت الثاء سينا وهذا خاضع لقاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية، فنتج عن ذلك «دعس» ثم حصل إبدال بين الأصوات الأسنانية اللثوية إذ تحولت الدال من «دعس» إلى طاء تبعا لقاعدة التبادل بين حروف «ت د ط» وتحولت السين من «دعس» إلى زاي فنتج «دعز» تبعا لقاعدة إبدال أصوات الصفير ثم دخل «طعس» إبدال عن طريق أصوات الحلق وذلك بإبدال العين حاء فنتج عن ذلك

«طحس» تبعا لقاعدة إبدال حروف الحلق ثم أبدلت السين من «طحس» زايًا تبعا لقاعدة أصوات الصفير فنتج عن ذلك طحز ويمكن أن تكون طحز ناتجة عن «دعز» بعد إبدال العين حاء على قاعدة حروف الحلق.

وبهذا يظهر أثر الإبدال الكبير في تغيير الكلمة وتفرعها إلى عدد من الكلمات ويظهر أيضا أثر إبدال الثاء الخطير في تغيير الكلمات وسيكون للثاء شأن آخر في التبادل مع الفاء.

ومن تطورات الإبدال بواسطة الثاء ماجاء في مواد «مكت، ومكث، ومكد» في لسان العرب إذ جاءت هذه المواد بمعنى الإقامة فيكون أصل هذه الكلمات «مكث» أبدلت الثاء تاء فنتج «مكت» ثم أبدلت التاء دالا فنتج «مكد».

واللهجات العربية اليوم منها ما بقي محافظا على نطق الثاء دون تغيير وهي تبدو واضحة في الجزيرة العربية في اليمن والسعودية وعمان والإمارات وقطر والبحرين والكويت، وكذلك في ليبيا والعراق[1] وشرق سوريا والأردن وبعض مناطق السودان وبعض مناطق البدو في جمهورية مصر العربية كمنطقة ساحل مريوط في الغرب.[2]

ولا تزال جميع القبائل العربية تحتفظ بنطق الثاء ففي المملكة العربية السعودية يعتبرون إبدال الثاء تاء أو سينا عيبا في النطق أو عيبا في الناطق وإن كان هذا النطق أي إبدال الثاء سينا أو تاء يوجد لدى بعض سكان المدينة ومكة وجدة ولكنهم قليل ومعظمهم لاينتسبون إلى القبائل العربية.

أما نطق الثاء تاء أو سينا فيوجد في سوريا ولبنان وفلسطين والسودان

---

(١) الأصالة العربية في لهجات الخليج للدكتور عبد العزيز مطر(١٢٢).

(٢) لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط (٤٤).

والجزائر والمغرب ومصر.[1]

ومن يريد أن يفسر تحول الثاء إلى سين أو تاء فإنه يجد أمامه طريقين هما: هل اللهجات العربية تأثرت باللغات السامية فحولت الثاء تاء كما في الآرامية أو حولت الثاء سينا كما في الحبشية؟ وهذا يعني تأثير اللغات السامية على اللغة العربية.

الطريق الثاني: هل أصاب اللغة العربية بعد خروجها من الجزيرة ما أصاب اللغات السامية من قبل حيث تحول صوت الثاء إلى شين أو سين أو تاء.

وكلا الأمرين قد يكونان مشتركين فى إبدال الثاء إلى سين أو تاء غير أن الشيء الملاحظ هو تحول الثاء من صوت أسناني إلى صوت أسناني لثوي أي أنها قد تأخر مخرجها مع المحافظة على الرخاوة كما في السين أو تأخر مخرجها مع التحول من الرخاوة إلى الشدة كما في التاء.

---

(١) الأصالة العربية في لهجات الخليج.

الثاء والفاء

سبق الحديث عن الثاء وأنه صوت أسناني مهموس رخو «احتكاكي» منفتح.

أما الفاء فقد وصفه سيبويه بقوله: «ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء»[1].

فهو عنده حرف (صوت) شفوي أسناني مهموس رخو «احتكاكي» منفتح، وهو عند المحدثين مطابق لما عند سيبويه وينطق الفاء بأن تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا اتصالا يسمح للهواء أن يمر بينهما فيحتك بهما مع رفع مؤخرة الطبق لسد التجويف الأنفي وإهمال الوترين الصوتين بجعلهما لايتذبذبان.[2]

والعلاقة بين الثاء والفاء واضحة في كل شيء ماعدا المخرج فإن الفاء تتقدم على الثاء قليلا حيث إنها شفوية أسنانية ولكنها تشترك مع الثاء في الأسنان.

وقد جاءت النصوص مثبتة إبدال العرب الثاء فاء قال الفراء: «والعرب تبدل الثاء بالفاء فيقولون: جدث وجدف ووقعوا في عاثور شر وعافور شر والأثاثي والأثافي وسمعت كثيرا من بني أسد يُسمي المغافير المغاثير» [3]

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

(٢) المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص(٤٣).

(٣) معاني القرآن (١/ ٤١).

وقال الفراء أيضا: يقال المغافير والمغاثير لشيء ينضحه الثمام والرمث والعشر كالعسل والواحد مغفور، وأسد تقول مغثور.

وقال أيضا: «وسمعت الكسائي يقول يحكي عن العرب مغفر لواحد المغافير».[1]

ويقال ثم وفم فى حروف النسق[2]، وقال الرماني: ثم وهي من الحروف الهوامل ومعناها العطف وتدل على التراخي والمهلة وذلك نحو قولك قام زيد ثم عمرو، والمعنى أن عمروا قام بعد زيد وبينهما مهلة... ومن العرب من يقول فم فيبدل من الثاء فاء على حد قولهم جدث وجدف وثوم[3] وفوم.

وفى مادة «جفل» من لسان العرب «والجفل لغة في الجثل وهو ضرب من النمل سود كبار».

وفي مادة ثغم منه: «والمثاغمة والمفاغمة ملاثمة الرجل امرأته والثغم الضاري من الكلاب» وفى مادة «فغم» منه: «وكلب فغم حريص على الصيد ويقال ما أشد فغم هذا الكلب بالصيد وهو ضراوته ودربته، والفغم الفم أجمع ويحرك فيقال فغم، وفغمه: أي قبله وكذا المفاغمة».

وفي مادة دثق منه أيضا «روى ثعلب عن ابن الأعرابي الدثق صب الماء بالعجلة»، قال أبو منصور هو مثل الدفق سواء وأهمله الليث».

وفي مادة «ثدم» من جمهرة اللغة: رجل ثدم مثل فدم سواء والمصدر الثدامة والفدامة وهو الرجل الغبي.

---

(١) الإبدال لابن السكيت(١٢٦).

(٢) المرجع السابق (١٢٧).

(٣) معاني الحروف(١٠٥).

وفي مادة «جأف» من مقاييس اللغة «الجيم والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على الفزع وكأن الفاء بدل من الثاء يقال جئف الرجل مثل جئث.

ومما ذكره ابن السكيت في التبادل بين الثاء والفاء «يقال اغتفت الإبل واغتثت إذا أصابت شيئا من الربيع وهي الغفة والغثة. وغلام ثوهد وفوهد وهو الناعم[1]، وحكى الأرفة والأرثة للحدبين الأرضين.[2]

وهي الأثافي ولغة بني تميم الأثاثي، ويقال عفنت في الجبل وعثنت إذا صعدت، وأنا أعفن وأعثن، ويقال للشيخ يدلف ويدلث إذا مشى مشيا ضعيفا والنكاف والنكاث داء يأخذ الإبل.[3]

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين الثاء والفاء «ويقال ثلغ رأسه يثلغه ثلغا وفلغه يفلغه فلغا إذا شدخه[4]،ويقال ولد في الدفيء وطيء تقول في الدثيء إذا ولد في آخر الشتاء[5]،وقالوا الدفينة والدثينة: الشيء المدفون، وقال الأصمعي الدثينة والدفينة منزل لبني سليم[6] وشعر جثل وجفل أي كثير[7]،ويقال لقثته ألقثه لقثا ولقفته ألقفه لقفا إذا أخذته أخذا سريعا والتقثته والتقفته كذلك[8] ويقال هو اللثام واللفام وقد تلثم تلثما وتلفم تلفما وهما واحد، وبعضهم يقول اللثام ما غطى الفم وحواليه واللفام ماغطى الأنف وحواليه.[9]

وقال الفراء حول الفوم في قوله تعالى:﴿**وفومها وعدسها**

---

(١) الإبدال (١٢٥).

(٢) المرجع السابق (١٢٦).

(٣) المرجع السابق (١٢٧).

(٤) الإبدال (١/ ١٨٢).

(٥) المرجع السابق(١/ ١٩٤).

(٦) المرجع السابق (١/ ١٩٥)

(٧) المرجع السابق (١/ ١٩٦).

(٨) المرجع السابق(١/ ١٩٧)

(٩) المرجع السابق (١/ ١٩٣).

وبصلها﴾[1] فإن الفوم فيما ذكر لغة قديمة وهي الحنطة والخبز جميعا قد ذكرا، قال بعضهم سمعنا العرب من أهل هذه اللغة يقولون فوموا لنا بالتشديد لا غير يريدون اختبزوا وهي في قراءة عبد الله «وثومها» بالثاء فكأنه أشبه المعنيين بالصواب لأنه مع ما يشاكله من العدس والبصل وشبهه والعرب تبدل الفاء بالثاء فيقولون جدث وجدف.[2]

وذكر أبو حيان في تفسير الفوم ثلاثة أقوال هي الثوم والحنطة والخبز ثم ذكر الذين قالوا بأن الفوم هو الثوم بقوله «الفوم قال الكسائى والفراء والنضر ابن شميل وغيرهم هو الثوم أبدلت الثاء فاء كما قالوا في مغفور مغثور وفي جدث جدف».[3]

وبعد هذا العرض من الأمثلة التي تبدل الثاء فاء، وقد سبق أن بينا أن الثاء صوت كثير التغير والتحول بل يعد من أكثر الأصوات تغيرا وكان فيما مضى يتأخر مخرجه إلى الأصوات الأسنانية اللثوية أما في هذا الباب أي باب الثاء والفاء فقد تقدم مخرجه إلى الأمام حيث أصبح صوتا شفويا أسنانيا وإذا كنا نرجح أن الكلمات التي تحتوي على الثاء هي الأصلية والتي تحتوي على الفاء هي الفرعية فإن لهجات بعض القبائل العربية قد احتفظت بالأصل وبعضها جاء متفرعا أي تأثر بالتطور ومن القبائل التي جاءت لهجاتها محتفظة بالأصل في التبادل بين الثاء والفاء تميم حيث يقولون الأثاثي ولازالت هذه الكلمة مستعملة إلى اليوم بين العامة كما هي في لهجة تميم فهي لاتزال محتفظة بأصلها، وكذلك لهجة

---

(١) البقرة(٦١).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤١).

(٣) البحر المحيط (١/ ٢١٩).

طيء حيث يقولون الدثيء أما التي جاءت بالأثافي والدفيء فقد جاءت بالفرع وبمعرفة أن الثاء تتحول إلى فاء نؤيد قول القائلين بأن اللثام واللفام واحد حيث إن أحدهما أصل وهو اللثام والآخر فرع وهو اللفام وبذلك نقضي على الخلاف الذي كان بين علماء اللغة وهذه ميزة من مزايا معرفة الأصل من الفرع في الإبدال وكذلك نحسم الخلاف الذي وقع في لفظة ثوم وفوم فنقول: إن الثوم هي الأصل والفوم هي الفرع وبذلك تكون قراءة عبد بن مسعود هي الأصل القديم وكثيرا ماتجيء القراءات المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه محتفظة بالأصل كما في «عتى» وبذلك يقوى قول القائلين بأن الفوم هو الثوم لكن الفوم جاءت على الفرع وهي لهجة عامة العرب.

ومما يؤيد أن الثاء أو الثوم هي الأصل وأن الفوم هي الفرع وجود هذه اللفظة في اللغات السامية إذ تكون «شومو» في البابلية الأشورية و«شوم» في العبرية و «توما» في الآرامية و«سومات»[1] في الحبشية وقد علمنا أن الثاء العربية تقابلها الشين في البابلية الأشورية والعبرية، والتاء في الآرامية، والسين في الحبشية فيكون المقابل للغات السامية في العربية هو الثاء أي ثوم.

ومما يدل على حالات إبدال الثاء الثلاثة وهي التبادل مع الأصوات الأسنانية أي أنه مخرجه لايتغير وإنما تتغير صفته والتبادل مع الأصوات الأسنانية اللثوية وذلك بتأخر مخرجه، والتبادل مع الأصوات الأسنانية الشفوية وذلك بتقدم مخرجه وجود هذه الكلمات بمعنى واحد «حثل، حذل، حسل، حصل، حفل».

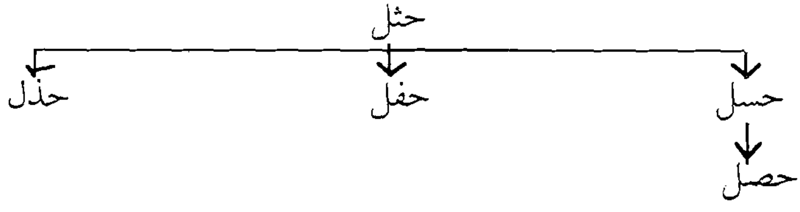
(١) تاريخ اللغات السامية أ/ولفنسون (٢٨٥)، فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبدالتواب (٤٧).

فقد أورد أبو الطيب في التبادل بين الثاء والذال «الحثالة والحذالة حطام التبن ورديء الطعام وما يرمى به ويقال لعكر الدهن أيضا الحثالة والحذالة[١].

وفي التبادل بين الثاء والسين قال: «الحثالة والحسالة قشر التمر والشعير ونحو ذلك مما يرمى به[٢] وقال في التبادل بين الثاء والصاد: «الحثالة والحصالة مايسقط من الحنطة إذا نقيت»[٣]، وقال في التبادل بين الثاء والفاء: «الحثالة والحفالة عكر الدهن»[٤]

فهذه المواد التي تدل على معنى واحد متفرعات من كلمة واحدة وهي: «حثل» وهذه الكلمات تمثل الطرق التي يسلكها الثاء في إبدالاته وتغيراته فالطريق الأول التبادل مع حروف الأسنان إذ تحولت الثاء إلى ذال وهذا يعنى التحول من الهمس إلى الجهر فنتج عن ذلك «حذل»، والطريق الثاني هو تأخر مخرج الثاء إلى الوراء قليلا حيث أصبح صوتا أسنانيا لثويا إذ تحول إلى السين فنتج عن ذلك «حسل» ثم أبدلت السين صادا على قاعدة التبادل بين الأصوات الصفيرية، وهي التحول من الانفتاح إلى الإطباق فنتج عن ذلك «حصل» والطريق الثالث هو تقدم مخرج الثاء إلى الأمام أي إلى الأصوات الأسنانية الشفوية أي تحوله إلى فاء فنتج عن ذلك «حفل» وبهذا ظهرت طرق تغيرات الثاء.

فيكون تطور هذه الكلمة وهي حثل على هذا النحو:



(١) الإبدال (١/ ١٦٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٧٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٧٨).

(٤) المرجع السابق(١/ ١٩٤).

ومما يدل على تطورات صوت الثاء أيضا هذه المواد: «كثح، كتح كذح، كفح، كسح».

فقد ذكر أبو الطيب في التبادل بين التاء والثاء«ويقال كتحته الريح تكتحه كتحا وكثحته وتكثحه كثحا إذا سفت عليه التراب»[1].

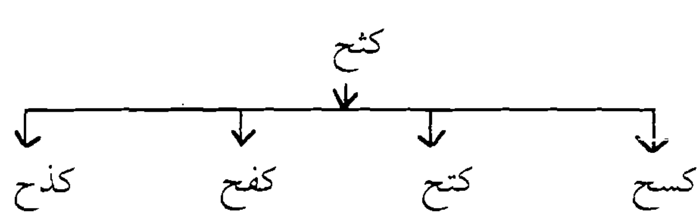
وفي التبادل بين الثاء والفاء قال: ويقال كفحت الشيء أكفحه كفحا وكثحته أكثحه كثحا إذا كشفت عنه غطاءه[2].

ومثل هذا موجود في مواد «كتح وكثح وكذح وكفح وكسح» من لسان العرب فيكون أصل هذه المواد هو «كثح» وجاء هذا الإبدال مشتملا على طرق تغيرات الثاء الثلاثة.

الأول: بين الأصوات الأسنانية إذ تحولت الثاء من الهمس إلى الجهر أي تحولت إلى ذال فنتج عن ذلك «كذح».

والثاني: تأخر مخرج الثاء إلى اللثة حيث أصبح صوتا أسنانيا لثويا ومع محافظته على رخاوته تحول إلى السين فنتج عن ذلك «كسح» ومع تحوله من الرخاوة إلى الشدة تحول إلى تاء فنتج عن ذلك «كتح».

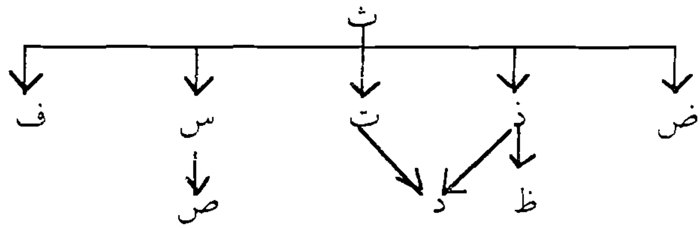
والثالث: تقدم مخرجه إلى الأمام حيث أصبح صوتا شفويا أسنانيا أي تحول إلى الفاء فنتج عن ذلك «كفح» وبهذا تكون تطورات لفظة كثح على هذا الشكل:



(١) الإبدال (١/ ٩٦).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٩٧).

وبنهاية التبادل بين الثاء والفاء تكون تبادلات الثاء على النحو التالي:



وقد دلت اللهجات الحديثة على وجود إبدال الثاء فاء ففي لهجة القطيف في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية تبدل الثاء فاء فيقولون: يوم الفلافه، عنب الفعلب، والفار، يريدون يوم الثلاثاء، عنب الثعلب، الثار[1]

كما يوجد هذا الإبدال في بعض مناطق البحرين في جزيرة ستره والمناطق المجاورة لها حيث يقولون فوب، مفلا، كفر، يتنفر، يتحدف، افنين فلافة، فمانيه، الفاني، الفالف، فلافين فمانين فعلب ويريدون بها: ثوب، مثلا، كثر، يتنثر، يتحدث، اثنين ثلاثة، ثمانية، الثاني، الثالث، ثلاثين، ثمانين، ثعلب.[2]

كما توجد هذه اللهجة في المكلا والشحر من اليمن الجنوبي إذ يقولون فلافة أي ثلاثة.[3]

وإبدال الثاء فاء ليس مقصورا على اللغة العربية بل يوجد في لهجات اللغة الإنجليزية وكذلك في اللغة الروسية حتى أن الحرف اليوناني الذي يدل على الثاء صار معناه في الروسية فاء.[4]

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب(٤٧).

(٢) الأصالة العربية في لهجات الخليج(١٢٣).

(٣) اللهجات العربية الحديثة في اليمن للدكتور مراد كامل(٨٥).

(٤) التطور النحوى لبراجشتراسر(٣٨).

الذال والدال والذال والزاي

الدال والذال:

هذان الحرفان (الصوتان) منفتحان مجهوران متقاربان في المخرج إذ إن الذال يخرج من بين الأسنان فهو صوت أسناني وأما الدال فهو صوت أسناني لثوى إلا أنهما يختلفان في الشدة والرخاوة حيث إن الذال رخو «احتكاكي» الدال شديد «انفجاري» وقد وقع التبادل بينهما ومن الأمثلة التي وقع فيها التبادل بينهما ما يلي:

جاء في مادة «ج ح د» من الجمهرة«والدحج لغة يمانية دحجه يدحجه دحجا إذا عركه كما يعرك الأديم ويقال ذحجه بالذال المعجمة وهي أعلى اللغتين».

وفي مادة «دفو» منه «الودف القطر ودف الماء يدف ودفا بالدال والذال زعموا فأما الدال فصحيحة».

وفي «ذ ف ل» منه الذفل قالوا القطران وقال قوم هو الدفل بالدال غير معجمة ولا أدري ما صحته.

وفي مادة «ج ذ ر» منه أيضا «فأما الجرد بالدال فالداء الذي يصيب الخيل فبعض العرب يقول بالدال غير معجمة وبعضهم بالذال معجمة ولا أحسب الأصل إلا الذال».

وفي مادة «عذف»من اللسان«والعذف الأكل وقد عذف بالذال المعجمة هذه لغة ربيعة يقال ما ذقت عذفا ولاعذوفا ولاعذافا أي شيئا وكذلك يقال ولاعدوفا بالدال وقد تقدم بالدال المهملة.

وفي «خرذل» منه «خرذل اللحم قطعه وفرقه بالدال والذال وقد تقدم

في الذال».

وفي «جدف» من جمهرة اللغة «ومجداف السفينة بالدال والذال زعموا والدال أكثر».

وفي «جذف» «وجذف الطائر إذا أسرع تحريك جناحيه والطير جاذف وأكثر ما يكون ذلك أن يقص أحد الجناحين ومنه اشتقاق مجذاف السفينة والمجذاف بالدال والذال لغتان فصيحتان».

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين الذال والدال «ويقال دحملت الشيء وذحملته دحملة وذحملة إذا دحرجته على الأرض، وقالوا: الخدنق والخذنق والخدرنق والخذرنق أسماء للعنكبوت، والبلذم والبلدم من الفرس صدره[1].

ومما ذكره ابن السكيت في التبادل بين الذال والدال «ادرعفت الإبل واذرعفت إذا أسرعت واستقامت»[2].

فحال الذال مع الدال كحال الثاء مع التاء حيث تحول الصوت الأسنانى المهموس الرخو إلى الصوت الأسناني اللثوي المهموس الشديد هذا في الثاء والتاء أما في الدال والذال فتحول الصوت الأسناني المجهور الرخو إلى الصوت الأسنانى اللثوى المجهور الشديد، فقد تأخر مخرج الذال إلى الوراء كما تأخر مخرج الثاء إلى الوراء وتحول الذال إلى الشدة كما تحول الثاء إلى الشدة وهذا ينطبق على الأصوات الأسنانية حيث يتأخر مخرجها إلى اللثة فتكون أصواتا أسنانية لثوية.

(١) الإبدال (١/ ٣٦٠).

(٢) الإبدال (١٤٠).

الذال والزاي

حرفان (صوتان) مجهوران رخوان متقاربان في المخرج إذ إن الذال صوت أسناني، والزاي صوت أسناني لثوي فهما يشتركان في بعض المخرج وهو الأسنان وتنفرد الزاي باللثة.

وقد وقع التبادل بينهما ومن الأمثلة التي وقع التبادل بينهما فيها ما ذكره أبو الطيب «يقال ذرق الطائر يذرق ذرقا وزرق يزرق زرقا بمعنى واحد»(١) والبذور والبزور حبة الصحراء جمع بذر وبزر ويقال بذرت البذر وبزرت البزر.(٢)

ويقال خذق الطائر يخذق خذقا وخزق يخزق خزقا إذا ذرق(٣) وماء ذعاق وزعاق إذا كان مرا.(٤)

هذا بالإضافة إلى استعمال اللهجات الحديثة لهذا الإبدال وما ورد بثلاثة أوجه هي الذال والزاي والدال.

وحال الذال مع الزاي كحال الثاء مع السين إذ إن الثاء الصوت الأسنانى المهموس الرخو قد تحول إلى الصوت الأسناني اللثوي المهموس الرخو وهو السين، والذال الصوت الأسناني المجهور الرخو قد تحول إلى الصوت الأسناني اللثوي المجهور الرخو وهو الزاي، فالأصوات الأسنانية تتحول إلى أسنانية لثوية فإذا وجدت كلمتان بمعنى واحد ولايختلفان في شيء إلا بأن تكون إحداهما محتوية على صوت أسناني والأخرى على صوت أسناني لثوي فالصوت الأسناني هو الأصلي والأسناني اللثوي هو الفرعي.

---

(١) الإبدال (٢/ ٦).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٧).
(٣) المرجع السابق (٢/ ٩).
(٤) المرجع السابق (٢/ ١٠).

الذال والزاي والدال

أوردت تحت هذا العنوان الكلمات التي جاءت مشتملة على ثلاث لهجات الأولى بالذال والثانية بالدال والثالثة بالزاي.

ومن أمثلة ذلك «خدرنق وخذرنق وخزرنق» قال أبو الطيب في التبادل بين الذال والدال: «وقالوا الخدنق والخذنق والخذرنق والخدرنق أسماء العنكبوت». [1] وذكر في التبادل بين الذال والزاي «والخذرنق والخزرنق العنكبوت» [2].

فأصل هذه المواد خذرنق تحولت الذال إلى زاي وذلك بتأخر مخرجها إلى اللثة حتى أصبحت صوتا أسنانيا لثويا مع احتفاظها بالجهر والرخاوة فنتج عن ذلك خزرنق، وتحولت الذال إلى دال من أحد مسالك الأصوات الأسنانية وذلك بأن تأخر مخرجها إلي اللثة مع تحول الرخاوة إلى شدة فأصبحت صوتا أسنانيا لثويا فنتج عن ذلك خدرنق، وحال الذال مع الدال والزاي كحال الثاء مع التاء والسين إذ إن الثاء الصوت الأسناني المهموس يتحول إما إلى الصوت الأسناني اللثوي المهموس الرخو وهو السين أو إلى الصوت الأسناني اللثوي المهموس الشديد وهو التاء وذلك إذا تأخر مخرجه إلى اللثة ومثل هذا حاصل للذال إذ يتحول الذال الصوت الأسناني المجهور الرخو إما إلى الصوت الأسناني اللثوي المجهور الرخو وهو الزاي وإما إلى الصوت الأسناني اللثوي المجهور الشديد وهو الدال.

فالأصوات الأسنانية تتحول إلى أصوات أسنانية لثوية فإن حافظت على رخاوتها تحولت إلى الأصوات الأسنانية اللثوية الرخوة وإن فقدت

(١) الإبدال (١/ ٣٦١).

(٢) المرجع السابق(٢/ ١٢).

الرخاوة واستبدلتها بشدة تحولت إلى الأصوات الأسنانية اللثوية الشديدة.

ومن ذلك أيضا هذه الكلمات «ذمه ودمه وزمه»قال أبو الطيب في التبادل بين الدال والذال: « ويقال دمه يومنا يدمه دمها وذمه يذمه ذمها إذا اشتد حره وسكنت ريحه»[1]،وذكر في التبادل بين الذال الزاي «ويقال ذمه يومنا يذمه ذمها وزمه يزمه إذا اشتد حره»[2]

فأصل هذه الكلمات «ذمه» تحولت الذال الصوت الأسنانى المجهور الرخو إلى الصوت الأسناني اللثوي المجهور الرخو وهو الزاي فنتج «زمه» وتحولت الذال الصوت الأسناني المجهور الرخو الى الصوت الأسنانى اللثوي المجهور الشديد وهو الدال فنتج عن ذلك «دمه» وهذه قاعدة مطردة في تحول الأصوات الأسنانية إلى أصوات أسنانية لثوية.

ويقال في «ذبر وزبر ودبر» مثل ماقيل في «ذمه وزمه ودمه».

إذ قال أبو الطيب في التبادل بين الذال والدال: «ويقال ذبرت الكتاب أذبره ذبرا إذا كتبته،وحكى اليزيدي دبرته أدبره دبرا بالدال غير المعجمة.[3]

وفي التبادل بين الدال والزاي قال:«الدبر والزبر الخط دبرت الكتاب أدبره دبرا وزبرته أزبره زبرا إذا كتبته»[4] وفي التبادل بين الذال والزاي ذكر«زبرت الكتاب أزبره زبرًا وذبرته أذبره ذبرًا إذا كتبته».[5]

فأصل هذه الكلمات «ذبر» تحولت الذال إلى دال فأصبحت «دبر»

(١) الإبدال (١/ ٣٦٠).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١١).

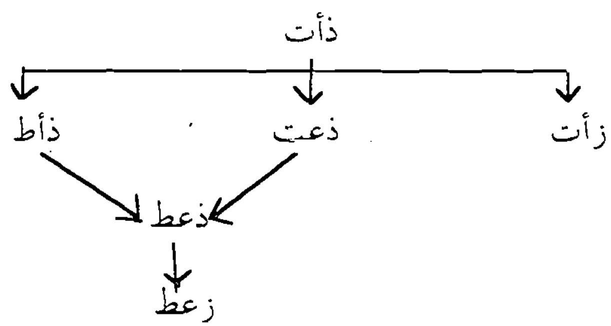
(٣) المرجع السابق (١/ ٣٥٤).

(٤) المرجع السابق (١/ ٣٦٩).

(٥) النوادر (١/ ٧٨).

وتحولت إلى زاى فأصبحت «زبر».

ومن الأمثلة التي تدل على أن الإبدال يدخل جميع حروف الكلمة ويجعل الكلمة الواحدة تتفرع إلى فروع عديدة هذه المواد «ذأت، زأت ذ أ ط، ذعت، ذعط، زعط» فقد ذكر أبو مسحل في نوادره «ويقال ذعته وذأته وزأته وذأطه بمعنى خنقه[1] وقال أبو الطيب في التبادل بين الذال والزاي ذعطه يذعطه ذعطا وزعطه يزعطه زعطا إذا خنقه.[2] فأصل هذه المواد هي «ذأته» حيث تناول الإبدال جميع حروفها حيث أبدلت الذال زايا على قاعدة الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية فنتج عن ذلك «زأت» وأبدلت الهمزة عينا على قاعدة الحروف الحلقية فنتج عن ذلك «ذعت» وأبدلت التاء طاء على قاعدة الأصوات الأسنانية اللثوية فتكونت «ذ أ ط» ثم أبدلت الهمزة من «ذأط» عينا فأصبحت«ذعط»ثم أبدلت الذال من«ذعط»زايا فأصبحت«زعط» فيكون تطور هذه اللفظة على هذا النحو:



فكل هذه الصور تمثل تطور كلمة ذأت ويلاحظ أن العين والطاء والزاي لم تكن من أصل هذه الكلمة.

واللهجات العامية قد تحولت الذال فيها إما إلى دال وإما إلى زاى ومع ذلك لا تزال بعض المناطق في البلاد العربية محتفظة بنطق الذال

(١) النوادر ١/ ٧٨.

(٢) الإبدال (٢/ ٦).

وهذه المناطق هي نفسها التي حافظت على نطق الثاء من قبل أما التي كانت تنطق الثاء سينا فقد نطقت الذال زايا، والتي كانت تنطق الثاء تاء نطقت الذال دالا وكذلك فإن معظم سكان المملكة يعدون النطق بالزاي أو الدال بدلا من الذال عيبا مثلما كانوا يعدون النطق بالتاء أو السين بدلا من الثاء عيبا.

وإذا قارنا بين اللغة العربية وأخواتها الساميات حول نطق الذال فإن الذال العربية تتحول إلى زاي في اللغتين البابلية الأشورية والعبرية وإلى دال في اللغة الآرامية وإلى زاي في لغات الحبشة.

فكلمة ذئب العربية تكون «زيبو» في البابلية الأشورية، و«زاب» في العبرية و«دابا» في الآرامية، «زاب» في الحبشية.

وذباب العربية تكون «زبو» في البابلية الأشوريةو«زبوب» في العبرية، و«دبوبا» في الآرامية.

وذنب العربية تكون «زباتو» في البابلية الأشورية،و«زاناب» في العبرية، و «دونبا» في الآرامية، و«زناب» في الحبشية[1].

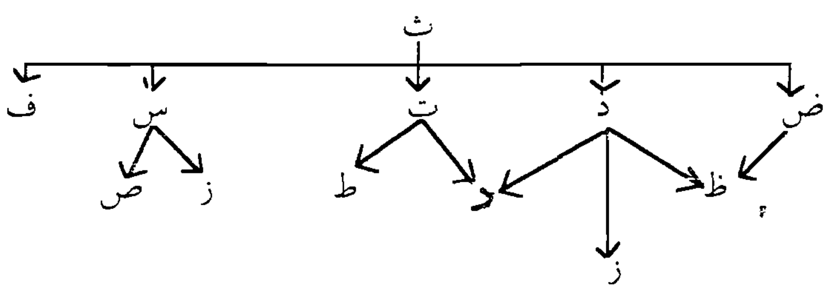
وهو نفس الطريق الذي سلكته اللهجات العربية الحديثة في إبدال الذال وهذا المسلك سلكته تلك اللغات في الثاء والتاء والثاء والسين، والسؤال الذي يواجهنا أمام هذا المسلك الذي سلكته اللهجات الحديثة هل اللهجات العربية تأثرت بهذه اللغات؟ أم هل أصاب اللغة العربية ما أصاب اللغات السامية؟ إذ إن المرجح أن الثاء صوت أصيل في اللغة السامية الأم لأنه هو الذي يتغير ويتحول إلى غيره من الأصوات ولا نجد أصواتا تتحول إليه والذي يظهر لي أن الأمرين قد حصلا لهذه اللهجات

---

(١) تاريخ اللغات السامية أ / ولفنسون (٢٨٧).

وهذا يشير إلى أن اللغات السامية عندما تحول فيها صوت الثاء قد اصطدمت بلغات لا يوجد فيها هذا الصوت ووجود الذال والثاء في اللغة العربية يشير إلى أصالتها وقدمها وتمسكها بهذين الصوتين اللذين ربما كانا أصيلين في اللغات الإنسانية فإنهما يحتاجان إلى دراسة خاصة بهما فإن كثيرا من المواد التي تحتوي على الأصوات الأسنانية واللثوية بعد النظر الدقيق والبحث الطويل ترجع إلى هذين الصوتين.

ويلاحظ أن الثاء تتحول إلى جميع الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية والأسنانية الشفوية بواسطة وبغير واسطة وهذا الشكل يبين الإبدالات والتغيرات التي تطرأ على صوت الثاء:



فهو يتحول إلى فاء وهذا يكون بتقدم مخرجه ويتحول إلى أخواته الذال والظاء ثم الذال تتحول إلى زاي أو دال هذا في الأصوات الأسنانية أما في الأصوات الأسنانية اللثوية فهو يتحول إلى سين ثم بعد ذلك يدخل التبادل بين الأصوات الصفيرية، ويتحول إلى تاء ثم بعد ذلك يدخل الإبدال بين أصوات «ت د ط».

السين والتاء

السين حرف (صوت) لثوي أسناني مهموس رخو «احتكاكي» منفتح والتاء حرف (صوت) أسناني لثوي مهموس شديد «انفجاري» منفتح.

فيجمع بين هذين الصوتين المخرج والصفات ما عدا الشدة والرخاوة إذ السين رخو والتاء شديد.

وقد جاءت النصوص مفيدة أن السين تتحول إلى تاء من هذه النصوص ما ذكره أبو زيد الأنصاري وقال علباء بن أرقم:

ياقبح الله بني السعلات

عمرو بن يربوع شرار النات

غير أعفاء ولا أكيات[1]

«النات» أراد الناس و«أكيات» أراد أكياس.

وقد نسب السيوطي هذه اللهجة إلى اليمن وسماها الوتم قال عندما كان يعدد للهجات العربية: «ومن ذلك الوتم في لغة اليمن تجعل السين تاء كالنات في الناس»[2].

وقد نسبت أيضا إلى حمير إذ جاء في مادة «بأس» من اللسان وإذا قال الرجل لعدوه لا بأس عليك فقد آمنه لأنه نفى عنه البأس وهو في لغة حمير لبات أي لا بأس عليك قال شاعرهم:

شربنا اليوم إذ غضبت غلاب ... بتسهيد وعقد غير مين

تنادوا عند غدرهم: لبات ... وقد بردت معاذر ذي رعين

(١) النوادر (٣٤٥) نوت وأنسى من اللسان، سر صناعة الإعراب (١/ ١٧٢)، الإبدال لابن السكيت (١٠٤).

(٢) المزهر (١/ ٢٢٢).

ولبات بلغتهم «لابأس».

كما نسبت هذه اللهجة إلى قضاعة فقد جاء في شواذ سورة الناس (أعوذ برب النات) حكاها أبو عمرو أنها لغة قضاعة[1]. وقال أبو الطيب في التبادل بين التاء والسين: «وزعموا أن بعض الأعراب كان يقرأ: قل أعوذ برب النات، ملك النات»[2].

ونسب هذا الإبدال إلى طيء فقد جاء في مادة «طست» من لسان العرب: والطست الطس بلغة طيء أبدل من إحدى السينين تاء للاستثقال فإذا جمعت أو صغرت رددت السين لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء فقلت طساس وطسيس».

وفي مادة «جتت» منه «الجت الجس للكبش لتنظر أسمين أم لا؟»

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين التاء والسين «ويقال رجل قتات وقساس: إذا كان نماما»[3].

وحكوا: لا سيماً و لا تيما[4]، ويقال الكرم من توسه ومن سوسه أي من أصله وخليقته[5].

وهذا الإبدال وإن كان خاضعا لقاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية إلا أنه قد يشير إلى شيء مهم وهو أن التبادل بين السين والتاء ربما كان أصله الثاء فتكون القبائل التي نطقت بالتاء قد أبدلت الثاء من الكلمة الأصلية إلى تاء والقبائل التي نطقت بالسين قد أبدلت الثاء من

---

(١) شواذ القراءات لابن خالويه(١٨٣).

(٢) الإبدال (١/ ١١٨).

(٣) الإبدال (١/ ١١٩).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٢٢).

(٥) المرجع السابق (١/ ١١٥).

الكلمة الأصلية سينا وقد مر فيما سبق أن الثاء من أكثر الحروف تغيرا فهي تتحول إلى سين وإلى تاء بل من المرجح أن الكلمات التي وردت بالسين والتاء ترجع إلى أصل واحد هو كلمة محتوية على ثاء ولنأخذ مثلا «لا سيما ولا تيما» أوردها أبو الطيب هنا دليلا على الإبدال بين السين والتاء ولكن لها صورة أخرى هي لاثيما مما يشير إلى أصلها وأن السين والتاء ترجعان إلى الثاء. وقد سبق أن ذكرنا ما ورد بثلاثة أوجه بالثاء والتاء والسين وبينا أن الثاء أصل للتاء والسين.

وتذكر كتب المعاجم والإبدال أنه حدث للصاد مثل ما حدث للسين إذ تحولت إلى تاء فقد جاء في مادة «لصص» من اللسان «واللصت لغة في اللص أبدلوا من صاده تاء وغيروا بناء الكلمة لما حدث فيها من البدل وقيل هي لغة، قال اللحياني وهي لغة طيء وبعض الأنصار وجمعه لصوت».

وقال أبو الطيب: «ويقال رمح عرات وعراص إذا كان شديد الاهتزاز»[(١)]، ولكن هذا الإبدال قليل حيث إن أبا الطيب لم يذكر إلا كلمتين أو مادتين هما طس، عراص.

ويقال في الصاد والتاء مثل ما قيل في السين والتاء، أي أن أصل التاء والصاد من المرجح أن يكون ثاء لأن الثاء تتحول إلى التاء وإلى سين والسين بدورها تتحول إلى صاد.

هذا وتذكر كتب الإبدال أن العرب تبدل الباء ميما ويضربون مثلا لذلك هو «لازب ولازم» قال أبو الطيب في التبادل بين الباء والميم «وما هذا بضربه لازب ولازم»[(٢)].

---

(١) الإبدال (١/ ١٢٤).

(٢) الإبدال (١/ ٥٠)، الإبدال لابن السكيت (٦٧).

وقال الفراء في تفسير قوله تعالى: ﴿**من طين لازب**﴾[1]: «اللازب اللاصق وقيس تقول طين لاتب... والعرب تقول ليس هو بضربه لازب ولازم يبدلون الباء ميما لتقارب المخرج»[2].

فنحن أمام ثلاث كلمات هي «لازب، لازم، لاتب» فما هي العلاقة التي تربط بين هذه الكلمات وهل إحداهن أصل للأخريين؟ أم إنهن يتفرعن عن كلمة أخرى ؟

وإذا بحثنا عن معاني لزب في المعاجم فإننا نجدها متفرعة عن كلمة أخرى غير الكلمتين المذكورتين معها في هذا المقام وهما «لاتب ولازم» ففي مادة «لزب» من اللسان «ولزب الشيء يلزب لزوبا دخل بعضه في بعض، ولزب الطين يلزب لزوبا ولزب: لصق وصلب وطين لازب لازق» ،وفي مادة «لسب» منه أيضا: «لسب بالشيء مثل لصب به أي لزقه»، وفي مادة «لصب» منه أيضا «لصب الجلد باللحم يلصب لصبا فهو لصب لزق به من الهزال ولصب جلد فلان لصق باللحم من الهزال ولصب السيف في الغمد لصبا نشب به».

فهذه المواد «لزب ولصب ولسب كلها بمعنى واحد فيكون أصلهن «لسب» ثم أبدلت السين صادا فصارت «لصب» ثم أبدلت الصاد زايا فكانت «لزب» على قاعدة أصوات الصفير أو أبدلت السين زايا دون المرور بالصاد وهذه أيضا على قاعدة التبادل بين أصوات الصفير فلزب ولصب متفرعتان عن لسب وإذا نظرنا في لهجة قيس التي تقول لاتب نجدها تقابل لاسب فهل هي مبدلة من لاسب أم أنها من أصل آخر لكن

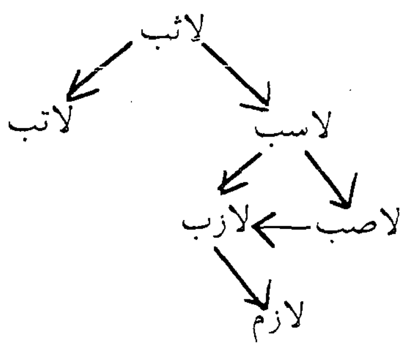
---

(١) سورة الصافات (١١).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣٨٤).

السين والتاء كثيرا ما يرجعان إلى الثاء فيكون الأصل الذي يجمع بين لاتب ولاسب هو لاثب.

أبدلت الثاء إلى سين كما هو في لاسب وإلى تاء كما في لهجة قيس ثم بعد ذلك دخلت السين في قاعدة التبادل بين الأصوات الصفيرية فنتج عن ذلك لازب ثم أبدلت الباء ميما فأصبحت لازم فيكون تطور هذه اللفظة على الشكل التالي:



التاء والكاف

التاء حرف (صوت) أسناني لثوي مهوس شديد «انفجاري» منفتح والكاف حرف (صوت) طبقي مهموس شديد «انفجاري» منفتح وهذان الحرفان وإن كانا متباعدين في المخرج فإنهما متفقان في جميع الصفات وهي الهمس والشدة «الانفجار» والانفتاح.

وقد وقع التبادل بينهما والنصوص التي جاءت دالة على الإبدال بينهما تؤيد أن التاء هي التي تتحول إلى كاف.

من هذه النصوص ما أورده أبو الطيب في التبادل بين التاء والكاف «وزعموا أن من العرب من يبدل التاء في جميع الكلام كافا إذا لم تكن من نفس الكلمة نحو تاء النفس من قولك فعلت وصنعت وتاء المخاطب في قولك أنت قلت، قال الأصمعي قال الفرزدق: رأيت أعرابيا بمكة ومعه عجوز وغلامان وهو يقول:

أنك وهبك زائدا ومزيدا

وشيخة أولج فيها الأجردا

والعجوز تقول: إذا شئك إذا شئك يريد أنت وهبت وإذا شئت إذا شئت»[1].

وقال الراجز:

بابن الزبير طال ما عصيكا

وطال ما دعـــــوكنا إليكا

أي طال ما عصيت وطال ما دعوتنا[2].

---

(١) الإبدال (١/ ١٤١).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٤٢).

وهذا الرجز قد نسبه أبو زيد لرجل من حمير[1].

وهذا الرجز له رواية أخرى هي:

يابن الزبير طالما عصيكا

وطــــالما عنيكنا إليكا

لنضربن بسيفنا قفيكا[2]

وقد استشهد الخليل بهذا الرجز على أن طيئا تبدل الألف ياء حيث قال:

«وقفيك بإبدال الألف ياء لغة طيء»[3].

وتروي بعض الكتب كلمة «عنيكنا» من الشطر الثاني من هذا الرجز بالتاء أي على هذه الصورة:

وطالما عنيتنا إليكا[4].

وأنا أرجح الرواية التي جاء بالكاف لأن الإبدال إذا وقع في الحرف يأخذ صفة الاطراد ولوجود الروايات التي أوردت الكاف.

ومما ذكره أبو الطيب في التبادل بين التاء والكاف وقال أبو زيد: سمعت أعرابيا يقول لآخر: «سؤك بك ظنا وأنا بك عريف؛ يريد سؤت

---

(١) النوادر (٣٤٧).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب للرضى (٤/ ٤٢٥).

(٣) العين (٥/ ٢٢٢).

(٤) النوادر لأبي زيد (٣٤٧)، شرح الأشموني (٤/ ٢٨٣) اللسان مادة «قفا»، سر صناعةالإعراب (١/ ٢٨١)، شرح شافية ابن الحاجب للشرف الرضى (٣/ ٢٠٢)، الممتع لابن عصفور (١/ ٤١٤).

بك ظنا والعريف بمعنى العارف ها هنا»[1].

ومما يدل على إبدال التاء كافاً المقارنة بين هذه الكلمات: «لتح ولدح ولطح ولكح» حيث قال أبو الطيب في التبادل بين التاء والدال: «ويقال لتحه بيده يلتحه لتحا ولدحه يلدحه لدحا إذا ضربه»[2]، وذكر في التبادل بين التاء والطاء «ويقال لتحه بيده يلتحه لتحا وكذلك بالعصا ولطحه يلطحه لطحا إذا ضربه»[3]، وقال في التبادل بين التاء والكاف «ويقال لتحه يلتحه لتحا ولكحه يلكحه لكحا إذا ضربه بيده»[4].

فهذه المقارنة تبين أن أصل هذه المواد هو لتح أبدلت طاء كما في لطح وكافا كما في لكح ودالا كما في لدح، ومما يزيد الأمر وضوحا أن جاء في التبادل بين الطاء والكاف «لطحته بيدي ألطحه لطحا ولكحته ألكحه لكحا إذا ضربته بيدك»[5] فهذا يدل على أن هذه الطاء مبدلة من التاء وهذه الكاف بدل من التاء كلاهما بدل من تاء لتح.

وكذلك المقارنة بين «شتع وشطع وشكع» فقد ذكر أبو الطيب في التبادل بين التاء والكاف: «ويقال شتع يشتع شتعا وشكع يشكع شكعا إذا جزع من المرض»[6]، وقال في التبادل بين الطاء والكاف «ويقال شطع يشطع شطعا وشكع يشكع شكعا إذا جزع من المرض»[7] وقد سبق في التبادل بين التاء والطاء أن التاء تتحول إلى طاء فيكون الأصل لهذه

---

(١) الإبدال (١/ ١٤٢).
(٢) المرجع السابق (١/ ١٠٦).
(٣) المرجع السابق (١/ ١٣١).
(٤) المرجع السابق (١٤٣).
(٥) المرجع السابق (٢/ ٨٨).
(٦) المرجع السابق (١/ ١٤٢).
(٧) المرجع السابق (٢/ ٢٨٩).

الكلمات شتع أبدلت التاء منها طاء فنتج عن ذلك «شطع» وأبدلت كافا فنتج عن ذلك «شكع».

ومن إبدال التاء كافا ما ذكره بن جني «وكان سحيم إذا أنشد شعرا جيدا قال أحسنك والله، يريد: أحسنت»[(١)].

وإذا نظرنا في اللغات السامية فإنا نجد أن تاء الفاعل في العربية يقابلها كافا في اللغة الحبشية بينما تتفق اللغات العبرية والآرامية والبابلية الأشورية مع العربية فلو أخذنا الفعل قتل وأسندناه إلى المتكلم والمخاطب بنوعيه لوجدناه في الحبشية على النحو التالي:

قتلتُ	قتلكُ
قتلتَ	قتلكَ
قتلتِ	قتلكِ[(٢)]

وإبدال تاء الفاعل كافا يوجد الآن في بعض لهجات اليمن والنصوص العربية التي جاءت بهذا الإبدال تنسبه إلى حمير، وإذا علمنا أن اللغة الحبشية متفرعة عن اللغة اليمانية فإنا نرجح أن ما يوجد في لهجات اليمن اليوم هو من بعض اللهجات اليمنية القديمة والنقوش اليمنية التي اكتشفت حتى الآن لم يظهر فيها ضمير المتكلم والمخاطب المسند إلى الفعل الماضي.

واللغات السامية التي وجد فيها ضمير المتكلم والمخاطب المسند إلى الفعل الماضي تاء قد احتفظت بالأصل والتي وجد فيها ضمير المتكلم

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٨١).

(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٢٧٦)، فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان (١١٨).

والمخاطب المسند إلى الفعل الماضي كافا قد جاءت بالفرع أي أن هذه الكاف متفرعة عن التاء.

وإبدال تاء الفاعل كافا يوجد في لهجة بعض مناطق اليمن وذلك في بعض نواحي إب وتعز وفي خولان وغمر من بلاد صعدة إذ يقولون: «عملك وبنيك وكتبك» في عملت وبنيت وكتبت[1].

---

(١) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية لأحمد حسين شرف الدين.

الاستنطاء

هذه اللهجة تنسب إلى عدد من القبائل العربية وهي لاتزال مستعملة إلى اليوم ويذهب علماء العربية قديما إلى أن الاستنطاء هو إبدال العين الساكنة إذا جاورت الطاء نونا، قال السيوطي مبينا هذا وناسبا هذه اللهجة إلى أصحابها «ومن ذلك الاستنطاء في لغة سعد بن بكر، وهذيل والأزد وقيس والأنصار تجعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء كأنطى في أعطى»[1].

وقد دلت القراءات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر على هذه اللهجة.

وعلى هذه اللهجة جاءت قراءة «أنطيناك[2]»[3].

ومن الأحاديث النبوية التي وردت بهذه اللهجة قوله ﷺ لعطية السعدي: «**ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فإن اليد العليا هي المنطية وإن اليد السفلى هي المنطاة وإن مال الله مسئول ومنطى**»[4].

قال الزمخشري: هذه لغة بني سعد يقولون: أنطني أي أعطني[5] وقوله ﷺ لرجل: «**أنطه كذا**»[6].

وفي كتابه ﷺ إلى وائل بن حجر: «**وأنطوا الثبجه**»[7].

---

(١) المزهر (١/ ٢٢٢)، الاقتراح (١٠٢).

(٢) الكوثر (١).

(٣) البحر المحيط (٨/ ٥١٩)، لسان العرب «نطا».

(٤) الفائق للزمخشري (٣/ ٤٤٢) لسان العرب «نطا».

(٥) الفائق (٣/ ٤٤٢).

(٦) الفائق (٣/ ٤٤٢)، اللسان «نطا».

(٧) الفائق (١/ ١٤).

وقال الزمخشري في تفسير «أنطوا» الإنطاء الإعطاء لغة يمانية(١).

ودليل هذه اللهجة من الشعر قول الأعشى:

جيادك في القيظ في نعمة تصان الجلال وتنطى الشعيرا(٢)

وقول الشاعر:

من المنطيات الموكب المعج بعدما

يرى في فروع المقلتين نضوب(٣)

وإذا نظرنا في العين فإنها صوت حلقي والنون صوت لثوي فهما متباعدان في المخرج ولو كان هذا الإبدال بين العين الساكنة إذا جاورت الطاء والنون لحصل في الكلمات التي وقعت تحت هذا الشرط مثل «يعطش، معطير، يعطس، يعطف» فما هي حقيقة هذه النون من «أنطى» وما هو أصل أنطى؟

للإجابة على هذا السؤال فإنني سوف أسرد آراء العلماء المحدثين من: عرب ومستشرقين ثم أردفه بما أراه صوابا أو بما بدا لي من قانون التبادل بين الأصوات العربية.

١ـ يرى المستشرق رابين أن الاستنطاء لا شأن له بالفعل أعطى بل هو من فعل سامي آخر معروف في اللغة العبرية هو «نطا» بمعنى مد يده إلى ثم زيدت عليه الهمزة فجاء على وزن «أفعل»(٤).

---

(١) المرجع السابق (١/١٧).

(٢) الإبدال لأبي الطيب (٢/٣١٨)، البحر المحيط (٨/٥١٩)، وفي ديوان الأعشى طبعة صادر ص(٨٨) جاء في هذا البيت «تعطي» بدلا من «تنطي».

(٣) اللسان مادة «نطا».

(٤) انظر في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس (١٤٢).

٢ـ يرى الدكتــور رمضان عبد التواب أن «أنطى» منحوتة من الفـعل نتن (נתן) الموجود في اللغتين العبرية والسريانية ومن الفعل العربي «أعطى» وذلك بأخذ فاء الفعل من العبرية والسريانية وعينه ولامه من العربية[١].

٣ـ ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أن «أنطى» مأخوذ من الفعل «أتى» بمعنى أعطى ثم ضعف حتى أصبح «أتّى» ثم فك التضعيف بالنون وأبدلت التاء طاء إذ يقول: «وملاك الأمر في هذه«النون» أنها لم تكن مقابلة للعين في «أعطى» وإنما جاءت من أن الفعل كان «أتى» بمعنى «أعطى» ثم ضعف الفعل فصار «أتى» بتشديد التاء ومعلوم أن فك الإدغام في العربية وغيرها من اللغات السامية يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين كما نقول في العربية «جندل» وهي (جدّل) بتشديد الدال وهذا كثير معروف. . .وعلى هذا«أتّى» بتشديد التاء تصبح «أنتى» بفك الإدغام ثم يحصل إبدال الطاء من التاء[٢].

وما أراه أن الدكتور إبراهيم السامرائي قد أصاب في أصل أنطى ولكن لم يبين العلاقة التي تربط بين «أنطى» و «أعطى» وهل هما من أصل واحد أو من أصلين مختلفين وهل هما متفرعتان من أصل ثالث، وهل فيهما إبدال أم أن حروفهما كلها أصلية.

إن المقارنة بين هذه المواد «آتى، أتى، أنطى، أعطى، أدى» تبين لنا أصل أنطى وأعطى؛ لأن هذه المواد متفرعات من مادة واحدة منهن، فما

(١) انظر فصول في فقه العربية (١٢٢).

(٢) فقه اللغة المقارن (٢٥٨).

هي المادة الأصلية منهن وكيف وصلت إلى هذه الفروع.

إن معرفة قانون التبادل بين الأصوات العربية باستطاعتها أن ترجع هذه المواد إلى أصل واحد اشتركت في تنوعه حروف الحلق والحروف الأسنانية اللثوية وفك الإدغام، فأصل هذه المواد هو «أتى» وقد سلك هذه الأصل في تطوره عدة طرق:

الطريق الأول: دخلت عليه الهمزة فأصبح «أأتى» و «أأتى» هذه دخلها تغيران الأولى إبدال الهمزة الثانية ألفا فنتج عن ذلك «آتى»، والثاني إبدال الهمزة عينا كما في عنعنة تميم أو في قاعدة التبادل بين الحروف الحلقية وإبدال التاء طاء تبعا لقاعدة الأصوات الأسنانية اللثوية فنتج عن هذا أعطى.

والطريق الثاني: من تطورات «أتى»: هو التضعيف وإبدال التاء دالا حيث أصبحت بعد التضعيف «أتّى» ثم أصبحت بعد إبدال التاء دالاً أدّى.

والطريق الثالث: هو فك الإدغام من أتى وإبدال إحدى التائين طاء حيث فك الإدغام من «أتى» فأصبحت «أنتى» ثم أُبدلت التاء طاء على قاعدة التبادل بين التاء والطاء فأصبحت «أنطى» وبهذا نصل إلى أن أعطى وأنطى متفرعتان من أصل واحد وكل لهجة من اللهجات العربية تدل على طور من أطوار هذه الكلمة ومما يدل على أن أنطى وأعطى متفرعان من أصل واحد قراءة «وأنطاهم»[١] في قوله تعالى: ﴿**وآتهم تقواهم**﴾[٢]

(١) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه (١٤١).

(٢) محمد (١٧).

حيث إن كلا من آتى وأعطى «قد قرئت أنطى» فقد تَجَمّع من القراءات القرآنية ثلاث مواد هي: آتى وأعطى وأنطى، وكل منهن تمثل مرحلة من مراحل تطور هذه الكلمة.

وقد لاحظ ابن دريد العلاقة بين آتى وأعطى حيث قال في مادة «ت أ د ى» من الجمهرة وآتى يؤتي إيتاء في معنى أعطى.

والاستنطاء لازال موجود اليوم في العراق ولدى الأعراب بصحارى مصر[1] كما يوجد بسوريا والأردن.

(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (١٢١).

الحروف (الأصوات) الشفوية

الباء والميم

سبق الحديث عن مخرج الميم وصفاتها عند الكلام حول التبادل بين النون والميم.

أما الباء فمخرجها من بين الشفتين قال سيبويه: «ومما بين الشفتين مخرج الباء»[١] وهي صوت شفوي مجهور شديد «احتكاكي» منفتح، يتم نطقه بضم الشفتين ورفع الطبق ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي مع ذبذبة الوترين الصوتيين[٢] فهما يتفقان في المخرج والجهر ويختلفان في أن الباء شديدة والميم متوسطة لخروج الهواء مع الأنف فالباء صوت فموي والنون صوت فموي أنفي.

وقد دلت النصوص على إبدال الباء ميما ومن هذه النصوص ما جاء في الممتع لابن عصفور عندما كان يذكر الحروف التي أبدلت منها الميم حيث قال وأبدلت أيضا من الباء في قولهم: «مخر» وهن سحائب يأتين قبل الصيف بيض منتصبات في السماء.

وإنما حملت الباء على الأصل لأن «البخر» مشتق من البخار؛ لأن السحائب إنما تنشأ عن بخار البحر[٣].

وقال ابن فارس في مادة «سمد» من مقاييس اللغة «فأما قولهم سمد رأسه إذا استأصل شعره فذلك من الإبدال؛ لأن أصله الباء وقد ذكر».

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

(٢) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٤٢).

(٣) الممتع في التصريف (١/ ٣٩٣)، الخصائص (٢/ ٨٥).

وفي مادة «جردم» من اللسان الجردمة في الطعام مثل الجردبة جردم على الطعام وفي الطعام لغة في جردب وهو أن يستر ما بين يديه بشماله لئلا يتناوله غيره وقد تقدم شرحه، وقال يعقوب ميمه بدل من باء جردب.

وقال ابن السكيت: ويقال وقعنا في بعكوكاء يا هذا ومعكوكاء أي في غبار وجلبة وشر[1].

وقال ابن دريد في مادة (خ ق م) من الجمهرة، ويقال مخقت عينه مثل بخقت سواء إذا عورت فانخسفت وأعورت أيضا كل يقال والميم أخت الباء تبدل منها.

ومما ذكره ابن السكيت أيضا: «ويقال أسود غيهب وغيهم»[2]، وفي «غهم» من اللسان «الغيهم كالغيهب عن اللحياني».

وأورد في التبادل بين الباء والميم «اللحياني يقال: أتى وما عليه طحربة وطحرمة: أي خرقة وكذا يقال، ما في السماء طحربة أي لطخ من غيم»[3] وبمقارنة ذلك بمادتي طحرم وطحرب من اللسان اتضح أن الباء هي الأصل إذ جاء في «طحرم» ما عليه طحرمة أي خرقة كطحربة وما في السماء طحرمة كطحربة؛ أي لطخ من غيم» وفي «طحرب»: وما عليه طحرمة كطحربة؛ أي لطخ من غيم وطحرمة، أصلها طحربة».

ومما أورده ابن عصفور عند حديثه عن التبادل بين الباء والميم، وأبدلت أيضا من الباء فيما حكاه أبو عمرو الشيباني من قولهم: «مازال راتماً على كذا» و «راتبا» أي مقيما من الرتبة، وأبدلت أيضا من الباء في

---

(١) الإبدال (٧٦).

(٢) المرجع السابق (٧٤).

(٣) المرجع السابق (٧٣).

قولهم: رأيته من كثب و «من كثم»؛ أي من قرب ثم قالوا قد أكثب هذا الأمر؛ أي قرب، ولم يقولوا: أكثم، فدل ذلك على أن الباء هي الأصل[1].

وقال أيضا: «وأبدلت أيضا من الباء في «نغب» جمع «نغبه» فقالوا: «نغم»»[2].

وفي مادة عرتم من لسان العرب «العرتمة مقدمة الأنف قال يعقوب كان ذلك على رغم عرتمته أي على رغم أنفه وهي العرتبة بالباء والميم أكثر. أبو عمرو يقال للدائرة التي عند الأنف وسط الشفة العليا العرتمة والعرتبة لغة فيها.

وقال ابن فارس في مادة «نقم» من المقاييس «وقولهم للنفس نقيمة وهو ميمون النقيمة إنما هو من الإبدال والأصل النقيبة».

وفي مادة «ح ك م» من الجمهرة اللغة «والكحم لغة في الكحب وهو الحصرم لغة يمانية صحيحة الواحدة كحمة وكحبة».

وقال ابن السكيت: ويقال للعجوز قحمة وقحبة وكذلك لكل كبيرة مسنة»، وبمقارنة هذا بمادتي قحم وقحب من لسان العرب ثبتت أصالة الباء وفرعية الميم حيث ورد في مادة «قحم» الكحم الكبير المسن وقيل القحم فوق المسن، والأنثى قحمة، وزعم يعقوب أن ميمها بدل من باء قحب والقحمة المسنة من الغنم وغيرها كالقحبة.

وفي مادة قحب: أهل اليمن يسمون المرأة المسنة قحبة ويقال للعجوز القحبة والقحمة وكذلك يقال لكل كبيرة من الغنم مسنة».

وجاء في مادة قرهم من لسان العرب «القرهم من الثيران كالقرهب

---

(١) الممتع (١/ ٣٩٣).

(٢) الممتع (١/ ٣٩٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (١٠/ ٣٥).

وهو المسن الضخم، قال كراع: القرهم المسن قال ابن سيده فلا أدري أعم به أم أراد به الخصوص وقال مرة القرهم أيضا من المعز ذات الشعر وزعم أن الميم في كل ذلك بدل من الباء، والقرهم من الإبل الضخم الشديد والقرهم السيد كالقرهب عن اللحياني وزعم أن الميم بدل من باء قرهب.

وفي مادة «ص أ م» منه صئم من الشراب صأما كصئب إذا أكثر شربه.

وفي مادة حصلم من لسان العرب: الحصلب والحصلم: التراب، وفي مادة حصلب: الحصلب والحصلم التراب، وفي حثلم «الحثلب والحثلم عكر الدهن أو السمن في بعض اللغات»، وفي حثلب« الحثلب والحثلم عكر الدهن أو السمن في بعض اللغات».

وفي زغلب «لايدخلنك من ذلك زغلبة أي لايحيك في صدرك منه شك ولاهم»، وذكر في مادة «زغلم» مثل ذلك.

وقال ابن فارس في مادة «ظأم» من المقاييس «الظاء والهمزة والميم من الكلام والجبلة وهو إبدال فالظأم والظأب بمعنى واحد والله أعلم».

وفي جرجب من اللسان «وجرجب الطعام وجرجمه أكله الأخيرة على البدل»، وفي جرجم «جرجم الطعام أكله على البدل من جرجب».

في جرشب منه: وجرشب الرجل هزل أو مرض ثم اندمل وكذلك جرشم وفي «جرشم» جرشم الرجل لغة في جرشب.

وفي دبح «منه دبح الرجل حنا ظهره والتدبيح تنكيس الرأس في المشي» وفي «دمح» دمح الرجل ودبح طأطأ رأسه، ودمح طأطأ ظهره وحناه.

وفي مادة كعسب منه: « كعسب فلان ذاهبا إذا مشى مشية السكران وكسعب وكسعم إذا هرب وكعسب يكعسب إذا عدا عدوا شديدا وكعسم الرجل وكعسب أدبر هاربا.

وفي مادة: «زمق» منه الزمق لغة في الزبق، زمق لحيته كزبقها.

وفي مادة «رجم» والرجمة الدكان الذي تعتمد عليه النخلة الكريمة عن كراع وأبي حنيفة قالا: أبدلوا الميم من الباء قال وعندى أنها لغة كالرجبة.

وفي مادة «عبق» من اللسان: وقيل ما في النحى عبقه وعمقه أي لطخ وضر من سمن وقيل ما فيه لطخ ولاوضر ولا لعوق من رب وسمن وزعم اللحيانى أن ميم عمقه بدل من باء عبقه وأصل ذلك من عبق الشيء يعبق عبقا إذا لزق به.

وفي مادة«عجم» منه وعجم الذنب وعجمه جميعا: عجبه وهو أصله وهو العصعص، وزعم اللحياني أن ميمهما بدل من الباء في عَجب وعُجب.

وفي مادة «عشم» منه: ورجل عشمة يابس من الهزال وزعم يعقوب أن ميمها بدل من باء عشبة، وفي عشب: يقال شيخ عشبة وعشمة بالميم والباء.

وفي «صمر» منه والصمر الصبر أخذ الشيء بأصماره أي بأصباره وقيل هو على البدل.

وفي مادة «نسم» منه: النيسم الطريق المستقيم لغة في النيسب.

وفي مادة نسب: النيسب والنيسبان الطريق المستقيم الواضح وبعضهم يقول نيسم بالميم، وهي لغة.

وبعد هذه الأمثلة التي اتضح من خلالها إبدال الباء ميما فإنه إذا وردت كلمتان متفقتان في المعنى وعدد الحروف والترتيب بحيث لا يختلفان إلا بأن تكون إحداهما تشتمل على الباء والأخرى تشتمل على الميم فإن التي اشتملت على الباء هي الأصلية والمشتملة على الميم هي الفرعية. وبهذا يظهر أن الصوت الشفوي الشديد وهو الباء يتحول إلى الصوت الشفوى الرخو وهو الميم وهذا يعني تحول الصوت من الشدة إلى الرخاوة وهذا يعني أن الأصوات الشفوية تتحول من الشدة إلى الرخاوة.

وبمعرفة التبادل بين الباء والميم نستطيع أن نحكم بأن «بكة» هي الأصل لكلمة «مكة».

قال ابن فارس في تأصيل كلمة بكة عندما تكلم عن مادة «بك» في المقاييس «الباء والكاف في المضاعف أصل يجمع التزاحم والمغالبة. قال الخليل البك دق العنق، ويقال سميت بكة؛ لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم لم ينظروا، ويقال سميت بكة؛ لأن الناس بعضهم يبك بعضا في الطواف؛ أي يدفع وقال ابن الأعرابي: «تباكت الإبل إذا ازدحمت على الماء فشربت»

وقد جاء القرآن الكريم بالأصل قال تعالى: ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**﴾[1] فالأصل بكه أبدلت الباء ميما فأصبحت مكة.

وإبدال الباء ميما يوجد في لهجة شمال المغرب في مدينة تطوان وماحولها إذ يقولون: جيم، شوم، مراح، المنادم، رجم يريدون بها: جيب، شوب، براح، لابن آدم، رجب[2].

---

(١) آل عمران (٩٦).

(٢) لهجة شمال المغرب (٧٣).

الباء والفاء

الباء صوت شفوي مجهور شديد منفتح والفاء صوت شفوى أسنانى مهموس رخو منفتح فهما قريبان في المخرج إذ يشتركان في الشفة ويمتاز الفاء بأن مخرجه يشمل جزءًا من الشفة وجزءًا من الأسنان بينما الباء لايشمل مخرجه إلا الشفة ويتفقان في الانفتاح ويختلفان في الجهر والهمس وفي الشدة والرخاوة.

وقد وردت ألفاظ منها مايدل صراحة على إبدال الباء فاء وهذا يعني التحول من الشدة إلى الرخاوة وقد مر في التبادل بين الباء والميم أن الباء تتحول من الشدة إلى الرخاوة ومنها مايدل على إبدال الباء فاء بمقارنتها باللغات السامية أو بتتبع تاريخ اللفظة ومنها ألفاظ تحتوى بعض صورها على الباء وبعضها على الميم وبعضها على الفاء والمقارنة بين هذه الأصوات الثلاثة تظهر أن أصل هذه الألفاظ هي الكلمة المحتوية على الصوت الشديد وأن الصوتين الرخوين متطوران عن هذا الصوت في اتجاهين: اتجاه رخو مجهور واتجاه رخو مهموس.

ومن النصوص التي دلت صراحة على تحول الباء إلى الفاء ما جاء في مادتي«صطف» و«صطب» من لسان العرب إذ ورد في «صطف»: قال الأزهرى سمعت أعرابيا من بنى حنظلة يُسمي المصطبة المصطفة «بالفاء»[1].

وفي صطب قال الأزهري: سمعت أعرابيا من بنى فزارة يقول لخادم له ألا وارفع لي عن صعيد الأرض مصطبة أبيت عليها، فرفع له من السهلة شبه دكان مربع قدر ذراع من الأرض يتقي به هوام الليل، قال

---

(١) الإبدال (١/ ٢٤).

وسمعت آخر من بني حنظلة سماها المصطفة بالفاء».

وما جاء في جمهرة اللغة لابن دريد في مادة(ج س ف) «الجفس» لغة في الجبس وهو الضعيف الفدم.

وما أورده أبو الطيب اللغوي يقال جذع نقيب ومنقوب ونقيف ومنقوف وهو المأروض الذي أكلته الأرض يقال نقب الجذع ونقف وآرض ويقال نقبت البيضة أنقبها نقبا ونقفتها أنقفتها نقفا[1].

وفي مادة «شسف» من اللسان«الشاسف اليابس من الضمر والهزال مثل الشاسب».

وبمقارنة مادتي «شنعب» و «شنغب» من اللسان: مع مادتي «شنعف وشنغف» اتضح أن الباء هي الأصل في هذه المواد إذ ورد في مادة «شنعب» الشنعاب من الرجل كالشنعاف وهو الطويل العاجز، والشنعاب رأس الجبل بالباء» وفي مادة«شنغب»: الشنغب والشنغوب والشغنوب أعالي الأغصان، تقول للغصن الناعم شنغوب وشغنوب..

قال الأزهري ورأيت في البادية رجلا يسمى شنغوبا فسألت غلاما من بني كليب عن معنى اسمه فقال: الشنغوب الغصن الناعم الرطب.

والشنغاب الطويل من جميع الحيوان، والشنغاب الطويل الدقيق من الأرشية والأغصان ونحوها، والشنغاب الرخو العاجز والشنغوب عرق طويل من الأرض دقيق، وفي مادة شنعف «الشنعفة الطول، والشنعاف والشنعاب الطويل الرخو العاجز رجل شنعاف، والشنعاف والشنعوف رأس يخرج من الجبل والنون زائدة ـ الأصمعي الشناعيف رءوس تخرج من الجبال».

---

(١) الإبدال (١/ ٢٤).

وفي شنغف «الشنغاف الطويل الدقيق من الأرشية والأغصان، والشنغوف عرق طويل من الأرض دقيق».

وفي شخف من اللسان «الشخاف اللبن حميرية، قال أبو عمرو: الشخف صوت اللبن عند الحلب يقال سمعت له شخفا».

وفي مادة «شخب» الشخب صوت اللبن عند الحلب، والشخب الدم وكل ماسال فقد شخب، وانشخب عرقه دما إذا سال، والشخاب اللبن يمانية.

وفي مادة «بذذ» منه: وتمربذ متفرق لا يلزق بعضه ببعض كفذ عن ابن الأعرابي.

وفي مادة «فذذ» وتمرفذ متفرق لايلزق بعضه ببعض عن ابن الأعرابي وهو مذكور في الضاد لأنهما لغتان».

وفي مادة «فضض» وتمرفض متفرق لا يلزق بعضه ببعض عن ابن الأعرابي» ففي هذه المواد الثلاثة الأصل «بذ»، تحولت الباء الشفوية الشديدة إلى الفاءالشفوية الأسنانية الرخوة فأصبحت «فذ» ثم يدخل الكلمة التفخيم في الذال فتصبح «فض» كما سبق في قاعدة التبادل بين الذال والضاد.

والكلمات التي دلت المقارنة بين اللغات السامية على أن أصلها هو الباء منها ما جاء في مادتي «بسك وسفك» من جمهرة اللغة إذ جاء في الأولى «الأسكوب والإسكاب في بعض اللغات الإسكاف أو القين، وقالوا أُسكبة الباب وأُسكفة الباب بمعنى، وجاء في الثانية و«السكف فعل ممات منه اشتقاق أسكفة الباب والعرب تسمي كل صانع أسكافا وسيكفا ويقال أسكفة الباب وأُسكبة الباب»، وبالنظر في تاريخ هذه اللفظة نجد أن

الباء هي الأصل يقول طه باقر مبينا تاريخ هذه اللفظة عندماتحدث عن «أسكاف» وردت في الأكدية «البابلية الأشورية» الكلمة «اشكابو» مطابقة في اللفظ والمعنى للكلمة العربية «أسكاف ـ أسكافي» مع تغيير في بعض الأصوات بموجب قانون تبادل الأصوات في اللغات العربية (السامية) حيث الشين الأكدية تقلب سينا في العربية والباء الأكدية تقلب «فاء» [1]، ثم ذكر أن الباحثين يرجعون هذه اللفظة إلى الأقوام القديمة التي سكنت العراق قبل السومريين ثم قال عن الأسكفة: «ويطلق على الأسكفة في اللغة الأكدية كلمة مضاهية للعربية لفظا ومعنى» بصيغة «أسكبتو» وهي مشتقة من الجذر الأكدي «سقابو» أو «سكابو» بإضافة حرف «أ» الى أول المادة لاشتقاق اسم الآلة منها أي «أسكبتو» وتعني الأسكبتو الأكديه بالدرجة الأولى العتبة السفلى للباب ولاسيما صفحة من الحجر توضع في العتبة كما وردت بهذا الاستعمال في ملحمة جلجامش مثلا (اللوح الأول) والمرجح كثيرا أن الكلمة الأكدية أصل اللفظة الأرامية «أسكبتا» و«أسكفتا»[2].

وبهذه المقارنة يظهر أن اللغة العربية قد احتفظت بالأصل لكلمة إسكاف وهو إسكاب بالباء وبالفرع وهو إسكاف بالفاء.

وفي كلمة أسكفة أيضا احتفظت اللغة العربية بالأصل وهو أسكبة وبالفرع أسكفة ومثلها الآرامية أما الأكدية فقد جاءت بالصيغة التي تحتوي على الباء وهذا يدل على أن الصيغة التي اشتملت على الفاء إنما حدثت فيما بعد فالأكدية احتفظت بالأصل فقط.

---

(١) من تراثنا اللغوي القديم (٤٢).

(٢) من تراثنا اللغوي القديم (٤٣).

وفي مادة «بـ خ ز» من جمهرة اللغة «والخزب الخزف المعروف في بعض اللغات» وورد مثله في مادة خزب من لسان العرب.

وإذا نظرنا إلي تاريخ هذه اللفظة فقد «وردت كلمة الخزف (في البابلية الأشورية) بهيئة «خصبو » «khasbu» بالمعاني المألوفة للكلمة العربية خزف مثل الفخار وأواني الفخار».(١)

فالكلمة الآكادية اشتملت على الصيغة الأولى، ثم تحولت الصاد إلى زاى كما في قاعدة التبادل بين حروف الصفير فأصبحت الكلمة خزب وهي الصيغة العربية ثم تحولت الباء إلى فاء فأصبحت خزف وهذه هي الصيغة العربية الثانية، بهذا تكون الأكدية دلت على الأصل أو على الطور الأول للكلمة ودلت العربية على الطورين الثاني والثالث.

ولذلك نرجح أن كلمة عكب أصل لمادة عكف، جاء في العين للخليل ابن أحمد مادة «عكب» وفي لغة الخفاجيين من بنى عقيل عكبت حولهم الطير عكفت فهي طير عكوب أي عكوف قال شاعرهم مزاحم العقيلي:

تظل نسور من شمام عليهم عكوبا مع العقبان عقبان يذبل

أما ما ورد بثلاثة أوجه الباء والميم والفاء فهو نحو ما جاء في هذه المواد من المعاجم العربية : حبش وحمش وحفش.

فقد أورد ابن دريد في جمهرته في مادة «بـ ح ش» حبشت الشيء حبشا إذا جمعته والمجموع الحباشة وحبشته تحبيشا كذلك».

وفي مادة «ح ش م» قال« والحمش الجمع مثل الحبش حبشت الشيء وحمشته إذا جمعته».

---

(١)من تراثنا اللغوي القديم (٧٩).

وفي مادة «حفش» من لسان العرب «والحفش مصدر قولك حفش السيل حفشا إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع واحد، «والتحفش الانضمام والاجتماع، وحفشوا عليك يحفشون حفشا اجتمعوا، ويقال هم يحفشون عليك أي يجتمعون ويتألفون».

وإذا نظرنا في الفاء والميم فإنا لانجد علاقة وثيقة تربطهما ببعض وإنما الذي يربطهما هو الباء فالباء في هذا هي الأصل ويعني هذا أن كلمة حبش هي الأصل ثم اتخذت الباء في تطورها طريقين: الأول التبادل بين الأصوات الشفويه إذ تحولت الباء الشفوية الفموية المجهورة الشديدة إلى الصوت الأنفي الرخو المجهور وهو الميم فتحولت حبش إلى حمش والتطور الثاني هو أن الباء قد تأخر مخرجها إلى الوراء قليلا إذ تحولت من صوت شفوي إلى صوت أسناني شفوي ثم تغيرت صفاتها إذ تحولت الشدة إلى رخاوة والجهر إلى همس وذلك يعني حبش تحولت حفش.

ومثل هذه المواد ما ورد في المعاجم العربية في «طبر» و«طفر» و«طمر» إذ جاء في مادة طبر من اللسان«ابن الأعرابي طبر الرجل إذا قفز، وإذا اختبأ ووقعوا في طبار أي داهية عن يعقوب واللحياني ووقع فلان في بنات طبار وطمار إذا وقع في داهية».

وفي مادة «طفر» منه «الطفرة وثبة في ارتفاع كما يطفر الإنسان حائطا أي يثبه، والطفرة والوثبة وقد طفر يطفر طفرا وطفوراً: وثب في ارتفاع، وطفر الحائط وثبه إلى ما وراءه».

وقال ابن فارس في مادة «طمر» من المقاييس الطاء والميم والراء أصل صحيح يدل على معنيين أحدهما الوثب والآخر وهو قريب من الأول هوي الشيء إلى أسفل.

فنقول في هذه المواد مثل ما قلناه في المواد السابقة إذ الباء هي الأصل في ذلك ثم اتخذت طريقين: الأول التحول إلي ميم، والثاني التحول إلى فاء، فالأصل طبر والتحول الأول طمر والثاني طفر.

ومن هذه المواد التي جاءت مشتملة تارة على الباء وتارة على الميم وثالثة على الفاء «جبخ وجفخ وجمخ» من لسان العرب إذ جاء في مادة جبخ «جبخ جبخا تكبر وجبخ القداح والكعاب جبخا: حركها وأجالها والجبخ صوت الكعاب والقداح إذا أجلتهما، والجمخ مثل الجبخ في الكعاب إذا أجيلت.

وفي مادة «جفخ» الجمخ والجفخ الكبر وجَفَخ الرجل يَجْفَخ ويَجْفِخ جفخا كجخف: فخر وتكبر وكذلك جمخ فهو جفاخ وجماخ وذو جفخ وذو جمخ وجافخة وجامخة.

وفي مادة جمخ « الجمخ والجفخ الكبر: جمخ يجمخ جمجا فخر والجمخ مثل الجبخ في الكعاب إذا أجيلت: وجمخ الصبيان بالكعاب مثل جبخوا أي لعبوا متطارحين لها.

فالأصل في هذه المواد هي جبخ تحولت الباء إلى ميم في الأصوات الشفوية فأصبحت جمخ وتحولت الباء إلى الأصوات الشفوية الأسنانية بعد أن تغيرت صفاتها وتحولت من الجهر إلى الهمس ومن الشدة إلى الرخاوة فأصبحت الكلمة «جفخ».

ومما ورد بالباء والفاء والميم «هرشب» و«هرشم» و«هرشف».

فقدورد في مادة هرشب من لسان العرب «عجوز هرشبة وهرشفة بالفاء والباء بالية كبيرة».

وفي مادة «هرشف» منه الهرشف والهرشفة العجوز البالية الكبيرة ويقال للناقة الهرمة هرشفة، وعجوز هرشفة وهرشبة بالفاء والباء ودلو هرشفة بالية متشنجة وقد اهرشفت والهرشفة خرقة ينشف بها الماء والهرشفة صوفة الدواة وهي صوفة أو خرقة ينشف بها الماء أبو عبيد الهرشفة قطعة خرقة يحمل بها الماء أو قطعة كساء ونحوه ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تعصر في الجف وذلك من قلة الماء ويقال لصوفة الدواة إذا يبست هرشفة وقد هرشفت واهرشفت، والهرشف من الرجال الكبير المهزول، والهرشف الكثير الشرب عن السيرافي، أبو خيرة التهرشف التحسي قليلا قليلا.

وفي مادة «هرشم» منه أيضا «ويقال للناقة الخوارة هرشمة والهرشم بكسر الهاء وتشديد الميم الحجر الرخو والرخو النخر من الجبال اللين المحفر، قال أبو زيد يقال للجبل اللين المحفر هرشم، وجبل هرشم رقيق كثير الماء».

وقد تجتمع أكثر من ثلاث مواد بمعنى واحد مثل كبح وكفح وكمح وكثح ولكن معرفتنا بقانون الإبدال تجعلنا نعرف الأصل من الفرع فقد يكون للكلمة الواحدة بسبب الإبدال معنيان.

فقد أورد أبو الطيب اللغوي «ويقال كبحت الفرس باللجام أكبحه كبحا وكفحته أكفحه كفحا».[1]

وأورد ابن دريد في مادة «ح ف ك» من الجمهرة «والكفح والكثح متقاربان في المعنى كفحت الشيء وكثحته إذا كشفت عنه غطاءه».

(١) الإبدال (١/ ١٩).

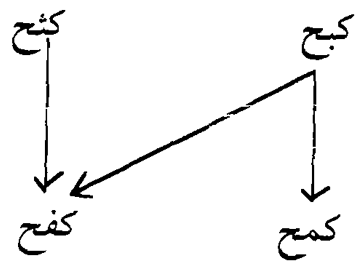
وقال في مادة «بَ ح ك» منه «كبحه باللجام كبحا وكمحه إذا رده به»، وفي مادة «حكم» منه والكمح لغة في الكبح كمحه باللجام وكبحه أيضا».

فنحن أمام أربع كلمات كبح وكمح وكفح وكثح، ولكن ما العلاقة بين الباء والثاء في كل من كبح وكثح. في الحقيقة ليست هناك علاقة وقد عرفنا العلاقة بين الباء والميم والفاء ونستطيع أن ندرك كيف تحولت كبح إلى كفح أو إلى كمح أما تحولها إلى الثاء فغير وارد؛ لأن الباء لا تتحول إلى ثاء ولكن ما علاقة كثح بهذه الكلمات «كبح وكفح وكمح» العلاقة هي بين كفح وكبح من جهة وبين كفح، وكثح من جهة أخرى إذ الباء تتحول إلى فاء والثاء تتحول إلى فاء كما مر عند التبادل بين الثاء والفاء فبسبب الإبدال كان لكفح معنيان: الأول بمعني كثح، والثانى بمعنى كبح فالمعنى الأول يكون أصل الكلمتين كثح وكفح وهو كثح؛ لأن الثاء تحولت إلى فاء فأصبحت الكلمة كفح.

والمعنى الثاني: هو : أن أصل الكلمتين كفح وكبح هو كبح؛ لأن الباء تحولت إلى فاء فأصبحت الكلمة كفح.

فاجتمع في مادة «كفح» معنيان: أحدهما بمعنى كثح التراب والآخر بمعنى كبح الفرس وذلك أن قاعدة التبادل بين الأصوات الشفوية هي: أن الباء تتحول الى ميم أو تتحول إلى فاء فتأخذ طريقين: الأول تحول الصوت الشفوي الشديد المجهور إلى الصوت الشفوي المتوسط المجهور وهو الميم، والطريق الثاني تحول الصوت الشفوي الشديد المجهور إلى الصوت الشفوي الأسناني الرخو المهموس وهو الفاء، وقد سبق أن الثاء

تتحول إلي الفاء وذلك بتقدمها إلى الأمام حتى تصل إلى الأصوات الأسنانية كالفاء وعلى قاعدة التبادل بين الثاء والفاء تحولت الثاء من كثح إلى فاء فنتج كفح وعلى قاعدة التبادل بين الباء والفاء تحولت الباء من كبح إلى فاء فنتج عن ذلك كفح فجمعت كفْح معنيين مختلفين وهذه صورة لبيان هذا الإبدال؛ أي اجتماع معنيين مختلفين تحت مادة واحدة



وهذا الشكل يبين قاعدة التبادل بين الأصوات الشفوية :



(١) فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (١٢١).

الفصل الرابع

حروف العلة والإبدال من أحد المتضاعفين

حروف (أصوات) العلة

سبق أن تكلمنا عن الأصوات الصحيحة أو الصامتة وقلنا إن اللغويين قسموا الأصوات قسمين:

الأول: الأصوات الصحيحة وقد سبق الحديث عنها.

والثاني: الأصوات الصائتة أو الحركات وهو ما يعرف لدى علماء العربية باسم أصوات العلة وكان هذا التقسيم للأصوات مبنيا على أساس أوضاع الوترين الصوتيين وطريقة مرور الهواء من الحلق والفم والأنف، فأصوات العلة تمتاز بميزتين هما:

١ ـ الوضوح السمعي.

٢ ـ الجهر وحرية مرور الهواء في أثناء النطق بها إذ إن الصوت الصائت أو الحركة صوت مجهور يحدث في أثناء النطق به أن يمر الهواء حرا طليقا خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا.

وقد لاحظ الخليل هذه الميزة وهي حرية مرور الهواء مع الأصوات الصائتة أو الحركات عندما قسم الأصوات العربية إلى صحيحة ومعتلة إذ قال: وأربعة أحرف جوف هوائية وهي الواو والياء والألف اللينة

والهمزة[١].

وقال معللا سبب تسمية هذه الأصوات بالهوائية «وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف وكان يقول كثيرا الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها من الهواء»[٢].

وقال عندما كان يعدد مخارج الأصوات العربية: «والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء»[٣].

ولكن يؤخذ على الخليل عده للهمزة صوتا هوائيا إذ أثبتت التجارب أن الهمزة صوت شديد بل قد نص سيبويه على ذلك صراحة ولعل الخليل ضم صوت الهمزة إلى أصوات العلة لكثرة التغييرات التي تطرأ على هذا الصوت واشتراكه في هذه التغييرات مع أصوات العلة ثم أنه نظر إلى مخارج الأصوات فرأى أن الهمزة هي آخرها فعدها مع أصوات العلة.

ولكن ميزات أصوات العلة أو الأصوات الصائتة قد ذكرها سيبويه صراحة في موضع واحد وهذه الميزات هي: قوة الوضوح، وحرية مرور الهواء، والجهر إذ قال: تحت عنوان «هذا باب الوقف في الواو والياء والألف: وهذه الحروف غير مهموسات وهي حروف مد ولين ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم

(١) العين (١/ ٦٤). (٢) العين (١/ ٦٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ٦٥).

غيرها فيهوي الصوت إذا وجد متسعا حتي ينقطع آخره في موضع الهمزة وإذا تفطنت وجدت مس ذلك وذلك قولك ظلموا ورموا وعمي وحبلى»[١].

وإذا نظرنا في سبب تسمية علماء العربية لهذه الأصوات الألف والواو والياء باسم حروف العلة نجدها تقوم على أساس التغييرات والتحولات التي تطرأ على هذه الحروف ثم كثرة استعمالها مما يعرضها للتغيير يقول الرضى عند حديثه عن الإعلال شارحا كلام ابن الحاجب: «قوله وحروفه الألف والواو والياء» أي حروف الإعلال تسمى الثلاثة حروف العلة؛ لأنها تتغير ولا تبقى على حال كالعليل المنحرف المزاج المتغير حالا بحال، وتغيير هذه الحروف لطلب الخفة ليس لغاية ثقلها بل لغاية خفتها بحيث لا تحتمل أدنى ثقل وأيضا لكثرتها في الكلام لأنه إن خلت كلمة من أحدها فخلوها من أبعاضها ـ أعني الحركات ـ محال وكل كثير مستثقل وإن خف»[٢].

ويقول ابن الجزري معللا لهذه التسمية: «حروف العلة وهي ثلاثة حروف المد واللين وزاد الهمزة جماعة وإنما سميت بذلك لأن التغيير والعلة والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلا في إحداها»[٣].

وعلماء العربية القدامى يقسمون حروف العلة ثلاثة أقسام:

الأول: حروف العلة ويشمل الألف والواو والياء إذا كانتا مسبوقتين بحركة أو متبوعتين بها ويريدون بالحركة الفتحة والضمة والكسرة قال ابن جني: «وللحروف قسمة أخرى إلى الصحة والاعتلال فجميع الحروف صحيح إلا الألف والواو والياء اللواتي هن حروف المد والاستطالة»[٤].

---

(١) الكتاب (٤/ ١٧٦).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب (٣/ ٦٨).

(٣) التمهيد (٩٣)

(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ٧١).

الثاني: حروف اللين وهما الياء الساكنة المفتوح ما قبلها والواو الساكنة المفتوح ما قبلها أيضا[1].

الثالث: حروف المد واللين وقد عرفها ابن الجزري بقوله: « حروف المد واللين وهي ثلاثة أحرف الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة سميت بذلك لأن الصوت يمتد بها ويلين»[2].

ولكن قول العلماء العرب الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها قد أوقعهم في خطأ جسيم حيث توهموا أن الواو مسبوقة بضمة والياء مسبوقة بكسرة فلو أخذنا مثالاً للواو فقلنا «يقول» توهم علماء العربية أن بين الواو والقاف من يقول «ضمة» ولكن في الحقيقة ليس بينهما ضمة وإنما هذه الواو هي مدة مثل الضمة ولكنها تختلف عنها في طول الصوت فهذه الواو تلي القاف مباشرة وليس هناك ضمة تفصل بينهما كما توهم علماء العربية وإذا أخذنا مثالا فنقول«قيل» يتوهم علماء العربية أن هناك كسرة تفصل بين القاف والياء من «قيل» والحقيقة ليست هناك كسرة وإنما هذه الياء تلي القاف مباشرة وهذه الياء هي مدة طويلة لا تختلف عن الكسرة إلا في طول الصوت وقد تنبه إلى ذلك الدكتور إبراهيم أنيس عندما انتقد القائلين بوجود ضمة أو كسرة بين القاف والواو أو الياء من «يقول وقيل» إذ قال: «ولكن القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد فقد قالوا مثلا إن هناك فتحة على التاء في«كتاب» وكسرة تحت الراء في «كريم» وضمة فوق القاف في «يقول» والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في «كتاب» محركة بألف المد وحدها والراء في

---

(١) التمهيد (٩٢).

(٢) المرجع السابق (٩٢).

«كريم» محركة بياء المد وحدها، والقاف في «يقول» مجركة بواو المد وحدها» [1]، ثم بين أن الخط العربي قد يكون له سبب في هذا التصور لدى القدماء حيث قال: « ويظهر أن الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في «كتاب» وكسرة تحت الراء في «كريم» وضمة فوق القاف في« يقول » قد جعلت القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع»[2].

وكان من المفروض أن لا توضع حركات قبل حروف المد فيما اصطلح عليه علماء العربية باسم حروف المد واللين إذ هذه الحروف هي حركات طوال فوجودها يدل على أن الحركة الطويلة أو حرف المد تال للصوت الصامت الذي سبقه ولا فاصل بينهما.

والمحدثون من علماء الأصوات يقسمون أصوات العلة قسمين، القسم الأول ويسمونه أشباه الحركات، والقسم الثاني يسمونه الحركات.

فالقسم الأول: يعنون به الواو والياء إذا أتبعت كل منهما بحركة من أي نوع من أنواع الحركات أو وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة وهذا الحكم قد بُني على نقاط ثلاث:

الأولى: قلة وضوح الواو والياء ـ في مثل هذه الحالة ـ في السمع إذا قيست بالحركات[3].

الثانية: وجود نوع من الحفيف عند النطق بالياء والواو المتلوتين بحركة أو الساكنتين وقبلهما فتح.

---

(١) الأصوات اللغوية (٣٩).

(٢) المرجع السابق (٣٩).

(٣) انظر علم اللغة العام (الأصوات) للدكتور كمال محمد بشر (٨٤).

الثالثة: الوظيفة حيث يقومان بوظيفة الأصوات الصامتة أو الصحيحة إذ لو قارنا بين الواو والياء من «ولد، ويترك» والباء والنون من «بلد ونترك» حيث وقعت الواو من «ولد» موقع الصوت الصحيح من «بلد» وهو الباء ووقعت الياء من يترك موقع الصوت الصحيح من« نترك »وهو النون، فالواو والياء من ولد ويترك وقعتا موقع الصوتين الصحيحين الباء والنون من «بلد، ونترك».

والواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلها قد وقعتا موقع الأصوات الصحيحة أو الصامتة إذ لو أخذنا كلمتي حوض وبيت، فإن حوضا تجمع على أحواض وبيتاً تجمع على أبيات فقد جاءت الألف وهي حركة بعدهما[1]، وهذا الموقع لا يكون إلا للأصوات الصامتة أو الصحيحة.

فالواو والياء في هاتين الحالتين لهما شبه نطقي بالحركات ولهما شبه وظيفي بالأصوات الصامتة فمن لاحظ علاقتهما بالحركات أطلق عليهما مصطلح «أنصاف الحركات» ومن لاحظ شبههما الوظيفي بالأصوات الصامتة أطلق عليهما اسم «أنصاف صوامت».

وقد لاحظ سيبويه وظيفة الواو إذا كانت متحركة إذ أشبهت الصوت الصحيح أو حلت محله من حيث الوظيفة حيث قال: « وإذا قلت مِوَدّ ثبتت الواو لأنها تحركت فقويت»[2].

ولاحظ أيضا وظيفة الياء وهي وقوعه موقع الصوت الصحيح حيث قال: « ومع هذا أنه لما تحركت الياء أشبهت غير المعتل وذلك قولك: رأيت القاضيَ»[3].

---

(١)انظر علم اللغة العام(الأصوات)للدكتور كمال محمد بشر (٨٥).

(٢) الكتاب (٤/ ٣٣٦).

(٣) المرجع السابق (٤/ ١٨٤).

بل قد نص سيبويه علي أن الياء إذا تحركت أشبهت الحروف (الأصوات) الصحيحة إذ قال: «وإذا قلت أريد أن أعطيَه حقه فنصبت الياء فليس إلا البيان والإثبات لأنها لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين وصارت مثل غير المعتل نحو باء ضربه وبعد شبهها من الألف لأن الألف لا تكون أبدا إلا ساكنة»(١).

وقال أيضا: « وإذا حركت فقلت رأيت قاضيه قبل لم تكسر لأنها إذا تحركت لم تكن حرف لين فبعد شبهها من الألف لأن الألف لا تحرك أبدا»(٢).

وقد تابع سيبويه في هذه الملاحظات ابن جني حيث لاحظ أن الواو والياء إذا تليتا بحركة فإنهما يلحقان بالصحاح إذ قال: «فإن قلت فما بالك تقول الغير والعيبة والطول والعِوَض فتأتي بالياء بعد الضمة وبالواو بعد الكسره؟ فالجواب أنه إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح»(٣).

أما القسم الثاني: من أصوات العلة فقد أطلق عليه المحدثون اسم «الحركات أو الأصوات الصائتة» وهو يشمل ما أطلق عليه علماء العرب اسم أصوات« المد واللين» وهي الألف وواو المد وياؤه والحركات عند علماء العربية وهي الفتحة والضمة والكسرة فهذه الأصوات ينطبق عليها تعريف الحركات أو الأصوات الصائتة وهو الجهر وحرية مرور الهواء في أثناء النطق بها وقوة وضوحها في السمع.

(١) المرجع السابق (٤/ ١٩٣)

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٩٧)

(٣) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٢).

ويبدو أن اللغة العربية بل اللغات السامية لم تكن تجعل رموزا لما يعرف بالأصوات الصائتة أو الحركات، وهي أحرف المد واللين الواو والياء والألف وإنما كانت هذه الرموز التي تدل على ألف المد وياء المد وواوه هي رموز للهمزة، والواو والياء إذا كانا «نصف حركة» أو إذا كان كل منهما «نصف صحيح».

فالألف تطلق على الهمزة قديما اسما وكتابة فالهمزة اسمها الألف وذلك للأمور التالية:

١ـ ما رواه ابن جني عن المبرد من أنه يعد الألف همزة إذ قال: «اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا فأولها الألف وآخرها الياء على المشهور من ترتيب حروف المعجم إلا أبا العباس فإنه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفا ويجعل أولها الباء ويدع الألف من أولها ويقول هي همزة»[١].

بل قد نص ابن جني صراحة على أن الألف هي صورة الهمزة وإنما سبب تغيرها إلى الواو أو إلى الياء إنما سببه التخفيف أو اختلاف لهجات العرب وإنها إذا حققت كتبت ألفا وقد ورد ذلك في قوله: «اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال»[٢].

واستدل ابن جني على ذلك بأن الهمزة إذا وقعت محققة لا يجوز أن تكتب إلا ألفا وبوجودها مكتوبة ألفا في بعض المصاحف حيث قال:

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٤٦).

(٢) سالمرجع السابق(١/ ٤٦).

«يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعا لا يمكن فيه تخفيفها، ولا تكون فيه إلا محققة لم يجز أن تكتب إلا ألفا مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة وذلك إذا وقعت أولا نحو أَخذَ وأُخذ وإبراهيم فلما وقعت موقعا لابد فيه من تحقيقها اجتُمع على كتبها ألفا البتة وعلى هذا وجدت في بعض المصاحف «يستهزِأون» بالألف قبل الواو، ووجد فيها أيضا (وإن من شَيْأٍ إلا يسبح بحمده) بالألف بعد الياء، وإنما ذلك لتوكيد التحقيق»[1].

٢ ـ من خواص الأصوات العربية أن اسم كل حرف يبدأ بلفظه فالاسم «عين» يعبر أول حرف منه هو «ع» عن صوت «ع» وهذا ما عناه ابن جني بقوله: «إن كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه ألا ترى أنك إذا قلت جيم فأول حروف الحرف «جيم» وإذا قلت دال، فأول حروف الحرف «دال» وإذا قلت حاء فأول مالفظت به حاء وكذلك إذا قلت «ألف» فأول الحروف التي نطقت بها همزة.[2]

٣ ـ مقارنة اللغات السامية إذ إن ألف العربية(ا)هي ألاف الفينيقية(𐤀) وهو صوت يقابل الهمزة.[3]

وأما وضع علامة مميزة للهمزة وهي عبارة عن رأس عين صغيرة (عـ) فهو من ابتكار الخليل وهذه المرحلة تالية للمرحلة الأولى التي كانت الألف تمثل الهمزة وتمثل [4] ألف المد ولكن يبدو أن اللغة العربية وكذلك أخواتها الساميات لم تكن تضع علامة للحركات وهي ما تعرف بألف المد

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٧).

(٣) انظر دراسات في علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر(٧٩).

(٤) انظر المرجع السابق (٧٩).

وياء المد وألف المد والفتحة والكسرة والضمة ولذلك فإن رمز الألف جاء في آخر الأبجدية العربية مسبوقا باللام وعلل ابن جني هذا أن الألف مدة والمدة لايمكن أن ينطق بها عندما قال: «واعلم أن واضع حروف الهجاء لما لم يمكنه النطق بالألف التي هي مدة ساكنة لأن الساكن لايمكن الابتداء به دعمها باللام قبلها متحركة ليمكن الابتداء بها فقال: هـ، و، لا، ى فقوله (لا) بزنه ما ويا ولا تقل كما يقول المعلمون: لام ألف»[1]

ويبدو من ترتيب الأبجدية العربية أن الألف الأولى أو التي في أول المعجم تمثل الهمزة والتي في آخره أو الثانية والتي تعضد باللام وتنطق «لا» تدل على صورة المدة أو ألف المد.

أما رمز الواو والياء «و، ى »فهما في الأصل رمزان للواو والياء اللذين أطلقنا عليهما اسم «نصف حركات» أو اللذين تعدان ضمن الأصوات الصامتة أو الصحيحة وذلك لما يلي:

١ ـ يبدأ كل من الاسمين «واو» و«ياء» بالصوتين (و) و(ى) بوصفهما صامتين لأن القاعدة المشهورة أن الحرف الأول من اسم الحرف يمثل لفظه أو نطقه.

٢ ـ نطق صدر الاسمين «واو» و«ياء» إنما ينطبق على الواو والياء بوصفهما صامتين إذ جاء الصدر متلو بحركة كما وقع في ابتداء الكلمة وهما أمران غير جائزين بالنسبة للحركات في اللغة العربية.

٣ـ الحركات الطويلة أو المدات الواو والياء والألف تعد في نظر العرب أصواتا ساكنة لا يمكن النطق بها وحدها ولذلك كان من الضروري دعمها بحرف متحرك كما دعمت الألف باللام «لا» كما قال ابن جني

(١) سر صناعة الإعراب(١/ ٤٩).

فعدم مجيء الواو والياء إذا كانا حرفي مد في الابتداء دل على أن الأصل في الوضع أو في وضع هذين الرمزين هما للواو والياء الصامتين.

٤- ترتيب سيبويه للياء والواو في أثناء تعداد مخارج الحروف العربية يناسبهما إذا كانا صامتين[١].

وبهذا نصل إلى أن الأصل في الأبجدية العربية واللغات السامية لم يكن للحركات رموز وإنما الرموز للأصوات الصامتة أو الصحيحة.

وأما أسماء الأصوات الصائتة القصيرة أو كما تسمى لدى علماء العربية بالحركات وهي الفتحة والكسرة والضمة فهي مأخوذة من كلام أبي الأسود الدؤلي وذلك أن المصادر تروي أن أبا الأسود الدؤلي لما رأى فساد اللغة على ألسنة الناس من عامة وخاصة أراد أن يعمل كتابا يقوم الناس به ما فسد من لغتهم فرأى أن يبتدىء بإعراب القرآن أولا فأحضر كاتبا وجعله يمسك المصحف، وأحضر صبغا يخالف لون المداد وقال للكاتب الذي يمسك المصحف «إذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف وإذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف وإذا ضممت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف فإن اتبعت شيئا من هذه الحركات غنه يعني تنوينا فاجعل نقطتين حتى أتى على آخر المصحف[٢].

وأما الذي وضع أشكال الحركات التي نعرفها اليوم فهو الخليل ابن أحمد إذ تروي المصادر أن «الخليل بن أحمد هو الذي بدأ التمدد والتشديد والروم والإشمام وأنه عمل الشكل الذي على الحروف وأجذه من صورة الحرف فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو

(١) دراسات في علم اللغة (٩٠).

(١) النقط للداني (١٢٥)، أخبار النحويين البصريين للسيرافي (٣٥)، تاريخ العلماء النحويين (١٦٧)، الفهرست (٦٠).

المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحه ألف مسطوحة فوق الحرف وجعل الحرف المشدد شبه شين أخذه من أول شديد فإذا كان خفيفا جعل شبه خاء أخذه من خفيف[1] .

كما أن الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمز[2] .

والعلاقة بين الحركات وحروف المد واللين واضحة جلية إذ الفرق بين الكسرة وياء المد هو في طول الصوت وقصره وكذلك الأمر في الفتحة والألف والضمة والواو وقد تنبه علماء العربية إلى ذلك إذ يقول سيبويه «وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به،والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو فكل واحدة شيء مما ذكرت لك[3] .

ثم أتى من بعد سيبويه ابن جني حيث ذكر أن الحركات أبعاض الحروف ويريد بالحركات الفتحة والضمة والكسرة ثم نسب إلى قدماء النحويين إطلاق أسماء الحروف على هذه الحركات حيث قال: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، وكان متقدمو النحويين، يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريقة مستقيمة »[4] .

---

(١) ألف باء للبلوي (١/ ١٧٦)، الإتقان (٢/ ١٧١).

(٢) النقط مع المقنع للداني(١٢٥)، الإتقان (٢/ ١٧١).

(٣) الكتاب (٤/ ٢٤٢).

(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ١٩).

ولكن مما وقع فيه ابن جني والعلماء العرب من بعده تصورهم أن الحركات إذا أشبعت نشأت حروف مد بعدهن أي أن حروف المد التي جاءت نتيجة للإشباع قد جاء بعد الحركة القصيرة أو ما يسمى قديما بالفتحة والكسرة والضمة حيث قال ابن جني: «ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه وذلك نحو فتحه عين عمر فإنك إن أشبعتها حدث بعدها ألف فقلت عامر وكذلك كسرة عين عنب إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة وذلك قولك عينب وكذلك ضمة عين عمر لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوا ساكنة وذلك قولك عومر فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها ولا كانت تابعة لها»[1] .

فابن جني يتصور أن حروف المد واللين تابعة للحركات ويعني هذا النطق بالحركة أولا وبحرف المد واللين ثانيا، والحقيقة أنه ليس هناك حروف تابعة للحركات بل هذه الحروف هي عين الحركات وإنما الذي حصل هو مد الحركة فبعد أن كانت فتحة مد الصوت حتى أصبحت ألفا ويقال مثل ذلك في الكسرة والياء والضمة والواو فالصوت إذا مد كانت الحركة طويلة وهو ما يعرف بحروف المد واللين وإن كان قصيرا كانت الحركة قصيرة وهو ما يعرف بالفتحة والكسرة والضمة فالفرق بين الفتحة والألف، والكسرة والياء، والضمة والواو هو طول الصوت وقصره فيكون طويلا مع حروف المد وقصيراً مع الحركات وقد أصاب ابن جني عندما جعل الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة إذ قال: «وإن الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة»[2].

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٠).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٧).

ولكنه أخطأ عندما جعل حروف المد تنشأ بعد الحركات الفتحة والضمة والكسرة إذ يقول: «إن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت فتشبع الفتحة فيتولد من بعدها ألف وتشبع الكسرة فتتولد من بعدها ياء وتشبع الضمة فتتولد من بعدها واو»(١).

فهذان النصان يشيران إلى تناقض ابن جني إذ أشار في الأول إلى أن حروف المد حركات مشبعة، وأشار في الثاني إلى أنهن ينشأن بعد الحركات فيلزم على هذا القول النطق بالحركة أولا وبحرف المد ثانيا، وهذا مستحيل والحقيقة أن الألف هي نفس الفتحة إذا مدت والياء هي نفس الكسرة إذا مدت والواو هي نفس الضمة إذا مدت وإنما الذي حصل هو أن العرب مدت الحركات نفسها فأصبحت طويلة فليس لنا أن نقول نشأت الألف بعد الفتحة بل هذه الألف هي الفتحة وإنما طالت أو مدت.

والعرب لا تحتاج إلى صوت مجتلب بل تمد الصوت الموجود وهو الحركة القصيرة تمد هذه الحركة حتى تصبح طويلة وقول ابن جنى تحتاج إلى صوت مجتلب يشير إلى نظرته إلى أن حروف المد تنشأ بعد الحركات فالعرب على هذا تجتلب حرف المد وتجعله بعد الحركة الموجودة في الوزن، وهذا مستحيل في النطق كما قلت سابقا إذ لا يمكن النطق بالحركة القصيرة قبل المد أو الحركة الطويلة.

وأستشهد بإشباع الفتحه بقول الشاعر:

فبينا نحن نرقبه أتانا   مُعَلِّقَ وَفْضَةٍ وزِنادَ راعي

قال: «أراد بين نحن نرقبه أتانا فأشبع الفتحة فحدثت بعدها ألف»(٢)

وقوله: « فحدثت بعدها ألف» يشير إلى أن ألف المد حدثت بعد

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٧).   (٢)المرجع السابق(١/ ٢٧).

الفتحة وأن هناك فتحة بين النون والألف والحقيقة أنه ليس هناك فتحة بل الفتحة طالت حتى أصبحت ألفا فالفتحة هي التي مدت حتى أصبحت طويلة.

وأستشهد لإشباع الكسرة بقول الفرزدق:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة   نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

قال: «أراد الصيارف فأشبع الكسرة فتولد عنها ياء»[(١)] .

وقوله: «فتولد عنها ياء» يعني أن هذه الياء غير الكسرة وأنها تولدت عن الكسرة وأن هناك كسرة قبل الياء والحقيقة أن هذه الياء ليست متولدة عن الكسرة بل هي نفس الكسرة التي بعد الراء من صيارف مدت حتى أصبحت طويلة وهو ما يسمى بياء المد.

وأستشهد لإشباع الضمة بقول الشاعر:

وأنني حوثما يشري الهوى بصري   من حيثما سلكوا أثني فأنظور

قال: «يريد أنظر فأشبع ضمة الظاء فنشأت عنها واو»[(٢)] .

وقوله: «فنشأت عنها واو» يشير إلى أن الواو نشأت عن الضمة وأن الضمة باقية والحقيقة أنه ليس هناك ضمة وهذه الواو لم تنشأ عن الضمة بل هي الضمة نفسها مدت حتى أصبحت طويلة أو حتى أصبحت واوا، وقد لاحظ ابن جني أن أصوات المد واللين الألف والواو والياء مدات بقوله: «إلا أن هذه الأحرف اللائي يحدثن لإشباع الحركات، لا يكن إلا سواكن لأنهن مدات والمدات لا يتحركن أبدا[(٣)]

وهذا يعني أن أصوات المد واللين حركات لأن الحركة لا تقبل الحركة وقال الخوارزمي مبينا علاقة ما يعرف عند علماء العرب بالحركات وهي

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/٢٨)   (٢) المرجع السابق (١/ ٣٠)

(٣) المرجع السابق (١/ ٣١)

الفتحة والضمة والكسرة بما يعرف عندهم باسم حروف المد واللين «الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة وكذلك الضم وأخواته المذكورة، والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، وإن شئت قلت الواو الممدودة اللينة ضمة مشبعة والياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة والألف الممدودة فتحة مشبعة»(١).

من هذه النصوص تظهر معرفة علماء العرب للعلاقة بين ما أسموه بالحركات وما أسموه بحروف المد واللين وذلك أنه لا فرق بين هذه وتلك إلا في قصر الصوت في الأولى وطوله في الثانية، ونحن أمام النصوص التي وردت عن العرب نقف أمام اختيارين: الأول منهما هو أن نسمي ما أطلقوا عليه اسم الحركات وهي الفتحة والكسرة والضمة باسم الحروف الصغيرة فنقول للفتحة الألف الصغيرة وللكسرة الياء الصغيرة وللضمة الواو الصغيرة، لكن الواو الكبيرة على هذا الافتراض مثلا تضم ما أطلقوا عليه الواو في حالة كونها حرف علة وهو ما يعد ضمن الأصوات الصحيحة أو الصامتة والواو التي أطلقوا عليها اسم حرف المد واللين فنكون أمام ثلاث واوات، الواو الكبيرة الصحيحة أو الصامتة والواو الكبيرة المدية أو الصائتة، والواو الصغيرة الصائتة، ومثل هذا يقال في الياء، أما الألف فليس لها إلا حالتان كبيرة وصغيرة، الثاني أن نختار اسم الحركات الطويلة أو الكبيرة لما اصطلحوا على تسميته باسم حروف المد واللين والحركات الثلاث القصيرة وهي الفتحة والكسرة والضمة.

ونحن نفضل الأخير لأن تعريف الحركات ينطبق عليه انطباقا تاما ولا فرق بين الطويل والقصير إلا في مد الصوت وقصره أما من حيث المخرج

---

(١) مفاتيح العلوم (٣١).

والجهر وحرية مرور الهواء فالطويل والقصير سواء، ولأن هذا الاختيار يخرج الياء والواو في حالة كونهما صوتين ضمن الأصوات الصحيحة الصامتة أو ما يسمى «أنصاف الحركات».

وعلى هذا تكون الحركات في اللغة العربية هي الحركات الطويلة ألف المد وياؤه وواوه والحركات القصيرة وهي الفتحة والكسرة والضمة وهذه هي التي جعل لها رمز تعرف به، وتوجد حركات طوال وقصار لم يجعل لها رمز وهي:

(١) ألف التفخيم في لهجة أهل الحجاز قال سيبويه: «وألف التفخيم يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة»[١].

وهذه الألف تكون بين الألف والواو قال ابن جني مبينا هذه الألف «وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم سلام عليك وقام زيد، وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو لأن الألف مالت نحو الواو»[٢].

وقد توهم ابن جني أن هناك فتحة ممالة نحو الضم بين ألف التفخيم والصوت الصامت الذي يسبقها حيث قال: «وأما الفتحة الممالة نحو الضم فالتي قبل ألف التفخيم وذلك نحو الصلاة والزكاة ودعا وغزا وقام وصاغ وكما أن الحركة أيضا هنا قبل الألف ليست فتحة محضة بل هي مشوبة بشيء من الضمة فكذلك الألف التي بعدها، ليست ألفا محضة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها فجرى عليها حكمها»[٣]، وليس هذا الأمر أي

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٢).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٥٦).

(٣) المرجع السابق (١/ ٥٩).

تصور وجود حركات قصار بين الحركات الطوال أو أصوات المد والأصوات الصحيحة التي تسبقها مقصورا على ابن جني بل يقول بهذا علماء العربية الآخرون ولعل هذا القول لم يأت إلا بعد وضع الخليل للحركات القصار وهي الضمة والكسرة والفتحة.

(٢) الأمالة وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء وهذا يعني الأمالة الطويلة والقصيرة وقد أشار سيبويه إلى إمالة الألف بقوله: «والألف التي تمال إمالة شديدة»[١].

وأشار إليها ابن جني بقوله: «وأما ألف الإمالة فهي التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في عالم وخاتم عالم وخاتم»[٢].

وأما الإمالة القصيرة وهي إمالة الفتحة نحو الكسرة فقد مثل لها ابن هشام «بنعمة وسحر»[٣]؛ أي الفتحة التي بعد الميم من «نعمة» والتي بعد الحاء من .سحر ومثل لها سيبويه بقوله: «وتقول من عمرو فتميل العين. . . وتقول المحاذر فتميل الذال» [٤]، وقال ابن جني: «وقد أمالوا أيضا هذه الفتحة وإن لم تكن بعدها ألف فقالوا من عِمرو»[٥].

وقد تصور العلماء العرب أن هناك فتحة ممالة قبل الألف الممالة كما تصوروا أن هناك فتحة قبل الألف في غير الإمالة قال ابن جني حول هذا «أما الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبل الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف وذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٢).
(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٥٥).
(٣) أوضح المسالك (٨٨).
(٤) الكتاب (٤/ ١٤٢).
(٥) سر صناعة الإعراب (١/ ٥٩).

الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت فكما أن الحركة ليست فتحة محضة فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة وهذا هو القياس لأن الألف تابعة للفتحة فكما أن الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها»[١]، فهم يتصورون أن الألف لا تأتي إلا بعد فتح والألف الممالة لا تأتي إلا بعد فتحة مماله وهذا يعني أن هناك فتحة ممالة تفصل بين الألف والصوت الصامت أو الصحيح الذي قبلها، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه علماء العربية ولا زالت تردده كتب النحو والصرف وهذا التصور الخاطئ واضح في تعبير ابن هشام عندما عرّف الإمالة إذ قال: «هذا باب الإماله: وهي أن تذهب بالفتحة إلى جهة الكسرة فإن كان بعدها ألف ذهبت إلى جهة الياء»[٢].

وتكرر هذا في تقسيم الشريف الرضى للإمالة إذ يقول: «لأن الإمالة على ثلاث أنواع: إمالة فتحه قبل الألف إلى الكسرة فيميل الألف نحو الياء.... ويلزم من إمالة فتحة الألف نحو الكسرة إمالة الألف نحو الياء لأن الألف المحض لا يكون إلا بعد الفتح المحض»[٣]، ولعل أول من قال بهذا سيبويه إذ يقوله في كتابه: «لأنّ الألف لابد لها من حرف قبلها مفتوح»[٤].

(٣)الكسرة الطويلة المشوبة بضم وهي لهجة لبعض العرب في الفعل الثلاثي المعتل العين المبني للمجهول ولكن يؤخذ على العلماء العرب توهمهم وجود كسرة قبل صوت المد وهو الياء إذ إن هذا الأمر موجود

(١)سر صناعة الإعراب(١/ ٥٩).

(٢) أوضح المسالك (٢٨٨).

(٣) شرح شافية ابن الحاجب (٣/ ٤).

(٤) الكتاب (٤/ ١٧٩).

عندهم في جميع حروف المد إذ يتصورون أن قبل كل صوت من أصوات المد واللين حركة مما يجانسه أو بمعنى أوضح يتصورون أن قبل كل حركة طويلة حركة قصيرة من جنسها فابن جني يتصور أن قبل الكسرة الطويلة الممالة نحو الضم كسرة قصيرة ممالة نحو الضم إذ يقول: «وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو قيل، وبيع، وغيض، وسيق وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو»[1].

لكن الحقيقة هي أن ياء المد هي المشوبة بواو أو الكسرة الطويلة مشوبة بضمة طويلة وهذه الحركة هي التي أشار إليها ابن مالك بقوله:

واكسر أو اشمم فاثلاثي أعل   عينا وضم جا كـ«بوع» فاحتمل

وقال ابن عقيل: الإشمام وهو الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر ولا يظهر إلا في اللفظ وقد قرئ في السبعة: ﴿**وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء**﴾[2].

بالإشمام في «قيل وغيض»[3].

ولكن ابن عقيل سار على النهج الذي سار عليه النحاه من قبله حيث ظن أن بين ياء المد والقاف من قيل حركة وهي الكسرة بل إن ابن مالك في بيته المذكور ظن كما ظن ابن عقيل من بعده ولكننا نستطيع أن نقول الكسرة الطويلة المشمة «ونعني بها التي بين الكسرة الطويلة الخالصة وبين الضمة الطويلة الخالصة أي التي بين ياء المد وواوه».

(٤) الضمة الطويلة المشمة الكسر: المراد بها هو إمالة الضمة الطويلة

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٥٩).

(٢) سورة هود آية (٤٤).

(٣) شرح ابن عقيل (١/ ٥٠٥).

أو ما يسمى بواو المد نحو الكسر وما قيل في الكسرة الطويلة المشمة الضمة يقال في هذه إذ إن العلماء العرب توهموا وجود حركة قصيرة مشابهة لهذه الحركة وتقع قبلها بينها وبين الحرف الصحيح أو الصامت.

قال ابن جني: وأما الضمة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة مررت بمذعور وهذا ابن بور نحوت بضمة العين والباء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئا من الكسرة وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسلة فكذلك الواو أيضا بعدها هي مشوبة بروائح الياء» (١)، ومن هذه النصوص نستطيع تصنيف أصوات العلة في اللغة العربية على هذا النحو:

١ـ ما تنطبق عليه أوصاف الأصوات الصحيحة أو الصامتة وهو الواو والياء المسميان «أنصاف حركات أو أنصاف علل» ونعني بهما الواو والياء المتبوعتين بأي حركة من الحركات أو الساكنين وقبلهما فتحة قصيرة.

٢ـ ما ينطبق عليه أوصاف الحركات وهى الفتحة القصيرة المرققة والفتحة الطويلة المرققة (الألف)، والفتحة القصيرة المفخمة والفتحة الطويلة المفخمة (الألف)، والألف الطويلة الممالة (الفتحة الطويلة)، والفتحة القصيرة الممالة، والضمة الطويلة الخالصة والضمة القصيرة الخالصة والضمة الطويلة المشوبة بكسر مثل مذعور، والضمة القصيرة المشوبة بكسر مثل «عجبت من السَّمُر وشربت من المُنقُر» وهذا ما مثل به سيبويه(٢).

والكسرة الطويلة (ياء المد) والكسرة القصيرة وهي الكسرة الخالصة

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٦٠).

(٢) الكتاب (٤/ ١٤٣).

والكسرة الطويلة المشوبة بضم مثل «قيل بيع» والكسرة القصيرة المشوبة بضم مثل «سمت» كما مثل لها ابن عقيل[1] ولم يجعل العلماء لجميع هذه الحركات رموزا وإنما جعلوا لبعضها وهي الحركات الثلاث الطوال» «الألف وياء المد وواوه» والحركات الثلاث القصار المجانسة لهذه الكبار وهي «الفتحة، الضمة، الكسرة» بل إن رمز الواو والياء في حالة كونهما حركتين مأخوذ من رمزهما في حالة كونهما من الأصوات الصحيحة أو الصامتة.

وهذه مخارج أصوات العلة وصفاتها في اللغة العربية، ونبدأها بالواو والياء في حالة كونهما ضمن الأصوات الصامتة أو الصحيحة.

فالياء: صوت غاري مجهور مفتوح يتم نطقه عن طريق رفع مقدم اللسان في اتجاه منطقة الغار بشكل يسمح بمرور الهواء ولكن مع حدوث احتكاك خفيف[3].

والواو: صوت طبقي شفوي مفتوح يتم نطقه عن طريق رفع مؤخرة اللسان في إتجاه منطقة الطبق اللين بشكل يسمح بمرور الهواء ولكن من احتكاك طفيف ومن العلماء من عده شفويا لاستدارة الشفتين وامتدادهما نحو الأمام عند النطق بهذا الصوت ولذلك عده سيبويه من الأصوات الشفوية مع الباء والميم.

---

(١) شرح ابن عقيل (١/ ٥٠٥).

(٢) دراسة الصوت اللغوى (٢٧١).

الحركات أو الأصوات الصائتة

١ـ الفتحه الطويلة (الألف) وهي صوت طبقي غاري مجهور مفتوح يتم النطق بها عن طريق إراحة اللسان في قاع الفم مع ارتفاع طفيف جدا لوسطه في اتجاه منطقتي الغار والطبق اللين(١).

٢ـ والفتحة القصيرة مثل الطويلة تماما فهي صوت طبقي غاري مجهور مفتوح إلا من حيث الطول فإن الفتحة القصيرة تساوي نصف الطويلة من حيث مد الصوت.

٣ـ الفتحة الطويلة الممالة نحو الضم أو المفخمة وهي صوت مجهور مفتوح يتم النطق به بأن ترتفع مؤخرة اللسان نحو مؤخرة الحنك ارتفاعا يزيد على ارتفاعه مع الفتحة الطويلة المرققة ويقل عن ارتفاعه مع الضمة ويكون وضع الشفتين أثناء النطق بها وضع انضمام لا يبلغ الاستدارة التامة كما هو الشأن مع الضمة(٢).

٤ـ الفتحة القصيرة الممالة نحو الضمة وهي مثل الفتحة الطويلة الممالة تماما ولا تختلف عنها إلا في طول الصوت في الأولى إذ يبلغ ضعفي طوله في الثانية ويرمز لهذا الصوت في اللغات الأوروبية برمز (O).

٥ـ الإمالة الطويلة: وهي صوت غاري مجهور مفتوح يتم النطق به بأن يرتفع مقدم اللسان نحو منطقة الغار ارتفاعا يزيد على ارتفاعه مع

---

(١) دراسة الصوت اللغوي (٢٧١).

(٢) المحيط لمحمد الأنطاكي (١/ ٤٣).

الفتحة الطويلة المرققة ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج إلا أنه دون الانفراج الذي مع الكسرة.

٦ـ الإمالة القصيرة وهي مثل الطويلة أي صوت غاري مجهور مفتوح والفرق بينهما هو طول الصوت مع الطويلة وقصره مع القصيرة.

٧ـ الكسرة الطويلة «ياء المد» وهي صوت غاري مجهور مفتوح يتم نطقه برفع مقدم اللسان في اتجاه منطقة الغار لكن مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع[١].

٨ـ الكسرة القصيرة وهي مثل الطويلة في جميع الصافات ما عدا القصر والطول إذ الصوت يكون طويلا مع الطويلة بحيث يكون ضعفي طوله مع القصيرة.

٩ـ الكسرة الطويلة، المشمة الضمة الطويلة: وهو صوت شفوي غاري مجهور مفتوح إذ يرتفع مقدم اللسان نحو الغار كما هو في الكسرة الطويلة وتأخذ الشفتان وضع الضمة[٢]. أي الانضمام ويعرف هذا الصوت برمزه العالمي وهو «ü»

١٠ـ الكسرة القصيرة المشمة الضمة القصيرة: وهي مثل الطويلة ولا تختلف عنها إلا بأن يكون الصوت معها قصيرا على قدر نصف الصوت مع الطويلة.

١١ـ الضمة الطويلة: صوت طبقي شفوي مجهور مفتوح يتم نطقه عن طريق رفع مؤخرة اللسان في اتجاه منطقة الطبق مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع يصاحب ذلك استدارة الشفتين

(١) دراسة الصوت اللغوي (٢٧١).
(٢) المحيط لمحمد الأنطاكي (١/ ٤٦).

وامتدادهما إلى الإمام[١].

١٢- الضمة القصيرة: وهي صوت طبقي شفوي مجهور مفتوح تنطبق تماما مع الطويلة في كل شيء إلا أن الصوت معها قصير على قدر نصفه مع الطويلة.

١٣- الضمة الطويلة المشمة الكسرة الطويلة: وهي صوت طبقي مجهور مفتوح يتم نطقه بأن ترتفع مؤخرة اللسان تجاه الطبق اللين لكن مع ترك فراغ يسمح للهواء بالمرور دون احتكاك مسموع ويصاحب ذلك أن تكون الشفتان، في وضع انفراج قليل إلى الخلف[٢].

١٤- الضمة القصيرة المشمة الكسرة القصيرة وهي مثل الطويلة في كل شيء ما عدا قصر الصوت وطوله إذ يكون طويلا مع الطويلة وقصيرا مع القصيرة.

هذه هي الحركات أو الأصوات الصائتة في اللغة العربية طويلها وقصيرها ولم يجعل العلماء العرب رموزا لها كلها بل جعلوا رموزا لثلاث من الطوال وهي الواو والياء والألف أو الكسرة الطويلة والضمة الطويلة والفتحة الطويلة، ووضعوا ثلاثة رموز لثلاث من القصار وهي الفتحة والكسرة والضمة.

أما التي لم يجعلوا لها رموزا من الطوال فهي الألف الممالة نحو الضم، والألف الممالة نحو الكسر والياء المشمة للواو، والواو المشمة للياء أو بمعنى آخر الفتحة الطويلة الممالة نحو الضم والفتحة الطويلة الممالة نحو الكسر، والكسرة الطويلة المشمة الضم والضمة الطويلة المشمة الكسر

---

(١) دراسة الصوت اللغوي (٢٧٢).

(٢) المحيط لمحمد الأنطاكي (١/ ٤٧).

والصغار وهي الفتحة القصيرة الممالة نحو الضم، والممالة نحو الكسر، والكسرة القصيرة المشمة الضمة، والضمة القصيرة المشمة الكسرة فهذه الأصوات لم يجعل لها العرب رموزا ولذلك فإنا سوف نتناول الأصوات التي قد جعل لها رموز. ويعني هذا أننا سنتناول في الإبدال الكسرة الطويلة والقصيرة، والفتحة الطويلة والقصيرة، والضمة الطويلة والقصيرة.

وإذا تأملنا الرسم العثماني للمصحف الشريف وجدناه قد أشار إلى أن حروف المد واللين حركات ولذلك فإنها لم تكتب في كثير من المواضع كما لم تكتب الحركة القصيرة وإذا نظرنا في الياءات والواوات التي لم تكتب في رسم المصحف لوجدناها في حالة كونها حركة طويلة هذا بالإضافة إلى الألف التي هي حركة على كل حال. ولو نظر النحويون وأصحاب اللغة بل والقراء إلى خط المصحف وسبب حذف حروف المد لعرفوا أن السبب أن هذه الحروف حركات فكما لم تكتب الحركات القصار لم تكتب هذه الحروف ولأن اللغة العربية واللغات السامية كانت تعتمد في كتابتها على الحروف (الأصوات) الصحيحة أو الصامتة ولم تسجل الحركات سواء كانت طويلة أو قصيرة، وهذا ما أشار إليه رسم المصحف في كثير من المواضع ومن أمثلة ورود الكلمات بدون فتحة طويلة (ألف المد) في الرسم القرآني ما جاء في سورة يونس آية (٣٣) ﴿**كلمت ربك**﴾، وفي هود آية(١٦)﴿**وبطل ما كانوا يعملون**﴾، وفي يوسف آية (١٠ و١٥)﴿**غيبت**﴾، وفي الرعد آيه(٤٢)﴿**وسيعلم الكفار**﴾، وفي إبراهيم آية (١٨) ﴿**به الريح**﴾[1].

(١) المقنع للداني (١٢).

ومن الكلمات التي جاءت خالية من الضمة الطويلة (واو المد) في الرسم القرآني ما جاء في المقنع وكذلك حذفت إحدى الواوين من الرسم اجتزاء باحداهما إذا كانت الثانية علامة للجمع...... نحو قوله: «ولا تلون، ولا يستون والغاون»[٢].

ومن أمثلة الكلمات التي جاءت خالية من الكسرة الطويلة «ياء المد» في الرسم القرآني ما ورد في المقنع «اعلم أن المصاحف اتفقت على حذف إحدى اليائين إذا كانت الثانية علامة للجمع ... وذلك في نحو قوله «النبين» و «الأمين» و «ربنين» و«الحوارين» وما كان مثله»[٣].

ولما كان هذا البحث أو هذه الرسالة تتناول إبدال الحروف في اللهجات العربية والحرف في اصطلاح العلماء العرب يشتمل الحركات الطوال فإنني سوف أقتصر على إيراد الإبدال بين الحركات الطوال وهي الفتحة الطويلة (الألف) والكسرة الطويلة (ياء المد) والضمة الطويلة «واو المد» مع إضافة الواو والياء اللتين عددناهما مع الأصوات الصامتة أي الصحيحة.

---

(١) المقنع للداني(٣٦).

(٢) المرجع السابق (٤٩)..

الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة والفتحة الطويلة «ألف المد»[*]

لقد أثبتت النصوص أن الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة تتحول إلى فتحة طويلة «ألف مد» وجاء ذلك في القرآن الكريم والحديث الشريف وفي نثر العرب وشعرهم.

ومن ذلك ما رواه أبو زيد في نوادره إذ قال: «ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا يقولون: أخذت الدرهمان واشتريت الثوبان والسلام علاكم»[١].

ونسب الأخفش هذه اللهجة إلى بلحارث بن كعب أيضا إذ قال: «يزعمون أن بلحارث بن كعب يجعلون الياء في أشباه هذا ألفا فيقولون رأيت أخواك ورأيت الرجلان ووضعت علاه وذهبت إلاه... وزعم أبو زيد أنه سمع أعرابيا فصيحا من بلحارث يقول ضربت يداه ووضعت علاه يريد يديه وعليه»[٢].

ونسبت هذه اللهجة إلى عقيل، قال ابن جني، «وعلى ذلك ما رويناه عن قطرب أن لغة عقيل أن يقولوا: في أعطيتك أعطاتك»[٣].

ومن القرآن جاء قوله تعالى: ﴿**إن هذان لساحران**﴾[٤].

(*) لقد كنت عند كتابة هذا البحث سائراً على طريقة القدماء على اعتبار أن الحرف يتحول إلى مد ولكن تبين لي فيما بعد أن الواو والياء الصامتين لا تتحولان إلى ألف لأن الألف صوت صائت، والصامت والصائت لا يتحول أحدهما إلى الآخر لأن كلا منهما لا يحل محل الآخر وقد بينت ذلك في كتابي: الحذف والتعويض.

(١) (٢٥٩).

(٢) معاني القرآن للأخفش الأوسط (١/ ١١٣).

(٣) المحتسب (١/ ٣١٠).

(٤) طه (٦٣).

وقال الفراء مبينا سبب مجيء الألف في «هذان»: إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف.

وأنشدنى رجل من الأسْد عنهم يريد بني الحارث:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغا لنا باه الشجاع لصمما[1]

قال وما رأيت أفصح من هذا الأسدي وحكى عنهم هذا الرجل هذا خط يدا أخي بعينه[2].

وينسب إبدال الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة إلى عدد من القبائل العربية قال أبو حيان حول قوله تعالى: ﴿**إن هذان لساحران**﴾ وقرئ بالألف وهي لغة لطوائف من العرب بني الحارث بن كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد وبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة[3].

وزاد السيوطي على هذه القبائل قبائل أخر هي «بطون من ربيعة وبكر ابن وائل وهمدان ومزدادة»[4].

ومن الأدلة الشعرية ما ذكره أبو زيد منسوبا إلى اليمن حيث قال: «قال المفضل أنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن:

أي قلـوص راكـب تـراها طاروا علاهن فشل علاها

وأشدد بمثنى حقب حقواها ناجـية وناجـيا أباهـا

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٤)، شرح الأشموني(١/ ٧٩)، وينسب هذا البيت للمتلمس. ينظر لسان العرب «صمم».

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٤).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٢٥٠)، شرح شذور الذهب لابن هشام (٤٧).

(٤) همع الهوامع شرح جمع الجوامع (١/ ٤٠).

وعلاها أراد عليها ولغة بلحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا[1].

وفي بعض الروايات «طار وعلاهن فطر علاها»[2].

وقول هوبر الحارثى:

تزود منـــا بين أذناه ضربـة دعته إلى هاب التراب عقيم[3]

وقال رجل من بني ضبة[4]:

أعرف منها الأنف والعينانا ومنخـــــران أشـــبها ظبيانا

والشاهد هو قوله: «والعينانا» حيث جاء المثنى المنصوب بالفتحة الطويلة (الألف) بدلا من الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة.

وقول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها[5]

حيث استعمل المثنى المنصوب بالفتحة الطويلة (الألف) بدلا من الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة.

وقول الشاعر ضمرة بن ضمرة النهشلي وهو جاهلي:

بكرت تلومك بعدوهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي

---

(١) النوادر (٢٥٩).

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٥٠)، شواهد العيني على شرح الأشموني(١/ ٧٠).

(٣) اللسان «هبا» ليس في كلام العرب (٣٣٤)،شرح شذور الذهب (٤٧)،همع الهوامع للسيوطي(١/ ٤٠)، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٥٠).

(٤) النوار لأبي زيد (١٦٨).

(٥) ورد هذا البيت في ديوان رؤبة ص (١٦٨)،وفي ديوان أبي النجم (٢٢٧).

أأصرها وبني عمي ساغب وكفاك من إبة علِي وعاب[١]

بسل حرام، والعاب والعيب لغتان كما يقال الذام والذيم».

فالشاهد في هذين البيتين هو قوله: «وعاب» أي عيب حيث حول الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة إلى فتحة طويلة «ألف مد».

ومن شواهد النثر ما رواه أبو زيد «وقال بعض العرب إن الرجز لعاب أي لعيب، والرجز ارتعاد مؤخرة البعير عند النهوض»[٢].

ومن شواهد هذه اللهجة ما رواه أبو زيد أيضا «قال حيى بن وائل، وأدرك قطرى بن الفجاءة الخارجي أحد بني مازن:

أما أقاتل عن ديني على فرس ولا كـــذا رجـــلا إلا بأصحــاب

لقد لقيـت إذاً شـــرا وأدركني ماكنت أزعم في خصمى من العاب[٣]

ورجلا أي راجلا، والعاب يريد العيب.

وقال ابن خالويه: «ليس في كلام العرب تصغير بالألف إلاّ حرفين ذكرهما أبو عمرو الشيباني عن أبي عمرو الهذلي دُوابّة يريد دويبّة وهُداهد تصغير هُدهُد وأنشد:

كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا[٤]

والحقيقة أن هذه الألف التي ذكرها والتي نسميها الفتحة الطويلة هي

(١) النوادر لأبي زيد (١٤٣)، الفاضل للمبرد (٧٩).

(٢) نوادر أبي زيد (١٤٦).

(٣) المرجع السابق (١٤٨).

(٤) ليس في كلام العرب (٧٥)، سر صناعة الإعراب (٢/ ٦٦٩).

بدل من ياء التصغير الساكنة المسبوقة بفتحة وهذه القاعدة تطرد في كل ياء ساكنة مسبوقة بفتحة قصيرة عند من يتكلم بها سواء كانت هذه الياء دالة على التصغير أو التثنية لذلك كان ينبغي لابن خالويه أن يقول تحولت الياء الساكنة إلى ألف مد والتي نسميها فتحة طويلة بل قد نص ابن جني على أن هذه الألف بدل من الياء إذا قال: «وحكى أبو زيد عن بعضهم في تصغير «دابة» «دوابة» يريد «دويبة» فأبدل من ياء التصغير الساكنة ألفاً»[1].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت على هذه اللهجة قوله ﷺ: «**لا وتران في ليلة**»[2].

ومن هذه الأحاديث ما ورد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الله تبارك وتعالى سمى المدينة طيبة**»[3].

وما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل هي طابة هي طابة»[4].

ففي هذين الحديثين الشريفين ورد اسم المدينة بلهجتين هما طيبة وطابة ولا شك أن إحداهما فرع عن الأخرى فالأصل طيبة وقعت الياء الساكنة مسبوقة بفتحة قصيرة فتحولت هذه الياء إلى فتحة طويلة (ألف المد) فأصبحت الكلمة طابة وكل من اللهجتين قد تكلمت بها العرب لذلك فإن طيبة وطابة اسم واحد.

---

(١) سر صناعة الإعراب (٢/٦٦٩).

(٢) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد (٤/٣٠٩)، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٤٠)، شرح الأشموني (١/٧٩).

(٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني (٢٣/٢٦٦).

(٤) المرجع السابق (٢٣/٢٦٧).

وهذا مما يدل على أن الإبدال يدخل في تعدد أسماء الشيء الواحد.

ومما تقدم يتبين أن الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة تتحول إلى فتحة طويلة (ألف المد).

وقول النحويين إن من العرب من يلزم المثنى الألف رفعا ونصبا وجرا[1] قد يوهم أن المثنى يعامل معاملة الاسم المقصور لكن كان ينبغى أن يقال إن من العرب من يرفع المثنى بالألف وهو ما سميناه بالفتحة الطويلة، أما في حالتي النصب والجر فإن أصحاب هذه اللغة يحولون ياء النصب إلى فتحة طويلة «ألفا» وهذه القاعدة ليست خاصة بالمثنى بل شي لكل ياء ساكنة مسبوقة بفتحة قصيرة فلما كانت ياء المثنى في حالتي النصب والجر ساكنة مسبوقة بفتحة قصيرة انطبقت عليها القاعدة فتحولت إلى فتحة طويلة.

فإذا وجدت كلمتان تتفقان في عدد الحروف وترتيبها ولا تختلفان إلا بأن تكون إحداهما تحتوي على ياء ساكنة مسبوقة بفتحة قصيرة والأخرى تحتوى على فتحة طويلة «ألف مد» فإن التي تحتوي على الياء هي الأصلية والتي تحتوي على الفتحة الطويلة هي الفرعية.

ولا تزال هذه اللهجة موجودة في قبائل المملكة العربية السعودية حيث يتكلم بها عتيبة وقحطان ومطير وسبيع وجزء من قبيلة حرب.

---

(١) انظر شرح شذور الذهب لابن هشام (٤٣)، وهمع الهوامع للسيوطي (١/ ٤٠).

تحويل الياء والواو المتبوعين بحركة
إلى فتحة طويلة (ألف المد)

مرت الأفعال الثلاثية التي لامها وعينها صوت ياء أو واو متبوع بحركة بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: أن يكون صوت العلة الواو أو الياء متبوعا بحركة فيكون بذلك على مثال الصحيح وهذا هو الأصل وقد بين ذلك ابن جني عندما كان يتحدث عن إبدال الياء جيما في قول الشاعر:

حتى إذا ما أمسجت وأمسجا

إذ قال: «يريد أمست وأمسى وهذا أحد ما يدل على ما ندعيه من أن أصل رمت رميت وغزت غزوت وأعطت أعطيت واستقصت استقصيت وأمست أمسيت ألا ترى أنه لما أبدل الياء من أمسيت جيما والجيم حرف صحيح يحتمل الحركات ولا يلحقه الانقلاب الذي يلحق الياء والواو صححها كما يجب في الجيم فدل أمسجت على أن أصل أمست أمسيت وكذلك قال أيضًا أمسجا فدل ذلك على أن أصل أمسى أمسي وأن أصل رمى رمي وأصل غزا غزو وأصل دعا دعو ودل ذلك أيضا على أن أصل عصا عصو وأصل قطا وقنا وحصى وفتى: قطو وقنو، وحصي، وفتي، فبهذا ونحوه استدل أهل التصريف على أصول الأشياء المغيرة كما استدلوا بقوله عز اسمه: ﴿**استحوذ عليهم الشيطان**﴾[1].

على أن أصل استقام استقوم، وأصل استباع استبيع ولولا ما ظهر من

---

(١) المجادلة (١٩).

هذا ونحوه لما أقدموا على القضاء بأصول هذه الأشياء ولما جاز ادعاؤهم إياها»[1].

وفي هذا النص يبين ابن جني الأفعال التي لاماتها واو أو ياء وكذلك الأسماء التي تتصل بها أي التي لاماتها واو أو ياء.

لكن ابن جني يذكر في نص آخر عندما كان يتحدث عن الأفعال المعتلة العين أي التي أصل عينها واو أو ياء أن العرب لم تستخدم هذا الأصل وهو معاملة المعتل معاملة الصحيح أي أن يكون صوت العلة الواو أو الياء متلوا بحركة بل يقرر أن هذا هو القياس أو الأصل لكن العرب لم تستعمل الأصل حيث قال تحت عنوان «باب مراتب الأشياء وتنزيلها تقديرا وحكما لا زمانا ووقتا»: «هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه، لا حقيقة تحته وذلك كقولنا: الأصل في قام قوم، وفي باع بيع وفي طال طول وفي خاف ونام وهاب خوف ونوم وهيب، وفي شد شدد وفي استقام استقوم وفي يستعين يستعون وفي يستعد يستعدد، فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها ـ مما يدعى أن له أصلا يخالف ظاهر لفظه ـ قد كان مرة يقال أنهم كانوا يقولون في موضع قام زيد: قوم زيد، وكذلك نوم جعفر وطول محمد...... وليس الأمر كذلك بل بضده وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا ما تراه وتسمعه وإنما معنى قولنا إنه كان أصله كذا أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا... فإما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر[2].

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ١٩٥).

(٢) الخصائص (١/ ٢٥٧).

ثم إذا ورد عليه ما كان على الأصول نحو أطول فإنه يحاول أن يرده ويقول أن ذلك جاء من العرب موافقا للقياس وليس دليلا على استعمال الأفعال المعتلة استعمال الأفعال الصحيحة بل هو ضرورة خرجت بها العرب، فوافقت القياس إذ يقول: «ويدل على أن ذلك عند العرب معتقد كما أنه عندنا مراد معتقد إخراجها بعض ذلك مع الضرورة على الحد الذي نتصوره نحن فيه وذلك قوله:

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

هذا يدلك على أن أصل أقام أقوم وهو الذي نومئ نحن إليه ونتخيله، فرب حرف يخرج هكذا منبهة على أصل بابه ولعله إنما أخرج على أصله فتجشم ذلك فيه لما يعقب من الدلالة على أولوية أحوال أمثاله»[1].

من هذين النصين يظهر تناقض ابن جني ولكن ورود النص الأول في سر صناعة الإعراب والثاني في الخصائص وهو أقدمهما يدل على أن الرأي الذي يقول بصحة استعمال هذه الأفعال هو الذي استقر عليه ابن جني[2].

وبمقارنة اللغات السامية ظهر أن اللغة الحبشية تستخدم الأفعال المعتلة العين، والمعتلة اللام استخدام الأفعال الصحيحة وهذا يدل على أن هذا

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٥٧).

(٢) ذكر ابن جني الخصائص في سر صناعة الإعراب في (١/ ٣٣) تحقيق الدكتور حسن هنداوى، ولكنه ذكر سر صناعة الإعراب في الخصائص في (٢/ ٢٩٧)، تحقيق محمد على النجار وفي هذا تناقض أيضا، لكن النص الذي أورده هنا في سر صناعة الإعراب يؤيد أن سر صناعة الإعراب قد ألف بعد الخصائص وربما يشير هذا إلى أن ابن حنى كان يزيد بعض المباحث في كتابيه بعد تأليفهما!.

الأصل قد كان مستخدما في تاريخ اللغة القديم أي اللغة السامية[1].

والقاعدة العامة لدى العلماء العرب هي أن الياء والواو يتحولان إلى الألف إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما[2].

وقد جاءت أفعال على هذه القاعدة ولم تعل مثل عور وحول وحيد وقد علل سيبويه سبب استعمال هذه الأفعال استعمال الأفعال الصحيحة هو أنها جاءت على الأصل إذ يقول: «وأما قولهم عور يعور وحول يحول وصيد يصيد فإنما جاءوا بهن على الأصل لأنه في معنى مالابد له من أن يخرج على الأصل نحو اعوررت واحوللت وابيضضت واسوددت فلما كن في معنى ما لابد له من أن يخرج على الأصل لكون ما قبله تحركن فلو لم تكن في هذا المعنى اعتلت، ولكنها بنيت على الأصل إذ كان الأمر على هذا[3].

ويريد سيبويه أن دلالة هذه الأفعال على الألوان والعيوب هي السبب في عدم اعتلالها ولكن ما يظهر لي هو أنها من بقايا المرحلة الأولى وهي استخدام الأفعال المعتلة استخدام الأفعال الصحيحة بدليل وجود هذا الاستخدام في بعض اللغات السامية كالحبشية.

وقول سيبويه هذا هو الذي سار عليه النحويون والصرفيون من بعده إلى اليوم، ومما يدل على أن هذه الأفعال وإن دلت على العيوب فهي بقايا من المرحلة الأولى مجيء بعضها معتلا قال الشريف الرضى: «وقد يعل باب فعل من العيوب نحو قوله:

أعارت عينه أم لم تعارا

---

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب (٢٩٢).

(٢) سر صناعة الإعراب (٢/ ٦٦٧).

(٣) الكتاب (٤/ ٣٤٤).

فيعل فرعاه أيضا نحو أعار واستعار[1].

وأشار المبرد إلى هذه المرحلة بقوله: «وقد يجيء في الباب الحرف والحرفان على أصولهما وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدل على أصل الباب، فمن ذلك ﴿**استحوذ عليهم الشيطان**﴾[2] وأغيلت المرأة المستعمل في هذا الإغيال على ما يجده في كتاب التصريف نحو استجاز وأقام واستقام»[3].

المرحلة الثانية: هي حذف الحركة التي بعد حرف العلة الواو أو الياء وهو ما يسمى بالتسكين أو ذهاب الحركه فتصبح الأفعال المعتلة العين أو اللام على نحو قَوْل، وبَيْع، خَوْف، قَضَيْ، رَمَيْ، وقد فطن إلى هذه المرحلة ابن جني إذ يقول في هذا تحت عنوان «باب في ملاطفة الصنعة»: ومن ذلك قولهم أن أصل قام قوم فأبدلت الواو ألفا وكذلك باع أصله بيع ثم أبدلت الياء ألفا لتحركهما وانفتاح ما قبلها، وهو لعمري كذلك إلا أنك لم تقلب واحدا من الحرفين إلا بعد أن أسكنته استثقالا لحركته فصار إلى قَوْم وبَيْع»[4].

ويمثل هذه المرحلة من الأفعال الناقصة والأسماء قول الشاعر:

وفرج منك قريب قد أَتَيْ

أي قد أتى[5].

---

(١) شرح الشافية (٣/ ١٠٠).

(٢) المجادلة (١٩).

(٣) المقتضب (٢/ ٩٨).

(٤) الخصائص (٢/ ٤٧٢)

(٥) المنصف لابن جني (١/ ١٦٠).

وقول الآخر:

إن لطيء نسوة تحت الغَضَيْ يمنعهن الله ممن قد طَغَيْ[1]

يريد الغضا وطغى.

وفي هذه المرحلة وصل كل من الاسم والفعل إلى القاعدة التي تقدمت في التبادل بين الياء الساكنة المسبوقة بحركة والفتحة الطويلة «ألف المد» وهي أن الياء في هذه الحالة تتحول إلى فتحة طويلة مثل «العَيْب والعاب، وطيبة وطابة».

المرحلة الثالثة: وهي إبدال الياء الساكنة المسبوقة بحركة فتحة طويلة (ألف مد) وهذا ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى مثل قال، باع، خاف، قال، سعى، رمى فأصل هذه الأفعال وهو الذي يمثل المرحلة الأولى: قَوَل بَيَع، خَوِف طَوُل، سَعَي رمَيَ.

والذي يمثل المرحلة الثانية وهي ذهاب الحركة أو التسكين هو: قَوْل بَيْع، خَوْف، طَوْل، سَعَيْ، رَمَيْ.

والمرحلة الثالثة تحول الواو أو الياء إلى فتحة طويلة (ألف مد): قال باع، خاف، طال، سعى، رمى.

وينسب إلى طيء أنها تحول الكسرة القصيرة التي قبل الياء من الفعل المعتل الناقص نحو رَضيَ ليكون على وزن فَعَل لكي تنطبق عليه القاعدة التي تقول يتحول الواو أو الياء ألفا إذا تحرك أحدهما وانفتح ما قبله وبذلك تتحول الياء إلى ألف أي فتحة طويلة[2].

---

(١) المحتسب (١/ ٧٧)..

(٢) انظر الممتع في التصريف لابن عصفور (١/ ١٥٣)..

وهذا يعني أن الفعل المعتل قد مر بأربع مراحل فلو أخذ الفعل «رَضِيَ» على وزن فَعِل فهذا يمثل المرحلة الأولى أما الثانية فهي تحويل الكسرة القصيرة التي بعد الضاد إلى فتحة قصيرة فيكون على وزن فَعَلَ أي رَضَيَ وهو في هذه الحالة مثل سعي وفي المرحلة الثالثة تحذف الحركة التي بعد صوت العلة الياء أو يسكن فيكون رَضَيْ والمرحلة الرابعة والأخيرة تحويل الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة إلى فتحة طويلة (ألف مد) فيكون رَضا.

ومن أدلة لهجة طيء هذه قول زيد الخيل من قصيدة قوامها تسعة أبيات:

أفي كل عام مأتم تجمعونه — على مِحْمَرٍ عَوْد أثيب وما رُضا
فلولا زهير أن أكدر نعمة — لقاذعت كعبا ما بقيت وما بَقا
تجدون خمسا بعد خمس كأنه — على فاجع من خير قومكم نُعا[1]

يريد، رُضِيَ، بَقِيَ، نُعِي.

وقد تكلم ابن دريد على هذه اللهجة وذكر أنها لطيء وبعض العرب حيث قال: «وما رَضى في معنى ما رَضِيَ وهي لغة لطيء وقد تكلم بها بعض العرب كما قالوا بَقى فَنى رَضَى في معنى بَقيَ وفَنِيَ ورَضِيَ بفتح الراء وضمها»[2].

ونسبها ابن سلام إلى طيء وبعض العرب إذ قال: «عندما أورد بيت

---

(١) النوادر لأبي زيد (٣٠٣) انظر البارع للقالي (٥١١)، والكتاب (٤/ ١٨٨)، وذيل النوادر والأمالي لأبي علي القالي (٣/ ٢٦).

المستوغر ابن ربيعة بن كعب بن سعد:

هل ما بقى إلا كما قد فاتنا   يوم يكر وليلة تحــــدونا

«قوله بَقى، يريد بَقِيَ وفَنيَ وهما لغتان لطيء وقد تكلمت بهما العرب وهما في طيء أكثر قال زهير بن أبي سلمى:

تربع صـارة حتى إذا مــا   فنى الدحلان عنه والأضاء[1]

وقال زيد الخَيل:

فردوا علينا ما بقــــا من نسـائنا   وأبنائنا واسـتمتعوا بالأباعــــر[2]

لعمرك ما أخشى التصعلك مابقا   على الأرض قيس يسوق الأباعرا[3]

وقال رجل من طيء:

إذا لم يكن مال يرى شنفت له   صدور رجال بقالهم وفر[4]

وفي مادة «بقى» من لسان العرب، وطيء تقول بَقى وبَقَتْ مكان بَقِيَ وبَقِيَت وكذلك أخواتها من المعتل قال البولاني:

نستوقد النبل بالحضيض ونصــ   ـطاد نفوسا بنت على الكرم[5].

يعني إذا أخطأ يورى النار.

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام (٢٠)، شعر زهير (١٢٩).

(٢) شرح أبيات سيبويه للسيرافي (٢/ ٢٧٨).

(٣) نوادر أبي زيد (٢٧٩).

(٤) نودار أبي زيد (٤٨٧).

(٥) انظر شعر طيء وأخبارها جمع وتحقيق للدكتور وفاء فهمي السنديوني (٢/ ٧٠٩).

وقال حري بن عامر الطائي:

وأسمر مربوع رضاه بن عازب ... فأعطى ولم ينظر ببيع حلال[1]

وقال كلثوم بن صعب:

فليت غدا يوما سواه وما بقى ... من الدهر ليل يحبس الناس سرمدا[2]

وقال الشاعر زيد الخيل:

فليت أبا شريح جار عمرو ... حيا عوف وغيبه القبـــــــــور[3]

أراد حيي عوف فقال حيا

وقال الشاعر:

ألا ليت عمي يوم فرق بيننا ... سقا السم ممزوجا بشب يماني[4]

وفي هذا البيت قال ابن دريد: «سُقى في لغة طِيء وغيرها بمعنى سُقِي».

ومن أدلة لهجة طيء ما استشهد به صاحب اللسان في مادتي «سأد» و «لقا»:

لم تلق خيل قبلها مالقت ... من غب هاجرة وسير مُسْأدِ

وقالت امرأة:

يا من بمقلته زهى الدهر ... قد كان فيك تضاءل الأمر[5]

(١) المرجع السابق (٢/ ٣٧٧)، ونوادر أبي زيد (٢٩٩).
(٢) شرح الحماسة للمرزوقي (٣/ ١٣٨٨).
(٣) البارع (٥١١).
(٤) جمهرة اللغة (١/ ٣٢)، وتثقيف اللسان لابن مكي الصقلي (٣٣٣).
(٥) أمالي القالي (١/ ٤١)، وسمط اللآلئ (١/ ١٦٢)

وقال طفيل الغنوي:

لزجرت قلبا لا يريع إلى الصبا إن الغوي إذا نها لم يعتب[1]

وله أيضا:

فلما فنا مافي الكنائن ضاربوا

إلى القرع من جلود الهجان المجوب[2]

وقد فعلت طيء بالاسم مثل ما فعلت بالفعل، إذ يقولون في أصبية وبادية وناصية وباقية وقارية، وأدوية، وخظية بظية: أصباة، وباداة، وناصاة وباقاة وقاراة، وأدواة، وحظاة بظاة، كما يقولون في الجارية والتوصية جاراة، وتوصاة، والصرفيون يذهبون في تعليل هذا الإبدال مذهبهم في تعليل إبدال الياء من رضى وبقى ونهى ونحوه.

إذ يقول ابن عصفور: «ويجوز في لغة طيء أن تحول الكسرة التي قبل الياء إلى الفتحة فتنقلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فيقال في باقية وناصية «باقاة وناصاة»[3].

ويقول أيضا: «وقد كان في لغة طيء فاشيا قلب كل ياء قبلها كسرة ألفا فيقولون في الناصية الناصاة وفي الأدوية الأدواة وفي رُضى رضا»[4].

لكن الذي أراه في تعليل هذه الظاهرة هو ما رأيته في تعليل الأفعال المعتلة اللام وهو أن هذه قد مرت بمراحل المرحلة الأولى قولنا مثلا الباقية

(١) الكتاب (٤/١٨٨).

(٢) اللسان فرع.

(٣) الممتع في التصريف (٢/٥٥٧).

(٤) شرح جمل الزجاجي (٢/٩٩).

والثانية إبدال الحركة التي تسبق الياء فتحة فتكون الباقية، والثالثة حذف الحركة التي تتلو الياء أو تسكين الياء فتكون الباقية وفي هذه الحالة تكون الياء ساكنة مسبوقة بفتحة قصيرة فينطبق عليها قانون إبدال الياء ألفا فيقال الباقاة وتلك هي المرحلة الرابعة والأخيرة.

ودليل تحويل الياء من أصبية جمع صبي إلى فتحة طويلة (ألف مد) قول حاتم الطائي.

فقلت لأصبا صغار ونسوة   بشبهاء من ليل الثلاثين قرت[١]

وفي تحويل الياء من بانية إلى باناة أي إلى فتحة طويلة (ألف) يقول امرؤ القيس:

رب رام من بني ثعـــل   متلج كفيه في قتـره

عارض زوراء من نشـم   غير باناة على وتره[٢]

وقال حريث بن عناب الطائي في تحويل ناصية إلى ناصاة:

لقد آذنت أهل اليمامة طيء   بحرب كناصاة الأغر المشهر[٣]

وفي «نصا» من لسان العرب ذكر أن «بادية وباداة وقارية وقاراة» جاءت على لهجة طيء.

وفي مادة «خطا» ويقال خَطِيَة بَظِيَة ثم خطاة قلبت الياء ألفا على لغة طيء»

---

(١) ديوانه (٣٢).

(٢) ديوانه (٧٥)، وانظر مقاييس اللغة (١/ ٣٠٢).

(٣) نوادر أبي زيد (٣٨١) وانظر شعر طيء وأخبارها جمع وتحقيق الدكتور وفاء فهمي السنديوني. (٢/ ٥٧٦).

وفي «ورى» منه «ذكر أن طيئا تقول في التوصية توصاة وللجارية جاراة وللناصية ناصاة».

لهجة هذيل في الاسم المقصور:

تروي الكتب العربية أن قبيلة هذيل تجعل الفتحة الطويلة (الألف) من الاسم المقصور ياء إذا أضيفت إلى ياء المتكلم ويستشهدون لها بقول الشاعر أبي ذؤيب الهذلي:

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهمو فتخرموا ولكل جنب مصرع[1]

وهو الذي عناه ابن مالك بقوله عند الحديث عن اضافة الاسم المقصور إلى ياء المتكلم:

«وفي المقصور عن هذيل انقلابها ياء حسن»[2]

وعلى هذه اللهجة جاء قوله تعالى: ﴿ **يا بشريّ** ﴾[3]، قال الفراء وهذيل: يا بشري كل ألف أضافها المتكلم إلى نفسه جعلتها ياء مشددة[4].

ثم استشهد ببيت أبي ذؤيب المشهور كما ورد على هذه اللهجة قوله تعالى: ﴿**هُدَيّ**﴾[5] قال ابن جني. . «هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم يقلبون الألف من آخر الاسم المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم ياء»[6] هذا هو رأي العلماء العرب من نحويين وقراء.

---

(١) شرح أشعار الهذليين (١/ ٧)، المفضليات (٤٢١)، وانظر شرح الأشموني (٢/ ٢٨٢).
(٢) الأشموني (٢/ ٢٨١).
(٣) يوسف (١٩).
(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٩).
(٥) البقرة (٣٨)
(٦) المحتسب (١/ ٧٦).

لكن ما أراه هو أن الاسم المقصور قد مر بالمراحل التي مر بها الفعل الناقص أو المعتل اللام، فلو أخذنا اسما مقصورا وليكن غضى فإن هذا الاسم مر بالمرحلة الأولى وهي استعماله استعمال الصحيح غَضَيٌ، والمرحلة الثانية هي ذهاب الحركة التي بعد الياء وبذلك يكون الياء ساكنا فيكون غَضَيْ، وفي هذه الحالة تكون الياء ساكنة مسبوقة بفتحة قصيرة فتتحول إلى فتحة طويلة (ألف) فيكون غَضى ويمثل هذه المرحلة أي الثانية وهي ذهاب الحركة التي بعد صوت العلة الصامت قول الشاعر:

تَبَشَّري بالرِّفْه والماءِ الرَّوَىْ

وفرج منك قريب قـد أَتَيْ[1]

وقول الثاني: إنَّ لِطَيٍّ نِسوةً تحت الغَضَيْ

يمنعهن الله ممـن قـدٍ طَغَيْ

بالمشرفيات وطعـن بالقَنَيْ[2]

فمن هذين الشاهدين تبين لنا المرحلة الثانية من تطور الكلمة العربية المعتلة اللام وبذلك تكون هذه الظاهرة ليست خاصة بالمقصور عند إضافته إلى ياء المتكلم بل هي في كل اسم معتل اللام وكذلك الفعل كما سبق فالظاهرة أعم مما كان يتصوره القدماء.

وهذه الظاهرة أيضا ليست خاصة بهذيل بل قد تكلم بها العرب

---

(١) المنصف لابن جني (١/ ١٦٠).

(٢) المرجع السابق(١/ ١٦٠).

الآخِرون فهي تنسب إلى بني سليم قال الفراء:

«وقال لي بعض بني سليم آتيك بِمَوْلَيَّ فإنه أروى مني»[١]

ومن أدلة هذه اللهجة قول الشاعر:

فأبلوني بليتكم لعلي	أصالحكم واستدرج نَوَيّا[٢]

وعلى هذه اللهجة جاء قول أبي الأسود:

أجيء إذا دعيت على هَوَيّا[٣]

وفي شرح أشهار الهذليين «هَوَيّ لغة هذيل وكذلك تُقَيّ وعَصَيّ» وجميع المقصور[٤].

ومن الشواهد التي جاءت على هذه اللهجة قول الشاعر المنخل اليشكري[٥]:

يطوف بي عكب في معد	ويطعن بالصملة في قَفَيّا

فإن لم تثأراني من عكب	فلا أرويتما أبدا صَدَيّا[٦]

وتنسب هذه اللهجة إلى قبيلة طيء أيضا «إذ قال أبو عبيد حول قول طلحة رضي الله عنه«فوضعوا اللج على قَفَيّ»[٧]، وقوله قَفَيّ لغة طائية

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩).

(٢) ينسب هذا البيت لأبي داود انظر الخصائص (١/ ١٧٦) ، والنقائض (١/ ٤٨)

(٣) أشعار الهذليين (١/ ٧).

(٤) المرجع السابق (١/ ٧)، والكامل للمبرد (٣/ ٢٠٥).

(٥) مادة عكب من اللسان.

(٦) الخصائص (١/ ١٧٧)، اللسان «عكب».

(٧) غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ١٠)، واللسان «قفا».

وكانت عند طلحة امرأة طائية ويقال أن طيّا لا تأخذ من لغة أحد ويؤخذ من لغاتها»[1].

وجاءت هذه اللهجة في شعر منسوب إلى حمير يقول الراجز الحميري[2]:

يا ابن الزبير طالما عصيكا　　　　لنضربن بسيفنا قفيكا

فهذه اللهجة التي تمثل المرحلة الثانية من تطور الاسم المعتل اللام قد جاءت في لهجة هذيل وطيء واليمن، وتكلم بها الشعراء من مختلف القبائل.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ١١).

(٢) شواهد العيني على الأشموني (٤/ ٢٨٣).

ما جاء بالفتحة الطويلة

(الألف) والواو والياء

ذهب سيبويه إلى أن الألف بدل من الياء في الاسم المقصور الذي جاء بالياء. وهو ما سبق أن بينا أنه يمثل المرحلة الثانية وكذلك الاسم المقصور الذي آخره واو قد جعلها سيبويه بدلا من الألف فقد ذكر ذلك تحت عنوان «هذا باب الحرف الذي تبدل مكانه في الوقف حرفا أبين منه يشبهه لأنه خفي وكان الذي يشبهه أولى كما أنك إذا قلت مصطفين جئت بأشبه الحروف بالصاد من موضع التاء لا من موضع آخر» إذ قال: «وذلك قول بعض العرب في أفعى: هذه أَفْعَيْ، وفي حبلى: هذه حُبْلَيْ، وفي مثنى: هذا مُثَنَّيْ. فإذا وصلت صيرتها ألفا، وكذلك كل ألف في آخر الاسم حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس وهي قليلة فأما الأكثر الأعرف فأن تدع الألف في الوقف على حالها ولا تبدلها ياء وإذا وصلت استوت اللغتان، لأنه إذا كان بعدها كلام كان أبين لها منها إذا سكَتَ عندها فإذا استعملت الصوت كان أبين.

وإما طيء فزعموا أنهم يدعونها في الوصل على حالها في الوقف لأنها خفية لا تحرك قريبة من الهمزة. حدثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب، وزعموا أن بعض طيء يقول أَفْعَوْ لأنها أبين من الياء ولم يجيئوا بغيرها لأنها تشبه الألف في سعة المخرج والمد ولأن الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء وتبدلان مكان الألف أيضا وهن أخوات»[١].

---

(١) الكتاب (٤/ ١٨١).

وقال عند ذكره للياء ضمن أصوات البدل «وتبدل في الوقف من الألف في لغة من يقول: أَفْعَيْ وحُبْلَيْ»[1].

وقال عند ذكره للواو: « وتبدل مكان الألف في الوقف وذلك قول بعضهم أَفْعَوْ وحُبْلَوْ، كما جعل بعضهم مكانها الياء وبعض العرب يجعل الواو والياء ثابتتين في الوصل والوقف»[2].

من هذه النصوص تبين ما يلي:

١ـ من العرب من يجعل آخر الاسم الألف مطلقاً وهو عامة العرب.

٢ـ ومنهم من يجعل آخره الياء مطلقا سواء في الوصل أو الوقف ونسبت إلى طيء وفزارة.

٣ـ ومنهم من يجعل الواو في آخر الاسم مطلقا سواء في الوقف أو الوصل وينسب لطيء.

٤ـ ومنهم من يجعل الاسم في الوقف منتهيا بياء وفي الوصل منتهيا بفتحة طويلة (ألف مد).

٥ـ ومنهم من يجعل الاسم منتهيا بواو في حالة الوقف وبفتحة طويلة في حالة الوصل.

وما ألاحظه هو أن الذي يجعل الاسم المقصور منتهيا بألف وهو عامة العرب إنما يمثل المرحلة الأخيرة من تطور الاسم المعتل.

وأما الذي يجعل آخر الاسم المعتل واوا أو ياء فإنما يمثل طورا من أطوار هذا الاسم أما الرابع والخامس وهما اللذان يجعلان الاسم المقصور ينتهي بواو أو ياء في الوقف وبألف في الوصل إنما هو توجيه من النحاة

---

(١) الكتاب (٤/ ٢٣٨). (٢) المرجع السابق (٤/ ٢٤١).

أو تعليل لوجود هذه الصور لهذا الاسم لأن من تعود على النطق بالمقصور في الطور الذي يمثل الياء فلن ينطق به إلا ياء سواء كان في الوقف أو في الوصل ومن تعود على النطق بالواو فلن ينطق به إلا واوا سواء كان في الوصل أو الوقف.

وقد جعل سيبويه سبب تحول الفتحة الطويلة إلى الواو أو الياء في زعمه هو خفاء هذه الفتحة الطويلة وقد يفهم منه أنه أراد خفاء أصوات المد وهذا عكس ما أثبتته التجارب بأن أصوات المد أو الحركات من أوضح الأصوات قوة في السمع ولعله يريد بالخفاء سعة المخرج فإذا أَطْلَقَ الصوت الخفي فهو يريد به واسع المخرج لذلك تسمى أصوات المد أو الحركات، والهاء الأصوات الخفية إذ يقول حول خفاء الألف: «وقد لحقت هذه الهاءات بعد الألف في الوقف لأن الألف خفية فأرادوا البيان وذلك قولهم: هؤلاه وهنهاه»[1].

ثم ذكر أن سعة المخرج هي سبب تسمية الصوت بالخفي «وإنما خفت الألف هذه الخفة لأنه ليس منها علاج على اللسان والشفة ولا تحرك أبدا فإنما هي بمنزلة النفس»[2].

وهذا المصطلح للأصوات الخفية هو الذي سار عليه من جاء بعده من النحويين والصرفيين والقراء.

---

(١) الكتاب (٤/ ١٦٥).

(٢) المرجع السابق (٤/٣٣٦).

الواو الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة
والفتحة الطويلة (الألف)

سبق أن تبين أن الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة تتحول إلى فتحة طويلة(ألف) وهذا الحال ينطبق على الواو الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة.

من ذلك ما ذكره ابن قتيبة في غريب سورة النساء «الحوب الإثم وفيه ثلاث لغات حوب حَوْب وحاب»[1].

وقال ابن دريد واستاحد الرجل إذا انفرد واستوحد أيضا[2]، ومما ذكره أبو الطيب «وجعلت المرأة تَوْحم وتاحم إذا اشتهت على حبلها شيئا»[3].

وقد ذهب صَوْته في الناس وصاته: أي ذكره، ويقال قبل الله تَوْبتك وتابتك، ورحم الله حَوْبتك وحابتك»[4].

ونسبت هذه اللهجة إلى بعض بني تميم، إذ روى عنهم في جمع أولاد آلاد[5].

وجاء شعر على هذه اللهجة كقول الراجز:

قد قمت ليلي فتقبل قامتي

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١١٨).

(٢) جمهرة اللغة (٣/ ٢٣١).

(٣) الإبدال (٢/ ٢٥١).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٥٢٣).

(٥) شرح شافية ابن الحاجب (٣/ ١١١).

وصمت يومي فتقبل صـــامتي

أدعوك بالعتق من النـــار التي

أعددتها للظالـــم العاتي العتي

فأعطنـــي مما لديـــك سالتـــي[1]

ويبدو أن الكلمات التي جاءت بالواو الساكنة المسبوقة بفتحة وبالفتحة الطويلة قد مرت بالمراحل الثلاث في الاسم المقصور والفعل الناقص فلو أخذنا كلمة عصا لوجدناه قد مرت بهذه المراحل فالأولى عَصَو، والثانية عَصَوْ ذهاب الحركة القصيرة التي بعد الواو وقد جاء هذه عن بعض العرب والثالثة عصا بإبدال الواو الصامتة المسبوقة بفتحة قصيرة فتحة طويلة (ألفا).

(١) جمهرة اللغة (٣/ ٤٨٨)، الإبدال لأبي الطيب (٢/ ٥٢٤).

الواو والياء الساكنتان
المسبوقتان بفتحة قصيرة

دلت النصوص على أن العرب تفضل الياء على الواو وهذا يعني أن الواو في الكلمات التي ورد التبادل فيها بين الواو والياء هي الأصل وهذا التفضيل عام في كل ياء سواء كانت مسبوقة بحركة أو متبوعة ويشمل الحركات الطويلة والقصيرة فالكسرة القصيرة والطويلة أخف على العرب من الضمة الطويلة والقصيرة كما أن الواو الصامتة أو نصف صامتة كما تسمى أثقل عليهم من الياء الصامتة أو نصف صامتة، وقد لاحظ ذلك سيبويه وسجله في عدة نصوص منها قوله: «لأن الياء أخف عليهم من الواو»[١]، وقوله: «وأما فَعُل فيكون في الواو نحو سرو يسرو ولا يكون في الياء لأنهم يفرون من الواو إليها فلم يكونوا لينقلوا الأخف إلى الأثقل فيلزمها ذلك في تصرف الفعل»[٢].

وقال أيضا: « لأن الواو قد تكره بعد الياء حتى تقلب ياء والضمة تكره معها حتى تكسر»[٣].

وقال أيضا: « وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو لأنها أخف عليهم» .[٤]

وقوله أيضا:«وذلك لأن الياء أخف عليهم من الواو وأكثر تحويلا للواو من الواو لها وكرهوا أن ينقلوا الخفيف إلى ما يستثقلون»[٥].

(١) الكتاب (٤/ ١٦٧).

(٢)المرجع السابق (٤/ ٣٨٢).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٣٨٣).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٣٦٥).

(٥) المرجع السابق (٤/ ٣٤١).

من هذه النصوص يظهر أن الكلمة إذا جاءت بنطقين إحدهما يحتوي على الواو والآخر على الياء فإن التي تحتوي على الواو هي الأصلية والتي تحتوي على الياء هي الفرعيـة أو الحديثة وهأنذا مورد الكلمات التي وردت في كل منها لغتان إحداهما بالياء الصامتة الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة، والأخرى بالواو الساكنة أو الصامتة المسبوقة بفتحة قصيرة.

من ذلك حيث قال الخليل: « حوث وحيث للعرب في حيث لغتان واللغة العالية حيثُ مضمومة الثاء وهو أداة للرفع يرفع الاسم بعده ولغة أخرى حوث رواية عن العرب لبني تميم، قال الشاعر:

ولكن قد قذاها واحد لا تريده "

اتتنا بها الغيطان من حوث لا ندري[1]

وقال ابن هشام: وطيء تقول حوث وفي الثاء فيهما الضم تشبيها بالغايات والكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف[2].

وعلى لهجة طيء وتميم جاء قول الشاعر:

وإنني حوثما يشري الهوى بصري

من حيثما سلكوا أثني فأنظور[3]

فاللهجة التي جاءت على حوث تمثل النطق القديم، والتي على حيث تمثل المرحلة الأخيرة وفي جمهرة اللغة «حولق اسم من أسماء الداهية مثل الحيلق [4]، وناقه عوسرانة وعيسرانة للتي تركب ولم ترض[5].

---

(١) العين (٣/ ٢٨٥).

(٢) المغني (١٧٦).

(٣) سر صناعة الإعراب (١/ ٣٠) ،والإنصاف لابن الأنباري (١/ ٢٤).

والتيرب والتورب من أسماء التراب[1]، ومما ذكره ابن قتيبة وهو يشمى الخيزلي والخوزلي وهو سريع الأيبة والأوبة،أجد بقلبي

ليطا ولوطا، العبوثران والعبيثران لضرب من النبت طيب الريح[2].

(١)الجمهرة(١/ ١٩٤).

(٢) أدب الكاتب (٤٥٩)

التبادل بين الياء المتبوعة بحركة والواو المتبوعة بحركة

يقال: تحوز وتحيز، وتوهت الرجل وتيهته، وطوحته وطيحته وتبوغ الدم بصاحبه وتبيغ وتصوح البقل وتصيح إذا هاج، وتهور الجرف وتهير إذا انهار، وتضوع ريحه وتضيع، وشوطه وشيطه، ودوختهم تدويخا وديختهم تدييخا[1].

وسري الرجل يسرى، وسرو يسرو، وسخي يسخى وسخو يسخو[2].

وهذه نقاوة الشيء ونقايته أي خياره، وفلان أحول منك وأحيل من الحيلة، وهو المتأوب والمتأيب، وهو من صيابة قومه وصوابتهم أي صميمهم وأرض مسنوة ومسنية وفلان مرضو ومرضي، ومجفو ومجفي، واشتد حمو الشمس وحميها وهو بلو سفر وبلي سفر للذي قد بلاه السفر، قال أبو زيد ويقال لتثنية عرق النسا نسيان ونسوان وتثنية الرضا رضوان ورضيان، والحمى حموان وحميان، والرحا رحوان ورحيان ونقا الرمل نقوان ونقيان وجمع صائم صوم وصيم ونائم نوم ونيم وخائف خوف وخيف[3].

ومما يثبت أصالة الواو قول الفراء: « من قاله بالواو فعلى أصله وجمع ميثرة مياثر ومواثر، والميثاق مواثق ومياثق والأقاوم والأقايم: القوم»[4].

---

(١) أدب الكاتب(٣٦٥).

(٢) المرجع السابق (٣٦٧).

(٣) أدب الكاتب لابن قتيبة (٤٦٠).

(٤) المرجع السابق (٤٦٠).

وقال الخليل الكلوة لغة في الكلية لأهل اليمن[1].

وخلاصة التبادل بين الواو والياء المتبوعتين بحركة هو أن الواو هى الأصل والياء هي الفرع فإذا وردت كلمتان متساويتان في عدد الحروف وترتيبها ولا تختلفان إلا بأن تكون إحداهما تشتمل على الياء المتبوعة بحركة والأخرى على الواو المتبوعة بحركة فالمحتوية على الواو هى الأصلية والمحتوية على الياء هي الفرعية.

وبمقارنة الواو والياء في اللغات السامية نجدها تحتفظ بالواو ما عدا العبرية والآرامية وهذا يعني أن الواو فيهما قد تحولت إلى ياء بل أقدم اللغات السامية وهي البابلية الأشورية احتفظت بالواو مما يشير إلى أصالة الكلمات التي تحتوي على الواو وفرعية التي تحتوي على الياء فكلمة «ورق» العربية تكون «ورقو» في البابلية الأشورية «ويرق يرق» في العبرية، «ويرقا» في الآرامية و «وقر وقار» العربية تكون «وقرو» في البابلية الأشورية، «ويقر» في العبرية «ايقر نيقر» في الآرامية، و«وقر» في جنوب الجزيرة العربية وكلمة «ولد يلد»، العربية تكون «يلد يلد» في العبرية و«ايلد نيلد» في الآرامية و«ولد يلد» في لغات جنوب الجزيرة العربية[2].

---

(١) العين (٥/ ٤٠٥).

(٢) تاريخ اللغات السامية أ. ولفنسون (٢٩٤).

الفتحة الطويلة (ألف المد)
والضمة الطويلة «واو المد»

ما قيل في التبادل بين الفتحة الطويلة والواو يقال هنا إذ إن الكلمة إذا جاء لها نطقان أحدهما بالفتحة الطويلة والآخر بالضمة الطويلة فإن الذي يحتوي على الضمة هو الأصلي والذي يحتوي على الفتحة الطويلة هو الفرعي.

والسبب الذي جعلنا نرجح أصالة الألفاظ التي جاءت بالضمة الطويلة هو السبب الذي جعلنا نرجح أصالة الواو الصامتة على الألف وذلك أن الضمة ثقيلة فتنفر منها العرب وتلجأ إلى الفتحة لأنها أخف منها بل هي أخف الحركات وحكم الحركات القصيرة والطويلة واحد من حيث التبادل فما يقال في الطويلة ينطبق على ما يقال في القصيرة، وقد لاحظ سيبويه ذلك إذ قال: «وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر كما أن الألف أخف من الواو والياء ..... وذلك نحو جمل وحمل ونحو ذلك[1]».

وقال في موضع آخر: « فأما الألف فليست كذلك لأنها أخف عليهم ألا تراهم يفرون إليها في مثنى ونحوه ولا يحذفونها في وقف ويقولون في فخذ فَخْذ وفي رُسُل رُسْل ولا يخففون الجَمَل لأن الفتحة أخف من الضمة والكسرة كما أن الألف أخف عليهم من الواو والياء»[2].

(١) الكتاب (٤/ ١١٥).

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٦٧).

وتعليل سيبويه هذا ينطبق مع نظرية السهولة واليسر ولا تكاد توجد نظرية في اللغة إلا وقد طرق علماء العربية بابها ولكن يلاحظ أنهم لا يطبقون ذلك وإنما تذكر في ثنايا الكتب أو في إشارات عابرة، والذين كتبوا في الإبدال لم يبينوا الأصل والفرع في التبادل بين ألف المد ويائه على مصطلحهم أو الفتحة الطويلة والضمة الطويلة في مصطلح المتأخرين أو المحدثين ولكن الذي أرجحه هو أن الضمة الطويلة هي الأصل والفتحة الطويلة هي الفرع.

وقال الفراء مبينا أن الفتحة الطويلة لهجة الحجاز والضمة الطويلة لهجة عامة العرب وذلك عندما تناول تفسير قوله تعالى: ﴿**الحي القيوم**﴾ من سورة آل عمران: ﴿**الحي القيوم**﴾[1] قراءة العامة وقرأها عمر ابن الخطاب وابن مسعود «القيّام» وصورة القيوم الفيعول والقيام الفيعال وهما جميعا مدحا وأهل الحجاز أكثر شيء قولا: الفيعال من ذوات الثلاثة فيقولون للصوّاغ: الصياغ[2].

وهذا النص فيه دليلان: الأول بين الفتحة الطويلة والضمة الطويلة وجاءت لهجة الحجاز على الحديثة وهي الفتحة الطويلة، والثاني بين الواو المتبوعة بحركة والياء المتبوعة بحركة وجاءت لهجة الحجاز على الصورة الحديثة وهي الياء ومما ورد بالفتحة الطويلة والضمة الطويلة ما قاله ابن قتيبة في باب «فَعال وفُعول» نحو «الثبات والثبوت والذهاب والذهوب والفساد والفسود، والصلاح والصلوح وقطاع الطير وقطوعها وهو أن تقطع من بلد إلى بلد، والقتام والقتوم والفراغ والفروغ».

وفي «باب فُعال وفُعول»: الكلاح والكلوح، والسكات والسكوت، والصمات والصموت.

---

(١) آية (٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ١٩٠).

وفي باب فِعال وفُعول: النفار والنفور، والشراد والشرود، والشباب والشبوب والشماس والشموس والطماح والطموح[١].

ومما جاء على فَعالة وفُعولة «فسل فسالة وفسوله، ورذل رذالة ورذولة وفارس بين الفراسة والفروسة ولحية كثة بينة الكثاثة والكثوثة وجلد بين الجلادة والجلودة وشعر وحف بين الوحافة والوحوفة. إذا كان كثيرا وشعر جثل بين الجثالة والجثولة وشعر جعد بين الجعادة والجعودة، ووقاح بين الوقاحة والوقوحة[٢].

وفي باب فِعْلال وفُعلول: شمراخ وشمروخ، وعثكال وعثكول، وعنقاد وعنقود، وجذمار وجذمور، وهي قطعة تبقى من السعفة إذا قطعت، وثفراق وثفروق، ومعلاق ومعلوق[٣].

وفي مادة «جوه» من جمهرة اللغة «وزجر من زجر الإبل جوه جوه وقالوا جاه جاه ويقال جهجهت بالإبل إذا قلت ذلك.

وقد نسب إبدال الضمة الطويلة فتحة طويلة إلى طيء حيث جاء في مادة «ت م و» من الجمهرة، والموت معروف مات يموت موتا وقالوا مات يمات موتا لغة طائية».

وفي «فكه» منه «والكهف كهف الجبل والجمع كهوف وكهاف»، وفي «ق هـ ى» منه« الهيق والجمع أهياق وهياق وهيوق وهو الظليم»، وفي «ح ض ل» منه «والضحل الماء القليل يترقرق على وجه الأرض والجمع ضحول وضحال وأضحال»، وفي مادة «خرق» منه «والفرخ الطائر والجمع

(١) أدب الكاتب (٤٤٢).

(٢) أدب الكتاب (٤٤٤).

(٣) المرجع السابق (٤٥٢).

فروخ وفراخ»، وفي مادة «خ ش ص» منه« وجمع شخص شخوص وأشخاص وشخاص».

وإذا قارنا بين اللغات السامية وجدنا أن العربية تستعمل للدلالة على جمع المؤنث السالم «الألف والتاء» والعبرية «الواو والتاء» [1]وهذا يعني أن الصيغة العبرية هي الصيغة القديمة أو الأصلية والصيغة العربية هي الحديثة.

---

(١) تاريخ اللغات السامية أ. ولفنسون(١٩).

الفتحة الطويلة (ألف المد)
والكسرة الطويلة (ياء المد)

ما ينطبق على الفتحة الطويلة والياء الصامتة ينطبق على الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة من حيث تفضيل العرب للفتحة الطويلة على الكسرة الطويلة أي الفرار من الكسر إلى الفتح.

وكلام سيبويه الذي قاله في تفضيل وخفة الفتحة على الضمة والكسرة وتفضيل الألف على الواو والياء يقال هنا فالعلة في ترجيح أصالة الكسرة الطويلة وفرعية الفتحة الطويلة هو فرار العرب من الكسر إلى الفتح كما سبق فى كلام سيبوية فى الفتحة الطويلة والضمة الطويلة وقد جاء في شرح الشافية ما يثبت ذلك «والكسرة أخف من الضمة والفتحة أخف من الكسرة»[١].

وعقد السيوطي في الأشباه والنظائر عنوانا باسم «أثقل الحركات الضمة ثم الكسرة ثم الفتحة»[٢].

ومما ورد بالوجهين الفتحة الطويلة والضمة الطويلة ما يسميه النحويون المنادى المضاف إلى ياء المتكلم فقد ذكر النحويون عدة لهجات للعرب نأخذ منها ما يتعلق بالفتح والكسر، قال ابن هشام عندما كان يعدد اللهجات الواردة عن العرب في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم:

إحداها يا غلامي بإثبات الياء الساكنة كقوله تعالى: ﴿**يا عبادي لاخوف عليكم**﴾[٣].

---

(١) شرح الشافية (١/ ٤٤).
(٢) الأشباه والنظائر (١/ ١٦٠).
(٣) الزخرف (٦٨).

والثانية يا غلامِ بحذف الياء الساكنة وإبقاء الكسرة دليلا عليها قال الله تعالى: ﴿**يا عباد فاتقون**[1]﴾[2].

وأقول إن هذه الياء التي سماها ابن هشام الياء الساكنة هي كسرة طويلة، وقوله: «يا غلامِ» بحذف الياء الساكنة وإبقاء الكسرة دليلا عليها إنما هو تقصير الكسرة الطويلة حتى أصبحت قصيرة أي أن الفرق بين «يا غلامي ويا غلامِ» هو أن الأولى كسرة طويلة والثانية كسرة قصيرة فالفرق هو طول الصوت في الأولى وقصره في الثانية وليس هناك ياء محذوفة والكسرة دليل عليها وإنما كان الصوت ممدودا مع الأولى ومقصورا مع الثانية وأن ابن هشام قد توهم أن هناك كسرة بعد الميم وقبل الكسرة الطويلة في«غلامي» لذلك فإنه قال في غلام حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها وليس هذا الأمر خاص بابن هشام بل قد وقع فيه علماء العربية من بعد سيبويه.

وقال عندما وصل إلى الفتح «والخامسة يا غلاما بقلب الكسرة التي قبل الياء المفتوحة فتحة فتقلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها قال الله تعالى: ﴿ **يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله** ﴾[3] ﴿**يا أسفا على يوسف**﴾ [4]السادسة يا غلام بحذف الألف وإبقاء الفتحة دليلا عليها كقول الشاعر:

ولست براجع ما فات مني · بلهف ولا بليت ولا لواني[5]

---

(١) الزمر (١٦).

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى (٢٠٤).

(٣) الزمر(٥٦).

(٤) يوسف (٨٤).

(٥) شرح قطز الندى وبل الصدى (٢٠٥).

وما قيل في غلامي وغلامِ من حيث توهم وجود حركة قبل الياء في غلامي وحذف ياء بعد الحركة يقال هنا إذ ليس هناك كسرة قبل الياء فقلبت فتحة ثم قلبت الياء ألفا وإنما التبادل حصل بين الكسرة الطويلة كما هو في«يا غلامي»والفتحة الطويلة كما في «يا غلاما» وفي الكسرة القصيرة في «غلامِ» والفتحة القصيرة في «غلامَ».

ثم ذكر ابن هشام اللهجات الواردة في المنادى إذا كان مضافا إلى مضاف إلى ياء المتكلم إذا كان ابن أم أو ابن عم فتجوز فيه عدة لهجات منها:

قوله: « فتح الميم وكسرها وقد قرأت بهما السبعة في قوله تعالى: **﴿قال ابن أم إن القوم استضعفوني﴾**[1] **﴿قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي﴾**[2].

والثالثة إثبات الياء كقول الشاعر:

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي أنت خلفتني لدهر شديد[3]

والرابعة قلب الياء ألفا «يا ابنة عما لا تلومي واهجعي»[4].

وأقول إن التبادل في الآيتين هو بين الفتحة القصيرة والكسرة القصيرة والتبادل في البيتين إنما هو بين الكسرة الطويلة والفتحة الطويلة (أمي وأما) أي في الآيتين بين الحركتين القصيرتين وفي بيتي الشعر بين الحركتين الطويلتين.

---

(١) الأعراف (١٥٠).

(٢) طه (٩٤).

(٣) شرح قطر الندى (٢٠٧).

(١) المرجع السابق (٢٠٨).

ومثل هذا يقال في: « يا أبتِ ويا أبتَ» و «يا أبتي ويا أبتا»[1].

وقد جاء التبادل بين الكسرة الطويلة التي تسمى ياء المتكلم والفتحة الطويلة في غير النداء وكقول الشاعر نفيع بن جرموز بن عبد شمس:

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى أما ويرويني النقيع[2]

وفي نوادر أبي زيد حول هذا البيت «قال المفضل كذا أنشدناه أبو العذرج «إلى أما» كما يقال «يا أبا» موضع «يا أبي» قال أبو حاتم وأنشدنا الأصمعي لأبي النجم:

يا بنت عما لا تلومي واهجعي[3]

وأورد أبو زيد شاهداً على إبدال الكسرة الطويلة فتحة طويلة مبينا أن سبب تحويل الكسرة الطويلة إلى فتحة طويلة هو الثقل إذ قال:

وقالت أمرة بن بني سعد جاهلية:

وقد زعموا أني جزعت عليهما وهل جزع أن قلتُ يا بِأَباهمُا

قال: يقال بِأَبا أنت وأمي فاستثقلوا الياء مع الكسرة قبلها ففتحوها»[4].

ولكن قوله استثقلوا الياء مع الكسرة قبلها هو تصور لوجود كسرة بين الكسرة الطويلة التي يسمونها ياء المتكلم وبين الباء لكن الاستثقال هو في الكسر ذاته إذا قورن بالفتح سواء كانت الكسرة طويلة كما هي في «أبي»

(١) المرجع السابق (٢٠٦).

(٢) نوادر أبي زيد (١٨٠).

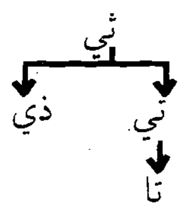
(٣) المرجع السابق (١٨٠).

(٤) نوادر أبي زيد (٣٦٥).

أو قصيرة لذلك نقول إنهم استثقلوا الكسرة الطويلة فأبدلوها فتحة طويلة، ومسألة الثقل والخفة هي من أسباب الإبدال وهذه منتشرة في كتب اللغة والنحو وتكاد تكون هي نظرية السهولة واليسر التي نادى بها بعض المحدثين أو جزءاً منها.

ويوجد هذا الإبدال في اسم الإشارة المفردة المؤنثة «تي وتا»[1] والمشهور «ذي» وإذا أردنا أن نعرف العلاقة بين الألفاظ المشار بها إلى المفردة المؤنثة وهي «ذي، تي، تا» فإن التبادل بين الذال والتاء لا يكون إلا بوجود الثاء التي يتفرع عنها إبدالات الأصوات الأسنانية اللثوية فيكون الأصل على هذا هو «ثي» جهرت الثاء فأصبحت ذالا فصارت «ذي» المشهورة ثم تحولت الثاء إلى تاء فأصبحت الكلمة «تي» ثم تحولت الكسرة الطويلة إلى فتحة طويلة فأصبحت «تا».

فتكون العلاقة بين الألفاظ المشار بها إلى المفردة المؤنثة على هذا النحو:



ولكن «ثي» لم ترد في اللغة العربية.

ومما ورد على هذه اللهجة إبدال الكسرة الطويلة فتحة طويلة ما ذكر ابن قتيبة، رجل شحاح وشحيح، وعقام وعقيم، وصحاح الأديم وصحيح وبجال وبجيل، وهو بالضم الجليل ورجل كهام وكهيم للذي لا نفع عنده، والجرام والجريم النوى، وثقال وثقيل[2]، وطويل وطوال،

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى (٩٩).

(٢) أدب الكاتب (٤٣٩).

وعريض وعراض وكبير وكبار، وخفيف وخفاف، وعجيب وعجاب، وجليل وجلال، ودقيق ودقاق، ورقيق ورقاق، وكريم كرام، ومليح وملاح، وجميل وجمال، وكثير وكثار، وقليل وقلال، وزحير وزحار، وأنين وأنان ونسيل ونسال ما سقط من الشعر والوبر والريش وشحيج البغل والغراب وشحاج، ونهيق الحمار ونهاق، وسحيل وسحال، ونبيح ونباح، وضغيب وضغاب لصوت الأرنب، وذنين وذنان لما يسيل من الأنف، وعظيم وعظام، وجسيم وجسام وشجيع وشجاع[1]، وحكى الفراء صغير وصغار ويقال مطار ومطير من طار[2]، وحرست الشيء أحرسه حراسة وحريسة[3]، والزحير داء يصيب المبطون وهو الزحار[4]، ورحيق ورحاق[5].

وخلاصة التبادل بين الكسرة الطويلة والفتحة الطويلة هو متى ما وجدت كلمتان بمعنى واحد ويتساويان في عدد الحروف وترتيبها فإن التي تحتوي على الكسرة الطويلة هي الأصلية والتي تحتوي على الفتحة الطويلة هي الفرعية.

---

(١) المرجع أدب الكتاب(٤٤٠).

(٢) جمهرة اللغة (٢/ ٢٠١).

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٣١).

(٤) المرجع السابق (٢/ ١٣١).

(٥) المرجع السابق (٢/ ١٤٠).

التبادل بين الضمة الطويلة والكسرة الطويلة

ما قيل في تفضيل العرب للياء على الواو يقال في تفضيلهم للكسرة الطويلة على الضمة الطويلة إذ إن الضمة الطويلة أثقل من الكسرة الطويلة ومعنى هذا أن الضمة الطويلة تتحول إلى الكسرة الطويلة لأن الكسرة أخف من الضمة كما أن الياء أخف من الواو يقول سيبويه في ذلك: «لأن الواوات أثقل عليهم من الياءات ومنها يفرون إلى الياء»(١).

والعلاقة بين الضم والكسر وثيقة جدا إذ يطلق عليها أصوات المد الضيقة أو الحركات الضيقة ويقابل ذلك الحركات الواسعة وهي الفتح وقد فطن علماء العربية لهذه العلاقة إذ يقول ابن درستويه: «كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية على فَعَلت بفتح العين ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا حروف الحلق فإنه يجوز في مستقبله يَفْعُل بضم العين ويَفْعِل بكسرها كقولنا ضرب يضرِب وشكر يشكُر وليس أحدهما أولى به من الآخر ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف «فمما جاء وقد استعمل فيه الوجهان ينفِر وينفُر ويشتِم ويشتُم فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه وأنهما شيء واحد لأن الضمة أخت الكسرة في الثقل كما أن الواو نظيرة الياء في الثقل والاعتلال»(٢).

ومثل ذلك يُروى عن أبي زيد إذ قال: « طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب صغيرهم وكبيرهم لأعرف ما كان منه

(١) الكتاب (٤/ ٣٤٩).

(٢) تصحيح الفصيح لابن درستويه (١/ ١٠٥).

بالضم أولى وما كان منه بالكسر أولى فلم أعرف لذلك قياسا وإنما يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن ويستخف لا على غير ذلك»[1].

وهذان النصان يبينان علاقة الضم بالكسر واستعمال العرب لهما لكن الذي نرمي إليه هو أي الاثنين الضم والكسر يكون أصلا وأيهما يكون فرعا، ولأن الضم أثقل من الكسر كما أن الواو أثقل من الياء فإن الكلمات أو الأفعال التي جاءت مضمومة العين هي الأصلية ومكسورة العين هي الفرعية أو نقول ضم العين اللهجة الأولى الأصلية وكسرها اللهجة الفرعية.

وقد فطن ابن جني للعلاقة بين الضمة الطويلة والكسرة الطويلة إذ قال: «إن بين الياء وبين الواو قربا ونسبا ليس بينهما وبين الألف إلا تراها تثبت في الوقف في المكان الذي تحذفان فيه وذلك قولك: هذا زيد ومررت بزيد. ثم تقول: ضربت زيدا وتراهما تجتمعان في القصيدة الواحدة ردفين نحو قول امرئ القيس:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني ... جرداء معروفة اللحيين سرحوب

ثم قال فيها:

كالدلوا بُتَّت عراها وهي مثقلة ... وخانها وذم منها وتكريب

ولا يجوز معهما ألف مكانهما»[1].

وهذا النص يوضح العلاقة بين الضمة الطويلة والكسرة الطويلة في «سرحوب وتكريب» إذ هما من المدات الضيقة أو من الحركات الضيقة وهذه العلاقة تجعل تحول أحدهما إلى الأخرى سهلا لكن كما قلت سابقا نحن نريد أن نعرف أي الحركتين تتحول إلى الأخرى وأيهما تكون أصلية

(١) المرجع السابق (١/ ١١٠).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٣).

وأيهما تكون فرعية، لكن ما نرجحه هو أن الضمة الطويلة هي الأصل والكسرة الطويلة هي الفرع؛ لأن ذلك يعني التحويل من ثقيل إلى أخف منه وقد لاحظ ذلك الشريف الرضى إذ يقول: «والخروج من الكسرة إلى الضمة أثقل من العكس لأنه خروج من ثقيل إلى أثقل منه»[1].

فالعلة هي أن الكسر أخف من الضم، لذلك تتحول الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة.

وقد وردت على هذا الإبدال أفعال كثيرة معتلة اللام وفي لامها لهجتان إحداهما الكسرة الطويلة والأخرى الضمة الطويلة مثل نما ينمو وينمي وقد نظمها ابن مالك في قصيدة طويلة منها:

قل إن نسبت عـزوته وعـزيته وكنوت أحمد كنية وكنيته

وطغوت في معنى طغيت ومن قنى شيئا يقول قنوته وقنيته

ولحوت عودي قاشرا كلحيتــه وحنوته عـوجته كـحنيتــه[2]

وهي قصيدة طويلة حاول فيها حصر الأفعال التي جاءت بالضمة الطويلة والكسرة الطويلة.

ومما ورد بالضمة الطويلة والكسرة الطويلة ما جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة تحت عنوان «باب فَعول وفَعيل»: «سَمُحَت قرونته وقرينته أي نفسه، والحصور والحصير الذي لا يشرب مع القوم لبخله، وأتان وديق ودوق، وهو الكذاب الأثيم والأثوم، وهو الفتيت والفتوت وهو نجيء العين ونجوء العين»[3].

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب (١/ ٣٦).

(٢) المزهر للسيوطي (٢/ ٢٧٩).

(٣) أدب الكاتب (٤٥٤).

ومن الأفعال المعتلة العين: ما أعيج من كلامه بشيء أي ما أعبأ به وبعضهم يقول ما أعوج بكلامه[1]. وفاحت القدر تفوح وتفيح ولاط حبه بقلبي يلوط ويليط، وصار عنقه يصورها ويصيرها أي أمالها، وصاف عني يصوف ويصيف أي عدل، وبان الرجل صاحبه يبونه ويبينه وغار أهله يغيرهم ويغورهم أي يميرهم، وماهت الركبة تموه وتميه وتماه، وضاره يضيره ويضوره، ولاته يليته ويلوته، وماث الشيء يموثه ويميثه، وفاخ الشيء يفوخ ويفيخ مثل فاح، وثاخت رجله في الوحل تثوخ وتثيخ وفاد يفود إذا مات[2].

وتنسب لهجة الضمة الطويلة إلى هذيل جاء في جمهرة اللغة «وأتى يأتي ويأتوا أتوا وآتيا حسنا وأنشد لخالد بن زهير:

يا قوم مالي وأبا ذؤيب ... كنت إذا أتوته من غيب

يشم عطفي ويمس ثوبي ... كأنني أربته بريب

قالَ أبو بكر هذه لغة هذيل أتا يأتوا أتوا»[3].

كما نسبت إلى أهل العالية قال ابن السكيت: « وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول لا ينفعني ذلك ولا يضورني» أي يضيرني[4].

كما نسبت لهجة الكسر إلى بني قشير «ويقال رجل سبروت في رجال سباريت وهم المساكين المحتاجون وامرأة سبروته قال اللحياني:

---

(١) أدب الكاتب(٣٦٥).

(٢)المرجع السابق (٣٧٠).

(٣) (١/ ١٧٠) الأمالي لأبي علي القالي (٢/ ٢١٢).

(٤) إصلاح المنطق لابن السكيت (١٣٦).

وسمعت بعض بني قشير يقولون رجل سبريت وامرأة سبريتة[1].

وإذا كان الفعل ثلاثيا معتل العين مبينا للمفعول فللعرب في عينه ثلاث لهجات:

الأولى: أن تكون العين كسرة طويلة نحو قيل وبيع وعليه قول الشاعر:

حيكت على نيرين إذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

الثانية: أن تكون العين ضمة طويلة وتنسب هذه اللهجة إلى بني دبير وبني فقعس وهما من فصحاء بني أسد نحو قول وبوع وعليه قول الشاعر:

ليت وهل ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشتريت[2]

اللهجة الثالثة: أن تكون العين كسرة طويلة مشمة وعلى هذه اللهجة أتى قوله تعالى: ﴿**وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء**﴾[3] بإشمام «قيل وغيض»[4].

(١) إصلاح المنطق لابن السكيت(١٣٦).

(٢) شرح ابن عقيل (١/ ٥٠٣).

(٣) هود (٤٤).

(٤) شرح ابن عقيل (١/ ٥٠٥).

الاسم الموصول «الذين»

المشهور في الاسم الموصول «الذين» أن يكون مبنيا على الياء أي يلزم صورة واحدة ولكن ورد عن بعض العرب وهم هذيل وعقيل وطيء[١] صورة أخرى هي «الذون» «والنحويون يحكمون على هذه الصورة بأنها تمثل الإعراب أي تكون الذون في حالة الرفع والذين في حالة النصب والذي يظهر أن هذا من التبادل بين الحركات الطويلة فالذون تمثل الأصل أي اللهجة القديمة والذين تمثل اللهجة الحديثة فالاسم الموصول مبني سواء كان على صورة «الذين» أو «الذون» وإنما الذي حدث هو أن الضمة الطويلة في الذون تحولت إلى الكسرة الطويلة في «الذين».

ومن الشواهد على هذه اللهجة قول الشاعر:

وبنو نويجية الذون هُمُ مُـعْط مُخَدَّمة من الخِزّانِ[٢]

وقول الشاعر أبي حرب من بني الأعلم من بني عقيل[٣]:

نحن الذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا[٤]

وأبو زيد قد روى هذا البيت وفيه «الذين» بدلا من «الذون» التي احتج بها النحويون، ولكن توجد أمثلة أخرى تدل على ثبوت هذه اللهجة

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى (١٠١)، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي (١/٨٣).

(٢)إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالوية (٣٠).

(٣) النوادر لأبي زيد (٢٤٠).

(٤) شرح الأشموني (١/١٤٩)، شرح ابن عقيل (١/١٤٤).

وأن بعض العرب قد تكلم بها منها ما ذكره الأخفش بقوله: «إلا أن ناسا من العرب يقولون هم الذون يقولون كذا وكذا[1].

ونسب الفراء اللهجة التي جاءت على الضمة الطويلة إلى كنانة إذ يقول: «وكنانة يقولون الذون»[2] فالقبائل العربية التي تكلمت بـ «الذون» إنما احتفظت بالأصل والتي نطقت «الذين» جاءت بالفرع فنقول إن هاتين الصورتين اللتين جاء عليهما الاسم الموصول المذكر المجموع إنما تمثلان تطور هذا الاسم.

ومن التبادل بين الضمة الطويلة والكسرة الطويلة مجيء الاسم الموصول «ذو» في لهجة طيء على صورتين:

إحداهما «ذو» وهي المشهورة وتكون على صيغة واحدة للمفرد والمثنى والجمع كقول سنان بن الفحل[3]:

فإن الماء ماء أبي وجدي ... وبئري ذو حفر وذو طويت

وقول قوال الطائي[4]:

قولا لهذا المرء ذو جاء ساعيا ... هلم فإن المشرفي الفرائض

والصورة الثانية هي «ذي» مثل قول الشاعر:

فإما كرام موسرون لقيتهم ... فحسبي من ذي عندهم ماكفانيا

وقد رويت «ذي» في هذا البيت بلفظين «ذي وذو».

وعلل النحويون «ذي» بأنها إعراب أي إعراب «ذو»[5]، ولكن لما كان

(١) معاني القرآن (١/ ١٥).
(٢) المرجع السابق(٢/ ١٨٤).
(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري (١/ ٣٨٤).
(٤) المرجع السابق (١/ ٣٨٣).
(٥) همع الهوامع (١/ ٨٤)، الأشموني (١/ ١٥٨).

الاسم الموصول دائما مبنيا فإن هذا يرجح التبادل بين الضمة الطويلة والكسرة الطويلة وليس هذا بإعراب وإنما هما صورتان تمثلان تطور «ذو» عند طيء.

ومن الأسماء الموصولة اللائين تستعمل للمذكرين كالذين كقول الشاعر:

وإنا من اللائين إن قدروا عفوا ... وإن أتربوا جادوا وإن تربوا عفّوا[١]

وقد جاءت لهجة أخرى للعرب هي اللاؤن والنحويون يقولون إنها معربة بالواو[٢]، ونقول فيها ما قلناه في «الذون» أي أنها الصورة الأولى للائين»، ومن أدلة هذه اللهجة قول الشاعر:

هم اللاؤن فكوا الغل عني ... بمرو الشاهجان وهمو جناحي[٣]

وبهذا نصل إلى قاعدة التبادل بين أصوات العلة ونرى كيف أنها تأخذ شكلا مطردا حيث إن الواو الصامتة أو نصف صامتة تتحول إلى الياء الصامتة أو نصف صامتة والياء تتحول إلى فتحة طويلة هي الألف.

أما الحركات الطويلة فالضمة الطويلة تتحول إلى الكسرة الطويلة والكسرة تتحول إلى فتحة طويلة يعني أن الضم يتحول إلى الكسر والكسر يتحول إلى الفتح، فتكون أصوات العلة على هذا الشكل:

و ⟵ ي ⟵ أ

والضمة ⟵ الكسرة ⟵ الفتحة، سواء كانت قصيرة أو طويلة

---

(١) همع الهوامع (١/ ٨٣)، وحاشية الصبان على شرح الأشموني (١/ ١٥٠).

(٢) همع الهوامع (١/ ٨٣)، (١/ ١٥٠).

(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه (٣٠)، وحاشية الصبان على شرح الأشموني (١/ ١٥٠).

ولكن يجب أن نشير إلى شيء مهم وهو أن صوت العلة أو الحركة الطويلة تعادل من حيث زمن النطق بها حرفا صحيحا أو صامتاً مضافاً إليه حركة قصيرة ولذلك فهي أي الحركة الطويلة تقوم مقام صوت صامت وحركة في نحو قيل وقال، وقول، إذ الزمن الذي يستغرقه النطق بالحركة الطويلة يعادل النطق بصوت صحيح مضاف إليه حركة قصيرة على أقل تقدير إذ لو نقصت عن مقدار حرف صامت وحركة قصيرة لأصبحت حركة قصيرة، وقد لاحظ ذلك سيبويه وإن لم يكن يأخذ به في غير القوافي إذ قال: «ومما يدلك على أن حرف المد بمنزلة متحرك أنهم إذا حذفوا في بعض القوافي لم يجز أن يكون ما قبل المحذوف إذا حذف الآخر إلا حرف مد ولين كأنه يعوض ذلك لأنه حرف ممطول»[1].

وقال في الإدغام: «وإذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواءٌ متحركين وقبل الأول حرف مد فإن الإدغام حسن؛ لأن حرف المد بمنزلة متحرك في الإدغام، ألا تراهم في غير الانفصال قالوا رادّ وتُمودّ الثوب، وذلك قولك إن المال لّك وهم يظلمونّي وهما يظلمانّي وأنتِ تظلمينّي»[2].

لذلك فإن الحركة الطويلة تقوم مقام الصوت والحركة القصيرة معا في الأوزان العربية وكذلك في أوزان الشعر العربي فصوت المد أو الحركة الطويلة تقوم مقام الصوت الصامت المسبوق بحركة قصيرة في أوزان البحور الشعرية.

وبمعرفة قانون التبادل بين أصوات العلة نصل إلى حقيقة القاعدة

---

(١) الكتاب (٤/٤٣٨).

(٢) المرجع السابق (٤/٤٣٨).

الصرفية وهي «أن الألف لا تكون أصلا بنفسها بل تكون منقلبة عن ياء أو واو»[1].

وبواسطة قاعدة التبادل بين أصوات العلة نستطيع أن نحدد المراحل التي مر بها مضارع الفعل وجل وهي: يَوْجل، يَيْجل، يِيْجل، ياجل.

فالمرحلة الأولى هي يَوْجل وقعت الياء ساكنة مسبوقة بفتحة قصيرة فتحولت إلى ياء، وفي هذه الحالة وهي يَيْجل كان للعرب في نطق حروف المضارعة لهجتان فالذين كانوا لا يكسرون حرف المضارعة يقولون يَيْجل والذين يكسرون حرف المضارعة يقولون: يِيْجل وهذه هي مرحلة واحدة وهي المرحلة الثانية، **والمرحلة الثالثة** إبدال الياء الساكنة المسبوقة بفتحة قصيرة ألفا أو فتحة طويلة على حد قول العرب علاها في عَلَيْها وهذه هي المرحلة الثالثة والأخيرة، فالمراحل بعدد أصوات العلة: الأولى مرحلة الواو، والثانية مرحلة الياء، والثالثة مرحلة الألف «الفتحة» أو نقيس المراحل حسب الثقل والخفة فالمرحلة الأولى الأثقل والثانية مرحلة الثقيل والثالثة مرحلة الخفيف.

(١) الممتع في التصريف لابن عصفور (٢/ ٤٢٥).

الهمزة والواو

لقد سبق في الحديث عن الهمزة في باب التبادل بين الهمزة والهاء أن العرب تكره الهمزة فليجأون إلى استبدالها عينا كما في العنعنة أو هاء كما في قولهم هن في إن أو بتخفيفها.

والآن أريد أن أعرض مذهب العرب في التبادل بين الهمزة والواو مع بيان الأصلي منهما والفرعي لنتوصل إلى نتائج هذا التبادل.

ومن التبادل بين الهمزة والواو ما أورده ابن قتيبة في باب ما يهمز أوله من الأفعال ولا يهمز بمعنى واحد: أرشت بينهم وورشت، وكدت عليهم وأكدت، وقت وأقت من الوقت، وآكفت الحمار وأوكفته، وهو الإكاف والوكاف، وأوصدت الباب وآصدته، وأوسدت الكلب وآسدته إذا أغريته بالصيد[1].

ومما أورده ابن السكيت: ما أبهت له وما وبهت له»، ونسبت لهجة الهمزة إلى أهل الحجاز والواو إلى أهل نجد فيما يرويه الأصمعي إذ يقول: «ويقال ذأى البقل يذأى بلغة أهل الحجاز ويقول أهل نجد ذوى يذوي ذويا»[2].

وقال ابن قتيبة في «باب ما يهمز أوسطه من الأفعال ولا يهمز بمعنى واحد: ورفأت الثوب ورفوته»[3].

---

(١) أدب الكاتب (٣٦٥).

(٢) الإبدال لابن السكيت (١٣٨).

(٣) أدب الكاتب (٣٦٦).

وقد نسبت لهجة الهمزة إلى هذيل قال ابن دريد: «ويقال وسادة ما توسدته ويقال إسادة لغة هذلية»[1]، «وهذيل تقول إشاح في معنى وشاح»[2].

ومن أدلة الشعر على التبادل بين الهمزة والواو قول الشاعر ابن مقبل:

إلا الإفادة فاستولت ركائبنا   عند الجبابير بالبأساء والنعم[32]

ومن التبادل بين الواو والهمزة: وشاح وإشاح، ووسادة وإسادة، وولده وإلده[4]، ووعاء وإعاء، وإكاف ووكاف، ووقاء وإقاء[5].

هذا ومما سبق ذكره يبدو لي أن الهمزة هي الأصل في الكلمات التي وقع التبادل فيها بين الهمزة والواو وذلك لفرار العرب من الهمزة إلى غيرها وللجهد الكبير الذي يصاحب النطق بالهمزة ولأن الهمزة صوت شديد والواو صوت متسع المخرج وهذا يعني التحول من الشدة إلى الرخاوة.

ومن التبادل بين الهمزة والواو: «أرخت الكتاب وورخته»[6]، وهذه اللفظة مما اشتركت فيه اللغات السامية وهي بمعنى حدد الزمن وتطلق هذه اللفظة في البابلية الأشورية على اسم الشهر وهي فيها على صيغة «أرخو» أو «ورخو»[7].

وهذا يعني أن هذه اللفظة عربية أصيلة، وهاتان الصورتان تمثلان تاريخ هذه اللفظة فالصورة المحتوية على الهمزة هي الأولى والمحتوية على الواو هي الثانية.

---

(١) الجمهرة (٢/ ٢٦٧).
(٢) المرجع السابق (٢/ ١٦١).
(٢) شرح أبيات سيبويه للسيرافي (٢/ ٤٢١).
(٤) الإبدال لابن السكيت (١٣٨).
(٥) أدب الكاتب (٤٦١).
(٦) الإبدال لابن السكيت (١٣٨).
(٧) انظر من تراثنا اللغوي (٣٦).

الهمزة والياء

ما قلناه في الواو من حيث الأصالة والفرعية نقول به هنا أيضا إذ الصورة المشتملة على الهمزة هي الأصلية والمشتملة على الياء هي الفرعية ومما وقع فيه التبادل بين الهمزة والياء وترجح أصالة الهمزة ما أورده ابن قتيبة تحت عنوان «باب ما يهمز أوسطه من الأفعال ولا يهمز بمعنى واحد»: « تأممتك وتيممتك أي تعمدتك، وناوأت الرجل وناويته، ودارأته وداريته، واحبنطأت واحبنطيت، وروأت في الأمر ورويت، وأرجات الأمر وأرجيته، وأوميت إلى فلان وأومأت، وأرفأت السفينة وأرفيت، وأخطأت وأخطيت، وأطفأت النار وأطفيت»[1].

وأصالة الهمزة في هذه الأمثلة واضحة جلية إذ جميع هذه الكلمات أصلها مهموز، وفي باب ما يقال بالهمزة والياء أورد: «يبرين وأبرين، يسروع وأسروع دودة، واليرقان والأرقان يقال زرع مأروق وميروق، ورمح أزني ويزني منسوب إلى ذي يزن، ورجل ألندد ويلندد: الخصم ورجل ألمعي ويلمعي الذكي، وأعصر ويعصر، والأرندج واليرندج: الجلد الأسود، ويلملم وألملم: ميقات أهل اليمن في إحرامهم ويلنجوج وألنجوج: العود الذي يتبخر به، وطير يناديد وأناديد متفرقه بمعنى أبابيل[2].

---

(٨) أدب الكاتب (٣٦٦).

(٢) المرجع السابق (٤٦٠).

هذا ومما يظهر فيه جليا أصالة الهمزة قولهم: «عظاءة وعظاية، وعباءة وعباية، وصلاءة وصلاية»[١].

وما أورده ثعلب: ساءلت وسايلت بالهمز وإسقاط الهمز، ويتسايلان وعليه قول الشاعر بلال بن جرير:

إذا ضفتهم أو سايلتهم وجدت بهم علة حاضره[٢]

فهذا يدل على أصالة الهمزة إذ أصل هذه المادة: سأل.

ومن الأدلة قول الأخفش حول قوله تعالى: ﴿**ترجئ من تشاء منهن**﴾[٣]، وترجي من تشاء، وهي لغة تقول أرجيت وبعض العرب يقول أخطيت وتوضيت لا يهمزون[٤].

فقد صرح الأخفش أن العرب تترك الهمزة وتلجأ إلى الياء[٥].

فمن هذا يظهر أن الكلمات المشتملة على الهمزة هي الأصلية والكلمات المشتملة على الياء هي الفرعية.

---

(١) المرجع السابق (٤٦٠).

(٢) مجالس ثعلب (١/٣٠٨).

(٣) الأحزاب (٥١).

(٤) معاني القرآن للأخفش الأوسط (٢/٣٠٨).

(٥) الجمهرة (١/ ١٩٠).

الإبدال من أحد المتضاعفين وفك الإدغام(*)

هذا العنوان يشمل الحرفين المتضاعفين وهما المثلان اللذان تفصل بينهما حركة قصيرة والحرفين المدغم أحدهما في الآخر أي لا تفصل بينهما حركة قصيرة وذلك أن التضعيف مستثقل في كلام العرب سواء كان الحرفان المتماثلان مدغمين أو متجاورين وقد لاحظ ذلك سيبويه عندما قال تحت عنوان: ((هذا باب التضعيف»: «اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهن وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد.

ألا ترى أنهم لم يجيئوا بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة نحو ضَرَبَّب، ولم يجئ فَعَلّل ولا فَعُلّل إلا قليلا ولم يبنوهن على فُعالِل كراهية التضعيف وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له فلما صار ذلك تَعَبا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة كرهوه وأدغموا)) [١] .

فسيبويه هنا بين علة كراهية المتضاعفين المتجاورين المتماثلين اللذين

(*) لقد كنت عند كتابة هذا البحث سائراً على طريقة القدماء وهي أن الإدغام هو إدخال حرف في حرف وأنه يمكن فك هذا الإدغام لكن تبين لي فيما بعد أن الأصوات لا يدخل بعضها في بعض ولا يتحول الصامت إلى صائت ولا الصائت إلى صامت ولا يدخل الحرف والحركة في الحركة ولا الحرف في الحركة ولا الحركة في الحرف وما يسمى بالإدغام هو عبارة عن حذف حرف وتشديد الحرف الآخر عوضا عن هذا المحذوف وقد بينت هذا في كتابي الحذف والتعويض في اللهجات العربية .

(١) الكتاب (٤/ ٤١٧) .

تفصل بينهما حركة قصيرة .

وقد جمع المبرد في التعليل بين الحرفين المتماثلين المتضاعفين اللذين تفصل بينهما حركة والحرفين المدغمين وذكر أن سبب إبدال الياء من أحدهما هو ثقل التضعيف والإدغام وذلك حيث قال:

« واعلم أن التضعيف مستثقل وأن رفع اللسان عنه مرة واحدة ثم العودة إليه ليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما فلذلك وجب، وقوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد . . . وذلك قولهم في تقضضت تقضيت وفي أمللت أمليت وكذلك تسريت في تسررت والدليل على أن هذا إنما أبدل لاستثقال التضعيف قولك دينار وقيراط، والأصل دِنّار وقرّاط فأبدلت الياء للكسرة فلما فَرّقت بين المضاعفين رجع الأصل فقلت دنانير، وقراريط وقريريط [1].

وقال الفراء مبينا أن العرب تبدل من أحد المدغمين عندما فسر قوله تعالى: ﴿ **وقد خاب من دسّاها** ﴾ [2] ،وقد خاب من دسى نفسه . . . ونرى والله أعلم أن دَسّاها من دَسَّست بُدّلت بعض سيناتها ياء كما قالوا تظنيت من الظن، وتَقَضّيت يريدون تقضضت من تقضض البازى وخرجت أَتَلَعّى: ألتمس اللعاع أرعاه والعرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياء والواو» ثم ذكر الإبدال من المشدد، «ويقال أما فلان فصالح وأيما، ومن ذلك قولهم دينار أصله دِنّار يدل على ذلك جمعهم إياه دنانير ولم يقولوا ديانير، وديوان كان أصله دِوّان لجمعهم إياه دواوين، وديباج

(١) المقتضب (١/ ٢٣٦) .

(٢) الشمس (١٠) .

ديابيج وقيراط قراريط كأنه كان قِرّاط، ونرى أن دساها دسّسها [1].

وقد علل ابن جني أن سبب الإبدال من أحد المدغمين هو ثقل الإدغام وإبدال أحدهما يخفف هذا الثقل إذ قال: « ويبدلون أيضا ليختلف الحرفان فيخفا وذلك قوله :

ياليتما أمنا شالت نعامتها أيما إلى جنة أيما إلى نار

وقالوا في اجلوّاذ اجليواذ وفي دِوّان ديوان [2]»

ومما يدل على كراهية العرب للمدغمين أو الحرف المشدد ماجاء في مادة « رنز » من لسان العرب » الرنز بالضم لغة في الأرز وقد يكون من باب إجّاص وإنجاص وهي لعبد قيس والأصل فيها رُزّ فكرهوا التشديد فأبدلوا من الزاي الأولى نونا كما قالوا إنجاص في إجّاص».

والإبدال من المتضاعفين أو من المدغمين أو المشددين له تأثير كبير في بنية الكلمة العربية إذ إن معظم مازاد على ثلاثة أحرف كان مرده هو الإبدال من أحد المدغمين والإبدال من الحرف المشدد يكون بأحد حروف اللين أو الحروف الحلقية أو حروف الذلاقة .

وقد عقد سيبويه بابا بين فيه أن لام الكلمة قد أبدلت ياء كراهة للتضعيف إذ قال تحت عنوان « هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام ياء لكراهة التضعيف وليس بمطرد»: «وذلك قولك تسريت وتظنيت وتقصيت من القصة وأمليت كما أن التاء في اسنتوا مبدلة من الياء، أرادوا حرفا أخف عليهم منها وأجلد كما فعلوا ذلك في أتلج وبدلها شاذ هنا بمنزلتها

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٦٧) .
(٢) المحتسب (١/ ٤١) .

في ست وكل هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد »[1].

بل إن الإبدال من المدغمين يتناول حتى الحروف والكلمات الثنائية كما في أيما أي أمّا، بل يتناول حتى الضمائر.

لكن فك الإدغام أو الإبدال من المدغمين ذو قيمة خطيرة في بناء العربية وقد لاحظت أن فك الإدغام يكون بواحد من ثلاثة، حروف الحلق أو اللين أو حروف الذلاقة وسأبدأ بفك الإدغام بواسطة أصوات الحلق وهي العين والهاء والهمزة.

وقد سبق عند الحديث عن التبادل بين حروف الحلق أن له أثرا عظيما في بنية الكلمة وخاصة الكلمات الرباعية أو مازاد على الثلاثة وقد سبق أثر الإبدال من همزة أفعل حيث إن تحولها إلى العين كما في العنعنة أو إلى الهاء له أثر كبير في تكوين مازاد على الثلاثي في اللغة العربية والإبدال من أحد الصوتين المدغمين هو ما يعرف عند المحدثين باسم قانون المخالفة وهو قانون يعمد إلى صوتين متماثلين في كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة وهي اللام والميم والنون والراء.

والمستشرقون يقسمون الإبدال من أحد الصوتين المتماثلين إلى قسمين[2] متصل ومنفصل، قال المستشرق الألماني براجشتراسر مبينا رأيهم في المخالفة «والتخالف نوعان منفصل ومتصل فالمنفصل ما كان بين حرفيه فارق نحو كلمة «أخضوضر» أصلها اخضرضر، من أخضر فأبدلت

(١) الكتاب (٤/ ٤٢٤).

(٢) انظر التطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب (٣٧).

الراء الأولى واواً لجوار مثلها وهذا النوع هو الغالب، والمتصل ماتجاور فيه حرفان وهو على الأخص في الحروف المشددة، والحرف المشدد هو حرفان مثلان متتاليان مدغمان في حرف واحد وقد يفك الإدغام ويصير الحرف المشدد حرفين مختلفين بقلب أول نصفيه إلى حرف آخر . . . وهذ النوع من تخالف الحروف المشددة يقلب أول حرف منها إلى نون هو الأكثر وقوعا وقد يصير النصف الأول من الحرف المشدد راء أو لاما نحو كلمة «فرقع» أصلها فَقّع بتشديد القاف وكلمه «بلطح » أي ضرب بنفسه الأرض أصلها بَطّح بتشديد الطاء »[1].

والقول بقانون المخالفة قد سبق إليه علماء العربية منذ زمن طويل كما قال ابن جني وقد أشار الخليل إلى ذلك وسوف أعرض لهذه الإشارة عند فك الإدغام بأحد حروف الذلاقة. ولكن الذي ألاحظه عند المحدثين أنهم ذكروا فك الإدغام بأحد أصوات اللين الطويلة أو بعض حروف الذلاقة ولم يذكروا فك الإدغام بأصوات الحلق ولعل ذلك أن يكون بسبب عدم وجود أصوات الحلق في اللغات الأوروبية التي أجريت عليها التجارب .

---

(١) التطور النحوي (٣٥) .

وسنبدأ أولا :بفك الإدغام بواسطة أصوات الحلق

فك الإدغام له أثر كبير في بنية العربية وخاصة فيما زاد على ثلاثة أحرف وإذا تناولنا الكلمات العربية التي زاد بناؤها على ثلاثة أصوات فلا بد من ذكر مذهب ابن فارس الذي يقوم على أساس أن معظم ما زاد على ثلاثة أصول مرجعه إلى النحت وقد سبق أن بنيت مذهبه عند الحديث عن أثر إبدال الهمزة هاء في بناء العربية والآن سوف أتناول بعض الكلمات التي سبب زيادتها على أربعة أصوات هو الإبدال من أحد المدغمين بواسطة أصوات الحلق مع بيان رأي ابن فارس فيها وذلك بمقارنتها بالمواد الثلاثية التي تشاركها في الاشتقاق .

فك الإدغام بالهاء :

ذكر ابن فارس أن الرملة المشرقة على ما حولها يقال لها « جمهور » وأنها منحوتة من كلمتين من جمر الدالة على الاجتماع وجهر الدالة على العلو فالجمهور عنده مجتمع عال [1] ولكن الذي يبدو لي أن جمهر أصلها جمر بتشديد الميم فلما فك الإدغام بواسطة الهاء أصبح جمهر لأن كلمة جمر الثلاثية تدل على هذا المعنى إذ جاء في هذه المادة من الصحاح وتجمير الجيش: أن تحبسهم في أرض العدو ولا تقفلهم من الثغر، وتجمرواهم أي تحبسوا، وجمرت المرأة شعرها إذا جمعته وعقدته في قفاها ولم ترسله وأجمر القوم على الشيء: اجتمعوا عليه وهذا جمير القوم، أي مجتمعهم» بل قد جاء تفسير الجمهرة في مادة جمهر من الصحاح بمعنى الجمع وفيها « الجمهور من الناس جلهم » .

---

(١) انظر مقاييس اللغة (١/ ٥٠٦) .

ويظهر من المقارنة أن إحدى الكلمتين اللتين جعلهما ابن فارس مكونتين للمنحوت هي أصل البناء قبل التضعيف .

وقال ابن فارس: « ومن ذلك النهشل: الذئب ويقال الصقر وهو منحوت من كلمتين نشل ونهش كأنه ينشل اللحم وينهشه . . » [1] .

وهذه المادة مأخوذة من نشّل بعد فك إدغامها بالهاء أي أن نشل أصبحت نهشل فقد جاء في مادة نهشل من لسان العرب « ونهشل قبيلة من العرب ونونها أصلية » .

ومما عده ابن فارس من المنحوت « نهبر الرجل في كلامه: أتى به على غير جهته وهو من نهب كأنه ينتهب الكلام ومن نهر كأنه يتوسع فيه »[2] .

وبمقارنة هذه المادة مع المادة الثلاثية ظهر أن الثلاثية أصل لها أي أن هذه الكلمة الرباعية كانت نتيجة لفك الإدغام من « نَبّر » إذ جاء في مادة نبر من لسان العرب ما يدل على هذا « رجل نَبّار صياح » و « نَبَره بلسانه يَنْبِرُه نال منه ورجل نَبْرٌ قليل الحياء يَنْبِر الناس بلسانه » .

وقد لاحظ ابن فارس زيادة الهاء في « الرماح السمهرية » [3] .

وهي الصلاب حيث عد الهاء زائدة وجعلها من السمرة لكن الذي يظهر لي أنها من سمّر حيث جاء في مادة سمر من الصحاح والمسمار واحد مسامير الحديد تقول منه سمرت الشيء تسمير أو سَمّرته أيضا فعلى هذا تكون من سَمّر بعد فك الإدغام بالهاء .

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٥/ ٤٨٢) .

(٢) المرجع السابق (٥/ ٤٨٣) .

(٣) المرجع السابق (٣/ ١٥٨) .

فك الادغام بالعين :

جعل ابن فارس البعثقة وهي خروج الماء من الحوض منحوتة من كلمتين هما بعق وبثق[1] ، ولكن بمقارنتها بمادة بثق من الصحاح ظهرت علاقتها بها حيث جاء في هذه المادة : «بَثَق السيل موضع كذا وكذا بَثْقا وبِثْقا أي خرقه وشقه فانبثق أي انفجر» ، ولذلك فإنني أرجح كونها كانت نتيجة لفك الإدغام من « بَثّق » بتشديد الثاء .

وقد لاحظ ابن فارس زيادة العين من بعثر عندما تحدث تحت عنوان «باب من الرباعي آخر ، ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ماذكرنا لكنهم يزيدون فيه حرفا لمعنى يريدونه من مبالغة» حيث قال«ومن ذلك تبعثرت نفسي فالعين زائدة وإنما هو في الباء والثاء والراء[2]» ولكنه لم يفسر كيف حصلت الزيادة وأقول لعلها من فك الإدغام من بَثّر بحرف الحلق وهو العين» .

وعد ابن فارس « جعفل » وهو قولهم للرجل إذا صرع ـ منحوتة من كلمتين من جعف ومن جفل [2] لكن هذا من فك الإدغام في جَفّل بواسطة العين وذلك أن مادة جفل جاءت دالة على الجبن ونحوه إذ ورد فيها من الصحاح«الجفال ما نفاه السيل ، وجفالة القدر ما أخذ من رأسها بالمغرفة ، وجفل أسرع والإجفيل الجبان وظليم إجفيل يهرب من كل شيء ، وأجفلت الريح بالتراب أذهبته وطيرته ، وقد ظهر في هذه أن إحدى الكلمتين اللتين نحتت منهما جعفل تشير إلى أصل جعفل وهي جفل ويلاحظ أن معظم الكلمات التي جعلها منحوتة فإن إحدى الكلمتين اللتين وقع منهما النحت تمثل الأصل للكلمة التي يزعم ابن فارس أنها منحوتة .

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٣٠) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٣٥) .

(٣) انظر المرجع السابق (١/ ٥٠٦) .

وجعل ابن فارس «جمعرة» وهي الأرض الغليظة منحوته من الجمع والجمر[1]، وهذه فيما يبدو أنها من جَمّر وقد سبق في جمهر فك الإدغام بالهاء وفي هذه فك الإدغام بالعين فجمهر وجمعر أصلهما جمر.

وقال في «جعفر» «ومنها قولهم للنهر «جعفر ووجهه ظاهر أنه من كلمتين من جعف إذا صرع لأنه يصرع مايلقاه من نبات وماأشبهه . ومن الجفر والجفرة والجفار والأجفر وهو كالجفر»[2] ، ولكن هذه المادة من جَفّر بتشديد الفاء وبواسطة فك الإدغام بالعين أصبحت جعفر.

وكان ابن فارس مترددا في تأصيل «جلعد» إذ عد العين مرة زائدة ومرة عد الكلمة منحوتة من كلمتين إذ قال« ومن ذلك قولهم للصلب الشديد جلعد «فالعين زائدة وهو من الجلد ويمكن أن يكون منحوتا من الجلع أيضا وهو البروز» [3] لكن دلالة جلد على الصلابة تجعل هذه المادة مأخوذة من جلّد بعد فك إدغامها إذ أصلها جَلّد ثم أصبحت جلعد .

وقد أصاب ابن فارس في تأصيل مادة جعثم إذ قال: «ومن ذلك قولهم للانقباض «تجعثم» والأصل فيه عندي أن العين فيه زائدة وإنما هو من التجثم ومن الجثمان» [4] لكن لم يفسر كيف حصلت هذه الزيادة وهذا يشير إلى أنها من جثّم ففك الإدغام فأصبحت جعثم .

فك الإدغام بالحاء :

ومن فك الإدغام بواسطة صوت الحاء ماعده ابن فارس من المنحوت مثل بحتر إذ قال: «ومن ذلك بحتر وهو القصير المجتمع الخلق فهو

---

(١) انظر مقاييس اللغة (١/ ٥٠٨) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٥٠٨) .

(٣) المرجع السابق (١/ ٥٠٩) .

(٤) المرجع السابق (١/ ٥١٠) .

منحوت من كلمتين من الباء والتاء والراء وهو من بترته فبتر، والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء من حترت واحترت »[١].

وقد تكلف ابن فارس في نحت هذه الماده وخاصة أن حتر بعيدة المعنى عن بحتر ولكن يظهر علاقته جلية ببتر إحدى الكلمتين اللتين أخذت منها بحتر على رأي ابن فارس وإنما سبب حدوث الحاء هو فك الإدغام من بتر فأصبحت بحتر .

وطريقة ابن فارس في معرفة الكلمات التي يزعم أنها منحوتة وخاصة الرباعية هو أنه يجعلها ثلاثية مرتين وذلك بأن يجمع الحروف الأول والثالث والرابع فيجعلها كلمة ثم يجمع الحروف الثاني والثالث والرابع فيجعلها كلمة ثلاثية .

وجعل بحثر منحوتة من كلمتين من بحثت الشيء في التراب ومن البثر الذي يظهر في البدن بسبب أنه يظهر متفرقا[٢] وفي هذه المادة جعل الحرف الأول والثاني والثالث كلمة واحدة والأول والثالث والرابع كلمة واحدة ولكن العلاقة واضحة بين بحثر وبعثر وقد عد العين زائدة في بعثر كما تقدم في فك الإدغام بحرف العين وفي التبادل بين العين والحاء قد ثبتت أن بحثر أصلها بعثر أبدلت العين حاء كما في قاعدة الإبدال بين حروف الحلق وهذا يعني أن أصل الكلمتين واحد وهو بَثّر ثم فك الإدغام فأصبحت بعثر ثم أبدلت العين حاء فأصبحت الكلمة بحثر .

وقال في «سحبل» السحبل الوادي الواسع وكذلك القربة الواسعة سحبلة فهذا منحوت من سحل إذا صب ومن سبل ومن سحب إذا جرى

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٢٩) .

(٢) انظر المرجع السابق (١/ ٣٢٩) .

وامتد وهي منحوتة من ثلاث كلمات تكون الحاء زائدة مرة وتكون الباء زائدة وتكون اللام زائدة ».

وأقول هذه من «سَبَّل» وقد فك الإدغام فأصبح سبحل بحرف الحلق وهو الحاء ولكن في الصحاح ورد: في سحبل: السحبل من الأودية الواسع ومن الضب والسقاء الضخم وفي «سبحل»: السبحل الضب والبعير والسقاء.

وفي مادة سبل: «ما يدل على المطر والطريق والماء» فيكون أصل هذه سَبَّل ثم فك الأول من المدغمين فأصبحت الكلمة سحبل وفك الثاني فأصبحت سبحل» [1].

وجعل ابن فارس مادة جحفل منحوتة من كلمتين هما من الحفل وهو الجمع ومن الجفل وهو تجمع الشيء في ذهاب ثم رأى أنها تكون منحوتة من الجفل ومن الجحف ثم رجح القول الأخير إذ قال: «وهذا عندي أصوب القولين » [2].

وهو في تأصيله لهذه المادة في رأيه الأول نظر إلى الحروف الثانى والثالث والرابع فجعلها كلمة واحدة ونظر إلى الحروف الأول والثالث والرابع فجعلها كلمة واحدة أما في رأيه الثاني والذي رجحه فقد نظر إلى الحروف الأول والثالث والرابع ونظر إلى الحروف الأول والثاني والثالث وقياس مذهبه في النحت هو رأيه الأول ونرى أنه كرر جفل في الرأيين الأول والثاني مما يشير إلى أصالة هذه الكلمة وهي التي نعتبرها الأصل لجحفل إذ إن الأصل جَفَّل وفُكَّ الإدغام بواسطة حرف الحلق فأصبحت

---

(١) مقاييس اللغة (١٥٨/٣) .

(٢) انظر مقاييس اللغة (٥٠٦/١) .

الكلمة «جحفل» بل إن دلالة مادة جفل في الصحاح تدل على أن الأصل لجحفل هو جفل .

وفي تأصيله لمادة « جحدل » وهي تعني السمين جعلها منحوتة من جحل وجدل [1] من قولهم مجدول الخلق والذي يظهر لي أنها من جَدَل لأنه قد ورد في مادة جحدل وجدل من الصحاح ما يثبت ذلك ، إذ جاء في جحدل: جحدله أي صرعه » وفي جدل:«يقال طعنه فجدله أي رماه بالأرض فانجدل أي سقط » .

---

(١) انظر مقاييس اللغة (١/ ٥٠٩) .

فك الإدغام بواسطة حروف الذلاقة

لقد أطلق العلماء العرب على الأحرف الستة الراء واللام والنون والفاء والباء والميم اسم الذلاقة إذ قال الخليل: «اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي ر ل ن ف ب م وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الحروف الستة منها ثلاثة ذلقية: ر ل ن تخرج من ذلق اللسان ومن طرف غار الفم وثلاثه شفوية: ف ب م مخرجها من بين الشفتين خاصة لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط ولا ينطلق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون»[1].

ثم بين الخليل أن هذه الأصوات الستة لا يخلو منها رباعي أو خماسي إذ قال: « فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها » .

بل نص الخليل على أن الكلمة الرباعية أو الخماسية إذا خلت من هذه الحروف فهي مبتدعة محدثة ليست من كلام العرب إذ يقول: « فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمه محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر »[2] .

(١) العين (١/ ٥٧) . (٢) المرجع السابق (١/ ٥٨) .

وهذا الكلام الذي قاله الخليل يشير إلى شيء خطير وهو أن الخليل بنظره الثاقب قد لاحظ أن الكلمات العربية الأصلية الزائدة على ثلاثة أحرف لا تخلو من حرف من حروف الذلاقة وجاء العلماء من بعد الخليل فأخذوا يرددون كلامه حتى لا يكاد يخلو من مقالته هذه كتاب من كتب النحو والصرف والمعاجم ولكن المتأمل يجد أن معظم ما زاد على الثلاثي يوجد فيه حرف من حروف الذلاقة بسبب فك الإدغام في البناء الثلاثي فأصبح رباعيا وقد يفك الرباعي فيصبح خماسياً .

وبإبدال أصوات الذلاقة من أحد الصوتين المدغمين نستطيع تفسير كلام الخليل أو نأتي بذكر السبب الذي جعل هذه الأصوات توجد فيما زاد على ثلاثة والآن سنبدأ بحروف الذلاقة وإبدالها من المدغمين .

فك الإدغام بالراء :

الراء من أكثر الأصوات التي استخدمت في فك الإدغام ومن الأمثلة التي وردت بفك الإدغام بواسطة الراء: « البرجد » .

جعل ابن فارس « البرجد » وهو كساء مخطط منحوتا من كلمتين هما البجاد وهوالكساء والبرد، وأقول إن هذا من « بَجّد» وفك الإدغام بواسطة الراء فأصبح برجد وبذلك نعرف سبب وجود صوت الذلاقة في بناء الرباعي [1].

ولقد فطن ابن فارس إلى زيادة الراء في برشع إذ قال: «البرشاع الذي لا فؤاد له، فالراء زائدة وإنما هي من الباء والشين والعين » [2].

---

(١) انظر مقاييس اللغة (١/ ٣٣٠) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٣٢) .

لكنه لم يفسر زيادتها ولكن هذا ناتج من فك الإدغام من بَشّع فأصبحت برشع .

وأيضا فطن إلى زيادة الراء في « البرغثة »، إذ قال: فالراء زائدة إنما الأصل الباء والغين والثاء والأبغث من طير الماء كلون الرماد « فالبرغثة لون شبيه بالطحلة ومنه البرغوث »[(١)].

ومثل ذلك في برجم إذ يقول « البرجمة » غلظ الكلام وإنما الأصل البجم[(٢)] .

وهذه المواد الثلاث برشع وبرغث وبرجم قد جاء بهن تحت عنوان باب من الرباعي آخر ومن هذا الباب مايجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه ولكنهم يزيدون فيه حرفا لمعنى يريدونه من مبالغة كما يفعلون ذلك في زرقم»[(٣)].

لكن الكلمات التي جاء بها تحت هذا العنوان بعضها يكون من فك الإدغام وبعضها ليس منها بل يكون فك الإدغام في غير ما عده زائدا حيث عد منها ما يقع أولا وفك الإدغام لا يتأتى في أول الكلمة .

وجعل ابن فارس جرثم منحوتة من كلمتين جثم وجرم[(٤)] ولكن معناها يدل على أن أصلها جَثّم، وقد ورد بهذا المعنى جثم، وجرثم واجرنثم[(٥)] ،وفي هذه الكلمات دلالة على أثر حروف الذلاقة في بنية

(١) انظر مقاييس اللغة (١/ ٣٣٢) .
(٢) المرجع السابق (١/ ٣٣٤) .
(٣) المرجع السابق (١/ ٣٣٣) .
(٤) المرجع السابق (١/ ٥٠٦) .
(٥) الصحاح مادة « جرثم » .

الكلمة العربية.

وعد «حرقوف» وهو الدابة المهزول منحوتا من كلمتين من حرف وحقف[1] وأقول هذه أصلها حَقَف ثم فك الإدغام فأصبحت حرقف، فأخذ منها حرقوف وبذلك نعرف سبب وجود حرف الذلالة في الرباعي.

وقد لاحظ زيادة الراء في خرطوم إذ قال: « الخرطوم معروف والراء زائدة والأصل الخطم» [2]، وأقول أصلها خَطَّم لأن سبب زيادة الراء هو فك الإدغام من خَطَّم حيث أصبحت خرطم، ثم أخذ منها الخرطوم .

وقال في حرزق «حرزقت الرجل حبسته وهذا منحوت من حزق وحرز» [3] وهذا ليس بمنحوت بل مأخوذ من حَزّقت بعد فك الإدغام حيث أصبحت حَرْزقت .

فقد جاء في مادة حزق من الصحاح ما يدل على هذا «حزقته بالحبل أحزقه حزقا شددته» .

وقد لاحظ ابن فارس زيادة الراء في خذرف إذ قال:«ومن ذلك الخذروف وهو السريع في جريه والراء فيه زائدة وإنما هو من خذف»[4] . وهذه الراء إنما جاءت نتيجة لفك الإدغام من خَذّف .

وفي مادة سبل من الصحاح: وأسبل إزاره: أرخاه، وفي سربل:

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/ ١٤٣) .

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٥١) .

(٢) المرجع السابق (١/ ١٤٣) .

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢٥٢) .

السربال القميص وسربلته فتسربل أي ألبسته السربال» وهذا يعني أن سَبّل أصل لسربل فتكون هذه الراء نتيجة لفك الإدغام وبذلك نعرف أصل السربال التي عدها ابن فارس مما وضع وضعا وليس قياسه ظاهرا[١].

وقد لاحظ ابن فارس زيادة الراء في عرقب إذ قال: « العرقوب عقب موتر خلف الكعبين وعرقبت الدابة قطعت عرقوبها وهذا مما زيدت فيه الراء »[٢].

وفي عقرب « والعقرب معروفة والباء فيه زائدة وإنما هو من العقر»[٣].

وأصل هاتين المادتين هو عَقّب وبفك الإدغام من أول المدغمين نتجت عَرْقب التي أخذ منها العرقوب وبفك الآخر من المدغمين نتجت عقرب وذلك أن حرف الذلاقة هو الراء في كلا الكلمتين.

وقد أصاب ابن فارس عندما لاحظ زيادة الراء في غطرس حيث قال: « الغطرسة التكبر وهذا مما زيدت فيه الراء وهو من الغطس»[٤] بل قد أرجع هذه الكلمة إلى غطس .

وأيضاً قد لاحظ زيادة الراء في الفرقعة إذ قال: «الفرقعة تنقيض الأصابع وهذا مما زيدت فيه الراء وأصله فقع »[٥].

ولكنه عندما وصل إلى « افرنقعوا » التي هي مشتقة من مادة فقع جعلها منحوتة، إذ قال: «ومن ذلك قولهم افرنقعوا إذا تنحوا وهي كلمة

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٣/ ١٦٢) .
(٢) انظر المرجع السابق (٤/ ٣٥٩) .
(٣) المرجع السابق (٤/ ٣٦٠) .
(٤) المرجع السابق (٤/ ٤٣١) .
(٥) المرجع السابق (٤/ ٥١٣) .

منحوتة من فرق وفقع لأنهم يتفرقون فيكون لهم عند ذلك فقعة وحركة»[١].

وهذا لمادة مشتقة من سابقتها فأصل هاتين المادتين هو فَقّع كما ذكر أولا، ولكن فقع مرت بمرحلة الإدغام فأصبحت فقّع ثم فك الإدغام بالراء فأصبحت فرقع ثم دخلت الهمزة والإدغام فأصبحت أفرقّع ثم فك الإدغام بواسطة النون فصار افرنقع، وبذلك يظهر أثر حروف الذلاقة في تكوين الكلمات العربية .

وجعل ابن فارس القرضوب وهو اللص منحوتا من كلمتين هما قرض[٢]وقضب ولكنه الذي أراه هو أن هذا من قَضّب وبفك الإدغام نتج قرضب لوجود حرف الذلاقة في قرضب مع زيادة على قضب أما قرض فلا يوجد بها الباء ثم أن قَضّب بالإدغام قد وردت في المعاجم حيث جاءت في الصحاح « ورجل قَضّابة قطاع للأمور مقتدر عليها » .

ومما حكم ابن فارس بأنه منحوت(الكربلة)[٣]وهي رخاوة في القدمين حيث جعلها منحوتة من ربل وكبل والحقيقة أنها من كَبّل بعد فك إدغامها فأصبحت كربل .

وقد لاحظ زيادة الراء في القرفصاء والقرموص حيث قال«والقرفصاء وهو أن يقعد قعدة المحتبي ثم يضع يديه على ساقيه كأنه محتب بهما، ويقال قرفصت الرجل: شددته وهذا مما زيدت فيه الراء وأصله من القفص» [٤].

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٤/ ٥١٣) .
(٢) انظر المرجع السابق (٥/ ١١٧) .
(٣) المرجع السابق (٥/ ١٩٣) .
(٤) المرجع السابق (٥/ ١١٨) .

وقال في القرموص: «ومن ذلك قرموص الصائد: بيته وهذا مما زيدت فيه الراء وأصله من القمص »[١].

وابن فارس وإن لاحظ زيادة الراء وإرجاع هاتين المادتين إلى أصليهما إلا أنه لم يدر أن هذا بدل من فك الإدغام وإلا ما عد أمثال هاتين من المنحوت .

وقد أشار إلى زيادة الراء في كرسف إذ قال: كرسفت عرقوب الدابة وهذا مما زيدت فيه الراء والأصل كسفت»[٢] وأقول الأصل كَسّف وفك الإدغام بالراء فكانت كرسف .

ولكن ابن فارس جعل مادة كردس منحوتة من ثلاث كلمات من كرد، وكرس[٣] وكدس قال ذلك عندما ذكر الكردوس وهي الخيل العظيمة وفي هذا شطط فمن أين للعرب أن تجمع هذه الكلمات المختلفة والمتباعدة في المعنى وتجعل منها كلمة واحدة ولكن كعادة ابن فارس فإنه يجعل الكلمة التي هي أصل للكلمة التي يزعم أنها منحوتة ضمن الكلمات التي تكونت منها هذه الكلمة فإن كردس مأخوذة من كَدّس بعد فك إدغامها بالراء فقد جاء في مادة «كدس» من الصحاح ما يؤيد ذلك: الكدس إسراع المثقل في السير وقد تكَدّست الخيل وتكدس الفرس إذا مشى كأنه مثقل .

وقد عد ابن فارس « النقرشة وهي الصوت الخفي كحس الفارة واليربوع منحوتة من ثلاث كلمات[٤] نقر وقرش ونقش معللا ذلك بقوله:

---

(١) انظر مقاييس اللغة(٥/ ١١٨) .
(٢) المرجع السابق (٥/ ١٩٤) .
(٣) المرجع السابق (٥/ ١٩٤) .
(٤) المرجع السابق (٥/ ٤٨٣) .

«لأنه كأنه ينقر شيئا يقرشه ويجمعه وينقشه كما ينقش الشيء بالمنقاش» وفي هذا تكلف .

وإذا نظرنا إلى مادة نقرش فإن الزيادة على ثلاثة أحرف ينظر فيها في حرف الذلاقة فإذا نظرنا إلى أحرف الذلاقة وجدنا النون في أول الكلمة والراء في وسط الكلمة ولما كان الإدغام لا يكون في أول الكلمة فإنا سوف نختار الراء فتكون هذه نتيجة لفك الإدغام ويكون أصل الكلمة نَقّش بتشديد القاف وعند فك الإدغام بالراء تولد نقرش وفي مادة نقش من الصحاح مايدل على معنى نقرش .

فك الإدغام بالنون :

جاء فك الإدغام بالنون منسوبا إلى عبد القيس حيث جاء في مادة رنز من الصحاح : الرُنْز بالضم لغة في الأرز وهي لعبد القيس كأنهم أبدلوا من إحدى الزاءين نونا .

وفي مادة أرز منه ذكر الأرز وأن فيه ست لهجات منها رز ورنز وهي لعبد قيس .

وفي مادة أجن من اللسان: الإجانة والإنجانة والأجانة الأخيرة طائية: المركن وأفصحها إجانة .

وفي أجص منه: الإجاص والإنجاص من الفاكهة معروف .

وفي مادة أجر: الإجار السطح بلغة الشام والحجاز والإنجار بالنون لغة فيه .

وقد عرف ابن فارس زيادة النون من مادة جندع إذ قال: « وأما قولهم للداهية ذات الجنادع، فمعلوم في الأصل الذي أصلناه أن النون زائدة وأنه

من الجدع»[1]، وأقول أصله جَدّع ففك الإدغام بواسطة النون فأصبح جندع .

كما فطن لزيادة النون في جندب إذ قال: «ومن ذلك قولهم للجرادة جندب فهذا نونه زائدة وهو من الجدب، وذلك أن الجراد يجرد فيأتي بالجدب» [2] لكنه لم يعلل سبب زيادة النون وهذه النون نتيجة لفك الإدغام من جدّب .

وتردد في النون من جندل إذ قال: « ومن ذلك قولهم للحجر جندل ممكن أنْ يكون نونه زائدة ويكون من الجدل وهو صلابة الشيء وطيّ وتداخل ويجوز أن يكون منحوتا من هذا ومن الجَنَد وهي أرض صُلْبة»[3] لكن جندل مأخوذة من جَدّل بعد فك الإدغام بالنون، وبذلك نعرف سبب وجود حرف الذلاقة فيما زاد على ثلاثة أحرف .

وقال في عنقود: « العنقود معروف وهو من العقد كأنه شيء عقد بعضه ببعض»[4] ،وأقول عنقود مأخوذ من عَقّد بعد فك إدغامها بالنون حيث أصبحت عنقد، أو من عقّود ثم فك الإدغام فأصبحت عنقود .

وقد لاحظ ابن فارس زيادة النون من «العنتر» وهو الشجاع إذ قال: «هذا مما زيدت فيه النون والأصل العتر من عتر الرمح»، وأقول إن هذه النون هي بدل من التشديد في عتّر[5].

(١) مقاييس اللغة (١/ ٥٠٩) .
(٢) المرجع السابق (١/ ٥١٢) .
(٣) المرجع السابق (١/ ٥١٢) .
(٤) المرجع السابق (٤/ ٣٥٩) .
(٥) المرجع السابق (٤/ ٣٦٦) .

وأيضا حكم على زيادة النون في «العنبس» وهو من أسماء الأسد وقال: «هذا مما زيدت فيه النون وهو فنعل من العبوس»، وأقول هذه النون بدل من فك الإدغام في عبّس [1].

وقد فطن إلى زيادة النون في « العنصر » وهو أصل الحسب حيث قال: «هذا مما زيدت فيه النون وهو في الأصل العصر » [2] ،ولكني أقول هو من عصّر وفُك الإدغام بواسطة النون .

وجعل القنعاس وهو الشديد مما زيدت فيه النون حيث قال: هذا مما زيدت فيه النون وأصله من الأقعس والقعساء [3].

وقال مثل ذلك في زيادة النون في « القنازع من الشعر وهو ما ارتفع وطال حيث جعل أصله من القزع [4] ،وأقول إن هاتين المادتين أصلهما قَعّس وقزّع فلما فُك الإدغام أصبحتا قنزع وقنعس ولو فطن ابن فارس للإبدال من أحد المدغمين لاستطاع أن يرجع ما جعله منحوتا إلى هذا الإبدال .

ومما لاحظ فيه ابن فارس زيادة النون تكنبث الشيء إذا تقبض حيث جعل أصل هذه المادة كبث وكذلك لاحظ زيادة النون في « كندر » الرجل الغليظ والحمار الوحشي وحكم بأن أصلها كدر [5]، وأقول إن أصل هاتين المادتين هو كَبّث وكدّر بتشديد الباء والدال فلما فك الإدغام في المادتين أصبحتا كنبث وكندر .

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٦٦) .

(٢) المرجع السابق (٤/ ٣٧٠) .

(٣) المرجع السابق (٥/ ١١٧) .

(٤) المرجع السابق (٥/ ١١٨) .

(٥) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٩٣) .

ومما زيدت فيه النون سنبل فإن أصله سبّل فلما فك الإدغام أصبحت هذه المادة: سنبل .

فك الإدغام باللام :

جعل ابن فارس « بلطح » من قولهم: « بلطح الرجل إذا ضرب بنفسه الأرض » منحوتة من كلمتين هما بطح وأبلط إذا لصق ببلاط الأرض[(١)].

وجعل « ابنلدح بمعنى اتسع منحوتة من كلمتين هما البداح وهي الأرض الواسعة والبلد وهو الفضاء البراز » [(٢)].

ولكنا إذا رجعنا إلى أصل هاتين المادتين فسنجد أصل بلطح هو بلدح إذ جاء في مادة بلدح من الصحاح « بلدح الرجل إذا ضرب بنفسه الأرض وربما قالوا بلطح »، وبمقارنة مادتي « بطح وبدح » في اللسان تبين أن بدح أصل لبطح فنحن أمام عدد من الكلمات هي « بدح، بلدح، ابلندح بطح بلطح ».

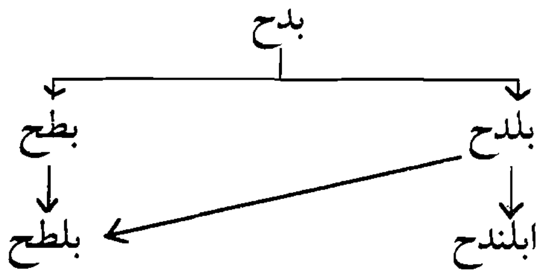
وإذا نظرنا في قانون التبادل بين الأصوات الأسنانية اللثوية فستكون المادة المحتوية على الدال هي الأصلية والمحتوية على الطاء هي الفرعية لأن الدال تتحول إلى طاء فيكون أصل هذه المواد هو بدح شددت الدال ثم أصبحت بَدّح وبفك الإدغام تولدت بلدح ثم دخلت الهمزة وشددت الدال من بلدح فأصبحت ابلدّح وبفك الإدغام تكونت ابلندح هذا بالنسبة للكلمات المحتوية على الدال، أما بالنسبة للكلمات المحتوية على الطاء فإن الأصل بدح أبدلت الدال طاء فنشأ بطح ولما شددت أصبحت

---

(١) مقاييس اللغة(١/ ٣٣١) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٣٠) .

بطّح ثم فك الإدغام باللام فأصبحت بلطح ويجوز أن تكون الطاء من بلطح بدلا.من الدال من بلدح فيكون تطور كلمة بدح على هذا النحو:



ويبدو أن ابن فارس لم يعلم بالعلاقة بين مادتي بلطح وابلندح وإلا لجعلهما متقاربتين في النحت الذي يزعم في مثل هذا ولكنه جعل كل مادة تنحت من كلمات مغايرة للكلمات التي نحتت منها الكلمة الأخرى.

ومن اضطراب ابن فارس أنه جعل«ثعلب»[1] مرة مزيدة فيها اللام ومرة منحوتة من ثعب وعلب، وثالثة من علب وثلب، فقد جعل الثعلب وهو مخرج الماء من الجرين مأخوذا من ثعب واللام زائدة، وثعلب بمعنى الرمح منحوتة من الثعب والعلب ، أو من العلب والثلب لأنه نظر إلى الحرف الأول والثاني والرابع فنتج ثعب، ونظر إلى الحرف الثانى والثالث والرابع فنتج علب، ونظر إلى الحرف الأول والثالث والرابع فنتج ثلب هذا من ناحية طريقته إلى النحت أما زيادة اللام فهي من ملاحظة المعنى بين ثعب وثعلب ولكن ما أريده هو أن ثعلب كانت نتيجة لفك الإدغام في ثعّب بتشديد العين بواسطة حرف الذلاقة اللام، لدلالة ثعب في اللسان على ذلك .

(١) انظر مقاييس اللغة (١/ ٤٠٣) .

وجعل ابن فارس العصلبي وهو الشديد منحوتا من ثلاث كلمات إذ قال: «وهو منحوت من ثلاث كلمات من عصب ومن صلب ومن عصل ذلك من قوة الشيء، ثم استشهد بقول الخليل على بعض ما أورده إذ قال: «وقد أومأ الخليل إلى بعض ما قلناه عصلبته شدة عصبه»[1]، والحقيقة أن كلام الخليل يدل على أنه مأخوذة من عصب وليس منحوتا كما ذهب ابن فارس، وقد جاء في الصحاح مايؤيد زيادة اللام: «والعصلبي من الرجال الشديد بزيادة اللام» .

وقد عد ابن فارس « القلفع » وهو ما يبس من الطين على الأرض منحوتا من ثلاث كلمات من قفع، وقلع وقلف [2]، والذي أراه أن هذا من قفّع بتشديد الفاء ثم فك الإدغام فنتج قلفع وقد جاء في مادة قفع من الصحاح ما يدل على هذا « القفلع مثل الخنصر ما يتشقق من الطين إذا يبس واللام زائدة»، ومثله في مادة « قلفع » من لسان العرب .

هذا وقد فطن ابن فارس لزيادة اللام من كلثم إذ قال: «الكلثمة اجتماع لحم الوجه من غير جهومة وهذا مما زيدت فيه اللام وإنما هو من كثم وهو الامتلاء» [3] وأقول أصل هذا كثّم بتشديد الثاء ففك الإدغام بواسطة الصوت الذولقي اللام فنتج عن ذلك كلثم .

ومما لاحظه ابن فارس زيادة اللام في مادتي بلعك وبلقع إذ قال في الأولى: « ومن ذلك الناقة البلعك وهي المسترخية اللحم اللام زائدة وهو من البعك وهو التجمع »، وقال في الثانية: «ومن ذلك البلقع الذي لاشيء به فاللام زائدة وهو من الباء والقاف والعين » [4] ولكنه كعادته في

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٤/ ٣٧١) .

(٢) المرجع السابق (٥/ ١١٧) .

(٣) المرجع السابق (٥/ ١٩٣) .

(٤) المرجع السابق(١/ ٣٣٤) .

ملاحظته للزوائد لم يعلل سبب حدوث هذه اللام والذي أراه صوابا أن هاتين الكلمتين أصلهما: بعك وبقع بتشديد العين في الأولى والقاف في الثانية وبفك الإدغام أصبحتا بلعك وبلقع .

وقال ابن فارس : «ومن ذلك الدملج والدملجة واللام فيه زائدة وهو من ادمجت»[1] .

وأقول هذا من دمجّ ففك الإدغام فأصبح دملج وقد جاء في مادة «دمج» من اللسان مايدل على معنى دملج .

وقد جعل ابن فارس «فلقم» منحوتة من كلمتين من فلق ولقم ولكن ليس[2] الأمر كذلك بل هي من فقّم بتشديد القاف فلما فك الإدغام أصبحت فلقم وقد جاء في مادة « فقم» من اللسان معنى فلقم وهو «فقم الشيء اتسع» .

وبعد هذا العرض الذي تبين فيه أن أصوات الذلاقة لها أثر كبير في بنية العربية حيث إن ما زاد على ثلاثة أصول يرجع في معظمه إلى هذا الإبدال ولكن الذي ألاحظه أن أصوات الذلاقة التي تدخل في فك الإدغام هي (اللام والنون والراء) وهي ما يطلق عليها الذولقية وأن فك الإدغام بحروف الذلاقة لا يشمل الأصوات الشفوية .

ويذهب هذا المذهب العالم(**Hurwitz**) يقول الدكتور أحمد مختار عمر عن حديثه عن قانون المخالفة: «ولهذا يفترض(**Hurwitz**) أن تكون الكلمات العربية الكبيرة البنية التي تشمل على راء أو لام أو نون أو ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين وهو يمثل لذلك

(١) المقاييس (٢/ ٣٣٩) .

(٢) المرجع السابق (٤/ ٥١٣) .

بالكلمات الآتية حرجل(حجل) وجلمد(جمد) وعنكب (عكب)، وعرقب (عقب)، وقرمط (قمط)، وفلطح (فطح) ويؤيد افتراضه بقوله: «يوجد غالبا مقابلات مضعفة للصيغ السابقة وهذا يعنى أن العقل السامى كان يعتبر هذه الصيغ المزيدة مقابلة للصيغ المضعفة» كما يخرج بنتيجة ملخصها أن «الحروف المائعة تعد عادة وسيلة مخالفة للتضعيف في الصيغ المضعفة القديمة » [1].

وهذا المذهب قد استفاد من رأي الخليل الذي لاحظ فيه أن الرباعى والخماسي لا يخلو من حروف الذلاقة.

ولكن الملاحظ أن فك الإدغام في اللغات السامية يدخل فيه أصوات الحلق كما في العربية ولعل العلماء الغربيين قد أجروا تجاربهم على لغاتهم التي لا يوجد بها أصوات الحلق التي يفك بها الإدغام .

فك الإدغام بواسطة أصوات اللين

لقد أثبتت النصوص أن العرب كانت تبدل أحد المدغمين بصوت من أصوات اللين من ذلك ما أورده ابن جني قائلا: « ويبدلون أيضا ليختلف الحرفان ليخفا وذلك قوله :

ياليتما أمنا شالت نعامتها   أيما إلى جنة أيما إلى نار [2].

وقال سيبويه عندما كان يتحدث عن إبدال الياء « وقد تبدل مكان الحرف المدغم نحو قيراط، ألا تراهم قالوا: قريريط ودينار، ألا تراهم قالوا دنينير » [3].

---

(١) دراسة الصوت اللغوي (٣٣٠) .

(٢) المحتسب (١/ ٤١) .

(٣) الكتاب (٤/ ٢٣٩) .

وفي نحو دينار إنما مدت الكسرة التي قبل الحرف المدغم حتى أصبحت طويلة لأن الكسرة الطويلة تقوم من حيث الزمن الذي تستغرقه في أثناء النطق بها مقام صوت صامت وحركة قصيرة .

ومن فك الإدغام بالياء قول عمر بن أبى ربيعة :

رأت رجـــــــلا أيمـا إذا الشمس عارضت

فيضحـى وأما بالعشـى فيحضـر[1].

ومن فك الإدغام بواسطة أصوات اللين بعض الأوزان التي عدها الصرفيون ملحقة بالفعل الرباعي مثل فيعل، وفوعل، وفعول وفعيل فإن الواو والياء في هذه الأبنية قد حدثت نتيجة لفك الإدغام من فعّل .

مثال فيعل « بيطر » فإن أصله بَطّر فك الإدغام فأصبحت بيطر أي عالج الدواب فقد جاء في مادة « بطر » من اللسان : وبطر الشيء يبطره بطرا فهو مبطور وبطير: شقه، والبطر الشق، وبه سُمي البيطار بيطارا والمبيطر معالج الدواب، يبيطر الدواب أي يعالجها ومعالجته البيطرة .

ومثلها يقال في سيطر إذ أصلها سطّر فُك الإدغام بواسطة الياء فأصبحت على وزن فيعل بل قد جاء في مادة « سطر » من لسان العرب سيطر وسوطر فيكون فك الإدغام بالواو والياء بل أن مسطِّر أخذ منها مسيطر .

ومثل سيطر شيطن إذ أصلها شطّن فُك الإدغام بواسطة الياء

---

(١) المحتسب (١/ ٢٨٣) .

وفي ديوانه طبعة دار صادر بيروت ص ١٢١ ورد هذا البيت وجاءت فيه لفظة « أما » بدلا من « أيما » .

فأصبحت شيطن .

ومثال فوعل، حوقل الشيخ حوقلة إذا كبر وفتر عن الجماع مأخوذة من الحقلة وهي وجع في البطن، وأقول هذه المادة مأخوذة من حقّل بعد فك إدغامها فأصبحت حوقل .

ومثال فعول « رهوك ، جهور».

فقد جاء في مادة رهك من اللسان : رهكه يرهكه جشه بين حجرين والرهكة الضعف والارتهاك ارتخاء المفاصل، والارتهاك الضعف في المشي وفلان يرتهك في مشيته ويمشي في ارتهاك، والرهوكة كالارتهاك والترهوك مشي الذي يموج في مشيته وقد ترهوك، ويقال مر الرجل يترهوك، كأنه يموج في مشيته» وأقول إن أصل رهوك: رهّك بتشديد الهاء فلما فك الإدغام بواسطة الواو أصبحت رهوك، ثم أخذت منها ترهوك بزيادة التاء فتكون الكلمتان على وزن فعول وتفعول .

جهور والعلاقة بين جهر وجهور واضحة جدا جاء في مادة «جهر» من الصحاح: «وجهر بالقول رفع صوته به وجهور وهو رجل جهوري الصوت وجهير الصوت » فمادة جهور أصلها جهّر فك الإدغام بواسطة الواو فأصبحت جهور على وزن فعْول .

أما فَعْيَل فمثالها شَرْيَف الزرع إذا قطع شريافة فهذه شرّف بمعنى قطع فقد جاء هذا في مادة شرف من لسان العرب «وشَرّف الناقة كاد أن يقطع أخلافها بالصر عن ابن الأعرابي» .

ومما يدل على ذلك ما جاء في «شرنف» منه الشرناف ورق الزرع إذا كثر وطال وخشي فساده قطع، يقال شرنفت الزرع إذا قطعت شرنافه .

فالعلاقة بين شريف وشرنف هو أن أصل هاتين شَرّف بتشديد الراء

ثم من فك الإدغام بالياء قال شَرْيف ومن فكه بالنون قال شرنف، بواسطة هذه المقارنة اتضح معنى شرنف وشريف فكل منهما يرجع إلى أصل واحد.

وبهذا تظهر آثار الإبدال من أحد المدغمين في بنية العربية وأن معظم ما زاد على الثلاثي يرجع إلى هذا الإبدال، هذا وفك الإدغام قد يأخذ صوراً عدة فلو أخذت «سبل» مثلا فإنه سينتج عن فك الإدغام فيها خمس كلمات على النحو التالي:

سبّل: من فك الإدغام بالراء قال سربل ومن فكه بالنون قال سنبل أما من فكه بصوت الحلق وهو الحاء فله حالتان الأولى الإبدال من الباء الأولى فتكون سحبل والثانية الإبدال من الباء الثانية فتكون سبحل فيكون مجموع كلمات هذه المادة سبل، سبّل، سربل، سنبل، سبحل، سحبل.

وبمعرفة إبدال أصوات الحلق من أحد المدغمين نحكم أن دحرج أصلها درج فك الإدغام بواسطة الحاء فأصبحت دحرج أما من حيث المعنى فإن المعاجم تؤكد وجود العلاقة بين درج ودحرج.

وبمعرفة فك الإدغام بواسطة النون يمكننا أن نتبين الأصل في ضمير المخاطب المنفصل « أنت » وفروعه، ولكن بعد النظر في أقوال العلماء حول هذا الضمير. للعلماء العرب في هذا الضمير ثلاثة مذاهب هي:

١ ـ إن الضمير هو « أن » وزيدت عليه التاء حرف خطاب وهذا مذهب البصريين.

٢ ـ إن الضمير هو مجموع «أن» و «التاء» وهذا مذهب الفراء.

٣ ـ إن الضمير هو «التاء» وكثرت أي دعمت «بأن» وهذا ينسب لبعض

النحويين كابن كيسان [1].

ولكن فك الإدغام بواسطة النون يجعلنا نقول بأن أصل الضمير هو «أتّ» الهمزة والتاء المشددة وفتحت مع المخاطب المذكر وكسرت مع المؤنث فهذا الضمير وفروعه وهي: أنت بالكسر والفتح ، وأنتما وأنتم، وأنتن يكون أصلها قبل فك الإدغام أَتّ بالكسر والفتح مع التشديد ، وأتما وأتم وأتن .

بل إننا إذا نظرنا في تاريخ هذا اللفظ وذلك بمقارنته في اللغات السامية سنجد الأصل والفرع وأن هذه المقارنة تحتوي على تاريخ هذه اللفظة أو هذا الضمير وفروعه فضمير المخاطب المنفصل أنت في العربية يقابله أنت في الحبشية والسبئية والمعينية و«أت» أو «أنت» في الآرامية و«أت» في كل من العبرية والبابلية الأشورية .

وضمير المخاطبة المنفصل أنت في العربية يقابله « أنت في كل من الحبشية والسبئية والمعينية و« أت » أو « أنت » في الآرامية و« أت » في كل من العبرية والبابلية الآشورية [2]، وبمعرفة فك الإدغام: تكون اللغات التي تشمل الضمير أَتّ بالتشديد هي التي تحتفظ بالصورة الأولى لهذا اللفظ أي أقدم المراحل التي مر بها كالبابلية الأشورية والعبرية، والتي ورد فيها الضمير بصيغتين إحداهما بالإدغام والأخرى بفكه فهي تمثل المرحلة الوسطى أو تحتفظ بالصورة القديمة إلى جانب الحديثة كالآرامية، والتي جاء فيها الضمير على صورة فك الإدغام فهي التي تمثل المرحلة الأخيرة من تاريخ الضمير كالعربية والسبئية والمعينية والحبشية .

---

(١) همع الهوامع للسيوطي (١/ ٦٠) ، وشرح كافية ابن الحاجب للرضى (٢/ ١٠) .

(٢) انظر تاريخ اللغات السامية أ/ ولفنسون ص (٩) .

الهمزة والألف

سبق أن بينت عندما تناولت التبادل بين أصوات الحلق أن العرب تكره الهمزة وتلجأ إلى عدة طرق للتخلص منها بإبدالها هاء أو عينا أو تخفيفها ولكن في هذا الفصل سوف نرى أن العرب تهرب من الألف والتي أسميناها الفتحة الطويلة وتلجأ إلى الهمزة التي كانت تفر منها في التبادل بين أصوات الحلق، فما هي الأسباب التي حملت العرب على ارتكاب ما كانت تفر منه، ثم ما نتيجة هذا الإبدال، أي اللجوء إلى الهمزة لذلك فإنني سوف أستعرض آراء العلماء حول هذا مبينا أثر هذا الإبدال وما يترتب عليه في بنية العربية .

يقول الصرفيون في نحو «اطمأن وأرثعن وأجرهد، واشمأز» بأنها على وزن افعللّ وهذا يعني، أن الهمزة من اطمأن والعين من ارثعن والهاء من أجرهد حروف أصلية في بنية الكلمة يقول ابن جني في هذا الصدد :« من الأصلين المتداخلين الثلاثي والرباعي قولهم: زَرِم وازرأَمّ، وخضل واخضألّ وأزهر وازهأرّ، وضفد واضفأدّ وزلِم القوم وازلأمّوا. . .وينبغي أن يكون جميع هذا من أصلين: ثلاثي ورباعي. وهو قياس قول أبي عثمان. . . فأما ازرأمّ واضفأد ونحو ذلك فلا تكون همزته إلا أصلا »[1].

وما أراه أن هذا وأمثاله تكون همزته زائدة وهي بدل من الفتحة

(١) الخصائص (٢/ ٥٠ ـ ٥١) .

الطويلة في «أفعال» وأكرر السؤال السابق مرة أخرى ما الذي ألجأ العرب إلى إبدال الفتحة الطويلة (الألف) همزة ؟

وهذه نصوص تبين السبب الذي ألجأ العرب إلي هذا الأمر :

قال أبو حاتم «أصل أجثألّ أفعالّ من الجَثْل ويقال شَعْر جَثْل فهمزوه كما يهمز بعضهم احمَأَرّ وأسوأد فرارا من التقاء الساكنين وهما أول الحرف المشدد والألف التي قبله» [1].

وقال الأزهري عندما كان يعدد أنواع الهمزات : «ومنها الهمزة التي تزاد لئلا يجتمع ساكنان نحو اطمأن واشمأز وازبأر»[2].

وقال ابن جني في إبدال الهمزة «وأما إبدالها من الألف فنحو ما حكى عن أيوب السختياني أنه قرأ ﴿**ولا الضألين**﴾ [3] فهمزة الألف وذلك أنه كره اجتماع الساكنين الألف واللام الأولى فحرك الألف لالتقائها فانقلبت همزة» [4].

فالعلة في إبدال الألف همزة هو اجتماع الساكنين، والساكنان في نظر علماء العربية القدامى هما الألف وأول المدغمين، لكن الألف حركة حيث اعتبارناها فتحة طويلة، فهي لا تختلف عن ما سموه بالفتحة والذي نسميه الفتحة القصيرة إلا في طول الصوت وقصره ولكن هذا الإبدال راجع إلى وقوع الألف بين أصوات الكلمة والذي لابد منه لتحديد أنواع المقاطع في اللغة العربية .

---

(١) النخل لأبي حاتم (٦٠) .

(٢) اللسان (١/ ١٧) .

(٣) الفتحة (٧) .

(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ٨٢)، إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه (٣٤) .

والمقطع الصوتي: هو كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة.

والمقاطع في اللغة العربية الفصحى خمسة هي :[1].

الأول : ما تكون من صوت صامت وحركة قصيرة مثل كَ: من كتب ويسمى «مفتوح قصير».

الثانـــي: ما تكون من صوت صامت وحركة طويلة مثل لا: ويسمى «مفتوح طويل».

الثالــث: ماكان من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة مثل من ويسمى «مغلق قصير».

الرابـــع: ما كان من صوتين صامتين بينهما حركة طويلة مثل باب في حالة الوقف ويسمى «مغلق طويل».

الخامس: ما بدأ بصوت صامت ثم حركة قصيرة ثم صوتين صامتين مثل بنت في الوقف ويسمى«مزدوج الإغلاق أو مكرر الإغلاق»[2].

هذا وبعد استعراض هذه المقاطع الخمسة يمكننا أن نقول إن المقطع الرابع لا يمكن أن يقع في اللغة العربية الفصحى إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم هو به وهذا مايعنيه العلماء العرب بقولهم التقاء الساكنين في مثل «دابّة، الضالّين، احمار، ونحوها» فصيغة افعالّ يجوز فيها التقاء الساكنين على رأي العلماء العرب القدامى أو

---

(١) الأصوات اللغوية (١٦٣) ،فصول في فقة العربية (١٩٤) .

(٢) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان (١٧٣) .

المقطع الرابع المتكون من صوت صامت وحركة طويلة ثم صوت صامت والمعروف بالطويل المغلق على رأي المحدثين .

فسبب إبدال الفتحة الطويلة (الألف) من أفعال همزة هو كراهية المقطع الطويل المغلق في اللغة العربية ولكراهيتهم لهذا المقطع فإنه لا يقع في الشعر، قال المبرد مبينا أن هذا المقطع خاص بالنثر وأنه لا يقع في الشعر «وحمَارّة مما لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شعر لأن كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن إلا في ضرب منه يقال له المتقارب فإنه جوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله :

فذاك القصاص وكان التقا ... ص فرضا وحتما على المسلمينا

ولو قال: «وكان القصاص فرضا وحتما كان أجود وأحسن ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض»(١).

وقال الخطيب التبريزي: «ولا يجتمع في الشعر ساكنان إلا في قواف مخصوصة وربما جاء شاذا في غير القافية نحو ما أملاه علي أبو العلاء المعري في هذا المعنى :

فرمن القصاص وكان التقاص ... حتما وفرضا على المسلمينا

والرواية الجيدة وكان القصاص حتى لا يجمع فيه ساكنان (٢).

وقال المبرد مبينا أن المقطع الطويل المغلق لا يقع في الشعر «مُشْعانٌّ الرأس يعني منتفخ الشعر متفرقه ومثل هذا لا يكون في شعر لأن في هذا التقاء ساكنين ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر إلا ما تقدم ذكره في

(١) الكامل (١/ ٢٦) .

(٢) الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي (١٨) .

المتقارب وليس ذا على ذلك الوزن» [1].

ومهما يكن فإن العلة في إبدال الألف همزة هو اجتماع الفتحة الطويلة (الألف) مع الحرف المشدد أو بعبارة أخرى هي أن تقع الفتحة الطويلة متلوة بصوت مشدد، فهذا هو السر في إبدال العرب للألف همزة سواء قلنا كراهية التقاء الساكنين كما قال القدماء أو كراهية المقطع الرابع كما قال المحدثون، ثم إن الجهد المبذول مع النطق بالفتحة الطويلة التي تعادل في الزمن النطق بالصوت الصامت وتزيد عليه بمقدار حركة قصيرة والنطق بالصوت المشدد الذي يعادل النطق بصوتين صامتين هذا الجهد إذا قورن بالجهد المبذول في الهمزة مع الحرف المشدد فإنه يزيد عليه لذلك لجأت العرب إلى الهمزة طلبا للخفة وأبدلت من الألف همزة في غير الشعر مثل ما يروى عن أبي زيد أنه قال: «عمرو بن عبيد يقرأ ﴿**فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن**﴾ [2] قال أبو زيد ظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول شأبّة، ودأبّة، ومأدّة» [3].

ولما كانت صيغة «افعالّ» تحتوي على المقطع الرابع وهو المسمى المقطع الطويل المغلق والذي لا يأتي في الشعر فإن الشعراء إذا عرضت لهم هذه الصيغة أبدلوا الفتحة الطويلة من «افعالّ» همزة .

كقول كثير :

وللأرض أما سودها فتجللت　　بياضا وأما بيضها فادهأمت [4].

(١) الكامل (٢/ ١١١) .
(٢) الرحمن (٣٩) .
(٣) المحتسب لابن جني (١/ ٤٦) البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٩٦) .
(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ٨٤)، شرح شافية ابن الحاجب (٤/ ١٧٠) .

وقول الحطيئة:

وضيعت الكـــرامة فأرمـــــأدت وقبضت السقا في جوف سلم [1].

وقول شاعر من بنى أسد:

حـش الولائد بالوقـود جـنوبها

حتى اسوأدت من الصلى صفحاتها[2].

فالكلمات «ادهأمت ، ارمأدت، اسوأدت» أصلها افعلّ مثل «ادهم، وارمد، اسود ثم لما جاءت صيغة افعال «ادهامّ، ارماد، اسواد» في الشعر وهذا المقطع لا يقع في النثر إلا بشروط أبدل الشعراء الفتحة الطويلة من «افعالّ» همزة من أجل الوزن الشعري.

فالوزن هو الذي جعل العرب تبدل الألف همزة سواء كان شعرا أو سجعا، أو فاصلة، ولكن المهم هو الأمر الخطير الذي نشأ عن هذا الإبدال وظهر أثره في بنية العربية ومنه نشأ ما يسميه الصرفيون الرباعي المزيد الذي على وزن «افعَللّ» فالهمزة المبدلة من الفتحة الطويلة «الألف» في «افعالّ» والتي أصبحت «افعألّ» عدها الصرفيون من أصل بناء الكلمة ثم إن العرب لكراهتها للهمزة تحولها إلى حاء أو عين أو هاء كما بينا في التبادل بين أصوات الحلق فتنشأ نتيجة لذلك كلمات لا ترى فيها هذه الهمزة، ثم إن الكلمة بعد إبدال الفتحة الطويلة همزة تخضع حينئذ لقاعدة الإبدال بين أصوات الحلق ثم يأخذ التغير مجراه فتتعدد صورها لذلك فإن ما عده الصرفيون على وزن «افعلل» هو ثلاثي مزيد وليس

---

(١) ديوانه (١٢٦).

(٢) عبث الوليد (٦٩).

برباعى وأصله «افعل» وهذه أمثلة من المواد التي عدت رباعية مزيدة وهي ثلاثية مزيدة «اجثأل» في الصحاح «اجثأل الرجل إذا غضب وتهيأ للقتال، واجثأل النبت إذا اهتز وأمكن لأن يقبض عليه والمجثأل المنتصب قائما واجثأل الطائر نفش ريشه» وقد ورد ثلاثي لهذه المادة «الجثل الكثير من الشعر، وناصية جثلة، وشجرة جثلة إذا كانت كثيرة الورق ضخمة»، وسبق أن بينا رأي أبي حاتم في اجثأل.

فأصل هذه المادة «جثل» ثم صارت على وزن «افعل»«أجثل» ثم مدت الفتحة القصيرة فأصبحت طويلة على وزن «افعال» فصارت «اجثال» ثم أبدلت الفتحة الطويلة همزة فأصبحت اجثأل فأصل هذه المادة هو الثلاثي جثل .

وقد وردت الصيغ الثلاثية التي تبين تطور أفعل ففي مادة جفظ من الصحاح «اجفاظت الجيفة اجفيظاظا انتفخت وربما قالوا اجفأظت فيحركون الألف لاجتماع الساكنين وفي جفظ من لسان العرب «الجفيظ المقتول» وقد تبين من هذه المقارنة أن أصل المادة جفظ ثم تحولت إلى أجفظ وإن لم تذكر ثم إلى اجفاظّ وأخيرا اجفأظ .

وفي حزل من الصحاح «واحزأل أي ارتفع، يقال احزألت الإبل في السير ارتفعت واحزأل الجبل ارتفع فوق السحاب» وفي حزل من لسان العرب «ويقال احزلت بغير همز »فأصل أحزل ، حزل .

وجاء الشعر على الهمزة ولعله سبب نشوء «حزأل» قال المرار الفقعسى يصف إبلا وحاديها :

تغنى ثم هزج فاحزألت　　　تميل بها النحائز والسدول

وقال الراجز في «حزل» . :

ترمي الفيافي ما احزلت بمثل عيني فارك قد ملت

وفي مادة سمل من الصحاح ما يبين أن أصل سمل وسمأل واحد «وسَمْل العين فقؤها يقال سُمِلت عينه تسمل إذا فقئت بحديدة محماة «واسمألّ اسمئلالا بالهمز أي ضمر، وقالت الشاعرة سلمى بنت مجدعة الجهنية :

يرد المياه حضيرة ونفيضة ورد القطاة إذا اسمأل التُّبَّعُ (١).

وبالمقارنة بين شمز واشمأز تبين أنهما من أصل واحد حيث جاء في مادة اشمأز من الصحاح« اشمأز الرجل اشمئزازا انقبض وذعر من الشيء وهو مذعور والشمأزيزة من اشمأززت»، وفي شمز من اللسان «الشمز القبض» ومن وردوها في الشعر قول ابن كلثوم يصف قناة صلبة.

إذا عض الثقاف بها اشمأزت وولتهم عشوزنه زبونا (٢).

وفي مادة صمك من «التهذيب» نص الأزهري على أن الهمزة من اصمأك زائدة إذ قال: « قال ابن السكيت اصمأك وازمأك إذا غضب وقال ابن شميل اصمأكت الأرض فهي مصمئكة وهي الندية المطورة وحكى عن أبي الهذيل السماء مصمئكة أي مستوية خليقة للمطر قلت وأصل هذه الكلمة وما أشبهها ثلاثي والهمزة فيها مجتلبة» (٣).

---

(١) جمهرة اللغة مادة « بتع » اللسان مادة « سمأل » .

(٢) شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي (٣٤٨) .

(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ٤٢٢)، واللسان صمك .

وقال في مادة طمن مثل هذا بعد أن ذكر أن سبب الهمزة هو التقاء الساكنين على حد قول العلماء العرب حيث جاء في هذه المادة «طمن قال الليث اطمأن قلبه إذا سكن واطمأنت نفسه ويقال طامن ظهره إذا حناه بغير همزة لأن الهمزة التي حلت في اطمأن إنما حلت فيها حذار الجمع بين الساكنين، ومنهم من يقول طأمن بالهمزة التي لزمت اطمأن»(١).

وفي كبن من اللسان: كبن الظبى واكبأن إذا لطأ بالأرض واكبأن الرجل انقبض وكل كبن قبض» وجاء الشعر على اكبأن كقول مدرك بن حصن:

ياكروانا صُكّ فاكبأن

وفي زبر من الصحاح: الزبرة موضع الكاهل يقال رجل أزبر أي عظيم الزبرة ومنه زبرة الأسد والزبرطي البئر يقال بئر مزبورة وازبأر الكلب تنفش وازبأر الشعر تنفش، وازبأر النبت والوبر إذا نبت» ومن أدلة الشعر قول امرئ القيس:

لها ثنن كخــوافي العقـاب ســـود يفيـن إذا تزبئـــر (٢).

وقول المرار بن منقذ:

فهو ورد اللون في ازبئراره وكميت اللون ما لم يزبئر (٣).

وفي زرم من الصحاح: زرم البول انقطع وكذلك كل شيء ولى، وأزرمه غيره، والزرم المضيق عليه ويقال للبخيل زرم، وزرم غيره،

---

(١) تهذيب اللغة (١٣/ ٣٧٧)، واللسان « طمن » .

(٢) اللسان «زبر» ديوانه (٧١) .

(٣) اللسان «٠زبر » المفضليات (٨٣) .

وزرمت به أمه إذا ولدته، والمزرئم المتقبض وقد ازرأم ازرئماما» .

وقد فطن إلى زيادة الهمزة ابن فارس إذ يقول: «ازرأم الرجل فهو مزرئم، إذا غضب وهذا مما زيدت فيه الهمزة، وهو من زرم إذا انقطع، كذلك إذا غضب تغير خلقه وانقطع عما عهد منه» (١).

وفي حظب اللسان: الحاظب والمحظئب السمين ذو البطنة وقيل هو الذي امتلأ بطنه.

وفي زلم من اللسان: قال ابن الأثير فازلَمّ أي ذهب مسرعا والأصل فيه ازلأم فحذف الهمزة تخفيفا وقيل أصلها ازلامّ كاشهابّ وحذفت الألف تخفيفا وقيل ازلمّ قَبَض، وازلأم القوم ازلئماما ارتحلوا قال العجاج:

واحتمـلوا الأمور فازلأموا .

والمزلئم الذاهب الماضي وقيل هو المرتفع في سير أو غيره قال كثير

تأرض أخفاف المناخة منهم مكان التي قد بعدت فازلأمت

ففي هذه المادة قد ظهرت مراحل تطور أفعالّ فالأولى ازلم على وزن أفعلّ، والثانية إزلام على وزن «افعالّ» والثالثة «ازلأم» على وزن افعللّ

وبالمقارنة بين أكلأز وكلز في لسان العرب يتبين أن الهمزة من أكلأز مزيدة وأصلها كلز إذ جاء «كلز الشيء يكلز كلزا وكلزه جمعه ، وأكلأز تقبض ولم يطمئن والمكلئز المنقبض وأكلأز إذا انقبض، وأكلأز إذا انقبض وتجمع.

---

(١) المقاييس (٣/ ٥٤) .

ما قدمناه من أمثلة يثبت أن الهمزة زائدة في تلك الأمثلة وأن أصلها افعالّ ولكن هذه الهمزة تجري عليها قاعدة إبدال الأصوات الحلقية فتتخلص منها العرب بإبدالها عينا أو هاء، وقد يصل التطور إلى إبدالها حاء، وسوف أورد الأمثلة التي توضح هذا فنبدؤها بالأمثلة التي تشير إلى إبدال هذه الهمزة عينا وذلك بمقارنة مادة «رثن» بمادة «رثعن» من لسان العرب «الرثان قطار المطر يفصل بينهما سكون وأرض مرثنة أصابها مطر ضعيف» وفي«رثعن» ارثعن المطر كثر والمرثعن المطر المسترسل السائل وارثعن استرخى وكل مسترخ متساقط مرثعن» .

ومن الشعر الذي جاء على هذه اللهجة قول النابغة :

وكل ملث مكفهر سحابه   كميش التوالي مرثعن الأسافل

وقول ذي الرمة :

كأنه بعد رياح تدهمه   ومرثعنات الدجون تثمه

فأصل هذه المادة «ارثن، ارثانّ فأبدلت الفتحة الطويلة همزة فأصبحت ارثأن وهنا وقعت الكلمة تحت سيطرت قاعدة أصوات الحلق فأبدلت الهمزة عينا كما في «عن» فقيل : ارثعن .

ومن ذلك ما ورد في «اشمعل من اللسان المشعمل المتفرق والمشمعل السريع يكون في الناس والإبل واشمعلت الناقة فهي مشمعلة قال ربيعة ابن مقروم الضبي .

كأن هويها لما اشمعلت   هوي الطير تبتدر الإيابا

واشمعلت الغارة شملت وتفرقت وانتشرت، قال أوس بن مغراء التميمى:

وهم عند الحروب إذا اشمعلت بنوهـــــا ثـــم والمتثوبونا

فأصل هذه المادة شمل ← اشمال ← اشمأل ← اشمعل

وفي مادة: «رمل» من الصحاح «الرمل القليل من المطر والجمع أرمال وعام أرمل قليل المطر ورمله بالدم فترمل وارتمل تلطخ وفي أرمعل منه: وأرمعل الصبي ارمعلالا سال لعابه، وأرمعل الدمع أي تتابع قطرانه وأرمعل الشواء أي سال دسمه .

وقد يدخل المادة عدة تغيرات منها ما يتعلق بإبدال همزة افعأل عينا ومنها تغيرات أخرى مثال ذلك هذه المواد في لسان العرب «بذر، بثر، ابذعر ابثرعر» فإني وإن أوردتها هاهنا للدلالة على أن همزة افعأل أبذلت عينا فإن هذه المواد بعضها متطور عن بعض ففى بثر «والبثر الكثير، يقال كثير بثير، اتباع له، وقد يفرد وعطاء بثر، كثير وقليل وهو من الأضداد، وماء بثر بقى منه على وجه الأرض شيء قليل والمعروف في البثر الكثير، وقال الكسائي هذا كثير بثير بذير» .

وفي مادة «بذر» : «وكثير بذير اتباع قال الفراء كثير بذير مثل بثير لغة أو لغية».

وفي بثعر: «ابذرعت الخيل وابثعرت ركضت تبادر شيئا تطلبه».

وفي بذعر: ابذعر الناس تفرقوا، وابذعرت الخليل وابثعرت إذا ركضت تبادر شيئا تطلبه» .

فأصل هذه المواد هو بثر وهي تدل على التفرق أبدلت الثاء ذالا على

قاعدة الأصوات الأسنانية فأصبحت بدز هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قيل في وزن أفعال من بثر ابثار ثم تحولت الألف إلى همزة فأصبحت ابثأر ثم تحولت هذه الهمزة إلى عين فأصبحت ابثعر، وأصاب بدز ما أصاب بثر فكانت على هذا النحو ابذار ← ابذأر ← ابذعر.

ومن أمثلة إبدال همزة «افعأل» هاء:

ماجاء في «كفهر» من الصحاح «فلان مكفهر اللون إذا ضرب لونه إلى الغبرة من الغلظ والمكفهر السحاب ركب بعضه بعضا.

وفي كفر «الكفر ظلمة الليل وسواده، والكافر الذي كفره درعه بثوبه أي لبسه وغطاه وكل شيء غطى شيئا فقد كفره».

فأصل هذه المادة اكفار ثم اكفأر ثم اكفهر

وفي مادة: درهم من الصحاح «وشيخ مدرهم أي مسن وقد ادرهم ادرهماما، أي سقط من الكبر» وفي «درم منه» ودرمت أسنان الرجل بالكسر أي تحاتت وهو أدرم «فاصل المادة ادرام ــ ادرأم ــ ادرهم.

وقد جاءت جميع تطورات افعل يتضح ذلك بمقارنة مادتي «دلم» و«ادلهم».

فقد ورد في مادة «دلم» من اللسان: الأدلم الشديد السواد من الرجال والأسد والحمير والجبال والصخر والأدلم من الألوان الأدغم، ورجل أدلم وجبل أدلم وقد ادلامّ الرجل والحمار ادليماما، والدّلام السواد.

وفي الأفعال لابن القطاع «ادلأم الشيء اسود» (١).

---

(١) الأفعال لابن القطاع (١/ ٣٨٤).

وفي مادة «ادلهم» من لسان العرب« المدلهم الأسود، وادلهم الليل والظلام كثف واسود وليلة مدلهمة مظلمة» .

فقد جاء جميع التطور وهي ادلم، ادلام، ادلأم ـ ادلهم، وبمقارنة بين جرد واجرهد من اللسان يتبين أن الأولى أصل للثانية فقد جاء في الأولى «ومكان جرد وأجرد وجرد لا نبات فيه، وفضاء أجرد وأرض جرداء وجردة كذلك وسنة جارودة مقحطة شديدة المحل .

وفي اجرهد: اجرهدت الأرض لم يوجد فيها نبت ولا مرعى واجرهدت السنة اشتدت وصعبت، فأصل المادة: اجراد ثم اجرأد ثم أجرهد وفي هذا رد على ابن فارس الذي جعل «مجرهد» منحوتا من كلمتين هما جرد وجهد .

وقد تدل الكلمة على تطورات إبدال ألف أفعال همزة ثم هاء مع تغييرات أخرى مثل ما ورد في مادة «تمأر» في الصحاح« اتمأر الشيء طال واشتد مثل اتمهل واتمأل، قال زهير بن مسعود الضبي :

ثنى لها يهتك أسحارها بمتمئر فيه تحريب

وفي اتمهل: اتمهل الشيء اتمهلالا أي طال ويقال اعتدل وكذلك اتمأل واتمأر أي طال واشتد» .

فأصل هذه اتمأل فدخلها تغييران أحدهما خاص بتبادل أصوات اللثة وهو تحول اللام إلى راء فنتج عن ذلك اتمأر، والثاني خاص بأصوات الحلق إذ تحولت همزة اتمأل هاء فأصبحت اتمهل ولعل هذه المادة مأخوذة من ماده تمل إذ جاء فيها: التامول لنوع من النبات يظهر في عمان أو التملول ويعني الوادي الملتف الأشجار .

وقد جعل الدكتور رمضان عبد التواب اتمأر مأخوذة من التمر وهذا بعيد ثم جعل اتمأر أصل لاتمأل وهذا مخالف لقاعدة التبادل بين الأصوات اللثوية أو الأصوات الذلقية [1].

وقد جاء ما يبين جميع التطورات التي مرت بها أفعل في جميع مراحلها وذلك بمقارنة هذه المواد في لسان العرب وهي «سمد، اسمأد اسمعد».

ففي سمد: السامد المتكبر والسامد القائم والسامد المتحير بطرا وأشرا وسمد سمودا رفع رأسه تكبرا وكل رافع رأس فهو سامد، والمسئمد الوارم واسمأد بالهمز اسمئداداً ورم وقيل ورم غضبا، واسمأدت يده ورمت، واسمأدت رجلها أي انتفخت وورمت وكل شيء ذهب أو هلك فقد اسمد واسمأد، واسماد من الغضب كذلك واسماد الشيء ذهب.

وفي «اسمعد» أسمعد الرجل إذا امتلأ غضبا وكذلك اسمعط.

ففي هذه المقارنة:

سمد ← اسمد ← اسماد ← اسمأد ← أسمعد ← أسمعط.

فالأصل اسمد على وزن «افعل» ثم مدت الحركة القصيرة أي الفتحة حتى أصبحت فتحة طويلة فكانت اسماد ثم تحولت الفتحة الطويلة إلى همزة ثم بعد ذلك دخلت قاعدة إبدال الأصوات الحلقية فتحولت الهمزة إلى عين كما في العنعنة ثم تدخلت الأصوات اللثوية الأسنانية فأبدلت الدال طاء على قاعدتها.

والإبدال قد يدخل على الكلمة من جميع أطرافها فيجعلها تتحول

---

(١) فصول في فقه العربية (١٩٩).

إلى عدة كلمات غير أن معرفتنا لقاعدة التبادل بين الأصوات العربية تجعل الطريق واضحًا فترينا التطورات التي طرأت على الكلمة في تاريخها الطويل ومن أمثلة ذلك هذه المواد «قذل ،قذعل، قذعر،قذحر، قدحر» كلها ترجع إلى مادة ثلاثية واحدة لكن أكبر تغيير حدث لها هو بسبب تحول الألف إلى همزة .

فإذا نظرنا في هذه المواد من لسان العرب نجد ما يثبت صلة هذه المواد بعضها ببعض وما طرأ عليها من تغيير فقد جاء في مادة «قذل»: وقذلت فلانا أقذله قذلا اتبعته .

الفراء: القذل العيب يقذله قذ لا إذا عابه، وجاء فلان يقذل فلانا أي يتبعه، والقذل الميل والجور .

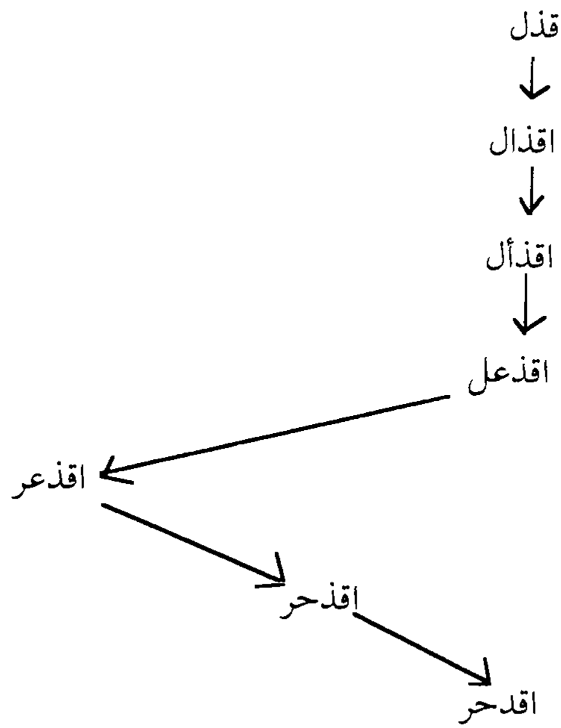
وفي «قذعل» المُقْذَعِلّ الذي يتعرض للقوم في أمرهم وحديثهم ويتزحف إليهم ويرمي بالكلمة بعد الكلمة وهو كالمُقْذَعِرّ والمقذعل من كل شيء السريع ورجل قِنْذَعْل إذا كان أحمق وقيل هو بالذال والدال معا .

وفي «قذعر» المقذعر مثل المقذحر، المعترض للقوم ليدخل في أمرهم واقذعر نحوهم يقذعر رمى بالكلمة بعد الكلمة وتزحف إليهم.

وفي «قذحر» الاقحذرار سوء الخلق، والمقذحر المنتهئ للسباب والشر، تراه الدهر منتفخا شبه الغضبان وهو بالدال والذال جميعا ، والمقذحر المنتهئ للسباب والمعد للشر، والمقذحر العابس الوجه .

وفي «قدحر» اقدحر للشر تهيأ له وقيل تهيأ للسباب والقتال والقندحر والقندحور السيئ الخلق» .

فأصل هذه المادة قذل ثم لما جاء على وزن افعال - أبدلت الألف همزة فصارت اقذأل - ثم تحولت الهمزة إلى عين على قاعدة التبادل بين أصوات الحلق فنتجت «اقذعل» وهنا جاءتها التبادلات من كل صوب من أصوات الحلق وأصوات الذلاقة والأصوات الأسنانية اللثوية فتحول اللام إلى راء حسب تبادل أصوات الذلاقة اقذعر ثم تحولت العين إلى حاء حسب قانون التبادل بين أصوات الحلق فجاءت اقذحر ثم تحولت الذال إلى دال حسب قانون التبادل بين الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية فحصلت اقدحر «فيكون تطور هذه المادة على النحو التالي :



وهذا بيّن أثر الإبدال في تغيير الكلمة الواحدة، ثم إن الإبدال من الفتحة الطويلة وتحويلها إلى همزة يشير إلى أمر خطير قد بيناه في إبدال

حروف الحلق وهو أن اللغة البابلية الأشورية قد تكون هي اللغة السامية التي احتفظت بالأصل من ناحية أصوات الحلق وأن الأصوات الحلقية قد كانت نتيجة لصوت الهمزة وأعنى بالحلقية صوتي العين والحاء .

الخاتمة

أهم نتائج البحث

يخضع إبدال الحروف (الأصوات) العربية لقانون مطرد وهو على النحو التالي:

١ ـ الحروف الحلقية:

القاعدة العامة في الإبدال بين حروف الحلق هو الأتجاه من الشدة إلى الرخاوة ومن الجهر إلى الهمس فالهمزة تتحول إلى هاء وذلك بتغير صفتها من الشدة إلى الرخاوة ومن الجهر على رأي علماء العربية القدامى إلى الهمس ومن أمثلة هذا التحول «هياك، هن، هسد» بدلا من«إياك، إن، أسد» وتتحول إلى العين وهذا يعني تقدم مخرجها إلى الأمام من أقصى الحلق إلى وسطه على رأي علماء العربية قديما ومن الحنجرة إلى الحلق على رأي المحدثين وتغيرت صفاتها إذ تحولت من الشدة إلى الرخاوة ومن أمثلة هذا الإبدال «عن خباع، جعز» بدلا من «أن، خباء، جأز».

والعين تتحول إلى حاء وهذا يعني تحولها من الجهر إلى الهمس مثل «محهم، نحم، بحثر» بدلا من «معهم، نعم، بعثر».

وتتحول الهمزة إلى عين والعين إلى حاء مثل «أتى، عتى، حتى» فأصل هذه المواد أتى أبدلت الهمزة عينا فكانت «عتى» ثم أبدلت العين حاء فكانت «حتى» وتتحول الهمزة إلى هاء وإلى حاء مثل «أرش، هرش، حرش» و «نأم، نهم، نحم» و «أبش، هبش، حبش».

وهذا يعني أن هناك مرحلة بين الهمزة والحاء وهي العين لم تسجلها

المعاجم.

ومن الأمثلة التي تحتوي على تحول الهمزة إلى الحروف الثلاثة الهاء والعين والحاء قول العرب: «أما والله وهما والله وعما والله وحما والله».

ففي هذا المثال تبينت جميع التطورات التي أصابت صوت الهمزة وهي التحول من الشدة إلى الرخاوة في مخرج واحد هو أقصى الحلق أو الحنجرة مثل «هما والله» ثم تحولت إلى العين مثل «عما والله» ثم العين بدورها تحولت إلى الحاء فأصبحت» حما والله»، ومثله مواد «لأس لهس، لعس، لحس».

والتبادل بين الهمزة والهاء من جهة وبين الهمزة والعين والحاء من جهة أخرى مهم جدا في بناء العربية إذ إن كثيرا من الأبنية العربية التي يعدها العلماء رباعية وتبدأ بأحد هذه الحروف الأربعة هي في الأصل ثلاثية زيدت عليها همزة أفعل ثم أبدلت هذه الهمزة من أفعل هاء في بعض المواضع وفي بعضها عينا وأبدلت العين المبدلة من همزة أفعل حاء فنتج عن ذلك أبنية رباعية أو كلمات تتكون من أربعة أحرف تبدأ بهاء أو عين أو حاء فعدها العلماء رباعية ولكن قانون التبادل بين أصوات الحلق كشف أنها ثلاثية مزيدة.

فالكلمات المبدوءة بهاء وأصل هذه الهاء بدل من همزة أفعل مثل «هزبر هزلج، هبرق، هدلق، هنبع، هبلع، هملع، هرثم، هرشف هنبث، هنبر، هركل، هلقم».

فهذه الهاءات بدل من همزة أفعل وهذه الكلمات ترجع إلى أبنية

ثلاثية هي«زلج، برق، دلق، نبع، بلع، ملع، رثم، رشف، نبت، نبر، ركل، لقم».

جاءت على وزن أفعل بزيادة الهمزة في أولها على هذا النحو «أزلج، أبرق، أدلق، أنبع، أبلع، أملع، أرثم، أرشف، أنبث، أنبر، أركل، ألقم» فلما أبدلت هذه الهمزة هاء نتج عنها تلك الأبنية السابقة والكلمات المبدوءة بعين وأصل هذه العين همزة مثل: «عبهل عجلد، عجلط، عسجر، عجرد، عنجرد، عصفر إذ أصل هذه الكلمات «بهل، جلد، جلط، سجر، جرد، انجرد، صفر»، زيدت الهمزة في أولها أو جاءت على وزن أفعل ثم أبدلت الهمزة عينا ويقال فيها مثل ما قيل في الكلمات المبدوءة بهاء.

والكلمات المبدوءة بحاء مثل «حبتر، حبجر، حرجل».

ومما بين أن همزة أفعل تتحول إلى هاء أو إلى عين وهذه العين تتحول إلى حاء هذه المواد«أرجل، عرجل، حرجل، هرجل، رجل» إذ، أصل هذه المواد«رجل» جاءت على وزن أفعل فكانت «أرجل» ثم تحولت الهمزة إلى هاء فكانت «هرجل» وهذا أحد اتجاهي الهمزة، أما الاتجاه الثانى فهو تحول الهمزة إلى عين مثل «عرجل» ثم تحولت العين إلى حاء فنتج عن ذلك «حرجل».

هذا في حروف «أ هـ ع ح».

أما الغين والخاء فهما يخضعان لقاعدة التبادل بين الأصوات الحلقية وهو الاتجاه من الجهر إلى الهمس فالغين تتحول إلى خاء مثل«خنة،

صمغ، ردخ، فدخ» بدلا من «غنة، صمغ، ردغ، فدغ».

٢ ـ الحروف الطبقية والغارية:

الكاف: تتحول الكاف إلى صوت مزجي يتكون من التاء والسين «تس» كما في الكسكسة أو إلى صوت مزجى آخر يتكون من التاء والشين «تش» كما في الكشكشة وقد تتحول إلى شين كما في الشنشنة ولكن هذا مخصوص بخطاب المؤنث.

القاف والجيم:

القاف: إذا اعتبرت القاف اللهوية وهي التي نقرأ بها القرآن أصلا للقاف فإن القاف تأخذ في تحولها إلى غيرها طريقين: **الأول** منهما هو تأخر مخرجها إلى الهمزة وهذا يعني أنها تحولت إلى صوت يشبهها في الشدة والجهر على رأي القدماء أو الهمس على رأي المحدثين ومن أمثلة ذلك: «أصر، أبض، وأب، أشب، زهاء، زنأ» بدلا من «قصر، قبض، وقب، قشب، زهاق، زنق».

الثاني تقدم مخرجها إلى الأمام إلى منطقة الطبق اللين حيث تبدل غينا مثل «نشغ، غثم، وغب، تزيغ» بدلا من« نشق، قثم، وقب، تزيق».

ثم يتقدم مخرجها إلى الأمام أيضا مع المحافظة على الشدة فتكون القاف الطبقية أو التميمية وهذه القاف تكتب في المصادر العربية بصورة الكاف كثيرا ومن أمثلتها «كحط، كهر، عربي، كح، عكد، أكهب» بدلا من «قحط، قهر، عربي، قح، عقد، أقهب» والتي رمزنا لها بهذا الرمز «ڨ» ثم يتقدم مخرجها إلى الأمام حتى تصل منطقة الغار حيث تتحول

إلى جيم مزجية مثل «جرية، تحديج، سحجه، سمحج، سلجم، أجدم، ثجل، مجذاف» بدلا من «قرية، تحديق، سحقه، سمحق، سلقم، أقدم، ثقل، مقذاف».

ثم يتقدم مخرجها إلى منطقة اللثة والأسنان كما في القاف المزجية «دز» مثل لهجة نجد ومعظم وسط الجزيرة العربية.

والجيم: تشابه القاف في إبدالها إذ يتأخر مخرجها ويتقدم على اعتبار أن الجيم التي يقرأ بها اليوم هي الأصل فيتأخر مخرجها إلى منطقة الطبق اللين فتتكون الجيم اليمانية عند القدماء والقاهرية عند المحدثين والتي رمزنا لها بهذا الرمز «چ» وهذه الجيم تكتبها المصادر العربية بصورة القاف ومن أمثلتها: «القف، القح، قصف، قريث، ردق، أقتث، عوهق، هزق، ملق، نبق، القسم، قنسك، قصص» في «الجف، الجح، جعف، جريث لنوع من السمك، ردج، اجتث، عوهج، هزج ملج، نبج، الجسم، جنسك، جصص».

وتتحول إلى ياء وهذا من مخرج الأصوات الغارية مثل «شيرات شيره، صهاري صهري، أزيم» في «شجرات، شجرة، صهاريج، صهرج، أزجم».

كما تتحول إلى صوت غاري مجهور رخو وهو مايعرف اليوم باسم الجيم السورية وينسب قديما إلى بني تميم ويكتب في المصادر العربية بصورة الشين وقد رمزنا له بهذا الرمز «چ» ومن أمثلته «الإشاءة الاضطرار، مدمش: أي الإجاءة، مدمج».

٣ ـ الحروف اللثوية والميم:

تتحول اللام إلى نون أو إلى راء وتتحول النون إلى راء أو ميم هذا

من جهة ومن جهة أخرى تتحول اللام إلى نون والنون إلى ميم.

ومن أمثلة تحول اللام إلى نون قول العرب «جبرين، إسماعين، لعن، بن، خامن» بدلا من «جبريل، إسماعيل، لعل، بل، خامل».

ومن أمثلة تحوله إلى راء قولهم «فرطح، هدر، سرجم، دربح تدردر» بدلا من«فلطح، هدل، سلجم، دلج، تدلدل».

ومن أمثلة تحول النون إلى راء «البرطلة، رقش» أي ابن الظل ونقش.

ومن أمثلة تحولها إلى ميم «حمظل، البنام» بدلا من«سحنظل والبنان».

وتتحول اللام إلى نون والنون إلى راء مثل «طلس، طنس، طرس» و «فلطس، فنطس، فرطس».

ومن أمثلة تحول اللام إلى نون والنون إلى ميم أداة التعريف «أل - أن - أم» ومن قاعدة التبادل بين النون والميم ظهر أن التنوين الموجود في العربية أصل للتمييم الموجودة في السبئية والأشورية كما ظهر أن التنوين في أصل اللغات السامية هو علامة للتعريف كما هو في اليمنية القديمة وقد تحول إلى ميم في البابلية وهو ما يعرف بالتمييم مع محافظته على التعريف وفقد قيمة التعريف في اللغة العربية بعد أن استعاضت عنه بأداة التعريف الموجودة في أول الاسم وهي الهمزة، وما دخلها من تطورات.

وإذا نظرنا في اللغات الإنسانية الموجودة اليوم وجدنا أن أداة النهي فيها هي: لا، نا، ما «وهذه الأدوات قد وجدت جميعها في اللغات الطورانية ووجدت الثانية وهي «نا» وما شابهها في اللغات الأوربية وجدت الأولى والثالثة أي «لا وما» في اللغة العربية ووجدت الأخيرة

«ما» في اللغة الصينية وبناء على قاعدة التبادل بين الحروف اللثوية والميم تكون الأداة «لا» هي الأصلية تحولت اللام إلى نون فكانت «نا» وهي تمثل المرحلة الوسطى ثم تحولت النون إلى ميم فكانت «ما» وهي آخر مرحلة من تطور لا . . .

٤ ـ الحروف اللثوية الأسنانية:

القاعدة العامة في الإبدال بين الأصوات الأسنانية اللثوية هو التحول من الهمس إلى الجهر ومن الرخاوة إلى الشدة ومن الانفتاح إلى الإطباق وهذا عكس اتجاه الإبدال في الحروف الحلقية، وقد صنفت هذه الحروف على الوجه التالي.

أ ـ حروف الصفير: تتحول السين إلى صاد مثل «رصح، الصويق، الصاق» بدلا من «رسخ، السويق، الساق» وتتحول السين إلى زاي مثل «الفجز، التزدير، زدل» بدلا من «الفجس وهو الكبر، والتسدير، وسدل» وتتحول الصاد إلى زاي مثل «زدق» في«صدق» كما تتحول السين إلى صاد والصاد إلى زاي مثل «سراط، صراط، زراط» و «سقر، صقر، زقر».

ب ـ حروف «ت د ط» يتجه الإبدال فيها من الهمس إلى الجهر ومن الانفتاح إلى الإطباق فتتحول التاء إلى طاء مثل «أفلط، فحصطّ بدلا من«أفلت فحصت» وتتحول الدال إلى طاء مثل«أمرط، الطخاء» بدلا من«أمرد والدخاء وهي الظلمة، وتتحول التاء إلى دال «فزد» في «فزت».

وتتحول التاء إلى دال والدال إلى طاء مثل«هرت، هرد، هرط» و«مت، مد، مط» و «لتح، لدح، لطح بمعنى ضرب».

وقد يقع الإبدال في جميع حروف الكلمة وتشترك فيه حروف الحلق والحروف الصفيرية وحروف «ت د ط» مثل «دعس ، طعس طحس طحز، دعز طعز » فأصل هذه المواد «دعس» ثم بفعل الإبدال تحولت إلى جميع المواد المذكورة حيث اشتركت حروف الحلق فأبدلت العين حاء واشتركت حروف الصفير فأبدلت السين زايا واشتركت حروف«د ت ط» فأبدلت الدال طاء ولكنها في مراحل مختلفة من تاريخ الكلمة فنتج عن هذا عدد من المواد.

٥ ـ الحروف الأسنانية والضاد:

هذه الحروف تنطبق عليها قاعدة الأصوات اللثوية الأسناية وهي الاتجاه من الهمس إلى الجهر يضاف إلى ذلك تأخر مخرجها إلى الوراء وتقدم الثاء إلى الأمام في بعض تحولاتها.

فالثاء تتحول إلى ذال مثل «ذفروق، كذح، تلعذم» بدلا من «ثفروق وهو قمع البسرة، كثح، تعلثم وتتحول إلى ضاد مثل: «ضغضع في كلامه حض» بدلا من «ثغثغ، حث».

وتتحول الذال إلى ظاء مثل «خظرف، وقيظ» بدلا من «خذرف، وقيذ» والظاء تتحول إلى ضاد مثل: «عظ، حظرب، بظ » بدلا من «عض حضرب، بض».

والثاء من أكثر الأصوات تغيرا إذ يتقدم مخرجها ويتأخر وتتغير صفاتها فهي تتحول إلى ذال وإلى ضاد، وهذا مع الأصوات الأسنانية، ويتأخر مخرجها إلى اللثة فتصبح لثوية أسنانية مع المحافظة على رخاوتها وهمسها فتتحول إلى سين مثل «انسعب، جسمان، طرموس» بدلا من

«انثعب، جثمان، طرموث» ثم تدخل بعد ذلك في التبادل بين أصوات الصفير عن طريق السين، ويتأخر مخرجها إلى الأصوات الأسنانية اللثوية مع المحافظة على الهمس لكن تتغير صفة الرخاوة وتتحول إلى الشدة فتصبح تاء ثم تدخل بعد تحولها إلى التاء في التبادل بين أصوات« ت د ط» عن طريق التاء.

ومن الأمثلة التي تمثل تحولات الثاء خلال الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية هذه الكلمات «مرث، مرس، مرت، مرذ مرد» فأصل هذه الكلمات «مرث» تحولت الثاء إلى السين فكانت «مرس» وتحولت إلى التاء فكانت «مرت» والتاء تحولت إلى دال فكانت «مرد» وتحولت الثاء إلى ذال فكانت «مرذ» ثم الذال تحولت إلى دال فكانت «مرد».

ومن الأمثلة أيضا ما رُوي عن العرب «لاثيما ولا سيما ولا تيما».

ومما يدل على كثرة تغيرات الثاء هذه الكلمات «دعث، دعس، دعز، طعس، طحس، طحز، دعظ» إذ إن أصل هذه المواد هو «دعث» واشترك في هذا الإبدال حروف الحلق فتحولت العين إلى حاء وتحولت الثاء إلى سين ثم دخلت حروف الصفير فتحولت السين إلى زاي، وتحولت الثاء إلى ظاء فكان دعظ وتدخلت حروف«ت د ط» فتحولت الدال من دعث إلى طاء، وهذا مما يظهر أثر الإبدال العظيم في تغير الكلمة وتفرعها إلى عدد من الكلمات ويتقدم مخرج الثاء إلى الشفة فيصبح أسنانيا شفويا مع محافظته على الهمس والرخاوة فيتحول إلى فاء مثل «جدف، فم، فوم» بدلا من « جدث، ثم، ثوم».

ومما يدل على جميع تغيرات الثاء وهي مع الأصوات الأسنانية، والأصوات الأسنانية اللثوية، والأصوات الأسنانية الشفوية هذه الكلمات

«حثل، حذل، حسل، حصل حفل» كلها بمعنى «حثل» حيث تحولت الثاء إلى ذال وهذا بين الأصوات الأسنانية وذلك في «حثل، وحذل» وتحولت الثاء إلى الأصوات الأسنانية اللثوية ثم دخلت في قاعدة حروف الصفير وذلك في «حثل ← حسل ← حصل» وتحولت إلى فاء وذلك في «حثل وحفل» أي بتقدم مخرجها إلى الأمام إلى الأصوات الأسنانية الشفوية، ومثله يقال في «كثح، كتح، كذح، كسح، كفح».

٦ ـ الذال والدال والزاي:

الذال صوت كثير التغير فقد سبق في الأصوات الأسنانية أنه يتحول إلى ظاء وهو هنا يتحول إلى دال وذلك بالتأخر إلى منطقة الأصوات الأسنانية اللثوية مع محافظته على الجهر لكنه يستبدل الرخاوة بالشدة ويتحول إلى زاي وذلك بتأخره أيضا إلى الوراء أي إلى الأصوات الأسنانية اللثوية ولكن مع محافظته على جهره ورخاوته ومن أمثله ذلك خذرنق وخذرنق وخزرنق اسم من أسماء العنكبوت ودمه وذمه وزمه، ذبر ودبر، وزبر.

٧ ـ التاء والكاف:

تتحول التاء إلى كاف مثل « عصيك، أنك، وهبك» في «عصيت، أنت، وهبت».

٨ ـ الحروف الشفوية:

قاعدة الحروف الشفوية هي التحول من الشدة إلى الرخاوة فالباء تتحول إلى ميم مثل «كثم، رتم، نقيمة، عجم» بدلا من «كثب، رتب، نقيبة، عجب»، ويتأخر مخرجها إلى الوراء إلى الأصوات الأسنانية

الشفوية مع فقدانها للجهر والشدة فتتحول إلى الفاء مثل« نقف، جفس مصطفة» بدلا من « نقب، جبس، مصطبة، ومن الأمثلة التي تدل على التبادل بين الحروف الشفوية ويعني هذا أن الأصل في هذه الكلمات هي الكلمات المحتوية على الباء «حفش، حمش، حبش» و «طبر طفر طمر» و«هرشب، هرشف، هرشم».

٩ ـ حروف العلة: القاعدة العامة هي :

أن الواو تتحول إلى ياء والياء تتحول إلى فتحة طويلة «ألف المد».

والضمة الطويلة تتحول إلى كسرة طويلة، والكسرة الطويلة تتحول إلى فتحة طويلة.

فمن أمثلة تحول الواو إلى ياء «حيث، الأيبة، العبيثران وهو نبت طيب الريح، تحيز، تهير» بدلا من«حوث، الأوبة، العبوثران، تحوز، تهور».

ومن أمثلة تحول الواو إلي فتحة طويلة «ألف مد»: « تاحم، تابة، حابة» بدلا من «توحم، توبة، حوبة».

ومن أمثلة تحول الياء إلى فتحة طويلة ألف مد «أعطاتك، العاب طابة، دوابة، سقى، نهى، رضا» بدلا من «أعطيتك، العيب، طيبة، دويبة، سقي. نهي، رضي».

ومن أمثلة تحول الواو إلى ياء والياء إلى فتحة طويلة ألف مد:

«حبلو ← حبلَيْ ← حبلى»

و« أفعو ← أفعَيْ ← أفعى ».

ومن أمثلة تحول الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة«الكذاب الأثيم، فاحت القدر تفيح، الذين، بيع» بدلا «الأثوم،تفوح، الذون، بوع».

ومن أمثلة تحول الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة «القيام، الفساد الصلاح، شمراخ، عنقاد، يمات» بدلا من «القيوم، الفسود، الصلوح، شمروخ، عنقود، يموت».

ومن أمثلة تحول الكسرة الطويلة إلى فتحة طويلة «أما، تا، اسم إشارة، مطار، رحاق» بدلا من «أمي، تي، مطير، رحيق».

١٠ ـ الهمزة والواو والياء:

الهمزة تتحول إلى واو أو إلى ياء :

ومن أمثلة تحول الهمزة إلى واو «ذوى البقل، ورخ» بدلا من «ذأي، أرخ» و «ورشت» بدلا من «أرشت».

ومن أمثلة تحول الهمزه إلى ياء «عباية، سايلت،يتسايلان، سرت، أمام الرجل ويمامته» بدلا من «عباءة، ساءلت، يتساءلان، سرت أمامته».

والإبدال من أحد المتضاعفين ذو أثر خطير في بنية العربية حيث إن فك الإدغام من الأبنية الثلاثية يؤدي إلى زيادة حرف فتكون الكلمة على أربعة أحرف وكثير مما عده علماء العربية رباعيا هو ثلاثى الأصل فلما فك الإدغام أصبح على أربعة أحرف فعد من الرباعي وقد لاحظت أن فك الإدغام يكون بحروف الحلق مثل «هـ ع ح » وحروف الذلاقة مثل «ل ن ر» وحروف اللين.

من الكلمات التي كانت ثلاثية فلما فك الإدغام أصبحت رباعية ما

يلي:

١ ـ فك الإدغام بحروف الحلق:

أ ـ فك الإدغام بواسطة الهاء مثل هذه الكلمات «جمهر، نهشل، نهبر» أصلها «جمّر، نشّل، نبّر».

ب ـ فكه بالعين مثل «بعثق، جعفل، جمعر، جعفر، جلعد، جعثم» أصلها «بثّق، جفّل، جمّر، جفرّ جلّد، جثّم.»

جـ ـ فكه بالحاء مثل«بحتر، بحثر، وبعثر، سبحل، وسحبل، جحفل، جندل» أصلها «بتّر، بثّر، سبّل، جَفّل، جدّل».

٢ ـ فك الإدغام بحروف الذلاقة

فكه بالراء «برجد، برشع، برغث، برجم، جرثم، خرطم حرزق، خذرف، سربل، فرقع، قرضب، كرسف، كردس، نقرش» أصلها «بجّد، بشّع، بغّث، بجّم، جثّم، خطّم، حزّق، خذّق، سبّل، فقّع، قضّب، كسّف، كدّس، نقّش».

فكه بالنون مثل «رنز، إنجانة، إنجاص، عنقود، عنبس، عنصر، سنبل» أصلها: «رزّ، إجّانة، إجّاص، عقّد، عبّس، عصّر، سبّل».

فكه باللام مثل «بلطح عصلب، ثعلب، قلفع، كلثم» أصلها «بطّح، عصّب، ثعّب، قفّع، كثّم».

٣ ـ فك الإدغام بحروف اللين:

الإبدال من أحد المتضاعفين يكون أوزانا تعرف عند الصرفيين باسم الأوزان الملحقة بالرباعي ففك الإدغام بالياء مثل «سيطر، بيطر» أصلها

«سطّر، بطّر» ومثل «شريف، الزرع» أصلها «شرّف».

وفك الإدغام بالواو مثل «رهوك، جهور» أصلهما «رّهك، جهّر».

٤ ـ الألف والهمزة:

إن وزن «أفعال» لهو خطير عظيم في بناء العربية حيث يرجع إليه وزن «أفعللّ» حيث إن الألف من افعالّ تتحول إلى همزة بسبب التضعيف الذي يتلوها فتكون على صيغة «افعألّ» ثم تدخل الهمزة إبدالات حروف الحلق فتتحول إلى هاء أو حاء أو عين ثم تصبح الكلمة على أربعة أحرف فعدها الصرفيون رباعية وقالوا هي على وزن «افعللّ» ولكن قانون التبادل بين حروف الحلق كشف حقيقة هذا البناء، ومن الأمثلة الدالة على هذا «اكفهر» أصلها اكفارّ ثم اكفأر أبدلت الهمزة هاء ومن أمثلة العين سمد ←—— اسمادّ ←—— اسمأدّ ←—— اسمعدّ، اقذال، اقذعل اقذحر ولكن يلاحظ الراء من اقذحر أصلها اللام، تحولت إلى راء وفق قانون التبادل بين الأصوات اللثوية الأسنانية، فوزن افعللّ، أصله أفعالّ تحولت الألف إلى همزة فأصبحت افعأل فدخلت قانون التبادل بين حروف الحلق.

وبهذا نصل إلى قانون للإبدال في أصوات العربية وهذا القانون ينطبق على حروف اللغة العربية وعلى غيرها بقدر ما فيها من حروف العربية؛ لأن هذا القانون خاص بآلة النطق التي لا تتغير في جميع لغات البشر.

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

الفهارس

أولا : فهرس الآيات

ثانيا ـ فهرس الأحاديث والآثار

ثالثا : « فهرس الأشعار »

م	البيت		الصفحة
	الهمزة		
١	تربع صارة حتى إذا ما	فنى الدحلان عنه والأضاء	٥٤٤
	البـــاء		
٢	فأصاخ يرجو أن يكون حيا	ويقول من فرح هيا ربا	١١٩
٣	كأن هويها لما اشمعلت	هوى الطير تبتدر الإيابا	٦٢٧
٤	تنحى على الشوك حرازا مقضبا	والهرم تذريه اذدراء عجبا	٤٠٠
٥	بكرت تلومك بعدوهن فى الندى	بسل عليك ملامتى وعتابى	٥٣٣
٦	أأصرها وبنى عمى ساغب	وكفاك من إبة على وعاب	٥٣٤
٧	أما أقاتل عنى دينى على فرس	ولا كذ رجلا إلا بأصحاب	٥٣٤
٨	لقد لقيت إذاً شرا وأدركنى	ماكنت أزعم فى خصمى من العاب	٥٣٤
٩	لزجرت قلبا لا يريع إلى الصبا	إن الغوي إذا نهى لم يعتب	٥٤٦
١٠	فلما فنا ما فى الكنائن ضاربوا	إلى القرع من جلود الهجان المجوب	٥٤٦
١١	ياقوم مالى وأبا ذؤيب	كنت إذا أتوته من غيب	٥٧٥
١٢	يشم عطفى ويمس ثوبى	كأننى أربته بريب	٥٧٥
١٣	....	كرات غلام من كساء مؤرنب	١٢٥
١٤	قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى	جرداء معروقة اللحيين سرحوب	٥٧٣
١٥	كالدلوبتت عراها وهى مثقلة	وخانها وذم منها وتكريب	٥٧٣

التـــاء

م	البيت		الصفحة
٥١	أعن تغنت على ساق مطوقة	ورقاء تدعو هديلا فوق أعواد	١٧٣
٥٢	وهم فخر كل من نطق الضاد	وعوذ الجانى وغوث الطريد	٤٣٧
٥٣	لم تلق خيل قبلها مالقت	من غب هاجرة وسير مسأد	٥٤٥
٥٤	يا ابن أمى وياشقيق نفسى	أنت خلفتى لدهر شديد	٥٦٨
٥٥	بأصدق من خليل ثمينة	وأمضى إذا ما أفلط القائم اليد	٤١٠
٥٦	براهن عما هن إما بوادى	لحاج وإما راجعات عوائد	١٧٣

(الراء)

م	البيت		الصفحة
٥٧	لها ثنن كخوا فى العقاب	سود يقين إذا تزبئر	٦٢٥
٥٨	فهو ورد اللون فى ازابئراره	وكميت اللون مالم يزبئر	٦٢٥
٥٩	ومن لا تلد أسماء من آل عامر	وكبشة تكره أمه أن تبحثرا	١٨٩
٦٠	جيادك فى القيظ فى نعمة	تصان الجلال وتنطى الشعيرا	٤٨٤
٦١	لعمرك ما أخشى التصعلك مابقى	على الأرض قيسى يسوق الأباعرا	٥٤٤
٦٢	......	أعارت عينه أم لم تعارا	٥٤٠
٦٣	ودع ذا الهوى قبل القلى ترك ذى الهوى	متين القوى خير من الصرم مزدرا	٣٨١
٦٤	أبنى إن أباك غير لونه	كر الليالى واختلاف الأعصر	٨٢
٦٥	ثمانين حولا لا أرى منك راحة	لهنك فى الدنيا لباقية العمر	١٢١
٦٦	خلقت لهازمه عزين ورأسه	كالقرص فرطح من طحين شعير	٣٢٧
٦٧	ولاتهيبنى الموماة أركبها	إذا تجاوبت الأزداء بالسحر	٣٨٢
٦٨	فردوا علينا مابقا من نسائنا	وأبنائنا واستمتعوا بالأباعر	٥٤٤
٦٩	إلا كعهدكم بذى بقر الحمى	هيهات ذو بقر من المزدار	٤٠١
٧٠	لقد آذنت أهل اليمامة طىء	بحرب كناصاة الأغر المشهر	٥٤٧

(الزاى)

(السين)

م	البيت		الصفحة
١٢٦	فيال تميْم أصبروا قد أشئتم	إليه وكونوا كالمحربة البسل	٢٨٤
١٢٧	فدعى مط حاجبيك وعيشى	معنا بالرجاء والتأمال	٤١٦
١٢٨	تظل من نسور شمام عليهم	عكوبا مع العقبان عقبان يذبل	٤٩٨
١٢٩	وأسمر مربوع لضاه بن عازب	فأعطى ولم ينظر ببيع حلال	٥٤٥
١٣٠	ومن كل ملث مكفهر سحابه	كميش التوالى مرثعن الأسافل	٦٢٧
١٣١	تغنى ثم هزج فاحزألت	تميل بها النحائز والسدول	٦٢٣
١٣٢	من كل أزيم شائك أنيابه	ومقصق بالهدر كيف يصول	٢٨٩
١٣٣	فأيهات أيهات العقيق ولله به	وأيهات وصل بالعقيق نواصله	١٢٣
١٣٤	لهنك من عبسية لوسيمة	على هنوات كاذب من يقولها	١٢١

(الـميم)

م	البيت		الصفحة
١٣٥	وتشرب أُسآر الحياض تسوفها	ولو وردت ماء المريرة آجما	٣٤٤
١٣٦	فأطرق إطراق الشجاع ولويرى	مساغا لنا باه الشجاع لصمما	٥٣٢
١٣٧	وقد زعموا أنى جزعت عليهما	وهل جزع أن قلت يا بأباهما	٥٧٩
١٣٨	. . . .	فإنه أهل لأن يؤكرما	١٢٦
١٣٩	ياهال ذات المنطق التمتام	وكفك المخضب البنام	٣٤٥
١٤٠	إلاّ الإفادة فاستولت ركائبنا	عند الجبابير بالبأساء والنعم	٥٨٣
١٤١	وضيعت الكرامة فأرمأدت	وقبضت السقا فى جوف سلم	٦٢٢
١٤٢	نسوقد النبل بالحضيض ونصطاد	نفوسا بنت على الكرم	٥٤٤
١٤٣	تزود منابين أذناه ضربة	دعته إلى هاب التراب عقيم	٥٣٣
١٤٤	أعن ترسمت من خرقاء منزلة	ماء الصبابة من عينيك مسجوم	١٦٧
١٤٥	ألا ياسنا برق على قلل الحمى	لهنك من برق على كريم	١٢١
١٤٦	فتعلمن وإن هويتك عننى	قطاع أرمام الحبال صروم	١٧٠

رابعا : فهرس المراجع والمصادر

(الهمزة)

١ ـ الإبانة عن معاني القراءات لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (٤٣٧ هـ) تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، الناشر: دار المأمون للتراث بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.

٢ ـ الإبدال لابن السكيت تأليف أبي يوسف يعقوب بن السكيت، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف، القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٣ ـ الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة (٣٥١ هـ) تحقيق عز الدين التنوخي، نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .

٤ ـ الإبدال والمعاقبة والنظائر لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة (٣٣٧هـ) تحقيق عز الدين التنوخي، نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م:

٥ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة(٩١١ هـ) الناشر: المكتبة الثقافية بيروت لبنان، طبعة ١٩٧٣م.

٦ ـ الإحكام في أصول الأحكام للحافظ أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري: تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ـ الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م، الناشر مكتبة عاطف بجوار الأزهر .

٧ ـ أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا، الناشر: دار الاعتصام بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٨ ـ أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري المتوفى سنة (٢٧٦ هـ)تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الطبعة الأولى١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لمصطفى محمد.

٩ ـ الأشباه والنظائر في النحو لأبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفي سنة (٩١١ هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية القاهرة، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م

١٠ ـ الإصابة في تمييز الصحابة تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن محمد بن محمد علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر المتوفي سنة (٨٥٢هـ) طبعة دار صادر.

١١ ـ الأصالة العربية في لهجات الخليج للدكتور عبد العزيز مطر طبعة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، الناشر: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض .

١٢ ـ إصلاح المنطق لابن السكيت شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر .

١٣ ـ الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م الناشر مكتبة الأنجلو المصرية .

١٤ ـ الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لجمال الدين محمد بن مالك المتوفي سنة (٦٧٢ هـ) تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م ، الناشر : مؤسسة الرسالة ببيروت .

١٥ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه المتوفي سنة (٣٧٠هـ) الناشر دار ومكتبة الهلال بيروت، طبعة ١٩٨٥ م.

١٦ ـ الأعلام تأليف خير الدين الزركلي ـ الناشر دار العلم للملايين بيروت لبنان ـ الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م.

١٧ ـ الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع المتوفي سنة(٥١٥هـ)الناشر: عالم الكتب،الطبعة الأولى١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

١٨ ـ الاقتراح في علم أصول النحو للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم :

١٩ ـ الإكليل للسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفي سنة (٣٥٠ هـ) تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي.

٢٠ ـ ألف باء لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوى، الناشر عالم الكتب.

٢١ ـ الأمالي في لغة الغرب لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي الناشر دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان طبعة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢٢ ـ الأمالى لأبي القاسم عبد الرحمن بن القاسم الزجاجي، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان .

٢٣ ـ الأمم السامية تأليف حامد عبد القادر، الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة ـ القاهرة.

٢٤ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري المتوفي سنة (٥٧٧ هـ) الناشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٢٥ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى المتوفي سنة (٧٦١ هـ) الطبعة الرابعة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م، الناشر مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر .

(البـــاء)

٢٦ ـ البارع لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي المتوفي سنة (٣٥٦هـ) تحقيق هاشم الطعان، الناشر مكتبة النهضة ببغداد ودار الحضارة العربية ببيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٥ م

٢٧ ـ البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفي سنة (٧٥٤هـ) الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٨ ـ بحوث ومقالات في اللغة للدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢م ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض .

٢٩ ـ البداية والنهاية تأليف أبى الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفي سنة (٧٧٤هـ) الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة ١٤٠٥ هـ .

٣٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م ، الناشر : دار الفكر .

(التـــاء)

٣١ ـ تاريخ حضارة وادى الرافدين للمهندس الدكتور أحمد سوسه، الناشر المكتبة الوطنية ببغداد، ودار الحرية للطباعة .

٣٢ ـ تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة (٣١٠ هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر .

٣٣ ـ تاريخ العلماء النحويين للقاضى أبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخى المقري المتوفي سنة (٤٤٢ هـ) تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٣٤ ـ تاريخ اللغات السامية تأليف : أ / ولفنسون ، دار القلم بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .

٣٥ تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، نشر السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

٣٦ ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلى المتوفي سنة (٥٠١هـ) تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، الناشر دار المعارف بالقاهرة .

٣٧ ـ تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين الذهبى المتوفي سنة (٧٤٨ هـ) الناشر دار الباز للتوزيع والنشر ودار إحياء التراث العربي .

٣٨ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م .

٣٩ ـ تصحيح الفصيح لعبد الله بن جعفر بن درستويه المتوفي سنة (٣٤٧ هـ) تحقيق عبد الله الجبورى، الناشر مطبعة الإرشاد ـ بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

٤٠ ـ التصريف الملوكى لابن جنى اللغوى تحقيق محمد سعيد بن مصطفى النعسان، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م الناشر دار المعارف للطباعة بدمشق .

٤١ ـ التطور اللغوى للدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م، الناشر: مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض .

٤٢ ـ التطور النحوى للغة العربية للمستشرق الألماني براجشتراسر، تعليق وتصحيح الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٤٣ ـ تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي

سنة(٢٧٦ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٤٤ ـ تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق عبدالوهاب عبد اللطيف، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ .

٤٥ ـ التمهيد في علم التجويد للإمام محمد بن الجزري تحقيق الدكتور علي حسين البواب، الناشر مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

٤٦ ـ تهذيب التهذيب لأبي الفصل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة حيدر أباد الدكن سنة ١٣٢٦ هـ الطبعة الأولى .

٤٧ ـ تهذيب اللغة لأبي منصور بن أحمد الأزهري المتوفي سنة (٣٧٠ هـ) الناشر الدار المصرية للتأليف والنشر .

٤٨ ـ التوزيع اللغوى الجغرافي في العراق للدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ١٩٦٨م.

٤٩ـ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي المعروف بابن أم قاسم المتوفي سنة (٧٤٩ هـ) بتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

٥٠ ـ التيسير في القراءات السبع تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

(الجيـــم)

٥١ ـ جمهرة اللغة لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المتوفي (٣٢١ هـ) الناشر دار أصادر بواسطة الأوفست .

٥٢ ـ الجني الداني في حروف المعاني تأليف حسن بن قاسم المرادي المتوفي سنة (٧٤٩ هـ) تحقيق طه محسن، الناشر مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ١٣٩٦ هـ .

(الحـاء)

٥٣ ـ حاشية محمد الخضرى على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.

٥٤ ـ حاشية محمد بن على الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك .

(الخـــاء)

٥٥ ـ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار، الناشر دار الكتاب العربى بيروت لبنان .

٥٦ ـ خصائص اللهجة الكويتية للدكتور عبد العزيز مطر، مطابع دار الرسالة بالكويت ١٩٦٩م .

(الـــدال)

٥٧ ـ دراسات في علم اللغة تأليف الدكتورة فاطمة محمد محجوب، الناشر دار النهضة العربية القاهرة.

٥٨ ـ دراسات في علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر، الطبعة التاسعة ١٩٨٦ م الناشر دار المعارف بمصر .

٥٩ ـ دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية تأليف ت. م . جونستون، ترجمة الدكتور أحمد محمد الضبيب ـ مطبوعات جامعة الرياض الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

٦٠ ـ دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية تأليف أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ، الناشر مطابع الفرزدق التجارية بالرياض .

٦١ ـ دراسة الصوت اللغوى للدكتور أحمد مختار عمر، نشر عالم الكتب بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦ م.

٦٢ ـ دروس في اللغة العبرية للدكتور ربحي كمال، الناشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت ١٩٧٨ م .

٦٣ ـ ديوان أبي النجم العجلي بشرح علاء الدين أغا مطبوعات النادي الأدبي بالرياض ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

٦٤ ـ ديوان الأعشى: ميمون بن قيس، طبعة دار صادر.

٦٥ ـ ديوان امرئ القيس ضبط وتصحيح الأستاذ مصطفى عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٦٦ ـ ديوان أوس بن حجر تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، نشر دار صادر الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٦٧ ـ ديوان حاتم الطائي طبعة دار صادر ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٦٨ ـ ديوان الحطيئة جرول بن أوس الغطفاني، نشر دار صادر ببيروت، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

٦٩ ـ ديوان الخنساء: تماضر بنت عمرو السلمية، طبعة دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

٧٠ ـ ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة، الناشر المكتب الإسلامى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م.

٧١ ـ ديوان رؤبه بن العجاج بتصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

٧٢ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة طبعة دار صادر بيروت .

٧٣ ـ ديوان الفرزدق همام بن غالب طبعة دار صادر بيروت .

٧٤ ـ ديوان النابغة الذبياني زياد بن معاوية تحقيق كرم البستاني طبعة دار صادر.

(الذال)

٧٥ ـ ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي .

(الزاي)

٧٦ ـ الزينة في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي تحقيق حسين بن فيض الله الهمذاني، مطابع الكتاب العربي بمصر الطبعة الثانية .

(السين)

٧٧ ـ سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني، الجزء الأول بتحقيق مصطفى السقا وآخرين والناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤م .

والجزء الثانى بتحقيق الدكتور حسن هنداوى والناشر دار القلم بدمشق الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٧٨ ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للوزير أبي عبيد البكرى الأونبي تحقيق عبد العزيز الميمنى، الناشر دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٧٩ ـ سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي المتوفي سنة (٢٧٥ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(الشين)

٨٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفي سنة (١٠٨٩ هـ) طبعة إحياء التراث العربى بيروت لبنان .

٨١ ـ شرح ابن عقيل بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري المتوفي سنة (٧٦٩ هـ) على ألفية ابن مالك، طبعة دار إحياء التراث العربي .

٨٢ ـ شرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن سعيد السيرافي تحقيق الدكتور محمد على سلطاني، طبعة دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت ١٩٧٩ م.

٨٣ ـ شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري تحقيق عبد الستار أحمد فراج طبعة مكتبة دار العروبة بالقاهرة .

٨٤ ـ شرح الأشمونى: نور الدين أبي الحسن علي بن محمد على ألفية ابن مالك طبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨٥ ـ شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الإشبيلي تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح طبعة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٨٦ ـ شرح ديوان الحماسية لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفي سنة (٤٢١ هـ) الطبعة الثانية ، الناشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨ م.

٨٧ ـ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي المتوفي سنة(٦٨٦ هـ)تحقيق محمد نور الحسن وزملائه طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٨٨ ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المتوفي سنة (٧٦١ هـ) طبعة دار الفكر .

٨٩ ـ شرح القصائد العشر صنعة الخطيب التبريزى تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، نشر دار الأصمعي بحلب الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م.

٩٠ ـ شرح قطر الندى وبل الصدى لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المتوفي عام(٧٦١ هـ) طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر الطبعة الحادية عشرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣ م.

٩١ ـ شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوى المتوفي سنة (٦٨٦ هـ) نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .

٩٢ ـ شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي المتوفي سنة (٦٤٣ هـ) الناشر عالم الكتب بيروت، ومكتبة المتنبي ـ القاهرة.

٩٣ ـ شرح مقامات الحريري لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشربيني المتوفي عام (٦٢٠هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢م، الناشر عبد الحميد أحمد حنفي بالقاهرة .

٩٤ ـ شعر الراعي النميري دراسة وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي وهلال ناجي من مطبوعات المجمع العلمى العراقي ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .

٩٥ ـ شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمرى تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

٩٦ ـ شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام جمع وتحقيق ودراسة الدكتور وفاء فهمي السنديوني طبعة دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض الطبعة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٩٧ ـ الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي سنة (٢٧٦هـ) تحقيق مفيد قميحة، نشر دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

٩٨ ـ شواهد العيني على شرح الأشموني .

(الصاد)

٩٩ ـ الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفي سنة (٣٩٥هـ) تحقيق السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة .

١٠٠ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

١٠١ ـ صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان .

١٠٢ ـ صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المتوفي سنة (٢٦١هـ) الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .

١٠٣ ـ صفة جزيرة العرب تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض المملكة العربية السعودية ـ ١٩٧٤ م .

(الضاد)

١٠٤ ـ ضياء السالك إلى أوضح المسالك وهو صفوة الكلام إلى توضيح ابن هشام تأليف محمد عبد العزيز النجار، نشر مطبعة السعادة الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

(الطاء)

١٠٥ ـ طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي المتوفي سنة (٢٣٢هـ)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

(العين)

١٠٦ ـ عبث الوليد شرح ديوان البحتري إملاء أبي العلاء المعري، تعليق محمد عبد الله المدني، الناشر دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

١٠٧ ـ العبر في خبر من غبر لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي المتوفي سنة (٧٤٨ هـ) تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٠٨ ـ العرب قبل الإسلام تأليف جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ١٩٧٩م.

١٠٩ ـ العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تصحيح وضبط أحمد أمين وآخرين، طبعة دار الكتاب العربي ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

١١٠ ـ علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي، الطبعة السابعة، الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة القاهرة .

١١١ ـ علم اللغة العام (الأصوات) للدكتور كمال محمد بشر ، نشر دار المعارف، الطبعة السابعة ١٩٨٠ م .

١١٢ ـ علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي، الناشر وكالة المطبوعات. الكويت .

١١٣ ـ العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي سنة (١٧٥ هـ) الجزء الأول منه تحقيق عبد الله درويش، نشر مطبعة الغاني ببغداد ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م .

وبقية الأجزاء تحقيق الدكتور مهدى المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي طبعة دار الرشيد للنشر ١٩٨١م .

(الغين)

١١٤ ـ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفي سنة (٢٢٤هـ) الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

(الفاء)

١١٥ ـ الفائق في غريب الحديث لجار الله محمود بن عمر الزمخشري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان الطبعة الثانية .

١١٦ ـ الفاضل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتي .

١١٧ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني تأليف أحمد عبد الرحمن البنا، طبعة دار الشهاب بالقاهرة .

١١٨ ـ فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفي سنة (١٢٥٠ هـ) طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١١٩ ـ الفرق بين الضاد والظاء لأبي القاسم بن علي بن محمد الزنجاني المتوفي سنة(٤٧١ هـ)تحقيق الدكتور موسى بناى علوان العليلي، الناشر مطبعة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق .

١٢٠ ـ الفرق بين الضاد والظاء للصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين الطبعة الأولى، منشورات مكتبة النهضة والمكتبة العلمية .

١٢١ ـ الفرق بين الضاد والظاء لمحمد بن نشوان الحميري المتوفي سنة (٦١٠ هـ) بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين الطبعة الأولى، مطبعة المعارف ببغداد ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م .

١٢٢ ـ الفرق بين الضاد والظاء لمحمد بن يوسف الأندلسي المتوفي سنة (٧٤٥هـ)مع الفرق بين الضاد والظاء لمحمد بن نشوان الحميري.

١٢٣ ـ فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض .

١٢٤ ـ فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان، ترجمه عن الألمانية الدكتور رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض .

١٢٥ ـ فقه اللغة لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي المتوفي سنة (٤٣٠ هـ) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .

١٢٦ ـ فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي، طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة ـ القاهرة .

١٢٧ ـ فقه اللغة المقارن للدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر دار العلم للملايين بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م .

١٢٨ ـ الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لجرجي زيدان طبعة دار الهلال .

١٢٩ ـ الفهرست لابن النديم محمد بن إسحاق ، الناشر دار المعرفة بيروت .

١٣٠ ـ في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية للدكتور غالب فاضل المطلبي من منشورات الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية .

١٣١ ـ في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة ـ الناشر مكتبة الأنجلو المصرية .

١٣٢ ـ في معرفة الضاد والظاء لأبي الحسن علي بن أبي الفرج بن أحمد القيسي تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

(القاف)

١٣٣ ـ القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ـ١٩٥٢م، الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٣٤ ـ القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم لابن عبد البر يوسف بن عبد الله المتوفي سنة (٤٦٣) تحقيق إبراهيم الأبياري نشر دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

(الكاف)

١٣٥ ـ الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي المتوفي سنة (٥٠٢هـ) تحقيق الحساني حسن عبد الله، الناشر مؤسسة عالم المعرفة، بيروت لبنان .

١٣٦ ـ الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تعليق محمد أبي الفضل إبراهيم نشر دار النهضة مصر للطبع والنشر/ الفجالة ـ القاهرة .

١٣٧ ـ الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفي سنة (٦٣٠هـ) الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ م.

١٣٨ ـ كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر/ تحقيق عبد السلام محمد هارون طبعة عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

(اللام)

١٣٩ ـ لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري طبعة دار صادر .

١٤٠ ـ اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .

١٤١ ـ اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام تأليف أحمد حسين شرف الدين/ الناشر مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

١٤٢ ـ لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهره ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م .

١٤٣ ـ لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال الناشر دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

١٤٤ ـ اللهجات العربية الحديثة في اليمن للدكتور مراد كامل، الناشر جامعة الدول العربية معهد البحوث والدارسات العربية طبعة ١٩٦٨ م .

١٤٥ ـ اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي، الناشر الدار العربية للكتاب طبعة ١٩٨٣ م .

١٤٦ ـ ليس في كلام العرب تأليف الحسين بن أحمد المتوفي سنة(٣٧٠هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩.

(الميم)

١٤٧ ـ المبدع الملخص من الممتع لأبي حيان الأندلسي تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس، الناشر مكتبة الأزهر بالقاهرة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م .

١٤٨ ـ مجالس ثعلب لأبي العباس بن يحيى ثعلب تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر .

١٤٩ ـ مجالس العلماء لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض .

١٥٠ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق علي النجدي وآخرين، الناشر لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة .

١٥١ ـ المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها لمحمد الأنطاكي ـ دار الشرق العربي بيروت الطبعة الثالثة .

١٥٢ ـ مخارج الحروف وصفاتها لأبي الأصبغ السماتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان تحقيق الدكتور محمد يعقوب التركستاني الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

١٥٣ ـ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ـ نشر ج برجشتراسر، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م .

١٥٤ ـ المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده المتوفي سنة ٤٨٨ هـ طبع منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

١٥٥ ـ مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي ، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٨ م .

١٥٦ ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب الطبعة الأولى ١٩٨٢ م ـ ١٤٠٣ هـ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض .

١٥٧ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، الناشر دار الفكر .

١٥٨ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .

١٥٩ ـ معالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفي سنة (٣٨٨هـ) وهو شرح سنن الإمام أبي داود المتوفي سنة ٢٧٥هـ نشر المكتبة العلمية بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

١٦٠ ـ معانى الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المتوفي سنة (٣٨٤ هـ) تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي نشر دار الشروق بجدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

١٦١ ـ معانى القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المتوفي سنة (٢١٥ هـ) تحقيق الدكتور فائز فارس، نشر المطبعة العصرية بالكويت الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩م .

١٦٢ ـ معانى القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفي سنة (٢٠٧هـ) نشر عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

١٦٣ ـ معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية تأليف أحمد تيمور تحقيق الدكتور حسين نصار طبعة الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١ م .

١٦٤ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة طبعة مكتبة المثنى ودار إحياء

التراث العربى ببيروت .

١٦٥ ـ المعجم الوسيط طبعة دار الفكر .

١٦٦ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي سنة (٧٤٨هـ) تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

١٦٧ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، نشر دار الفكر الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧٢ م .

١٦٨ ـ مفاتيح العلوم لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان .

١٦٩ ـ المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي الكوفي اللغوي تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، الطبعة الخامسة نشر دار المعارف بمصر .

١٧٠ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفي سنة (٩٠٢ هـ) تصحيح عبد الله محمد الصديق، نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

١٧١ ـ مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفي سنة

(٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

١٧٢ ـ المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفي سنة (٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، نشر عالم الكتب بيروت .

١٧٣ ـ المقدمة لابن خلدون، نشر دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

١٧٤ ـ المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو عثمان ابن سعيد الداني المتوفي سنة ٤٤٤ هـ تحقيق محمد أحمد دهمان طبعة دار الفكر.

١٧٥ ـ الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي المتوفي سنة (٦٦٩هـ)، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

١٧٦ ـ من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة ١٩٧٨ م.

١٧٧ ـ من أصول اللهجات العربية في السودان لعبد المجيد عابدين الطبعة الأولى ١٩٦٦م الناشر مكتبة غريب بالقاهرة مطبعة الشبكشي بالأزهر بمصر.

١٧٨ ـ مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان، نشر دار الثقافة بالدار البيضاء ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ م .

١٧٩ ـ من تراثنا اللغوى القديم ما يسمى في العربية بالدخيل لطه باقر، الناشر مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

١٨٠ ـ المنصف شرح أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله الأمين الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

(النون)

١٨١ ـ النخل لأبي حاتم السجستاني تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي الناشر دار اللواء بالرياض ومؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

١٨٢ ـ نشأة النحو للشيخ محمد الطنطاوى الناشر دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة ١٩٧٣ م .

١٨٣ ـ النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفي سنة (٨٣٣هـ) بتصحيح على محمد الضباع طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٨٤ ـ النقائض، نقائض جرير والفرزدق طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

١٨٥ ـ النقط لأبي عمرو الداني مع المقنع .

١٨٦ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد القلقشندي المتوفي سنة (٨٢١ هـ) تحقيق إبراهيم الأبياري الناشر دار الكتاب اللبنانى بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠هـ.

١٨٧ ـ النوادر لأبي مسحل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش تحقيق الدكتور عزة حسن، الناشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١ م .

١٨٨ ـ النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري تحقيق الدكتور محمد عبدالقادر أحمد الناشر/ دار الشروق ـ الطبعة الأولى١٩٨١م ـ١٤٠١ هـ .

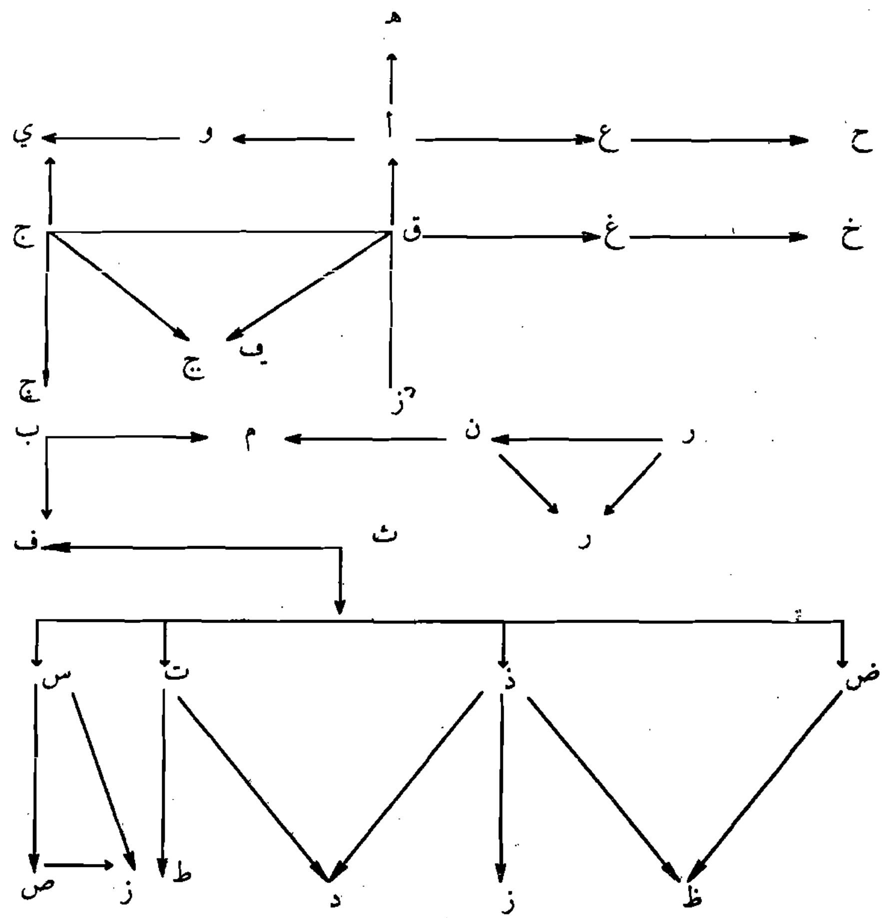
(الهاء)

١٨٩ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تصحيح السيد محمد بدر الدين النعسانى طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان .

(الواو)

١٩٠ ـ الوجيز في علم التصريف لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري المتوفي سنة (٥٧٧ هـ) تحقيق علي حسين البواب، الناشر دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م .

خامسا : فهرس الموضوعات



رسم يوضح كيفية إبدال الحروف.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس